

مَرْكَزُ الْإِسْلَامِ مِنَ الْجَمْعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



أَطْرُوقَاتُ مَعْرِفَتِنَا

الْجُزْءُ الثَّانِي

بِقَلَمِ

الْشَيْخِ حَيْدَرُ النَّبِيِّ الْإِسْلَامِيِّ



دليل الكتاب

الفصل العاشر: الحسين عليه السلام ونهضته المباركة

٩ - ٥٨

- ١١ كلمات تأملية حول سيد الشهداء عليه السلام
- ٢٤ الحسين عليه السلام وراثته الأنبياء والأولياء .. تجليات ومظاهر
- ٣٣ تعليق على نقد
- ٤٠ عبارة جون اللي والعنصرية
- ٤٦ الحسين عليه السلام مظهر الجمال ، وجنة الأولياء

الفصل الحادي عشر: مهدويات

٥٩ - ١٢٤

- ٦١ دفع شبهات عن العقيدة المهدوية
- ٧٤ حوار حول العقيدة المهدوية
- ٨٠ السفيناني وحركة داعش واحتلال الكوفة

الفصل الثاني عشر: هدي العلماء والمرجعية

١٢٥ - ١٩١

- ١٢٧ بداية المرجعية الشيعية

- ١٣١ من كلمات المرجع الأعلى
- ١٣٤ أسئلة حول دور الفقهاء
- ١٤٣ هل هذا نقد علمي أم قاموس شتائم !!
- ١٦٠ وقفة تأمل في حدث استثنائي
- ١٧٦ إذا كانت الرسالة خاطئة فهناك مشكلة في التفكير

الفصل الثالث عشر: فقهيات

١٩٣ - ٢٢٥

- ١٩٥ أحكام كثير السفر وفق رأي السيد السيستاني (حفظه الله)
- ٢٠١ نافذة شرعية على الفن
- ٢١١ حقيقة الاعتكاف
- ٢٢١ مسألة ما إذا بقي من الوقت مقدار أربع ركعات

الفصل الرابع عشر: شؤون فكرية عامة

٢٢٧ - ٢٤٣

- ٢٢٩ من هم دعاة الرجعية ؟
- ٢٣٦ علماء التنوير الديني وتقييمهم (العلم والأمانة)

الفصل الخامس عشر: اجتماعيات

٢٤٥ - ٣٠٤

- ٢٤٧ ثقافة الاختلاف
- ٢٤٧ المحاضرة الأولى: ثقافة الاختلاف بين المؤمنين
- ٢٦٤ المحاضرة الثانية: الموقف من المخالف في أصول الدين
- ٢٧٩ المحاضرة الثالثة: أهداف الإسلام وعوامل التنسيق بين مذاهبه ..

٢٩٢ تحدّيات الهوية في زمن العولمة

الفصل السادس عشر: بحوث تاريخية

٣٧٢ - ٣٠٥

٣٠٧ السقيفة بين كتاب البخاري وفتح الباري

٣٣١ مؤامرة العقبة (دراسة وتحليل)

الفصل السابع عشر: بحوث عقلية وفلسفية

٤١٢ - ٣٧٣

٣٧٥ أقسام المفاهيم الكلية

٣٨٣ المفاهيم الحقيقية والاعتبارية

٣٩٠ ملاك صدق القضايا

٤٠١ هل يمكن أن يقترب العلم من إمكان المستحيل ؟

٤٠٥ معنى : (وَلَيْسَ يُقَالُ لَهُ أَكْثَرُ مِنْ فِعْلٍ وَعَمَلٍ وَصُنْعٍ) وقاعدة الواحد ..

٤٠٨ قيمة الأسلوب المنطقي

الفصل الثامن عشر: الروح التفاتة وتربية

٤٤٢ - ٤١٣

٤١٥ جهاد النفس معراج الإنسانية

٤٣٠ تسلية الفؤاد ببيان إمكانية التواصل مع الموتى من ...

٤٣٦ الحياة البرزخية

الفصل التاسع عشر: حواريات

٤٥٩ - ٤٤٣

٤٤٥ أسئلة الجلسة الحوارية لسنة ١٤٣٨ هـ

- الأسئلة الفقهيّة ٤٤٧
- الأسئلة التي ترتبط بالعقيدة والمعارف ٤٥٠
- الأسئلة الفكرية العامّة ٤٥٣
- الأسئلة التفسيرية ٤٥٤

مصادر الكتاب

٤٨٤ - ٤٥٩

محتويات الكتاب

٤٩٦ - ٤٨٥

الفصل العاشر

الحسين عليه السلام ونهضته المباركة

كلمات تأملية حول سيد الشهداء عليه السلام

السؤال الأول: ما هي المواريث التي نستلهمها من زيارة وارث في الذوات التسعة المقدسة التي جعلها المعصوم للإمام الحسين عليه السلام؟

الجواب: ورد في زيارة وارث: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ آدَمَ صَفْوَةَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ نُوحٍ نَبِيِّ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ مُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ عِيسَى رُوحِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ مُحَمَّدٍ حَبِيبِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيِّ اللَّهِ».

ولا جزم بالمواريث التي قصدتها الزيارة، ولكن قد تذكر عدة احتمالات منها:

الاحتمال الأول

أن يكون المقصود الوراثة الفقهيّة للممتلكات المنقولة وغيرها.

وقد يقال: إنَّ كون الزيارة في مقام المدح والثناء، وبيان فضل سيد الشهداء عليه السلام قرينة على أنَّ المقصود ليس وراثة المال بما هي وراثة للمال، خصوصاً وأنه عليه السلام لا يرث من نبي الله عيسى عليه السلام لأنه لا يقع ضمن سلسلة الآباء، وهو حيٌّ يرزق لم يمت.

ولكن قد يُجاب عن هذا: بأنَّ هناك قول بأنَّه مات، وذهب إليه بعض الأعاضم، ومنهم الحرّ العاملي رحمه الله في الإيقاظ من الهجعة، وإذا كان مبيّناً ورثه آل عمران، ولا مانع من أن يكون الحسين عليه السلام وارثاً لتركه آل عمران بواسطة الآباء والأمّهات.

والوراثة الفقهيّة لبيان أنَّه عليه السلام من شجرة النسب المصطفاة، والتي فضّلها الله

على سائر السلالات ، يقول تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ (١).

الاحتمال الثاني

أن يكون المراد وراثه العلم ، فإن جميع علوم الأنبياء تنتقل من نبي إلى نبي ، ومن وصي إلى وصي ، وقد جمع الله جميع العلوم لرسوله ﷺ فخاطبه بقوله : ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ (٢) ، كما أنه تعالى أخبر عن جمعه كل شيء في الكتاب فقال : ﴿كُلُّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٣) ، والحسين عليه السلام من عباد الله تعالى المصطفين ، ووارث علم النبي والكتاب ، الذي يقول فيه عز وجل : ﴿لَقَدْ أَوْثَقْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ (٤).

ودلت على وراثه الأئمة للأنبياء روايات كثيرة ، وقد جمع منها ثقة الإسلام الكليني رحمه الله جملة وافرة تحت عنوان (باب أن الأئمة ورثوا علم النبي وجميع الأنبياء والأوصياء الذين من قبلهم) ، ومما روى رحمه الله :

١ - عن عبد الله بن جندب : « أَنَّهُ كَتَبَ إِلَيْهِ الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ كَانَ أَمِينًا فِي خَلْقِهِ ، فَلَمَّا قُبِضَ ﷺ كُنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَثَتُهُ ، فَنَحْنُ أُمَنَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ، عِنْدَنَا عِلْمُ الْبَلَايَا ، وَالْمَنَآيَا ، وَأَنَسَابُ الْعَرَبِ ، وَمَوْلِدُ الْإِسْلَامِ ، وَإِنَّا لَنَعْرِفُ الرَّجُلَ إِذَا رَأَيْنَاهُ بِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ وَحَقِيقَةِ النَّفَاقِ ، وَإِنْ شِيعَتَنَا لَمَكْتُوبُونَ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ ، أَخَذَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَعَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ ، يَرُدُّونَ مَوْرِدَنَا ، وَيَدْخُلُونَ مَدْخَلَنَا ،

(١) آل عمران ٣: ٣٣ و ٣٤.

(٢) النساء ٤: ١١٣.

(٣) هود ١١: ٦.

(٤) فاطر ٣٥: ٣٢.

لَيْسَ عَلَى مِلَّةِ الْإِسْلَامِ غَيْرُنَا وَغَيْرُهُمْ. نَحْنُ النَّجَبَاءُ النَّجَاءُ، وَنَحْنُ أَفْرَاطُ الْأَنْبِيَاءِ، وَنَحْنُ أَبْنَاءُ الْأَوْصِيَاءِ، وَنَحْنُ الْمَخْصُوصُونَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَنَحْنُ أَوْلَى النَّاسِ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَنَحْنُ أَوْلَى النَّاسِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَنَحْنُ الَّذِينَ شَرَعَ اللَّهُ لَنَا دِينَهُ فَقَالَ فِي كِتَابِهِ: ﴿شَرَعَ لَكُمْ﴾ يَا آلَ مُحَمَّدٍ ﴿مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ قَدْ وَصَّانَا بِمَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ - يَا مُحَمَّدُ - ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ فَقَدْ عَلَّمْنَا وَبَلَّغْنَا عِلْمَ مَا عَلَّمْنَا، وَاسْتَوْدَعْنَا عِلْمَهُمْ، نَحْنُ وَرَثَةُ أَوْلَى الْعَزَمِ مِنَ الرُّسُلِ، ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ - يَا آلَ مُحَمَّدٍ - ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ وَكُونُوا عَلَى جَمَاعَةٍ، ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ﴾ مَنْ أَشْرَكَ بِوَلَايَةِ عَلِيٍّ ﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنْ وَلَايَةِ عَلِيٍّ﴾ إِنْ اللَّهُ ﴿- يَا مُحَمَّدُ -﴾ يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿^(١)﴾ مَنْ يُجِيبُكَ إِلَى وَلَايَةِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٢)﴾.

٢ - عبد الرحمن بن كثير، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنْ أَوَّلَ وَصِيِّ كَانَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ هَبَّةُ اللَّهِ بَنُ آدَمَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ مَضَى إِلَّا وَلَهُ وَصِيٌّ، وَكَانَ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ مِائَةَ أَلْفٍ نَبِيٍّ وَعِشْرِينَ أَلْفَ نَبِيٍّ، مِنْهُمْ خَمْسَةٌ أُولُو الْعَزَمِ: نُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَمُحَمَّدٌ ﷺ، وَإِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ كَانَ هَبَّةَ اللَّهِ لِمُحَمَّدٍ، وَوَرِثَ عِلْمَ الْأَوْصِيَاءِ، وَعِلْمَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ. أَمَا إِنْ مُحَمَّدًا وَرِثَ عِلْمَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، عَلَى قَائِمَةِ الْعَرْشِ مَكْتُوبٌ: حَمْرَةُ أَسَدِ اللَّهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ، وَسَيِّدُ الشُّهَدَاءِ، وَفِي ذُؤَابَةِ الْعَرْشِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَهَذِهِ حُجَّتُنَا عَلَى مَنْ أَنْكَرَ حَقَّنَا، وَجَحَدَ مِيرَانَنَا، وَمَا مَنَعَنَا مِنَ الْكَلَامِ وَأَمَامَنَا الْيَقِينُ، فَأَيُّ حُجَّةٍ تَكُونُ

(١) الشورى ٤: ١٣.

(٢) الكافي: ١: ٢٢٣ و ٢٢٤، الحديث ١.

أَبْلَغَ مِنْ هَذَا»^(١).

٣ - عن المفضل بن عمر، قال: «قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ سُلَيْمَانَ وَرِثَ دَاوُدَ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا وَرِثَ سُلَيْمَانَ، وَإِنَّا وَرِثْنَا مُحَمَّدًا، وَإِنَّ عِنْدَنَا عِلْمَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ، وَبَيَّانَ مَا فِي الْأَلْوَا حِ .

قَالَ: قُلْتُ: إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْعِلْمُ. قَالَ: لَيْسَ هَذَا هُوَ الْعِلْمُ. إِنَّ الْعِلْمَ الَّذِي يَحْدُثُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، وَسَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ»^(٢).

٤ - عن ضريس الكناسي، قال: «كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعِنْدَهُ أَبُو بَصِيرٍ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ دَاوُدَ وَرِثَ عِلْمَ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ سُلَيْمَانَ وَرِثَ دَاوُدَ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرِثَ سُلَيْمَانَ، وَإِنَّا وَرِثْنَا مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِنَّ عِنْدَنَا صُحُفَ إِبْرَاهِيمَ، وَالْأَلْوَا حِ مُوسَى، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ: إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْعِلْمُ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، لَيْسَ هَذَا هُوَ الْعِلْمُ، إِنَّمَا الْعِلْمُ مَا يَحْدُثُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، يَوْمًا بِيَوْمٍ، وَسَاعَةً بِسَاعَةٍ»^(٣).

٥ - عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «قَالَ لِي: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُعْطِ الْأَنْبِيَاءَ شَيْئًا إِلَّا وَقَدْ أَعْطَاهُ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ. قَالَ: وَقَدْ أَعْطَى مُحَمَّدًا جَمِيعَ مَا أَعْطَى الْأَنْبِيَاءَ، وَعِنْدَنَا الصُّحُفُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾»^(٤).

قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، هِيَ الْأَلْوَا حِ؟ قَالَ: نَعَمْ»^(٥).

(١) الكافي: ١: ٢٢٤، الحديث ٢.

(٢) الكافي: ١: ٢٢٤ و ٢٢٥، الحديث ٣.

(٣) الكافي: ١: ٢٢٥، الحديث ٤.

(٤) الأعلى: ٨٧: ١٩.

(٥) الكافي: ١: ٢٢٥، الحديث ٥.

الاحتمال الثالث

أن يقصد وراثة صفات خاصة برزت وظهرت في هذه الذوات العالية والمباركة ، ولعلّ حديث الأشباه المعروف يحدّد لنا تلك الصفات ، فقد روي من طرق الخاصة والعامّة أنّ النبي الأكرم ﷺ قال :

١ - « من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه ، وإلى نوح في فهمه ، وإلى إبراهيم في خلقه ، وإلى موسى في مناجاته ، وإلى عيسى في سنته ، وإلى محمد في تمامه وكماله ، فلينظر إلى هذا الرجل المقبل . فتناول الناس فإذا هم بعليّ بن أبي طالب كأنما ينقلع من صلب ، وينحطّ من جبل »^(١) .

٢ - « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى آدَمَ فِي عِلْمِهِ ، وَإِلَى نُوحٍ فِي تَقْوَاهُ ، وَإِلَى إِبْرَاهِيمَ فِي حِلْمِهِ ، وَإِلَى مُوسَى فِي هَيْبَتِهِ ، وَإِلَى عِيسَى فِي عِبَادَتِهِ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ »^(٢) .

٣ - « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى آدَمَ فِي عِلْمِهِ ، وَإِلَى نُوحٍ فِي فَهْمِهِ ، وَإِلَى يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا فِي زُهْدِهِ ، وَإِلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ فِي بَطْشِهِ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ »^(٣) .
وأخرج الخوارزمي المالكي في المناقب^(٤) بإسناده من طريق ابن مردويه ، عن الحارث الأعور صاحب راية عليّ بن أبي طالب ، قال : « بَلَّغْنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَكَانَ فِي جَمْعٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : أُرِيكُمْ آدَمَ فِي عِلْمِهِ ، وَنُوحًا فِي فَهْمِهِ ، وَإِبْرَاهِيمَ فِي حِكْمَتِهِ ، فَلَمْ يَكُنْ بِأَسْرَعَ مِنْ أَنْ طَلَعَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،

(١) الغدير : ٣ : ٣٥٥ .

(٢) كشف الغمّة : ١ : ١١٤ .

(٣) كشف الغمّة : ١ : ١١٣ .

(٤) المناقب : ٣٩ .

أَقْسَتْ رَجُلًا بِثَلَاثَةِ مِائَةِ رُسُلٍ ، بَخَ بَخَ لِهَذَا الرَّجُلِ ، مَنْ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَلَا تَعْرِفُهُ يَا أَبَا بَكْرٍ ؟ قَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ . قَالَ أَبُو بَكْرٍ : بَخَ بَخَ لَكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ ، وَأَيْنَ مِثْلَكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ ؟ ^(١) .

فمن المحتمل أن يكون نظر الزيارة إلى وراثة هذه الصفات والسجيا مع ما تميّز به النبي الأكرم وأمير المؤمنين (عليهما وعلى ألهما السلام) .

الاحتمال الرابع

أن يكون المقصود وراثة الصفات التي ذكرتها الزيارة في المورثين ، وهي :

١ - الاصطفاء في آدم ، ولهذا قالت الزيارة : « السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ آدَمَ صَفْوَةَ اللَّهِ » .

٢ - النبوة في نوح ، ولهذا قالت الزيارة : « السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ نُوحٍ نَبِيِّ اللَّهِ » .

٣ - الخلة في إبراهيم ، ولهذا قالت الزيارة : « السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ » .

٤ - مقام التكلم مع الله في موسى ، ولهذا قالت الزيارة : « السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ مُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ » .

٥ - مقام الخلق من روح الله الخاصة المضافة إليه تعالى لبيان شرفها ، وهو مقام عيسى ، ولهذا قالت الزيارة : « السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ عِيسَى رُوحِ اللَّهِ » .

٦ - مقام حب الله تعالى في النبي الخاتم ﷺ ، ولهذا قالت الزيارة : « السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ مُحَمَّدٍ حَبِيبِ اللَّهِ » .

٧ - مقام ولاية الله في الأمير عَلِيٍّ ، ولهذا قالت الزيارة : « السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ

(١) كشف الغمّة : ١ : ١١٥ .

أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيِّ اللَّهِ .

ومعنى وراثته للنبوّة أنّه وارث لمقامات النبيّ من العصمة والعلم ، وتترتب عليه آثار النبوّة من الهداية ، ووجوب الطاعة والاتباع ، وهذا بقريّة ختم النبوّة بالنبيّ الأمّيّ ﷺ .

ويحتمل معاني أخرى ، كما يحتمل إرادة وراثته كلّ ما عندهم ، ويندرج تحته جميع ما ذكر .

السؤال الثاني : كيف نوفّق بين القولين : قال الإمام الحسين عليه السلام : « هِيَهَاتَ مِنَّا الذَّلَّةُ »^(١) ، وقال الإمام الرضا عليه السلام : « إِنَّ يَوْمَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ... وَأُذِلَّ عَزِيزُنَا »^(٢) .

فكيف نوجّه ونتفهّم الذلّة في المقولتين ؟

الجواب : لعلّ المقصود من « هِيَهَاتَ مِنَّا الذَّلَّةُ » الرضوخ لحكم يزيد ، وتسليم الأمر له ، مع ما هو عليه من حال لا يخفى على علماء المسلمين ، وهذا ما بيّنه سيّد الشهداء عليه السلام بقوله : « لَا وَاللَّهِ لَا أُعْطِيكُمْ بِيَدِي إعْطَاءَ الذَّلِيلِ ، وَلَا أُفِرُّ فِرَارَ الْعَبِيدِ »^(٣) وقوله : « أَهْوَلَاءِ تَعْصِدُونَ ، وَعَنَّا تَتَخَذَلُونَ ؟ أَجَلْ ، وَاللَّهِ غَدْرُ فَيْكُمْ قَدِيمٌ ، وَشَجَتْ عَلَيْهِ أُصُولُكُمْ ، وَتَأَزَّرَتْ عَلَيْهِ فُرُوعُكُمْ ، فَكُنْتُمْ أَخْبَثَ شَجَاً لِلنَّائِظِ وَأَكَلَةً لِلْغَاصِبِ .

أَلَا وَإِنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعِيِّ قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ ، بَيْنَ السَّلَّةِ وَالذَّلَّةِ ، وَهِيَهَاتَ مِنَّا الذَّلَّةُ ، يَأْبَى اللَّهُ لَنَا ذَلِكَ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ، وَحُجُورٌ طَابَتْ ، وَحُجُورٌ طَهَّرَتْ ، وَأُنُوفٌ حَمِيَّةٌ وَنُفُوسٌ أَبِيَّةٌ ، مِنْ أَنْ تُؤَثَّرَ طَاعَةُ اللَّثَامِ عَلَى مَصَارِعِ الْكِرَامِ .

(١) مثير الأحران : ٥٥ ، الاحتجاج : ٢ : ٣٠٠ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ٣ : ٢٤٩ .

(٢) أمالي الصدوق : ١٢٨ ، الحديث ٢ . الإقبال : ٢ : ٥٤٤ . روضة الواعظين : ١ : ١٦٩ . مناقب آل أبي طالب : ٤ : ٨٦ . بحار الأنوار : ٤٤ : ٢٨٣ ، الحديث ١٧ .

(٣) الإرشاد : ٢ : ٩٨ . إعلام الوري : ١ : ٤٦٠ . مثير الأحران : ٥١ . مناقب آل أبي طالب : ٤ : ٦٨ .

أَلَا وَإِنِّي زَاحِفٌ بِهَذِهِ الْأُسْرَةِ مَعَ قَلَّةِ الْعَدَدِ وَخِذْلَانِ النَّاصِرِ»^(١).

فالقوم أرادوا منه بيعة ذلّ وخنوع تُفقدّه ﷺ مكانته السامية في وجدان الأمة المناسبة له كامتداد لرسول الله ﷺ ولأمير المؤمنين ﷺ ، وقد رفض هذا النحو من الذلّ ، فسمحت نفسه الطاهرة بمهجته .

وأما رواية «إِنَّ يَوْمَ الْحُسَيْنِ ﷺ ... وَأَذَلَّ عَزِيزَنَا» فهي مروية عن الإمام الرضا ﷺ ولفظها هو: «إِنَّ الْمُحَرَّمَ شَهْرٌ كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يُحَرِّمُونَ فِيهِ الْقِتَالَ فَاسْتَحَلَّتْ فِيهِ دِمَاؤُنَا ، وَهَتَكَ فِيهِ حُرْمَتَنَا ، وَسَبَّيَ فِيهِ ذَرَارِيَّنَا وَنَسَاؤُنَا ، وَأُضْرِمَتِ النَّيِّرَانُ فِي مَضَارِينَا ، وَانْتَهَبَ مَا فِيهَا مِنْ ثَقَلِنَا ، وَلَمْ تُرْعَ لِرَسُولِ اللَّهِ حُرْمَةٌ فِي أَمْرِنَا .

إِنَّ يَوْمَ الْحُسَيْنِ أَقْرَحَ جُفُونَنَا ، وَأَسْبَلَ دُمُوعَنَا ، وَأَذَلَّ عَزِيزَنَا ، بِأَرْضِ كَرْبٍ وَبَلَاءٍ ، وَأَوْرَثَنَا أَوْرَثَتَنَا الْكَرْبَ وَالْبَلَاءَ إِلَى يَوْمِ الْانْقِضَاءِ ، فَعَلَى مِثْلِ الْحُسَيْنِ فَلْيَبْكِ الْبَاكُونَ ، فَإِنَّ الْبُكَاءَ يَحُطُّ الذُّنُوبَ الْعِظَامَ ، ثُمَّ قَالَ ﷺ : كَانَ أَبِي إِذَا دَخَلَ شَهْرُ الْمُحَرَّمَ لَا يَرَى ضَاحِكًا ، وَكَانَتِ الْكَأَبَةُ تَغْلِبُ عَلَيْهِ حَتَّى يَمُضِيَ مِنْهُ عَشْرَةُ أَيَّامٍ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْعَاشِرِ كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمَ مُصِيبَتِهِ وَحُزْنِهِ وَبُكَائِهِ ، وَيَقُولُ : هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ الْحُسَيْنُ ﷺ» .

ومن القريب جداً أن يكون المراد منها ذلّ الهاشميين بعد الحسين ﷺ بقريظة تمهيد الإمام ﷺ بقوله: «فَاسْتَحَلَّتْ فِيهِ دِمَاؤُنَا ، وَهَتَكَ فِيهِ حُرْمَتَنَا ، وَسَبَّيَ فِيهِ ذَرَارِيَّنَا وَنَسَاؤُنَا ، وَأُضْرِمَتِ النَّيِّرَانُ فِي مَضَارِينَا ، وَانْتَهَبَ مَا فِيهَا مِنْ ثَقَلِنَا ، وَلَمْ تُرْعَ لِرَسُولِ اللَّهِ حُرْمَةٌ فِي أَمْرِنَا» ، ولا شك في أن الغيور ذا الحمية والإباء يعيش الذلّ والحزن والألم ، ويهان قدره ، ويهتك ، فيما إذا قتل الثقل من رجال قومه ، وحرقت دورهم ،

(١) راجع: الاحتجاج: ٢: ٣٠٠. تحف العقول: ٢٤١ و ٢٤٢. مثير الأحرار: ٥٤ و ٥٥.

وسلبت وسببت نساؤهم .

فالمراد بالذّل هنا غير الذّل الذي رفضه سيّد الشهداء عليه السلام ولم يقع عليه .

ولك أن تقول : إنّ سيّد الشهداء عليه السلام كان بين نحوين من الذّل :

١ - ذلّ الخضوع والاستسلام ، وتضييع مصالح الدين العليا .

٢ - ذلّ هتكه وهتك أهل بيته وذريّته بما سبق عليه وعلى أهل بيته في ذلك

اليوم .

وقد رفض الأوّل تقديماً للأهمّ ، وتحمل ذلّاً دون ذلّ ، وهذا وجه آخر ينفع

حتّى إذا قلنا بأنّ كلمة « عَزِيزَنَا » تشمل سيّد الشهداء عليه السلام .

السؤال الثالث : ما هو تفسير قول المعصوم عليه السلام : « أَنْ دَمَكَ سَكَنَ فِي الْخُلْدِ ،

وَاقْشَعَرَّتْ لَهُ أَظْلَةُ الْعَرْشِ » ^(١) ، فأين هو الدم ؟ وأين هو الجسد ؟ وأين هي الروح ؟

الجواب : وردت هذه الفقرة في زيارة رواها المحمّدون الثلاثة (رضوان الله تعالى

عليهم) ، ولا يمكن الجزم بمعناه ، غير أنّه يمكن أن تذكر عدّة احتمالات ، ولكن

نكتفي بذكر احتمالين فقط :

الاحتمال الأوّل

ما ذكره آية الله العظمى الشيخ الوحيد الخراساني (دامت أيّام بركاته) ، وهو

أنّ المقصود من الخلد الجنّة ، وقد تساءل مُبدياً حيرته (مدّ الله ظلّه) قائلاً :

« إذا كانت جنّة الخلد موطن دمه ، فأين روحه المقدّسة ! » .

غير أنّ جملة من الأخبار بيّنت أنّ شأن روح الحسين عليه السلام فوق الجنان ، وما الجنان

(١) الكافي : ٤ : ٥٧٦ ، الحديث ٢ . تهذيب الأحكام : ٦ : ٥٥ . من لا يحضره الفقيه : ٢ : ٥٩٥ ،

الحديث ٣١٩٩ . بحار الأنوار : ٩٨ : ١٥٣ ، الحديث ٣ .

إلا خلق من نوره ﷺ ، وبيّنت أنّه زينتها ، وجنته - كما في سورة الفجر - الرجوع إلى الله تعالى ، وهو ما يعبر عنه بعض المتصوّفة بجنة اللقاء ، وفي بعض الروايات : « عند ربّه » .

فعن أبي عبد الله جعفر بن محمد ﷺ : « إِنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَنْظُرُ إِلَى مَوْضِعِ مُعْسِكَرِهِ ، وَمَنْ حَلَّهُ مِنَ الشُّهَدَاءِ مَعَهُ ، وَيَنْظُرُ إِلَى زُورِهِ وَهُوَ أَعْرَفُ بِحَالِهِمْ وَيَأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ ، وَبِدَرَجَاتِهِمْ وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَحَدِكُمْ بَوْلَدِهِ ، وَإِنَّهُ لَيَرَى مَنْ يَبْكِيهِ فَيَسْتَغْفِرُ لَهُ ، وَيَسْأَلُ آبَاءَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لَهُ ، وَيَقُولُ : لَوْ يَعْلَمُ زَائِرِي مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ لَكَانَ فَرَحُهُ أَكْثَرَ مِنْ جَزَعِهِ ، وَإِنْ زَائِرُهُ لَيَنْقَلِبُ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ ذَنْبٍ » (١) .

ومن كان من ربّه قاب قوسين أو أدنى فهو سنام كمال وجمال عالم الإمكان ، وما دونه يسعد به ، وهو يسعد بجمال الله المطلق الذي ليس فوق سعادة قربه سعادة . وفي بعض الأخبار خلق الله أبدانهم من طينة خاصّة ، ففي رواية عن أبي عبد الله ﷺ ، قال : « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا مِنْ عَلِيِّينَ وَخَلَقَ أَرْوَاحَنَا مِنْ فَوْقِ ذَلِكَ ، وَخَلَقَ أَرْوَاحَ شِيعَتِنَا مِنْ عَلِيِّينَ وَخَلَقَ أَجْسَادَهُمْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ ، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الْقَرَابَةُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، وَقُلُوبُهُمْ تَحِنُّ إِلَيْنَا » (٢) .

وفي ثانية عن محمد بن مروان ، عن أبي عبد الله ﷺ ، قال : « سمعته يقول : إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا مِنْ نُورٍ عَظَمَتِهِ ، ثُمَّ صَوَّرَ خَلْقَنَا مِنْ طِينَةٍ مَخْزُونَةٍ مَكْنُونَةٍ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ ، فَأَسْكَنَ ذَلِكَ النُّورَ فِيهِ ، فَكُنَّا نَحْنُ خَلْقًا وَبَشَرًا نُورَانِيَيْنِ ، لَمْ يَجْعَلْ لِأَحَدٍ فِي مِثْلِ الَّذِي

(١) وسائل الشيعة : ١٤ : ٤٢٣ ، الباب ٣٧ من أبواب المزار ، الحديث ٢٩ . بحار الأنوار : ٩٨ : ٦٤ ، الحديث ٤٩ .

(٢) الكافي : ١ : ٣٨٩ ، الحديث ١ .

خَلَقْنَا مِنْهُ نَصِيْبًا ، وَخَلَقَ أَرْوَاحَ شَيْعَتِنَا مِنْ طِينَتِنَا ، وَأَبْدَانَهُمْ مِنْ طِينَةٍ مَخْزُونَةٍ مَكْنُونَةٍ أَسْفَلَ مِنْ ذَلِكَ الطِّينَةِ ، وَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لِأَحَدٍ فِي مِثْلِ الَّذِي خَلَقَهُمْ مِنْهُ نَصِيْبًا إِلَّا لِلْأَنْبِيَاءِ ، وَلِذَلِكَ صِرْنَا نَحْنُ وَهُمْ النَّاسُ ، وَصَارَ سَائِرُ النَّاسِ هَمَجًا لِلنَّارِ وَإِلَى النَّارِ»^(١).

وفي ثالثة عن أمير المؤمنين عليه السلام ، قال : « إِنَّ اللَّهَ نَهَرَ دُونَ عَرْشِهِ ، وَدُونَ النَّهْرِ الَّذِي دُونَ عَرْشِهِ نُورٌ تَوَرَّهُ ، وَإِنَّ فِي حَافَتَيْ النَّهْرِ رُوحَيْنِ مَخْلُوقَتَيْنِ : رُوحُ الْقُدُسِ وَرُوحُ مِنْ أَمْرِهِ ، وَإِنَّ لِلَّهِ عَشْرَ طِينَاتٍ : خَمْسَةٌ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَخَمْسَةٌ مِنَ الْأَرْضِ ، فَفَسَّرَ الْجَنَانَ وَفَسَّرَ الْأَرْضَ ، ثُمَّ قَالَ : مَا مِنْ نَبِيٍّ وَلَا مَلِكٍ مِنْ بَعْدِهِ جَبَلَهُ إِلَّا نَفَخَ فِيهِ مِنْ إِحْدَى الرُّوحَيْنِ ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ إِحْدَى الطِّينَتَيْنِ .

قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ الْأَوَّلِ عليه السلام : مَا الْجَبَلُ ؟ فَقَالَ : الْخَلْقُ غَيْرَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَنَا مِنَ الْعَشْرِ طِينَاتٍ ، وَنَفَخَ فِيْنَا مِنَ الرُّوحَيْنِ جَمِيعًا ، فَأَطِيبَ بِهَا طِيبًا»^(٢).

وهذه الأخبار تدل على خلقه أبدانهم من عليين ، أو طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش ، أو من طين الجنة ، وحيث أن دم الحسين عليه السلام من بدنه - فإياه إذا ثبت مضمون هذه الروايات - يكون دم الحسين عليه السلام من سنخ المخلوقات العالية غير الدنيا ومجانس للجنان .

وقد يقال : عالم الجنان من عالم المُجَرَّدَات ، ولا يسانخه الدم المادّي . ولكن يقال : وإن شاع عند الفلاسفة تجرّد غير الله ، وانقسام المجرّد إلى واجب وممكن ، والممكن إلى مجرّد و مادّي ، غير أنّ ذلك لا دليل عليه من عقل ونقل ، بل الدليل النقلّي على تكامل أشرف الموجودات ، وهو بحسب الدقّة يساوق

(١) الكافي : ١ : ٣٨٩ ، الحديث ٢ .

(٢) المصدر المتقدم : الحديث ٣ .

عدم التجرد عن المادة الفلسفية . نعم ، الموجودات الممكنة تتفاوت في اللطافة والكثافة ، ودم الحسين عليه السلام من الجائز أن يكون له ظهور كثيف في هذه النشأة وظهور لطيف في نشأة أخرى ، ولا مانع من ذلك .

والحاصل : من المحتمل أن يكون بدن سيد الشهداء عليه السلام في دار الخلد وهو يشرف على بدنه والجنة بمراتبها المختلفة من مراتبه العالية التي طأطأ كل شريف لشرفها بما في ذلك جنان الخلد .

ولكن يبقى سؤال : وهو بناء على ثبوت المعاد الجسماني كل مؤمن سوف يسكن دمه في الخلد ، فما هي ميزة الحسين عليه السلام ؟
ويمكن أن يقال في مقام الجواب :

لا دليل على عود جميع الأجساد بنحو يتحقق سكن دماء عامة أهل الجنة في الجنة ، فهذا مما حجب علينا علمه ، ولو قبلنا ذلك : فكل مؤمن سوف يسكن دمه في الخلد إذا عاد بدنه يوم القيامة ، وأما سيد الشهداء عليه السلام فقد سكن دمه وهو الآن في الخلد .

ويؤيد ذلك ما روي من أن جسد الحسين عليه السلام ليس في قبره ، وإنما رفعه الله تعالى وهو عن يمين العرش ، في الخبر : « ... قُلْتُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، أَخْبِرْنِي عَنْ الْحُسَيْنِ لَوْ بُشِّ كَانُوا يَجِدُونَ فِي قَبْرِهِ شَيْئاً ؟

قَالَ : يَا ابْنَ بَكْرٍ ، مَا أَعْظَمَ مَسَائِلَكَ . الْحُسَيْنُ مَعَ أَبِيهِ وَأُمِّهِ وَأَخِيهِ الْحَسَنِ فِي مَنْزِلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَحْيَوْنَ كَمَا يَحْيَا ، وَيُزْزَقُونَ كَمَا يُزْزَقُ ، فَلَوْ بُشِّ فِي أَيَّامِهِ لَوُجِدَ ، فَأَمَّا الْيَوْمَ فَهُوَ حَيٌّ عِنْدَ رَبِّهِ يَنْظُرُ إِلَى مُعْسَكَرِهِ ، وَيَنْظُرُ إِلَى الْعَرْشِ مَتَى يُؤْمَرُ أَنْ يَحْمِلَهُ ، وَإِنَّهُ لَعَلَى يَمِينِ الْعَرْشِ مُتَعَلِّقٌ ، يَقُولُ : يَا رَبِّ ، أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي ، وَإِنَّهُ لَيَنْظُرُ إِلَى زُوَارِهِ ، وَهُوَ أَعْرَفُ بِهِمْ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَبِدَرَجَاتِهِمْ وَبِمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بَوْلَدِهِ ، وَمَا فِي رَحْلِهِ ، وَإِنَّهُ لَيَرَى مَنْ يَبْكِيهِ فَيَسْتَغْفِرُ

لَهُ رَحْمَةً لَهُ ، وَيَسْأَلُ آبَاءَهُ الْاسْتِغْفَارَ لَهُ ، وَيَقُولُ : لَوْ تَعْلَمُ أَيُّهَا الْبَاكِي مَا أُعِدَّ لَكَ لَفَرَحْتَ أَكْثَرَ مِمَّا جَزَعْتَ ، وَيَسْتَغْفِرُ لَهُ رَحْمَةً لَهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَ بُكَاءَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِي السَّمَاءِ ، وَفِي الْحَاثِرِ ، وَيَنْقَلِبُ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ ذَنْبٍ»^(١).

الاحتمال الثاني

أن يكون المقصود بالخلود بقاء فاعليته عبر القرون المتعاقبة ، فهو عليه السلام لم يقض عليه وعلى مشروعه الجهادي ومبادئه وأهدافه ، وإنما هو باقٍ فعّال وأهدافه التي من أجلها جاد بدمه لا زالت قائمة ، فدمه الذي سفك من أجل الأهداف والمقاصد العليا باقٍ ببقاء تلك الأهداف والمقاصد ، وقد نقل الشيخ الكفعمي في كتاب البلد الأمين : عن الصادق عليه السلام أنه قال في زيارة سيّد الشهداء عليه السلام :

« أَشْهَدُ أَنَّكَ قُتِلْتَ وَلَمْ تَمُتْ ، بَلْ بِرَجَاءِ حَيَاتِكَ حَيَّتْ قُلُوبُ شِيعَتِكَ ، وَبِضِيَاءِ نُورِكَ اهْتَدَى الطَّالِبُونَ إِلَيْكَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ نُورُ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يُطْفَأْ ، وَلَا يُطْفَأُ أَبَدًا ، وَأَنَّكَ وَجْهٌ الَّذِي لَمْ يَهْلِكْ ، وَلَا يُهْلَكُ أَبَدًا »^(٢).

الحمد لله ربّ العالمين

(١) بحار الأنور : ٢٥ : ٣٧٦.

(٢) البلد الأمين : ٢٨٤.

محاضرة بعنوان
الحسين عليه السلام وراثته الأنبياء والأولياء..
تجليات ومظاهر^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ،

والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين

ورد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام : « السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ الْأَنْبِيَاءِ ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وَصِيَّ الْأَوْصِيَاءِ » .

الروايات تؤكد على صفة وراثته الحسين عليه السلام للأنبياء والأوصياء ، وجعلت الإقرار بهذه الوراثة جزء من الزيارة الحسينية عليه السلام لتكون برنامجاً للزائرين .

روى الشيخ المفيد في المزار ، والشيخ الطوسي في التهذيب : يستحب أن يشير المؤمن إلى قبر الحسين عليه السلام ثم يقول : « السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ الْأَنْبِيَاءِ ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وَصِيَّ الْأَوْصِيَاءِ »^(٢) .

وروى السيد ابن طاووس في الإقبال في زيارة أخرى : « السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ النَّبِيِّينَ ، وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَسَيِّدِ الْوَصِيِّينَ »^(٣) .

(١) تقرير موضوع الليلة الأولى من محرم الحرام .

(٢) المزار الكبير : ٣٧٧ . تهذيب الأحكام : ٦ : ٥٩ . بحار الأنوار : ٩٨ : ٢١١ ، الحديث ٣٣ .

(٣) الإقبال : ٢ : ٥٧١ . بحار الأنوار : ٩٨ : ٣١٣ .

وروى الشيخ ابن قولويه في كامل الزيارات عن الإمام الصادق عليه السلام زيارة وارث المشهورة ، وفيها : « يَا مُفَضَّلُ ، إِذَا أَتَيْتَ قَبْرَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام فَقِفْ بِالْبَابِ وَقُلْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ ، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ كَلِمَةٍ كِفْلاً مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ .

فَقُلْتُ : مَا هِيَ ، جُعِلَتْ فِدَاكَ ؟ قَالَ : تَقُولُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ آدَمَ صَفْوَةَ اللَّهِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ نُوحٍ نَبِيِّ اللَّهِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ مُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ عِيسَى رُوحِ اللَّهِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ مُحَمَّدٍ حَبِيبِ اللَّهِ » ^(١) .

السؤال : ما المراد بوراثه الحسين عليه السلام للأنبياء والأولياء ؟

الجواب : هناك ثلاثة احتمالات للمراد :

الاحتمال الأول

أن يكون المقصود بالوراثه الفقهية

وهي عبارة عن تملك الوارث من إحدى طبقات الإرث المعروفة لما يترك الميت من الممتلكات والحقوق التي تقبل الانتقال بالإرث .

هذا الاحتمال يواجه سؤالاً وهو : أن الروايات التي ذكرت وراثه الحسين عليه السلام في مقام بيان الفضل - أي في مقام المدح ، وبيان منزلة - والوراثه الفقهية لا فضل فيها ؛ لأنه يكفي لثبوت الوراثه الفقهية مطلق الإسلام ، ولو كان بالتبع - كما في الجنين إذا ولد واستهل - فإنه يرث من أبويه بالوراثه الفقهية .

فكل نبي لو كان لديه ولد مسلم غير مؤمن ، أو مؤمن غير عادل ، فإن ولده هذا يرثه بالوراثه الفقهية .

(١) كامل الزيارات : ٢٠٦ و ٢٠٧ .

فيتبين أنَّ الوراثة الفقهيَّة لا فضل فيها ، فلا يمكن أن نفسِّر الوراثة التي مدح بها الإمام عليّ (عليه السلام) بمثل هذا التفسير لأنَّها في مقام المدح وبيان الفضل ، بينما هذا النحو من الوراثة لا فضل فيه ثابت لكلِّ مسلم .

لذا هذا الاحتمال بحاجة إلى تطوير وتعديل كأن يقال : بأنَّ الروايات التي ذكرت وراثة الحسين (عليه السلام) للأنبياء إذا كانت تقصد الوراثة الفقهيَّة فإنَّها لا تقصد المدح بما هي وراثة فقهيَّة ، بل تقصد المدح بملزوم ومنشأ وسبب الوراثة الفقهيَّة ، وهو كون الحسين (عليه السلام) من الشجرة المصطفاة التي منها الأنبياء .

فالقرآن ذكر وجود نسب لذريَّة مصطفاة على العالمين ، قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١) .

هذه الذريَّة المطهَّرة لها خصوصيَّة ، وحرمة خاصَّة ، وهي شجرة متَّصلة يرث بعضها من الآخر ، كون الزيارة في مقام المدح قرينة على أنَّها لا تمدح بنفس الوراثة الفقهيَّة ، بل بالسبب وهو انتماء الحسين (عليه السلام) إلى هذه الشجرة .

روى الشيخ الصدوق في كتاب الأمالي : « نادى محمَّد بن الأشعث في يوم العاشر من محرَّم : يا حسين ، أيَّ حرمة لك من رسول الله ﷺ ليست لغيرك ؟ فأجاب الحسين (عليه السلام) : قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٢) ، ثم قال : مِنَ الرَّجُلُ ؟

فقيل : محمَّد بن أشعث بن قيس الكندي ، فجال الحسين (عليه السلام) بطرفه نحو السماء وقال : اللَّهُمَّ أَرِ مُحَمَّدَ بْنَ الْأَشْعَثِ ذُلًّا فِي هَذَا الْيَوْمِ لَا تُعِزَّهُ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ أَبَدًا ، فخرج محمَّد بن الأشعث لقضاء حاجته فسَلَّطَ الله عليه عقرباً فلدغته فمات

(١) آل عمران ٣: ٣٣ و ٣٤ .

(٢) آل عمران ٣: ٣٣ .

وهو بادي العورة»^(١).

أراد محمد الأشعث أن يجرد الإمام عليه السلام من هذا الانتماء لهذه الشجرة وهذه الذرية التي اختصها الله تعالى على العالمين ، وبالتالي أراد أن يجرده من حرمتها الخاصة ، فأجابه الإمام عليه السلام بالآية الشريفة .

إذن الاحتمال الأول يكون بعد هذا التعديل والتطوير هو : أنَّ الزيارة في مقام بيان انتساب الحسين عليه السلام إلى هذه الشجرة المصطفاة التي اختصها الله لنفسه .

الاحتمال الثاني

أن يكون المراد وراثته العلم

العلوم تنتقل من نبيٍّ إلى آخر ، ومن وصيٍّ إلى وصيٍّ .

وقد جمع الله جميع علوم الأنبياء في القرآن الكريم الذي فيه تبيان كل شيء ، كما جمع جميع العلوم وجميع المعارف في صدر النبي محمد صلوات الله عليه **﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾**^(٢).

هذه الآية من غرر آيات علم النبي صلوات الله عليه ، وتدلل على سعة علم النبي ، فالنبي قبل خلقه لم يكن يعلم بكلِّ الممكنات ، وهذه الآية تقول **﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾** ، أي كل ما لا تعلم فقد علمناك إيَّاه ، فالنبي محيط بجميع العلوم التشريعية ، والنبي محيط بجميع العلوم التكوينية بمقتضى هذه الآية ، وهو كذلك محيط بجميع العلوم الاعتبارية ، كعلوم اللغة وعلوم هندسة الخط والكتابة .

يوجد آيات تذكر أنَّ في الأمة ورثة للكتاب وعلم النبي ، وليس الوارث جميع

(١) انظر أمالي الصدوق : ١٥٧ و ١٥٨ .

(٢) النساء ٤ : ١١٣ .

الْأُمَّةَ ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾^(١)، ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٢﴾، والحسين عليه السلام من هؤلاء المصطفين، والحسين من هؤلاء المطهرين، وبكفي دلالة على ذلك أن الإمام عليه السلام مشمول بآية التطهير بروايات متواترة، منها ما عن أم سلمة: «نزلت هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ في بيتي، وكان في البيت علي وفاطمة والحسن والحسين، فجللهم رسول الله ﷺ بكسائه وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»^(٣).

ولأنه مطهر صار عدلاً للقرآن الكريم، كما في حديث الثقلين المتواتر أيضاً «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ، أَمَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابَ اللَّهِ وَعَرَّتِي أَهْلَ بَيْتِي فَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا»^(٤).

فالحسين لا يفترق عن القرآن، فهو عدل القرآن الكريم، وهو قرآن ناطق، والكتاب قرآن صامت.

الروايات والزيارات التي تبين وراثة الحسين عليه السلام للأنبياء تريد أن تبين أن الحسين وارث علوم جميع الأنبياء، وإليه منتهى علومهم؛ لأن علوم الأنبياء انتقلت إلى القرآن وصدر النبي ﷺ، فانتقلت إلى الإمام الحسين عليه السلام.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ دَاوُدَ وَرِثَ عِلْمَ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ سُلَيْمَانَ وَرِثَ دَاوُدَ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ وَرِثَ سُلَيْمَانَ، وَإِنَّا وَرِثْنَا مُحَمَّدًا ﷺ، وَإِنَّ عِنْدَنَا صُحُفَ إِبْرَاهِيمَ، وَالْوَحْيَ مُوسَى»^(٥).

(١) فاطر ٣٥: ٣٢.

(٢) الواقعة ٥٦: ٧٨ و ٧٩.

(٣) شرح إحقاق الحق: ٢٤: ٤٨. الميزان في تفسير القرآن: ١٦: ٣١٨. الدر المنثور: ٥: ١٩٨.

(٤) بصائر الدرجات: ١: ٤١٣.

(٥) الكافي: ١: ٢٢٥، الحديث ٤.

وفي رواية أخرى : « جُعِلَتْ فِدَاكَ ، أَنَّى لَكُمْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ وَكُتِبَ الْأَنْبِيَاءُ ؟ قَالَ : هِيَ عِنْدَنَا وَرَاثَةٌ مِنْ عِنْدِهِمْ ، نَقْرُؤُهَا كَمَا قَرَأُوهَا ، وَنَقُولُهَا كَمَا قَالُوهَا »^(١).

الاحتمال الثالث

أن يكون المراد وراثة بعض الصفات الخاصة التي ظهرت وبرزت في الأنبياء والأولياء .

وللتوضيح أذكر ثلاث نقاط :

النقطة الأولى : إن زيارة وارث التي فصلت ذكر المورثين للحسين عليه السلام ذكرت مجموعة من الصفات ، فذكرت الاصطفاء بالنسبة لآدم عليه السلام « السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ آدَمَ صَفْوَةَ اللَّهِ » .

وذكرت النبوة بالنسبة لنوح عليه السلام « السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ نُوحٍ نَبِيِّ اللَّهِ » . وذكرت الخلّة بالنسبة لنبي الله إبراهيم عليه السلام ، والكليم لموسى عليه السلام ، والإضافة التشريفيّة التي تدلّ على العناية الإلهيّة بالنسبة لنبي الله عيسى عليه السلام .

وذكرت مقام المحبّة للنبي الخاتم ﷺ ، ومقام الوصيّة ، ومقام الإرتضاء ، ومقام الانتماء لرسول الله ﷺ ، والسنخية منه : « السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ »^(٢) ، وذكر هذه الصفات فيه دلالة على أنّ الحسين عليه السلام ورث هذه الصفات من هؤلاء الأنبياء والأولياء .

فهو صفوة الله كآدم ، ولديه مقومات مقام النبوة ، ومؤهل لها - وإن لم يكن نبياً

(١) الإمامة والتبصرة : ١٣٩ .

(٢) الزيارة المطلقة الثانية للإمام الحسين عليه السلام : كامل الزيارات : ٢٠٧ . بحار الأنوار : ٩٨ : ١٦٣ ، الحديث ٨ .

فعلاً- كنوح ، ولديه مقام الخلّة ، والتكلم ، وروح مضافة إلى الله للعناية الإلهية الخاصة ، ولديه المحبة كجدّه المصطفى ﷺ ، وهو ﷺ وصيّ النبي الخاتم كأبيه أمير المؤمنين ﷺ ، وهو المرتضى كأخيه الحسن ﷺ ، وهو أيضاً روح رسول الله وبضعة منه كأمّه الصديقة ﷺ .

النقطة الثانية: زيارة وارث ذكرت أنّ الحسين ﷺ ورث الاصطفاء من آدم ، فأدم صفي متقدّم زماناً ، والحسين كذلك صفي لكن متأخّر زماناً .

السؤال : لماذا خصّص آدم بالذكر وجعل وارثاً مع أنّ مقام الاصطفاء ثابت لجميع الأنبياء و الأوصياء ؟

وكذلك بالنسبة إلى نبي الله نوح في فقرة « السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ نُوحِ نَبِيِّ اللَّهِ » ، حيث ذكر أنّه ﷺ ورث منه مقام النبوة بالرغم من كون كلّ الأنبياء عندهم هذا المقام ، فلماذا تخصيص نبي الله نوح بالذكر ، وأنّ الحسين ورث منه النبوة ؟

الجواب: هو أنّ الصفات المشتركة التي تكون لجميع الأنبياء والأوصياء قد تقتزن بطروف وملابسات تقتضي أنّ تلك الصفة ظاهرة في بعض الأنبياء أكثر من البعض الآخر ، وفي بعض الأولياء أكثر من البعض الآخر ، فتكون البعض لها معلماً وعنواناً بارزاً .

فمقام الاصطفاء ثابت لهم كلّهم لكنّه ظهر في آدم ﷺ لأنّه اقترن بحادثة دوران الخلافة الإلهية بين جنس البشر و جنس الملائكة ، فقد طلب الملائكة الخلاف من الله : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١) . الله اصطفى آدم وخصّه بهذا المقام العظيم ، وميّزه على الملائكة

(١) البقرة ٢ : ٣٠ .

بالعلم الإحاطي بالأسماء ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^(١)، فلما أراد الإمام الصادق عليه السلام أن يبين ثبوت هذا المقام للحسين عليه السلام ذكر المعلم الأبرز لهذه الصفة وهو نبي الله آدم عليه السلام.

كذلك بالنسبة لصفة النبوة، فالنبوة ثابتة لجميع الأنبياء، ومع ذلك لم تقتزن النبوة كمثل اقترانها بنوح عليه السلام، ففي بعض الروايات اقترنت ٣٥٠ سنة قبل الطوفان و ٣٥٠ سنة بعد الطوفان، فبرزت فيه هذه الصفة وأصبح معلماً لها.

وهذا جاري لصفات جميع الأئمة عليهم السلام، فكلهم كرماء، وكلهم علماء، وكلهم صادقون.

لكن بسبب اختلاف الظروف التي عاشها الأئمة صار بعضهم معلماً للكریم، فقليل كريم أهل البيت، وبعضهم معلماً للصدق فقليل الصادق، وبعضهم للعبادة فقليل السجّاد، وهكذا.

النقطة الثالثة: أنّ زيارة وارث بيّنت وراثته الحسين عليه السلام لجملة من الصفات، ونحن لا نواجه مشكلة في هذه الصفات، لكن نواجه مشكلة في صفة واحدة وهي صفة النبوة «السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثُ نُوحٍ نَبِيِّ اللَّهِ».

من عقائدنا الحقّة والتي أطبق عليها علماؤنا أنّ النبوة ختمت بنبيّنا محمد ﷺ، فما معنى وراثته مقام النبوة من نوح عليه السلام للحسين عليه السلام؟

الجواب: المقصود وراثته المقوّمات والشروط والنتائج والآثار، فإنّ للنبوة مقوّمات، منها العلم، والعصمة، ونتيجة لهذه المقوّمات تترتب آثار ونتائج، وهي ممارسة الهداية والقيادة، فإنّ النبيّ لسان الله الناطق في الأرض، ويقوم بدور الهداية: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ

بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿١﴾ ، ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ ﴿٢﴾ ، فالأنبياء يبينون طرق الوصول إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى .

وقرينة ختم النبوة من خلال النبي محمد ﷺ تفيد أن المقصود من الفقرة المتقدمة وراثته الحسين عليه السلام للمقومات والتتائج ، وأنه واجد لمقومات النبي من العلم والعصمة ، ففي الصلاة الإبراهيمية تقول : « اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ » ، الصلاة تعني الرحمة ، وتعني إعطاء الفضل والتكريم والمنزلة ، فما معنى أن يصلي تبارك وتعالى على آل النبي كما يصلي على آل إبراهيم وهم أنبياء ؟ وما معنى يعطي لهم نفس الفضل ؟ وما معنى أن يفيض لهم نفس الفيض ؟

المقصود من ذلك أن الحسين عليه السلام والأئمة عليهم السلام واجدون لصفات الأنبياء ، ولكن المصلحة لم تقتض أن يكونوا أنبياء لكن لهم نفس الأدوار والكمالات ، فالحسين عليه السلام خلاصة الأنبياء لوراثته لخير خلق الله جدّه محمد ﷺ .

إذن فالحسين عليه السلام هو ذلك النهر الذي تجري من خلاله فيوضات الأنبياء لتصل إلينا ، وهو حافظ المنهج الديني السماوي ، فلولا الحسين عليه السلام لمحق الدين .

اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَفَاعَةَ الْحُسَيْنِ يَوْمَ الْوُرُودِ ،
وَتَبَّتْ لِي قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَكَ مَعَ الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِ الْحُسَيْنِ ،
الَّذِينَ بَدَلُوا مَهْجَهُمْ دُونَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١) الحديد ٥٧ : ٢٥ .

(٢) الأنعام ٦ : ٤٨ .

تعليق على نقد^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ،

والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين

وبعد :

فقد كان موضوعي في الليلة الأولى من شهر محرم الحرام لهذا العام (١٤٣٧هـ)
حول وراثة سيّد الشهداء عليه السلام ، وذكرت في المراد بها احتمالات ، واستشهدت برواية
دعاء الإمام علي محمد بن الأشعث يوم عاشوراء بعنوان رواية نقلها الصدوق
وهي تدلّ على هلاكه في يوم العاشر .

فأرسل إليّ أحد المستمعين الكرام نقداً قال فيه :

النقد :

شيخنا الفاضل : الرواية التي رويتها يوجد ما يعارضها ، والإشكال : لماذا
ترسلها على المنبر إرسال المسلّمات وكأنّها صحيحة ثابتة بلا شكّ وريب ؟ !
ياليت تثبّت من كلامك لكي لا تسيئ لشخص الحسين عليه السلام ... ورجاء ثمّ رجاء
احترم عقل الجمهور الموجود بالتثبّت من كلامك ...
في كتاب مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي :
«رَفَعَ الْحُسَيْنُ صَوْتَهُ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ نَبِيِّكَ وَذُرِّيَّتُهُ وَقَرَابَتُهُ ، فَاقْصِمِ

(١) تقرير : الأستاذ إبراهيم ابن سماحة المرحوم الشيخ حسن السعيد .

مَنْ ظَلَمْنَا وَغَضَبْنَا حَقًّا، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ. فَسَمِعَهَا مُحَمَّدٌ بْنُ الْأَشْعَثِ، فَقَالَ: يَا حُسَيْنُ، وَأَيُّ قَرَابَةٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ؟ فَقَالَ الْحُسَيْنُ: اللَّهُمَّ إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ الْأَشْعَثِ يَقُولُ: إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَسُولِكَ قَرَابَةً. اللَّهُمَّ فَأَرِنِي فِيهِ هَذَا الْيَوْمَ ذُلًّا عَاجِلًا. فَمَا كَانَ بِأَسْرَعَ مِنْ أَنْ تَنَحَّى مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ وَخَرَجَ مِنَ الْعَسْكَرِ، فَنَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ، وَإِذَا بِعَقْرَبٍ سَوْدَاءَ خَرَجَتْ مِنْ بَعْضِ الْجُحْرَةِ، فَضَرَبَتْهُ ضَرْبَةً تَرَكْتُهُ مُتَلَوِّثًا فِي ثِيَابِهِ مِمَّا بِهِ. وَذَكَرَ الْحَاكِمُ الْجُشَمِيُّ: إِنَّهُ مَاتَ لِيَوْمِهِ.

ولكنَّ ذَلِكَ غَيْرُ صَحِيحٍ، فَإِنَّهُ بَقِيَ إِلَى أَيَّامِ الْمُخْتَارِ فَقَتَلَهُ، وَلَكِنَّهُ بَقِيَ مِمَّا بِهِ فِي بَيْتِهِ.

هذا ما يقوله مصنف الكتاب، بعد نقله للرواية.

أما ما يقوله الشيخ الريشهري في كتابه:

وفي يوم عاشوراء أنكر - محمد بن الأشعث - فضيلة وحرمة الإمام الحسين بسبب انتسابه للنبي ﷺ، لذلك دعا عليه الإمام بأن يموت ذليلاً، وإثر دعاء الإمام عليه - كما نُقل في بعض الروايات - لسعه عقرب أسود في نفس ذلك اليوم وهلك ذليلاً.

لكنَّ الروايات الأكثر شهرة تقول: بأنَّ موته كان في عهد المختار، حيث فرَّ من الكوفة والتحق بمصعب بن الزبير في البصرة، ثم قُتل على يد المختار في الحرب التي دارت بينه وبين مصعب.

الموضوع إنشائي بسيط:

لا يدلُّ على تحضير وشغل تحاضر، وكأنَّكَ تتكلَّم لناس لا تعرف الحسين (هنود الحضور ولا ناس أوَّل مرَّة تعرف الحسين).

ساعه حديث وكلام مصفوف بلا فائدة حقيقية..

يعقل هذا يا شيخنا الفاضل.

المعذرة عليّ الوضوح والكلام المباشر .
والهدف أنّي فكرتني عنك أكبر ممّا تطرح .
وفّقك الله شكراً .

الردّ:

فكتبت له الردّ التالي :
شكراً لتواصلكم أخي الكريم وعندي عدّة تعليقات :

التعليق الأوّل

هو أنّ الرواية نقلتها بعنوان روى الشيخ الصدوق عليه السلام ولم تتنبّهوا إلى أنّ هذا التعبير يستبطن عدم تحمّل مسؤوليّة صحّة المنقول ، وهذا أمر يعرفه القريبون من أساليب طلاب العلم بالخصوص ، والأساليب العرفيّة على وجه العموم ، والمطلّعون ولو بنحو محدود على مسائل الشرع ، فالفقهاء - مثلاً - يقولون من المفطرات تعمّد الكذب على النبي صلى الله عليه وآله ، ويذكرون أنّ من قال : « روي أنّ رسول الله قال كذا... » لا يفطر ؛ لأنّ رواية ليس فيها إخبار بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال ، وإنّما إخبار بالرواية ، والعرف كثيراً ما يقول : (والعهدّة على الراوي) .

فتفطن لهذا جيّداً فإنّه قد يُريحك من طرح نظير هذا السؤال عليّ أو على غيري وبهذه الطريقة المتسرّعة في مستقبل عمرك المديد إن شاء الله .

وبهذا اتّضح الخلل في قولك لي :

« لماذا ترسلها على المنبر إرسال المسلّمات وكأنّه صحيحة ثابتة بلا شكّ وريب ؟ » ، واتّضح أنّه لا حاجة لقولك تفريعاً على كلامك السابق : « ياليت تثبّت من كلامك لكي لا تسبّي لشخص الحسين عليه السلام ... ورجاء ، ثمّ رجاء ، احترم عقل الجمهور الموجود بالتثبّت من كلامك .. » .

والذي يبدو لي - مع كامل التقدير والاحترام لك - أنك وقعت في غفلة عن تعبير (روى الشيخ الصدوق في أمالي) وصار ذلك سبباً لسوء فهمك للمراد ، والأمر سهل .

التعليق الثاني

خاطبتني بقولك : « ياليت تثبتت من كلامك لكي لا تسيئ لشخص الحسين عليه السلام » .
ولست أدري ما ربط هلاك الأشعث يوم عاشوراء بدعاء الإمام عليه السلام أو هلاكه بعد ذلك بالإساءة أو الإحسان إلى الإمام عليه السلام !!
لعلك تقول : الإساءة من جهة نسبة كرامة له لم تثبت لموت الأشعث بعد ذلك .
ولكن هذا الكلام غير صحيح :

أولاً : لأنني قلت روي ولم أنسب .

وثانياً : لو فرضنا أنني جزمت بصحة هذه الرواية ونسبتها ، فليس في ذلك إساءة لأن مضمونها نسبة كرامة وعناية إلهية ، غايته أكون مشتبهاً لا مسيئاً عند العرف ، فمن قال - مثلاً - : أن النبي كان يصلّي كل جمعة بالأنبياء إماماً وهو مشتبه لا يعتبر عرفاً مسيئاً للنبي وإنما مشتبهاً ، إلا إذا كان عند جنابكم عرف خاص .
والموضوع أصلاً لا يرتبط بمحمد بن الأشعث وإنما بوراثة الحسين عليه السلام ، وكانت الرواية تأييد بعنوان (روي) في مقام توجيه كلام طرح أصلاً بعنوان (الاحتمال الأول) ، ولكن غاب عنك - كما يبدو لي - كل ذلك .

التعليق الثالث

هذه الرواية نقلها الشيخ الصدوق بإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام ، ونقلها نقاد الحديث ابن شهر آشوب في المناقب : ٤ : ٥٨ ، والسيد هاشم البحراني في مدينة

المعاجز عنه : ٣ : ٤٧٥ ، وصاحب البحار : ٤٤ : ٣١٧ ، والشيخ عبد الله البحراني في العوالم : ١٦٦ ، ورواها الفتال النيسابوري في روضة الواعظين : ١٨٤ ، ونقله السيد محسن الأمين في لواعج الأشجان : ١٥١ ، وقد صار ذلك مشهوراً متداولاً في كتب المتأخرين ، وعلى المنابر ، حتى جزم بعض الأعلام بهلاك ابن الأشعث يوم عاشوراء ، فقد قال النمازي في مستدركات علم رجال الحديث : ٦ : ٤٠٧ : « محمد بن الأشعث بن قيس الكندي : خبيث ، ملعون ، لحق بالنار يوم عاشوراء بدعاء الحسين (صلوات الله عليه) . كما ج ١٠ : ٢٦٩ .. قيل : هرب من المختار فهدم داره : ٢٩٠ ، وجد ج ٤٥ : ٣٠٢ ، ٣٧٦ .

نعم ، ذكر جملة من المخالفين أنه قتل سنة (٦٧) ، وفي ذلك روايات ، ولا يخفى عدم الركون إلى رواياتهم ، فإن من خبر تاريخهم يقف على حرص رجالهم على طمس كرامات أهل البيت ، وحفظ منزلة مخالفهم إذا كانوا من المقرّبين من رجال مذهبهم ، فالنفس تطمئن بأنهم لا يقبلون هلاك الأشعث بدعاء الإمام وهو : ابن أم فروة بنت أبي قحافة أخت أبي بكر ، وحديث عن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعائشة ، وروى عنه الشعبي ومجاهد والزهري وعمر بن قيس الماصر وسليمان بن يسار من العامة .

وكيف كان فدعوى شهرة هلاكه بعد يوم عاشوراء دون هلاكه في عاشوراء أو الأشهرية دعوة غير مقبولة .

التعليق الرابع

ذكرتم وجود معارضة بين رواية هلاك الأشعث في كربلاء ورواية هلاكه بعد ذلك ، وهذا الكلام غير صحيح ، فإن المعارضة تتوقف على القطع بإحراز وحدة الرجلين ، مع أنه من المحتمل أن تكون هناك أكثر من شخصية باسم محمد بن الأشعث بن قيس الكندي ، فهل عندك دليل قطعي ينفي التعدد أم أنت ترسل

الكلام على عواهنه وتنقله متبعاً لغيرك دون تثبت وبحث !
وهنا أجدني ملزماً بمطالبتك باحترام عقل من تخاطب ، وتحترم آليات البحث
التاريخي في الجزم بالتنافي والتعارض .

التعليق الخامس

وأما حديثك حول تقييم الموضوع ، فقد ذكرت أنه بلا فائدة وبسيط وإنشائي ،
فيحتمل في سببه عدة احتمالات منها :

١ - سعة ثقافتك وإطلاّعك على كلّ ما ذكر .

غير أنّ المحاضرة ليست مطروحة لك بالخصوص ، فلست معك في مكان
مغلق وأخطبك وحدك ، وكما تعلم الناس يتفاوتون في المستوى الثقافي ،
ولا بدّ وأن يراعي الخطيب جميع المستويات .

٢ - عدم ميلك للمواضيع التي تتحدّث عن مقام أهل البيت (عليه السلام) ، وما تفضّل الله
به عليهم ، كورثة الحسين (عليه السلام) للأنبياء ، وتوظيف ذلك في بيان امتياز مذهب الحق ،
وضرورة إحياء عاشوراء ، والعمل على ديمومة مناسبته .

وفي هذا أختلف معك نظرياً ، فاهتمام الروايات - كما بيّنا - بموضوع وراثته الإمام
وجعل الإقرار به برنامجاً في مقام الزيارة المستحبة ، وما يترتب عليها من أجر
عظيم ، يلفت عناية المؤمن المطيع لله ، والعاشق للحسين (عليه السلام) ، إلى الوعي بمفاد
الورثة ؛ لأنّ في ذلك عرفان بالحسين وحقّه ، ومعرفة مطلوبة لأدلة تخصّصيّة
ليس المقام مقام توضيحها .

٣ - كون الموضوع فعلاً كما ذكرتم .

غير أنّي مع احترامي التام لشخصكم الكريم اختلف معكم في كون الموضوع
كما ذكرتم إنشائياً بسيطاً بلا فائدة ، وقد أكون مشتبهاً في مخالفتكم ، ولكن فعلاً

لم أدرك ما تدركون ، لهذا أتوقع منكم إتمام الكرم والفضل بالدعاء لي بالتوفيق
إلى خدمة أتم وأكمل .

وشكراً لكم

عبارة جون (رضوان الله تعالى عليه) والعنصرية

السؤال: ما هو تعليقكم على التالي :

أخي الحبيب.... كل احترامي لجميع المراجع... ولكن الرواية التي يستشهد بها سماحة المرجع الوحيد الخراساني (حفظه الله) استفزتني... فهي بدل أن تبين عظمة الإمام الحسين فإنها تسقطه ليس من إمامته... بل من إنسانيته.. وهي رواية جون... فلماذا هذه الكلمة (الغلام الأسود) ؟ وكيف يقبل الإمام الحسين أن يسمع من جون مثل هذا ولا يردّ عليه : « إن رychي لمنتن ، وحسبي للئيم ، ولوني أسود » !! ففي أي دين ، وفي أي خلق إنساني يكون اللون الأسود قبحاً !! حتى يضطر الإمام الحسين أن يدعو له ليبيّض وجهه.. وهل الله هو إله عنصري ليفضل الأبيض على الأسود.. وإذا كان الله ليس بإله عنصري ، فكيف يقبل هكذا دعاء من الإمام الحسين ؟ لا بل يستجيب له ويبيض وجهه... ومن قال إن الإنسان الأسود لا بدّ من أن تكون رائحته نتنة.. أليس هذا هو منطق الثقافة الجاهلية لنا أني نحن ونلصقه بإمام ما صار إماماً إلا لاكتمال إنسانيته.

الجواب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين

في البداية أخي الكريم السائل أذكر مقدّمة وهي :

إنّ من المعلوم في ديننا وشرعنا عدم الفرق بين الأسود والأبيض من حيث القيمة الإنسانية والحقوق والواجبات يقول عزّ وجلّ : ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ

لَتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴿١﴾ .

وكان النبي صلى الله عليه وآله يرى أنه لا فرق بين عربي ولا أعجمي ، بيد أن هذا لا يوجب إلغاء الصفات التكوينية التي يتفاوت فيها الناس من حيث الميل والرغبة ، فإن تساوي الناس في الإنسانية لا يلغي الجمال والقبح ، وتمامية واستواء واستقامة الخلقة وتشوُّهها ، والذكاء والغباوة ، والقوّة والضعف ... إلخ ، فهل ترى الناس لا يميّزون بين الجمال وغيره ، وبين سلامة الخلقة وغيرها ، فلا يفرق الرجل - مثلاً - بين المرأة القبيحة والجميلة ، أو مستقيمة الخلقة أو المشوّهة ، فيما إذا أراد الزواج اعتماداً على تساوي الناس في الإنسانية والحقوق !!

وهل يعدّ الزوج الباحث عن الجمال عنصرياً أو تمييزياً !!

وهل ترى من يبحث عن عامل لإنجاز عمله لا يفرّق بين القوي والضعيف ، وهل في تفريقه هذا ما يسقط إنسانيته ، ويوجب وصفه باللاإنساني !!
بالطبع لا .

والسرّ في ذلك يعود إلى أن تساوي الناس في النوع الإنساني لا يلغي ما بينهم من صفات خلقية وغير خلقية توجب اختلاف مولات ورغبات الأفراد فيما بينهم . وإن من الصفات التكوينية التي يختلف فيها ميل الناس ورغباتهم اللون ، فالمجتمعات ذات البشرة البيضاء ترى الأبيض أجمل ، والبياض من مقوّمات الجمال عندها ، والأعراق والسلالات تتفاوت في مستويات الجمال ، فبعض الأعراق - كما هو مشاهد - عندها درجة من الجمال غير موجودة في غيرها ، وهذا وإن أثر في الرغبة والميل إلا أنه اختلاف عرضي في صفات عارضة ليست مقوّمة للذات ، ولا توجب رفعة ذاتية ، كما في الاتّصاف بصفات الروح المؤثّرة في رفعة الذات ، كصفة العلم والإيمان والتقوى .

والحاصل: إنَّ اختلاف أعراض الجسد، وما يوجبه من اختلاف الميل والرغبة، ليس مناطاً للتفضيل في ديننا، فقد يكون إنسان أسود أو قبيح أفضل عند الله، وأولى بالتقدير والاحترام بين الناس من ألف أبيض جميل، ولكن هذا لا يعني إنكار وجود صفة محبوبة يميل إليها الطبع، وهي تفضل على غيرها من الصفات عند الناس.

إذا اتضح هذه المقدمة نأتي إلى الرواية، وهي كما في اللمهوف:

«... فقال له الحسين عليه السلام: أنت في إذن مني، فإنما تبعتنا طلباً للعافية، فلا تبتل بطريقنا.

فقال: يابن رسول الله، أنا في الرخاء الحس قِصاعكم، وفي الشدة أخذكم؟! والله إن ريحي لمُتِن، وإن حَسبي للثيم، ولوني لأَسود، فتَنفَس عليَّ بِالجَنَّة، فَيَطِيبَ ريحي، وَيَشْرَفَ حَسبي، وَيَبْيَضَ وَجهي، لَا وَاللَّهِ لَا أَفَارِقُكُمْ حَتَّى يَخْتَلِطَ هَذَا الدَّمُ الْأَسْوَدُ مَعَ دِمَائِكُمْ»^(١).

ثم قاتل حتى قتل، فوقف عليه الحسين عليه السلام، فقال: اللَّهُمَّ بَيِّضْ وَجْهَهُ، وَطَيِّبْ رِيحَهُ وَاحْشُرْهُ مَعَ الْأَبْرَارِ، وَعَرِّفْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ^(٢).

وروى عن الإمام الباقر عليه السلام، عن أبيه الإمام زين العابدين عليه السلام: «أَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَحْضُرُونَ الْمَعْرَكَةَ وَيَدْفِنُونَ الْقَتْلَى، فَوَجَدُوا جَوْناً بَعْدَ عَشْرَةِ أَيَّامٍ يَفُوحُ مِنْهُ رَائِحَةُ الْمِسْكِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ»^(٣).

وقد اعترض عليها الأخ الكريم المعترض الذي نقل السائل عبارته، وسجل

(١) الملهوف: ١٦٣. مثير الأحزان: ٦٣. بحار الأنوار: ٤٥: ٢٢.

(٢) تسليية المجالس: ٢: ٢٩٣. بحار الأنوار: ٤٥: ٢٣.

(٣) بحار الأنوار: ٤٥: ٢٣.

عليها عدة ملاحظات :

١ - وجود عبارة « الغلام الأسود » فيها .

ومن الواضح أنّ وصف الشخص بلونه ليس فيه انتقاص وعنصريّة ، وإنّما العنصريّة في جعل ذلك سبباً للاحتقار والانتقاص ، وفي الرواية من عبّر بالأسود هو جون (رضوان الله عليه) نفسه ، فقد قال في أرجوزته :

كَيْفَ تَرَى الْفُجَّارُ ضَرْبَ الْأَسْوَدِ بِالْمَشْرِفِيِّ الْقَاطِعِ الْمُهَنْدِ
بِالسَّيْفِ صَلْتًا عَنْ بَنِي مُحَمَّدٍ أَذُبُّ عَنْهُمْ بِاللِّسَانِ وَالْيَدِ
أَرْجُو بِذَاكَ الْفَوْزَ يَوْمَ الْمَوْرِدِ مِنْ إِلَهِ الْوَاحِدِ الْمُوَحِّدِ
إِذْ لَا شَفِيعَ عِنْدَهُ كَأَحْمَدٍ^(١)

ولا يحتمل أنّه عبّر بهذا التعبير لانتقاص نفسه ، وإنّما عبّر به - كما يظهر من الرواية - لبيان صفة جسديّة فيه وهي السواد ، وبيان أنّ طبيعة المجتمع العربيّ لا يميل إليها كما يميل إلى صفة البياض ، وكان بيانه في مقال طلب الإذن بالإقدام على الشهادة ، باعتبار أنّ إقدامه على الشهادة ومحاربة الظالمين الذين يحتقرونه بلونه كند في المواجهة مبالغه في غيظهم ، وفي إقامة الحجّة عليهم ، ولهذا قال : « كَيْفَ تَرَى الْفُجَّارُ ضَرْبَ الْأَسْوَدِ » .

٢ - عدم ردّ الإمام على قول جون : « إِنَّ رِيحِي لَمُتَّتِنِ ، وَإِنَّ حَسْبِي لِلثِّمِّ ، وَلَوْ نِي لَأَسْوَدُ » .

ومن الواضح أنّ هذه العبارات إنّما صدرت من جون في حضرة معصوم نعلم أنّه ليس عنصريّاً ، وسكوت المعصوم قرينة على أنّ المقصود منها ليس معنى

(١) الفتوح : ٥ : ١٠٨ . أنساب الأشراف : ٣ : ٤٠٣ . مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي : ٢ : ١٩ .

المناقب لابن شهر آشوب : ٤ : ١٠٣ . بحار الأنوار : ٤٥ : ٢٣ .

ينسجم مع العنصرية ، وإنما المقصود شيء آخر ، فقد يكون بيان إرادة أنه منتقص في عرف محاربي الإمام عليه السلام لكي يمن عليه الإمام بفضله ، ويجعله محط كرامة الله تعالى بإظهاره في فعله وخلقه أفضل منهم وأكمل ، حتى بحسب مقياسهم الشكلي ، وهذا راجع إلى التصرف تكويناً بإيجاد صفة تكوينية حسنة بحسب الطبع العام في تلك الجغرافيا ، ورفع صفة لا يميل إليها الذوق العام في ذلك الظرف مع عدم كون تلك الصفة موجبة للخط من القيمة الإنسانية على ما ذكرت في المقدمة . وهذا نظير قول نبي الله موسى عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ * وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ * وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ * قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴾^(١) ، فإن نبي الله موسى لا ذنب عليه بمقتضى عصمته ، ولكن كان يتحدث بحسب نظرة قوم فرعون إليه ، وهذا واضح بملاحظة القرائن العقلية والشرعية التي تحف بالكلام ، فكذلك الحال في وصف جون بالسواد ، فهو ليس للقول بأن الأسود أقل إنسانية ، وإنما يحتمل فيه أن القوم المعاندين يرون الأسود أقل منهم ، ففي قتال الأسود لهم ، وإقامته على الحق الذي فارقه ، زيادة في النكاية بهم ، وإلقاء الحجة عليهم .

٣ - دلالتها على أن الإنسان الأسود لا بد أن تكون رائحته منتنة .

وهذا الاعتراض غريب ؛ لأن جون ما كان يتحدث عن كل أسود ، وإنما عن نفسه « إن ریحی لمُنتن » ، فكيف فهم المعارض الكريم أن الرواية تتحدث عن كل أسود ليسجل عليها قوله : (ومن قال : إن الإنسان الأسود لا بد من أن تكون رائحته نتنة) . وتعبير جون تعبیر تواضعي يستعمله العرف في مثل هذه المواقف ليلبي الطرف المقابل ما يُراد ، نظير أن يقول المريض للطبيب : أنا أتألم ولا أشعر بالراحة ليرأف به ، ويعجل في تشخيص حالته ، وقد ذكر جون صفة متحققة فيه لا خصوصية

(١) الشعراء ٢٦ : ١٢ - ١٥ .

للون فيها ، وطلب من الإمام في مقابلها أن يطيب ريحه ، ولم يعلّق هذا الوصف عليه فهو لم يقل : (لأنّي أسود ، ريحي متتن) ، بل ذكر الريح قبل اللون ، فتأمل .

٤ - دعاء الإمام له ببياض الوجه ، وتحقّق ذلك له .

والاعتراض بهذا يتّضح أنّه في غير محلّه بملاحظة المقدّمة التي قدّمتها ، فإنّ هناك فرقاً كبيراً بين أن يقال : (سواد جون يحطّ من قيمة إنسانيّته) وبين أن يقال : (رفع صفة بفعل خارق لا يميل إليها العرف العامّ أو الطبع الخاصّ لجماعة خاصّة ، وإيجاد صفة يميل إليها العرف العامّ أو الطبع بسبب فعله الحسن تكريماً له وتفضيل) .

وما تحقّق في الرواية الثانية فإنّ الإمام دعا له بصفة تكوينيّة أفضل من صفته السابقة ، ولو بحسب ميل وعرف العرب في ذلك الزمان ، ليظهر في الدنيا قبل الآخرة أثر كرامة الله على جون ، وليس في مقام تحديد معيار القيمة الإنسانيّة .

الحسين عليه السلام مظهر الجمال ، وجنة الأولياء ^(١)

قال سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ : « أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَلْقَ أَرْوَاحِنَا ، فَأَنْطَقَنَا بِتَوْحِيدِهِ وَتَحْمِيدِهِ » ^(٢) .

آمنّا بالله ، صدق سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ
لكي نقف على معنى أنّ الحسين عليه السلام مظهر الجمال المعروف لجمال الله الأزلي ،
وجنة الأولياء ، ومنتهى سير العرفاء ، لا بدّ وأن نتحدّث عنه عليه السلام من حيث بدء الخلقة
ونهاية العروج إلى الله عزّ وجلّ .
وكلامنا في ذلك سوف يكون ضمن نقاط ثلاث :

النقطة الأولى

في أنّ أوّل ما خلق الله حقائق المعصومين عليه السلام ،
وأنّ الله تبارك وتعالى خلقهم من نور عظّمته ،
وفي معنى العظمة

إنّ الله تبارك وتعالى أوّل ما ابتدأ الوجود ابتدأه بنور النبي ﷺ وأنوار
أهل بيته عليه السلام ، ويدلّ على ذلك روايات كثيرة تبلغ حدّ التواتر ، فقد نقل الشيخ
الصدوق بأسانيد قويّة - بحسب تعبير العلامة المجلسي - عن رسول الله ﷺ أنّه قال :

(١) محاضرة لسماحة الشيخ حيدر السندي (حفظه الله) أُلقيت بتاريخ : ١ / ١ / ١٤٣٥ هـ .

(٢) بحار الأنوار : ١٨ : ٣٤٥ ، الحديث ٥٦ .

«أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَلْقَ أَرْوَاحِنَا ، فَأَنْطَقَنَا بِتَوْحِيدِهِ وَتَحْمِيدِهِ»

السيد الرضي في المناقب روى عن النبي ﷺ أنه قال : « يابن مسعود ، إن الله عز وجل خلقني وعلياً والحسن والحسين من نور عظمته قبل خلق الخلق بألفي عام »^(١) .
أبو جعفر الطوسي في كتابه مصابيح الأنوار يروي عن رسول الله ﷺ أنه قال
لعمه العباس : « يا عم ، إن الله عز وجل خلقني وعلياً وفاطمة والحسن والحسين قبل
خلق آدم ، حيث لا سماء مبنية ولا أرض مدحية ، ولا نور ولا ظلمة ، ولا جنة ولا نار ،
ولا شمس ولا قمر »^(٢) .

ومن ضمن هذه الروايات هذه الرواية المروية عن الإمام الباقر عليه السلام ، قال : « كَانَ
اللَّهُ وَلَا شَيْءَ غَيْرُهُ ، فَأَوَّلُ مَا ابْتَدَأَ مِنْ خَلْقٍ خَلَقَهُ أَنْ خَلَقَ مُحَمَّدًا وَخَلَقْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ مَعَهُ
مِنْ نُورِ عَظَمَتِهِ ، فَأَوْفَقْنَا أَظْلَةَ خُضْرَاءَ بَيْنَ يَدَيْهِ حَيْثُ لَا سَمَاءَ وَلَا أَرْضَ ، وَلَا مَكَانَ ،
وَلَا لَيْلَ وَلَا نَهَارَ ، وَلَا شَمْسَ وَلَا قَمَرَ »^(٣) .

هذه الروايات التي تدل على أن الله تعالى ابتدأ الوجود بحقيقة النبي وآله
(عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام) لم تتفرد الإمامية بنقلها ، بل رويت من قبل
الخاصة والعامة ، فقد وردت في كتب العامة وفي مصادر متعددة ، ونقل النقوي
الخراساني في كتابه مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة روايات متعددة من
كتب العامة تدل على هذه الحقيقة .

بيان نور عظمة الله تبارك وتعالى :

السؤال الذي نواجهه ونريد أن نجيب عليه ، هو أن النبي الأعظم ﷺ يقول :

(١) مدينة المعاجز : ٣ : ٢٢٠ .

(٢) مدينة المعاجز : ٣ : ٢٢٢ .

(٣) بحار الأنوار : ٣ : ٣٠٧ .

« إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَنِي وَعَلِيًّا وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ مِنْ نُورِ عَظَمَتِهِ » ، فما المقصود من عظمة الله ؟ ما المقصود من هذا النور الذي خلقت منه الحقائق الطاهرة للمعصومين ﷺ ؟

باختصار يمكن أن نعبر عن هذا النور بأنه ذلك الوجود المقدس الذي يكشف عن جمال الله تبارك وتعالى ، وعن ذاته المستجمعة لجميع صفات الكمال وصفات الجمال .

نحن الشيعة نعتقد بأن الله تبارك وتعالى جامع في ذاته لكل كمال ، لكل صفة من صفات الجمال ، لا تفتقر ذاته إلى جمال ، ولا ينقصها أي كمال ، الإمام الصادق عليه السلام يقول : « هُوَ نُورٌ لَا ظُلْمَةَ فِيهِ ، وَحَيَاةٌ لَا مَوْتَ فِيهِ ، وَعِلْمٌ لَا جَهْلَ فِيهِ ، وَحَقٌّ لَا بَاطِلَ فِيهِ »^(١) .

فالذات جامعة لكل كمال ، وجامعة لكل جمال ، هذه الكمالات الموجودة عند الله تبارك وتعالى لا يمكن أن نتعرف عليها مباشرة ، الذات المقدسة أعلى شأنًا ، وأجل قدرًا ، من أن يتعرف عليها الخلق مباشرة ، كيف نتعرف على الذات التي يقول عنها أمير المؤمنين عليه السلام في مقام بيان طريق معرفتها : « دَلِيلُهُ آيَاتُهُ ، وَوُجُودُهُ إِثْبَاتُهُ »^(٢) .

الطريق إلى معرفة الله تبارك وتعالى يتمثل في معرفة الآيات : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾^(٣) .

كل موجود يدل بوجوده على وجود الله عز وجل ، كل موجود بصفاته يكشف نحواً من الكشف عن صفات الله تبارك وتعالى ، فنحن نتعرف على الله تبارك وتعالى

(١) التوحيد : ١٤٦ ، الحديث ١٤ .

(٢) الاحتجاج : ١ : ٢٠١ .

(٣) فصلت : ٤١ : ٥٣ .

بالمخلوقات بحسب رتب المخلوقات ، المخلوقات التي هي آيات لله ، ومظاهر لجمال الله ، تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : هي المخلوقات المقيّدة .

التي تكشف عن وجهه من وجوه عظمة الله ، ونحو من كمالات الله تبارك وتعالى ، بعض الموجودات تكشف عن صفة القدرة لله تعالى ، فهي تكشف عن عظمة الله ولكن تكشف عن عظمة الله في قدرته ، بعض المخلوقات تكشف عن علم الله عز وجل ، فهي تبين لنا نحوه من عظمة الله ، وتلك العظمة المتمثلة في العلم .

القسم الثاني : المخلوقات المطلقة .

أي التي تكشف عن جمال الله تبارك وتعالى وجلاله في جميع صفاته وكمالاته ، ويكون كشفها أتم من كشف غيرها بحسب رتبها هي ، فالتمام نسبي ، الذات في نفسها مطلقة لا يمكن أن يحيط بها عقل أو فؤاد بشري . نعم ، الموجودات مظاهر للذات ، تلك الموجودات تتفاوت في إظهارها لله ، بعض الموجودات لأن إظهارها أتم من غيرها يقال هي بالنسبة إلى غيرها تظهر الذات إظهاراً تاماً ، وفي الحقيقة الذات في نفسها تبقى غيب الغيوب ولم يظهر كنهها .

الموجودات التي من القسم الثاني هي مظاهر لذات الله الجامعة لجميع الصفات والكمالات ، في آن واحد تكشف عن علم الله وقدرته وسمعه وبصره وعن جميع كمالاته ولكن بحسبها ، وهذه الموجودات هي التي خلقت من نور عظمة الله ، النور هو الظاهر في نفسه والمظهر لغيره ، النور في هذا الحديث الشريف : « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنِي وَعَلِيّاً وَالحسن والحسين من نور عظمتة » نور العظمة في هذا الحديث أضيف إلى الله تبارك وتعالى ، والله هو الجامع لكل كمال ، فالمقصود بنور العظمة أي ذلك المظهر لله ، والله هو الجامع لكل كمال وجمال ، هو القادر السميع البصير الجبار ، فله نور خلقه يظهر جماله ذلك النور هو نور العظمة ، ومنه خلقه النبي الأكرم عليه السلام

وأهل بيته ، لهذا ورد عن الإمام الباقر عليه السلام : « نَحْنُ الْأَعْرَافُ الَّذِينَ لَا يُعْرِفُ اللَّهُ إِلَّا بِسَبَبِ مَعْرِفَتِنَا »^(١).

هناك رتبة من المعرفة لا تعرف إلا بمعرفتهم عليه السلام ، الإمام الصادق يقول عليه السلام : « نَحْنُ وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى »^(٢). الاسم يدل على المسمى ، الله تبارك وتعالى عنده أسماء حسنة ، وعنده أسماء حسنى ، الأسماء الحسنى هي الأتم في كشفها عن جمال الله تبارك وتعالى .

النقطة الثانية

في الحسين عليه السلام مظهر جمال الله ، ومصدر جمال الخلق

الحسين عليه السلام مصدر الجمال الذي أوجده الله تعالى في عالم الإمكان ، ولكي يتضح ذلك أذكر أموراً ثلاثة :

الأمر الأول : من الأمور الواضحة التي نعلمها جميعاً أنّ من أجمل ما خلق الله تعالى الجنة وما فيها من النعيم ، الجنة فيها من الحسن ومن الجمال ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، قال تبارك وتعالى : ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾^(٣).

ويقول الرسول ﷺ : « فَأَبْشِرْ وَبَشِّرْ أَوْلِيَاءَكَ وَمُحِبِّكَ مِنَ النَّعِيمِ ، وَقَرَّةَ الْعَيْنِ ، بِمَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ »^(٤) ، ما في الجنة شيء فوق الوصف ، لا يمكن أن نقف على كنه جمال الجنة إلا إذا رأيناها ، يوجد وصف

(١) بحار الأنوار : ٨ : ٣٣٨ ، الحديث ١٦ .

(٢) الكافي : ١ : ١٤٣ و ١٤٤ ، الحديث ٤ .

(٣) الرعد ١٣ : ٣٥ .

(٤) وسائل الشيعة : ١٤ : ٣٨٣ ، الباب ٢٦ من أبواب المزار ، الحديث ١ .

للجنة في الروايات ولكنّه وصف وجود لفظيّ للجنة وليس حقيقةً خارجياً ، فالخارجي شيء آخر لا يدرك إلا برؤيته عياناً ، يقول رسول الله ﷺ : « إِنَّ سَوْرَ الْجَنَّةِ لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ ، وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ ، وَلَبِنَةٌ مِنْ يَاقُوتٍ » (١) .

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴾ (٢) : سُقُوفُهَا الذَّهَبُ مَحْبُوكَةٌ بِالْفِضَّةِ » .

الباري تبارك وتعالى جعل سقف كلّ بِنَانٍ من بِنَانِ الْجَنَّةِ بمادّة الفضة ، ثمّ يقول عليه السلام : « لِكُلِّ غُرْفَةٍ مِنْهَا أَلْفُ بَابٍ مِنْ ذَهَبٍ ، عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْهَا مَلَكٌ مُوَكَّلٌ بِهِ ، فِيهَا فُرُشٌ مَرْفُوعَةٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ مِنَ الْحَرِيرِ وَالذِّبَاكِجِ بِأَلْوَانٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَحَشَوْهَا الْمِسْكُ وَالْكَافُورُ وَالْعَنْبَرُ » (٣) .

إذن الجنة شيء جملة الله تبارك وتعالى وأظهر فيه جمال ذاته من خلال إتقان الصنع وإتقان الخلقة .

الأمر الثاني : عندنا مجموعة من الروايات وردت في كتب الخاصة والعامة تدلّ على أنّ هذه الجنة التي لم تر العيون مثل جمالها ، ولم تسمع الأذان بمثل حسنها ، هذه الجنة الجميلة بما فيها من الأنهار والأشجار والقصور والحدود العيون لها ركن تعتمد عليه في جمالها ، ولها زينة تتزيّن الجنة بكلّ زينتها بتلك الزينة الخاصة التي جعلها الله تبارك وتعالى .

السيد شهاب الدين المرعشي في تعليقه على كتاب إحقاق الحقّ للقاضي

(١) أمالي الصدوق : ٢١٣ .

(٢) الزمر ٣٩ : ٢٠ .

(٣) الكافي : ٨ : ٩٦ و ٩٧ ، الحديث ٦٩ .

التستريّ ينقل عن مصادر العامّة والخاصّة روايات متعدّدة منها هذه الرواية التي ينقلها الخطيب البغدادي^(١) والهيثمي^(٢) والطبراني^(٣) وغيرهم من علماء العامّة ، تقول هذه الرواية ، قال رسول الله ﷺ : « إذا استقرّ أهل الجنة تقول الجنة : يا ربّ ، لقد وعدتني أن تزيني بركنين من أركانك ، فيقول لها الباري تبارك وتعالى : ألم أزيّنك بالحسن والحسين »^(٤) . الحسن والحسين عليهما السلام زينتا الجنة ، مع ما فيها من نعيم لا عين رأت ولا أذن سمعت ، مع ذلك هي تعتمد في زينتها وفي جمالها على الحسن والحسين .

وفي رواية أخرى : « يقول الباري تبارك وتعالى : حسّنت أركانك بالحسن والحسين »^(٥) ، فأيّ جمال يوجد في ذات الحسن وفي ذات الحسين عليهما السلام ؟ إنّ للحسين عليهما السلام ظاهراً في هذه النشأة ، ظاهره التقوى ، الإيمان ، الجهاد ، الهداية إلى الله تبارك وتعالى ، وله باطن ، باطنه عليهما السلام أنّه ركن جمال الجنة .

الأمر الثالث : وهو أعظم من الأمر السابق ؛ إذ توجد مجموعة من الروايات تقول : الباري تعالى خلق الجنة وما فيها من النعيم من نور الحسين عليهما السلام . السيّد هاشم البحراني لم ينقل رواية ، بل عقد فصلاً بعنوان في أنّ الله عزّ وجلّ خلق الجنان والحدود العين من نور الحسين عليهما السلام ، نقل فيه مجموعة من الروايات منها : « أنّ رسول الله ﷺ قال : « ثمّ فتق الله نور الحسن عليهما السلام فخلق منه اللوح والقلم ، والحسن عليهما السلام أجّل من اللوح والقلم ، وفتق نور الحسين عليهما السلام فخلق منه الجنات والحدود

(١) تاريخ بغداد : ٢ : ٢٣٨ .

(٢) مجمع الزوائد : ٩ : ١٨٤ .

(٣) المعجم الأوسط : ١ : ١٠٨ .

(٤) تاريخ بغداد : ٢ : ٢٣٨ . مجمع الزوائد : ٩ : ١٨٤ . المعجم الأوسط : ١ : ١٠٨ .

(٥) ميزان الاعتدال : ٤ : ٣٦١ .

العين ، والحسين عليه السلام أفضل منهما»^(١).

وفي رواية ثانية يقول الرسول صلى الله عليه وآله : « خلق الله الجنة والحدود العين من نور ولدي الحسين ، ونور ولدي من نور الله »^(٢).

إذا كانت الجنة بكل ما فيها من زينة وجمال خلقت من نور الحسين عليه السلام ، فهي مرتبة من مراتب جمال الحسين عليه السلام ، فلا عجب أن يكون عليه السلام زين السماوات والأرض ، فقد نقل الشيخ الصدوق في كتاب إكمال الدين وتمام النعمة عن الحسين عليه السلام : « دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ أَبِي بْنُ كَعْبٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَرْحَباً بِكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، يَا زَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، فَقَالَ لَهُ أَبِي : وَكَيْفَ يَكُونُ يَا رَسُولَ اللَّهِ زَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَحَدٌ غَيْرُكَ ؟ فَقَالَ لَهُ : يَا أَبِي ، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا ، إِنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ فِي السَّمَاءِ أَكْبَرُ مِنْهُ فِي الْأَرْضِ ، فَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ : مُصْبِحٌ هَادٍ ، وَسَفِينَةٌ نَجَاةٌ »^(٣).

الحسين عليه السلام له حقيقة في الأرض ولكن هذه الحقيقة ليست إلا مظهراً لحقيقته السماوية ، تلك الحقيقة أعظم عند الله وأعلى شأنًا ، إن حقيقة عليه السلام طور فوق طور العقل ، ينبغي علو هذا العقل المحدود أن يعترف بالعجز عن إدراك كنه حقيقته أو الإحاطة بعمق كمالاته عليه السلام .

النقطة الثالثة

في بعض النتائج المترتبة على هذه الحقيقة

هناك نتائج تترتب على هذه الحقيقة وهي أن الله تبارك وتعالى خلق الجنة من

(١) غاية المرام : ٤ : ١٦٣ .

(٢) غاية المرام : ٤ : ٢٩٧ .

(٣) كمال الدين : ١ : ٢٦٥ ، الحديث ١١ .

نور الحسين عليه السلام ، ونكتفي بذكر ثلاث نتائج :

النتيجة الأولى : أنَّ الإمام الحسين عليه السلام لا يعمل ويسعى من أجل الدخول في الجنة ؛ لأنَّ هذه الجنة خلقت من نوره ، فهي دون جماله ودون رتبته ، هي مظهر لجماله عليه السلام ، فكيف يمكن أن يكون سعيه من أجلها ، الحكيم العاقل لا يفعل لغاية موجودة وحاضرة عنده ، بل يفعل لأجل غاية مفقودة ، إذا كنت تفتقد الشيء وكان غير موجود عندك ، تعمل من أجل تحقيقه ، أمّا إذا كان عندك فلماذا تسعى من أجل تحقيقه من أجل إيجاده ، الإمام الحسين عليه السلام واجد لكمال الجنة بصورة أتمّ ، النبي ﷺ يقول : فالحسين عليه السلام أعظم من الجنة والحدود العينية ، فكيف يكون سعيه عليه السلام من أجل الدخول في الجنة ، وهذا يعني أنه عليه السلام ما كان يعبد الله تبارك وتعالى عبادة التجار ، عبادة يقصد بها الدخول في الجنة ، وإنّما يعبد الله عبادة الأحرار الذي اندكت أنيتهم في ذات الله تعالى فلا تنظر قلوبهم إلّا إلى جماله .

يقول الإمام الصادق عليه السلام يقول : « إِنَّ الْعِبَادَ ثَلَاثَةٌ : قَوْمٌ عَبَدُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَوْفًا فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ ، وَقَوْمٌ عَبَدُوا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى طَلَبَ الثَّوَابِ فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْأَجْرَاءِ ، وَقَوْمٌ عَبَدُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حُبًّا لَهُ فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ ، وَهِيَ أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ »^(١) .

إنَّ للإنسان مراتباً مختلفة ، فهناك الإنسان البعيد عن الله تبارك وتعالى ، وهو الذي يستثمر الشهوة لتحقيق أغراضه على حساب أوامر الله تبارك وتعالى ونواهيه ، وهناك المتوسط الذي تؤثر عليه شهوته ، ولكنه يسيطر عليها ويستخدمها في طاعة الله عز وجل ، فيلتزم بأحكام الله تبارك وتعالى لأجل تحقيق رغباته التي هي أعلى من رغبات الدنيا ، فهو يبحث عن لذة ولكنها لذة أخروية الهدف ذاته ، ويريد ما يلائمها ويرى أنَّ الملائم الحقيقي ما في دار النعيم والمقامة .

(١) الكافي : ٢ : ٨٤ ، الحديث ٥ .

وأما الإنسان الكامل العارف فقد تحرّر من متابعة هذه الشهوة التي فطر عليها وتسامى حتّى عن رغبات نفسه في تحصيل الجنّة ، وفي تحصيل الثواب ، بأن أوقف ذاته ووجوده لله تبارك وتعالى فهو لا يعمل إلّا لله ، لا يمتثل لتلبية لرغبات نفسه وإنّما يمتثل أمر الله تقرّباً إليه تبارك وتعالى ، وحبّاً له بحقيقة معنى الحبّ والتقرب ، وهذه أعلى مراتب التوحيد التي يمكن أن يصل إليها الإنسان ، وهي مرتبة الحسين آل الحسين :

فالنتيجة الأولى هي أنّ عبادة الحسين عليه السلام لا يمكن أن تكون عبادة العبيد ، وإنّما عبادة الأحرار .

النتيجة الثانية : هي أنّ معاد الحسين عليه السلام ليس أن يدخل في جنّة الأعمال ، أو أن يدخل في جنّة الصفات والذات ، وإنّما معاد الحسين أن يدخل في جنّة الله تبارك وتعالى وهي جنّة اللقاء ، العرفاء يقسمون الجنة إلى مراتب ثلاثة ، ويقولون كلّ مرتبة من هذه المراتب تشتمل على درجات :

المرتبة الأولى : جنّة الأعمال ، وهي التي يصل إليها الإنسان بعمله ، وقد أشار الله تبارك وتعالى إلى هذه الرتبة في قوله تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيرَوُاْ أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (١) ﴿خَيْرًا يَرَهُ﴾ يعني يرى جنّة الأعمال ، يرى عمله نعيماً له يوم القيامة .

المرتبة الثانية : جنّة الصفات والذات ، وهذه رتبة أعلى من جنّة الأعمال ، ويقصدون بجنّة الذات أنّ المؤمن يوم القيامة يتبدّل وجوده ويصبح وجوداً نورانياً تتجلّى فيه صفات الله تبارك وتعالى ، المؤمن في الدنيا قد يكون عبداً حبشياً ، ذميم المنظر ، لا يرى في الليلة المظلمة ، وإذا أبصرته ملأت منه رعباً ، ولكن إذا جاء

(١) الزلزلة ٩٩ : ٦ و ٧ .

يوم القيامة يتبدّل وجوده ، يقول تبارك وتعالى : ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾^(١) ، هذه الآية تشير إلى جنّة الصفات و جنّة الذات ، المؤمن في يوم القيامة يتنعم بوجوده لأنّه يرى وجوده وجوداً نورانياً تتلى فيه عناية الله تبارك وتعالى فيشعر بالسرور والبهجة .

المرتبة الثالثة: جنّة الله تبارك وتعالى ، أي جنّة عناية الله الخاصة ورضوان الله الأكبر من جنّة الأعمال والصفات والذات ، وهي أن يلقي الإنسان ربّه راضياً مرضياً ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾^(٢) ، أي جنّة الله تبارك وتعالى ، فقد أضاف الجنة إلى ذاته المقدّسة ، وهي جنة الحسين عليه السلام .

هنالك روايات تعتبر سورة الفجر سورة الحسين عليه السلام وهو مصداق النفس المطمئنة ، فعن أبي عبد الله عليه السلام : « أَقْرَأُوا سُورَةَ الْفَجْرِ فِي فَرَائِضِكُمْ وَنَوَافِلِكُمْ فَإِنَّهَا سُورَةُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مَنْ قَرَأَهَا كَانَ مَعَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي دَرَجَتِهِ مِنَ الْجَنَّةِ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ »^(٣) .

النتيجة الثالثة: هي أنّ أعلى مرتبة يمكن أن يصل إليها المؤمن في سيره التكاملي ليس أن يدخل الجنّة ، وإنّما أن يكون مع الحسين وأهل بيت الحسين عليه السلام يوم القيامة ، الجنّة رتبة من رتب نعيم الله للمؤمن ، وهناك رتب أعلى من رتب الجنّة وهي رتب الكون مع رسول الله ، مع أمير المؤمنين ، مع الصديقة الزهراء ، مع الحسن ، مع الحسين ، مع المعصومين عليه السلام ، الجنّة فيها نعيم ، ولكنّه نعيم خلق من نور الحسين عليه السلام ، النظر إلى الجنّة يبهج النفس ، ولكن النظر إلى مصدر جمال

(١) التحريم ٦٦ : ٨ .

(٢) الفجر ٨٩ : ٢٧ - ٣٠ .

(٣) ثواب الأعمال : ١٢٣ .

الجَنَّةَ ، النظر إلى من خُلقت الجنة من نوره ، يبهج النفس بصورة أتم وبصورة أعظم .
 العلامة المجلسي (رحمة الله تعالى عليه) ينقل في كتاب البحار في فضل من
 تعلّم القرآن ، أن الإمام العسكري عليه السلام قال : « وَيَسْتَحَقُّ بِهِ - بحمل القرآن - الْكَوْنُ
 بِحَضْرَةِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ ، الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْجَنَّةِ ؛ لِأَنَّ مُحَمَّدًا وَآلَهُ أَشْرَفُ زِينَةِ
 الْجَنَّةِ »^(١) ، وهذا ما يطلبه المؤمن في زيارة عاشوراء ، حيث يقول في الزيارة :
 « فَاسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَكْرَمَنِي بِمَعْرِفَتِكُمْ ، وَمَعْرِفَةِ أَوْلِيَائِكُمْ ، وَرَزَقَنِي الْبَرَاءَةَ مِنْ
 أَعْدَائِكُمْ ، أَنْ يَجْعَلَ لِي مَعَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » أن يكون معهم في الآخرة ، يعني أن
 يحشر في رتبة هي أعلى من رتبة الجنة ، أن يكون مع رسول الله ومع آل رسول
 الله ﷺ ، وهم كما يقول الإمام العسكري عليه السلام : « أَشْرَفُ زِينَةِ الْجَنَّةِ » .

كيف تكون معهم ؟

وهنا يأتي هذا السؤال المهم :

كيف يمكن أن يكون المؤمن مع رسول الله ﷺ ومع الحسين عليه السلام يوم القيامة ؟
 أمير المؤمنين عليه السلام يجيب على هذا السؤال ، قال : « أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِ الْحَسَنِ
 وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَقَالَ : مَنْ أَحَبَّ هَذَيْنِ ، وَأَبَاهُمَا ، وَأُمَّهُمَا ، كَانَ مَعِيَ فِي دَرَجَتِي يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ »^(٢) . حبك للحسين عليه السلام طريقك ومعراجك وسبيلك نحو الكون مع الحسين
 يوم القيامة .

حبّ الحسين يعني أن تعتقد بإمامته .

حبّ الحسين يعني أن تميل بكلّ مشاعرك مع الحسين وأهداف الحسين .

حبّ الحسين يعني أن تنحاز مع الأهداف التي من أجلها قُتل الحسين ، وتظهر

(١) بحار الأنوار : ٢٤ : ٦٥ و ٦٦ ، الحديث ٥١ .

(٢) أمالي الصدوق : ٢٢٩ ، الحديث ١١ .

ولاءك لها. إن مناسبة الحكم للموضوع تقتضي أن يكون المقصود بالحب المحقق للكون مع الحسين عليه السلام ليس مجرد الإعجاب أو الميل القلبي، وإنما العمل بما يقتضيه ذلك من الاتباع والنصرة فتقول: أنا مع الحسين وترجم ذلك عملاً بإظهار الولاء له، ومن أظهر المظاهر الولاء أن تحضر المجالس التي يحبها الحسين وآل الحسين عليه السلام.

يقول الإمام الصادق عليه السلام للفضيل: «تَجْلِسُونَ وَتَتَحَدَّثُونَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: إِنَّ تِلْكَ الْمَجَالِسَ أُحِبُّهَا فَأَحْبِبُوا أَمْرَنَا، فَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَنَا»^(١).

وروي: «أَنَّهُ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ بِقَتْلِ وَلَدِهَا الْحُسَيْنِ، وَمَا يَجْرِي عَلَيْهِ مِنَ الْمَحَنِ بَكَتْ فَاطِمَةُ بُكَاءً شَدِيداً وَقَالَتْ: يَا أَبَهْ، مَتَى يَكُونُ ذَلِكَ، قَالَ: فِي زَمَانٍ خَالٍ مِنِّي وَمِنْكَ وَمِنْ عَلِيٍّ، فَاشْتَدَّ بُكَاءُهَا وَقَالَتْ: يَا أَبَهْ، فَمَنْ يَبْكِي عَلَيْهِ؟ وَمَنْ يَلْتَزِمُ بِإِقَامَةِ الْعَزَاءِ لَهُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ: يَا فَاطِمَةُ، إِنَّ نِسَاءَ أُمَّتِي يَبْكُونَ عَلَى نِسَاءِ أَهْلِ بَيْتِي، وَرِجَالُهُمْ يَبْكُونَ عَلَى رِجَالِ أَهْلِ بَيْتِي، وَيُجَدِّدُونَ الْعَزَاءَ جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ، فِي كُلِّ سَنَةٍ، فَإِذَا كَانَ الْقِيَامَةُ تَشْفَعِينَ أَنْتِ لِلنِّسَاءِ، وَأَنَا أَشْفَعُ لِلرِّجَالِ، وَكُلُّ مَنْ بَكَى مِنْهُمْ عَلَى مُصَابِ الْحُسَيْنِ أَخَذْنَا بِيَدِهِ وَأَدْخَلْنَاهُ الْجَنَّةَ»^(٢).

(١) وسائل الشيعة: ١٤: ٥٠١، الباب ٦٦ من أبواب المزار، الحديث ٢.

(٢) بحار الأنوار: ٤٤: ٢٩٢ و ٢٩٣، الحديث ٣٧.

الفصل الحادي عشر

مهدويّات

دفع شبهات عن العقيدة المهدوية

السؤال:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سماحة الشيخ الفاضل كيف نردّ على هذه الشبهة: عقيدة المهدي لدى الشيعة انحراف عقائدي خطير، وهو على حدّ الكفر والشرك.

وبيان ذلك:

أنّ الاعتقاد بأنّ المهدي المنتظر هو المخلص الوحيد هو يأس من رحمة الله في زمن الغيبة، فالشيعة يعتقدون أنّ الله لن يفرّج عنهم ما دام المهدي المنتظر غائباً، فهم طوال هذه المدة (الغيبة) يائسون من الفرج، ويستمرّ اليأس حتّى الخروج المرتقب، ونحن نعلم أنّ اليأس من روح الله تعالى - أي رحمته وفرجه - من كبائر الذنوب، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١)، ولكنّ الشيعة وقعوا في المحذور، ولذلك تراهم لا يعملون على إصلاح أوضاعهم الدينيّة والدينيّة انتظاراً للغائب الذي سيخرج لينقذهم ويخلصهم، وهذا خلاف ما أمرهم الله به من السعي والعمل والتوكّل عليه لا على غيره (المهدي). قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٢).

وأما أنّ الاعتقاد بالمهديّ المنتظر شرك بالله؛ فلاّ الشيعة ينتظرون الفرج من

(١) يوسف ١٢: ٨٧.

(٢) الرعد ١٣: ١١.

المهدي لا من الله سبحانه ، والفرج سيكون بعد الخروج وليس قبله ، فهم متوجهون إلى المهدي لا إلى الله ، وقد جعلوا أملهم في المهدي لا في الله ؛ لأنهم لو كانوا ينتظرون الفرج من الله فإن الله أمر بالسعي والعمل وهو قادرٌ على التفريج عن الناس في أي وقت ، وبعدة طرق ، وقد يفرج عنهم من حيث لا يحتسبون ، ولكنهم حصروا الفرج في طريق واحد وهو (المهدي) ، وهذا تضيقٌ لسعة رحمة الله ؛ لأن الواجب على الناس أن يبدؤوا العمل في إصلاح أحوالهم ، سائلين الفرج من الله لا من (المهدي) ، والله سوف يفرج عنهم بما يراه مناسباً ، أي قد يفرج عنهم بشخص منهم ، أو بعدة أشخاص ، أو بغير ذلك ، ولكنك تراهم تركوا السعي اتكالا على المصلح المغيب .

إن الاعتقاد بالمهدي صير الشيعة أتكاليين سلبيين دائبي التوجه للمهدي المنتظر لأنهم يعتقدون ألا خلاص إلا على يديه ، وهذا هو الشرك بالله سبحانه وتعالى . وقد عطل الشيعة عقولهم وأسلموها للآباء والأجداد حين اعتقدوا بالحجة الغائب ؛ إذ كيف تكون الحجة غائبة ، ومن أهم شروطها أن تكون واضحة بيّنة لجميع الناس ، وغياها يسقطها عن الاعتبار ، وهم يعتقدون بالغائب في الوقت الذي يروون عن أئمتهم عليهم السلام أن الحجة لا تقوم لله إلا بإمام حيٍّ يُعرف ... ومن مات وليس عليه إمامٌ حيٌّ ظاهر مات ميتة جاهلية .

الجواب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ،

والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين

هذا الكلام الذي نقلته أخي السائل يشتمل على شبهات أربع يطرحها المخالف :

الشبهة الأولى

هي أنَّ عقيدة الإمام المهديّ عليه السلام تشتمل على اليأس من روح الله تعالى ؛ لأنَّ الشيعة يعتقدون أنَّ الفرج لن يكون إلَّا بعد ظهوره ، وقبل الظهور لا فرج ، واليأس من روح الله لا يكون إلَّا من الكافر ، قال تعالى : ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّكَ مِنَ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ .

ونتيجة لهذا اليأس ترى الشيعة لا يعملون على إصلاح أوضاعهم الدينيَّة والدنيويَّة انتظاراً للغائب الذي سيخرج لينقذهم ويخلصهم ، وهذا خلاف ما أمرهم الله به من السعي والعمل والتوكُّل عليه لا على غيره (المهدي) . قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ .
وفي مقام الجواب على هذه الشبهة نذكر تعليقيين :

التعليق الأول

لم يتفرّد الشيعة بالقول بخروج المهديّ عليه السلام في آخر الزمان ليملاً الأرض عدلاً ، فالذين يعتبرون أنفسهم أهل السنَّة يقولون بذلك أيضاً ، فإذا كانت العقيدة المهدويَّة تستبطن اليأس من روح الله ، وتستلزم الكفر ، فالإشكال وارد على المخالفين أيضاً ، وهم معنيون بالجواب كالشيعة (أعزَّهم الله ، وأظهر برهانهم) .

وإليك بعض من صرَّح بثبوت خروج المهديّ عليه السلام في آخر الزمان :

١ - عبد العزيز بن باز ، قال : « إنَّ الحقَّ والصواب هو ما أبداه فضيلته في هذه المحاضرة ، كما بيَّنه أهل العلم ، فأمر المهديّ أمر معلوم ، والأحاديث فيه مستفيضة ، بل متواترة متعاضدة ، وقد حكى غير واحد من أهل العلم تواترها ، كما حكاها الأستاذ في هذه المحاضرة ، وهي متواترة تواتراً معنوياً لكثرة طرقها ،

واختلاف مخارجها وصحابتها ورواتها وألفاظها، فهي بحق تدل على أن هذا الشخص الموعود به أمره ثابت، وخروجه حق، وهو (محمد بن عبد الله العلوي الحسيني) من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وهذا الإمام من رحمة الله عز وجل للأمم في آخر الزمان، يخرج فيقيم العدل والحق، ويمنع الظلم والجور، وينشر الله به لواء الخير على الأمة عدلاً وهدايةً وتوفيقاً وإرشاداً للناس...

أما المتواتر فكله مقبول، سواء كان تواتره لفظياً أو معنوياً، فأحاديث المهدي من هذا الباب متواترة تواتراً معنوياً، فتقبل بتواترها من جهة اختلاف ألفاظها ومعانيها وكثرة طرقها وتعدد مخارجها، ونص أهل العلم الموثوق بهم على ثبوتها وتواترها.

وقد رأينا أهل العلم أثبتوا أشياء كثيرة بأقل من ذلك، والحق أن جمهور أهل العلم - بل هو اتفاق منهم - على ثبوت أمر المهدي، وأنه حق، وأنه سيخرج في آخر الزمان»^(١).

٢ - الألباني حول المهدي قال في **مجلة التمدن الإسلامي** (العدد ٢٢ : ٦٤٢ - ٦٤٦): «إن عقيدة خروج المهدي عقيدة ثابتة متواترة عنه يجب الإيمان بها لأنها من أمور الغيب، والإيمان بها من صفات المتقين»^(٢).

فانظروا يا أخي السائل والقارئ إلى جهل صاحب الشبهة إلى أين قاده، فهو يريد أن يكفر الشيعة وينسب إليهم اليأس من روح الله الموجب للكفر، فكفر أتباع مذهبه وهو لا يشعر! وأخرج نفسه من الانصاف بصفة المتقين - بحسب تعبير الألباني - وهي الإيمان بالغيب الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم، ومنه خروج المهدي عليه السلام لإقامة دولة العدل.

<http://www.binbaz.org.sa/mat/2228>

(١)

<http://www.dd-sunnah.net/forum/showthread.php?t=25059>

(٢)

التعليق الثاني

هو أنَّ اليأس من روح الله عبارة عن انعدام رجاء الفرج والسعة من الله تعالى مطلقاً، قال صالح آل الشيخ في (شرح الطحاوية): «اليأس يكون كُفْراً إذا انعدم الرجاء... من لم يكن معه رجاء في الله عزَّ وجلَّ أصلاً فقد يئس من روح الله، فهو كافر...».

وذلك لا يكون إلا مع إثبات العجز عن الله تعالى، أو سوء الظنَّ به، وأما مع إثبات قدرة الله، وأنه تعالى كريم جواد غفور رحيم، فلا معنى لليأس وانعدام رجاء الفرج عند الشدة، كما لا معنى للقنوط من التوبة، والمغفرة عند ارتكاب المعصية.

وليس من اليأس أن يعتقد الإنسان بأنَّ الله تعالى قادر مطلق، وعليم حكيم، علق بعض مراتب الفرج على مقتضيات وشروط لا تتحقق إلا في المستقبل، فيكون المؤمن متأملاً لحصول تلك المقتضيات والشروط، ومرتقياً لها، وإلا للزم أن يكون نبي الله يوسف عليه السلام وأتباعه المؤمنون به في السنين الشداد السبع من اليائسين من روح الله؛ لأنَّ الله أخبرهم بأن الغوث لن يأت إلا في المستقبل، وبعد سبع سنين شداد: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ﴾ (١).

كما يلزم أن يكون البحار والصيد المنتظر للريح وموسم السمك، والمزارع المنتظر لموسم المطر، والأب المنتظر لبلوغ ولده حتَّى يزوجه ويرى ذريته... يائسين من رحمة الله؛ لأنه لا رجاء لهم متعلق بما يحتمل وقوعه في الآن للعلم بأنَّ المرجو يتوقف على أسباب مستقبلية!!!

(١) يوسف ١٢: ٤٧-٤٩.

إنَّ الشيعة في العقيدة المهدويّة تعتقد بأنَّ الله السلطان المطلق ، وهو قادر على كلِّ شيء ، وتعتقد أنَّه لحكمته أناط الفرج من الشدَّة بمقتضيات وشروط ، وبعض مراتب الفرج شروطها قد تتحقَّق الآن ، كدفع ظلم الإرهابيين عن العراق ، والشيعة يرجون من الله أن يحقِّق أسباب النصر ودحر الإرهابيين الآن عاجلاً لا آجلاً .

كما أنَّ بعض مراتب الفرج شروطها مستقبلية ، وتحتاج إلى وقت كيوم أو أسبوع أو شهر أو أقلَّ أو أكثر ، ومنه تحقيق دولة العدل العالميَّة ، وهم الآن يأملون من الله أن يعجِّل تحقيق تلك الأسباب ، ويمكنهم من المساهمة في تحقيق تلك الدولة ، والعيش فيها في ظرفها المستقبلي ، وهذا عين الرجاء والتوكُّل والوثوق بالله والانقطاع إليه ، ولكنَّ المستشكل - هداة الله - لقلة معرفته تصوِّر أن النهار ليلاً ، والشمس عتمة سوداء ، فوصف الضدَّ أو مقتضيه بالضدَّ أو بمقتضيه ، والله المستعان على أمثاله .

الشبهة الثانية

إنَّ العقيدة المهدويّة تستبطن الشرك ؛ لأنَّ فيها طلب الفرج وانتظاره من الإمام المهديِّ ﷺ وليس من الله .

إنَّ الاعتقاد بالمهديِّ صير الشيعة اتِّكاليين سَلبيين دائبي التوجُّه للمهدي المنتظر ؛ لأنَّهم يعتقدون ألاَّ خلاص إلاَّ على يديه ، وهذا هو الشرك بالله سبحانه وتعالى .

وفي مقام الجواب نعلِّق بثلاثة تعليقات :

التعليق الأوَّل

هو أنَّ المستشكل لا يعرف حقيقة الشرك بالله لهذا خبط خبط عشواء ، كما هو

حال كثير من الذين تنتهي مدّة دراستهم بأربع سنوات أو خمس يمرّون فيها على ملخصات في كرسات لا يخلو منها سطر من تكرار كلمة شرك ومشرك !!!

والسبب وراء جهله بالشرك هو جهل بالتوحيد ، وباختصار أقول : التوحيد هو أن يعتقد الإنسان بأنّه لا غني في ذاته ، وفي صفاته ، وفي الفعل والتأثير ، إلّا الله ، وأنّ غيره مفتقر إليه في الذات والصفات والفعل والتأثير .

وليس معنى التوحيد أن يعتقد بأنّه إلّا مؤثّر وفاعل إلّا الله ، وأنّ غير الله مجرّد ظرف يحدث الله فيه الفعل كما يحدث اللون والطول فيه ، وإلّا يلزم أن لا يكون هنالك موحد إلّا المجبرة ، وأن يكون القرآن داعياً إلى الشرك ؛ لأنّه نسب أفعلاً إلى غير الله فقال : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(١) ، ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ﴾^(٢) ، ﴿فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا * فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾^(٣) .

فنسبة تحقيق الدولة العادلة إلى الإمام المهديّ عليه السلام ، وأنّه يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، ليس من الشرك في شيء . كيف وهو مفاد الروايات الصحيحة عند الفريقين ؟ وقد قال ابن باز : « يخرج فيقيم العدل والحق ، ويمنع الظلم والجور ، وينشر الله به لواء الخير على الأمة عدلاً وهدايةً وتوفيقاً وإرشاداً للناس » .

نعم ، لو كان بن باز والشيعة يثبتون قيام الإمام المهديّ عليه السلام بذلك على نحو الاستقلال عن الله ، وبدون الاستعانة بقدرته وقوّته ، يلزم الشرك ، والشيعة (أعزّهم الله) لا يقولون بالاستقلال . كيف ودعائهم في كلّ يوم هو : « اللَّهُمَّ كُنْ لَوْلِيكَ الْحُجَّةُ ابْنُ الْحَسَنِ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آبائِهِ ، فِي هَذِهِ السَّاعَةِ ، وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ ، وَلِيّاً

(١) البقرة ٢ : ٢٥ ، آل عمران ٣ : ٥٧ . النساء ٤ : ١٧٣

(٢) المائدة ٥ : ٣٠ .

(٣) العاديات ١٠٠ : ٤ و ٥ .

وَحَافِظًا، وَقَائِدًا وَنَاصِرًا، وَدَلِيلًا وَعَيْنًا، حَتَّى تُسْكِنَهُ أَرْضَكَ طَوْعًا، وَتُمَتِّعَهُ فِيهَا طَوِيلًا، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ».

التعليق الثاني

لا منافاة بين طلب الفرج من الله وتوحيده وبين طلبه من الإمام المهدي عليه السلام إذا كان الطالب يرى أن الإمام المهدي عليه السلام سبباً من الأسباب التي تؤثر بقدرة الله وتمكينه، وإلا يلزم أن يكون كل من طلب شيئاً من مخلوق مشركاً، فمن يطلب من ولده أن يأتيه بماء مشرك، ومن يطلب من الغني أن يعطيه نقوداً مشرك، وفي هذا نسبة الشرك إلى الأنبياء لأنهم طلبوا من المخلوقين بعض الأمور، ويكفيك ما في البخاري من قول أبي هريرة «... فقال الرسول فاقعد فاشرب.. قال أبو هريرة: فقعدت فشربت، فقال: اشرب فشربت، فما زال النبي يقول لي: اشرب فاشرب حتى قلت: والذي بعثك بالحق، ما أجد له مساعاً (مكاناً) فقال النبي: ناولني القدح، فأخذ النبي القدح فشرب من الفضلة...»^(١).

فهل طلب رسول الله ﷺ من أبي هريرة أن يناوله القدح شرك، وكان عليه أن يطلب ذلك من الله؛ لأن الله هو المعطي والمناول، ومنه كل تأثير وليس أبو هريرة!!

التعليق الثالث

هو أن واقع الشيعة يكذب كلام المستشكل، فالشيعة من زمان الغيبة يعملون على نشر العدل، وإصلاح الواقع، وتأسيس دول إسلامية تطبق شرع الله، وقد حكموا في عدة بقاع، ولا يزالون يحكمون إلى يوم الناس هذا، ويعملون على دفع الغزاة، ومحاربة الفساد والظلم، فمن العجيب المثير للضحك قول المستشكل:

(١) مسند أحمد بن حنبل: ٢: ٥١٥.

(إنّ الاعتقاد بالمهديّ صير الشيعة أتكالين ، سلبين ، دائبي التوجّه للمهديّ المنتظر ؛ لأنّهم يعتقدون ألاّ خلاص إلّا على يديه ، وهذا هو الشرك بالله سبحانه وتعالى)!! فإن كان لم يقرأ التاريخ المنصرم فهل هو أعمى لا يبصر التاريخ المعاصر ، ولا يرى محوريّة التشيع في أحداث اليوم!!!

لقد غاب عن المستشكل أنّ الشيعة يعتقدون بأنّ الفرج المطلق ، والعدل الشامل ، متوقّف على خروج الإمام عليّ عليه السلام ، ولهذا ينتظرون الخروج ويعدّون أنفسهم له ، وأمّا باقي مراتب الفرج والعدل ، فيمكن أن تتحقّق قبل الظهور ، ولهذا يعملون من أجل تحقيقها في كلّ مكان يعيشون فيه ، ويوجد فيه شدة وظلم متى ما تمكّنوا من التغيير .

الشبهة الثالثة

أنّ العقيدة المهدويّة فيها تضيق لرحمة الله تعالى ؛ لأنّ فيها حصر الفرج بخروج الإمام المهديّ عليه السلام .

أقول : اتّضح ممّا سبق جواب هذه الشبهة :

أولاً : العقيدة المهدويّة ثابتة عند المخالفين ، فلو كان فيها تضيق لرحمة الله ، فالتضيق يلزم عقيدة الشيعة وعقيدة المخالفين ، فعلى المخالفين أن يجيبوا عن هذه الشبهة أيضاً .

وثانياً : المحصور بخروج الإمام عليّ عليه السلام تحقيق دولة العدل العالميّة الشاملة لجميع بقاع الأرض ، وليس كلّ فرج ورحمة وفضل ، فلا يلزم حصر رحمة الله بالخروج كما توهم المستشكل .

وثالثاً : لا يوجد قبح في القول بأنّ الله تعالى يعلّق بعض مراتب فضله من الفرج والتوسعة على العباد على أمر مستقبليّ ، فإنّه لا يجب على الله أن يتفضّل على

العباد؛ إذ لا يملك أحد عليه تعالى الفضل والتوسعة والفرج، فله تعالى أن لا يحقق دولة العدل من رأس كما له إذا أراد أن يتفضل ويحققها أن يحققها في الآن أو الاستقبال، وذلك تابع لحكمته تعالى.

ولو كان في إناطة الفضل بأمر مستقبلي تضيق لرحمة الله تعالى بنحو قبيح، لكان في تأخير إغاثة أهل مصر سبع سنوات من قبل الله تضيق قبيح لرحمته، ولو جب على الله أن يعجل رزق كل مرزوق، وشفاء كل مريض، وفرج كل مكروب، وإلا تكون رحمته ضيقة بنحو قبيح!

الشبهة الرابعة

الحجة لا تكون إلا ظاهرة، والعقيدة المهدوية تستبطن الاعتقاد بالحجة الغائبة، وقد استدلل المستشكل ببعض الروايات التي تدل على أن الإمام لا بد وأن يكون ظاهراً، وهي:

١ - قال الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ عَلَيْهِ إِمَامٌ حَيٌّ ظَاهِرٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً». قَالَ: قُلْتُ: إِمَامٌ حَيٌّ، جُعِلْتُ فِدَاكَ؟ قَالَ: إِمَامٌ حَيٌّ، إِمَامٌ حَيٌّ»^(١).

٢ - عن يعقوب السراج، قال: «قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام تَبْقَى الْأَرْضُ بِلَا عَالِمٍ حَيٍّ ظَاهِرٍ يَفْرَعُ إِلَيْهِ النَّاسُ فِي حَالَهِمْ وَحَرَامِهِمْ، فَقَالَ لِي: إِذَا لَا يُعْبَدُ اللَّهُ يَا أَبَا يُوسُفَ»^(٢).

أقول: التعليق على هذه الشبهة بالنحو المناسب يحتاج بسط كلام، ولكن بسبب عدم التفريغ التام أكتفي بما يلي على أن يكون لي إن شاء الله عودة أقف فيها تفصيلاً

(١) بحار الأنوار: ٢٣: ٩٢، الحديث ٣٨. مستدرك الوسائل: ١٨: ١٧٧. الاختصاص: ٢٦٩.

(٢) بصائر الدرجات: ٤٨٧. علل الشرائع: ١: ١٩٥. دلائل الإمامة: ٢٢٩.

على ما تندفع به :

ليس المقصود بضرورة وجود الحجّة أن يكون هنالك إمام ظاهر، بمعنى يرى شخصه في كلّ زمان يمكن أن يصل إليه الناس في كلّ وقت من أوقات إمامته، فهذا ما لم تعتقد به الشيعة في يوم من الأيام، كما لم يجعله الله لجميع الأمم؛ إذ مرّت أزمان غاب بعض الأنبياء فيها عن أممهم -ولو في سفر، أو سجن، أو حال خلوتهم بخالقهم في المعبد، أو بطن الحوت من أجل المناجاة والعبادة، أو شيء آخر- وإنّما المقصود بضرورة وجود إمام معصوم يحفظ الدين مباشرة أو بواسطة، ويكون دليل معرفته ميسوراً في تناول الأيدي، أي معروفاً بالقوّة قابل للمعرفة بالفعل فيما إذا طلبت معرفته.

والروايات التي وردت في ضرورة وجود إمام في كلّ زمان لا تدلّ على خلاف ذلك؛ وذلك لأنّها على طوائف:

الطائفة الأولى: الروايات المطلقة التي تدلّ على ضرورة وجود إمام في كلّ زمان منها:

ما ورد عن المحاسن:

« مَنْ مَاتَ لَيْسَ لَهُ إِمَامٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً »^(١).

« مَنْ مَاتَ بِغَيْرِ إِمَامٍ جَمَاعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً »^(٢).

وفي مسند أحمد: « مَنْ مَاتَ بِغَيْرِ إِمَامٍ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً »^(٣).

وفي المستدرک على الصحيحين ومجمع الزوائد: « من مات وليس عليه إمام

(١) المحاسن: ١: ١٥٤، الحديث ٨٠.

(٢) المحاسن: ١: ١٥٥، الحديث ٨٢.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ٤: ٩٦.

فإنَّ موته مَوْتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ»^(١).

وفي صحيح مسلم: «مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةُ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»^(٢).

ففي هذه الروايات لا يوجد التقييد بإمام ظاهر وهي متواترة.

الطائفة الثانية: ما فيها التقييد بإمام ظاهر، وهي ما تمسك بها المستشكل.

الطائفة الثالثة: ما تدلّ بالتصريح على أنه لا بدّ من وجود إمام في كلّ زمان ولو كان مغموراً غير ظاهر، وهي متعدّدة، منها:

١ - «لَا يَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ بِحُجَّةِ اللَّهِ، إِمَامًا ظَاهِرٍ مَشْهُورٍ، وَإِمَامًا خَائِفٍ مَغْمُورٍ، لِنَلَا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ»^(٣)

٢ - رسائل المفيد: وقال: «هذا الخبر الذي روته العامة والخاصّة، وهو خبر كميل بن زياد. وفيه... ياكميل بن زياد، لا بدّ لله من حجة، إِمَامًا ظَاهِرٍ مَشْهُورٍ شَخْصَهُ، وَإِمَامًا بَاطِنٍ مَغْمُورٍ، لِكَيْلَا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ»^(٤).

الطائفة الرابعة: ما دلّ على ضرورة وجود إمام في كلّ زمان معروف من دون التقييد بالظهور. منها:

ما ورد في الاختصاص: عن أبي عبد الله عليه السلام: «إِنَّ الْحُجَّةَ لَا يَقُومُ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا بِإِمَامٍ حَيٍّ يُعْرَفُ»^(٥).

وفي قرب الإسناد: عن أبي جعفر عليه السلام: «إِنَّ الْحُجَّةَ لَا تَقُومُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى خَلْقِهِ

(١) المستدرک علی الصحیحین: ١: ١١٧. مجمع الزوائد: ٥: ١٨.

(٢) صحيح مسلم: ٣: ١٤٧٨.

(٣) بحار الأنوار: ٢٣: ٢٠، الحديث ١٦.

(٤) رسائل في الغيبة: ٢: ١٢.

(٥) الاختصاص: ٢٦٨.

إِلَّا بِإِمَامٍ حَيٍّ يَعْرِفُونَهُ»^(١).

وفي بصائر الدرجات : عن الرضا عليه السلام : « إِنَّ الْحُجَّةَ لَا تَقُومُ لِلَّهِ عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا بِإِمَامٍ حَتَّى يَعْرِفَ »^(٢).

وحيث يوجد تنافي بين الطائفة الثانية والثالثة فلا يمكن الأخذ بالثانية والقول بضرورة أن يكون الإمام ظاهراً بشخصه ، وعليه إما أن نقول بالتعارض فالتساقط ، ونرجع إلى المطلقات ، أو نقول بأن اشتراط كون الحجة ظاهرة بنفسها من المعارف التي لا تثبت إلاً بدليل قطعي ، والروايات التي تمسك بها المستشكل ظنيّة ، والظنّ ليس حجة في المعارف ، فهي ساقطة عن الحجّة ، فلا تعارض أصلاً ، أو هي ساقطة لمخالفتها ضرورة المذهب ، أو يجمع بينهما بنحو لا ينافي ما عليه المذهب ، وفي الجمع عدّة احتمالات منها:

الاحتمال الأول: أن نقول: الطائفة التي تشترط الظهور مطلقة بلحاظ كلّ زمن ، والطائفة الثالثة مفصلة ، فتكون قرينة لأنها أخصّ وأصرح .

الاحتمال الثاني: أنّ (ظاهر) يحتمل فيها أن يراد معروف بقرينة الطائفة الرابعة ، فيكون المقصود البيان والذيع ، وهذا لا ينافي الغيبة والاستتار الشخصي .

والحمد لله ربّ العالمين

(١) قرب الإسناد : ٣٥٢ .

(٢) بصائر الدرجات : ٤٨٦ ، الحديث ١٣ .

حوار حول العقيدة المهدوية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ،

والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين

لا سيّما وليّ الله الأعظم ، حجّة الله الناطقة في هذا الزمان عليه السلام .

في أيّام النصف من شعبان - وهي أيّام ولادة الإمام الحجّة بن الحسن عليه السلام سأل مخالف أحد الإخوة من المؤمنين سؤالاً ، فأرسله هذا المؤمن الموفق إلّايّ وأجبتّه ، ثمّ أرسل جوابي إلى المخالف ، فعاد بتعليق منه ، فعلّقت على تعليقه ، واستمرّ الحوار حتّى أسفر عن مناظرة نافعة أحببت أن يطّلع عليها الإخوة المؤمنون (حفظهم الله ، ودفع عنهم كلّ سوء) ، فطلبت من المؤمن الوسيط أن يقوم بجمع الحوار وترتيبه ، فتفصّل بذلك وأرسله إلّايّ بالنحو التالي مصدّراً كلامه بقوله :

نصرنا الله على هذا المخالف ضعيف الحجّة والبرهان ، وصاحب لغة الحوار الركيكة . فأحببنا أن ننشره نصرة للإمام الحجّة عليه السلام وجعلنا من أنصاره ...

● ما سرّ اختفاء المهديّ وعدم ظهوره ؟

الجواب : إنّ هذا فعل لا يعلم وجهه إلّا من فعله ، وهو الإمام عليه السلام أو المعلّم من الله ، ونحن لسنا مكلفين بطلب معرفة وجه هذا الفعل الذي صدر من معصوم عليه السلام الذي لا يخالف أمر الله تعالى ، فالله كان قادراً على أن يعطي نبيّه موسى عليه السلام الألواح وهو في قومه ، فلماذا وعده ثلاثين ليلة وأتمّها بعشر ، وغيبه عن قومه ؟
ونحن لسنا مكلفين بمعرفة ذلك ، والعبد شأنه الخضوع والرضا بحكم المولى

الحكيم ، والذي قام البرهان على أنّه لا يفعل إلّا لمصلحة .

● هل هناك سبب ذكره المعصومين (هكذا) أم لا ؟

الجواب: توجد روايات آحاد تبين سبب غيبته في ذلك الزمان ، وتبين سبب استمرار غيبته ، ولكنها آحاد ليست حجة في المعارف عند جملة من العلماء .
ولا ضير في أن لا يبين المعصوم بعض الأمور ، فهل بين الله تعالى لماذا خلق الدجال كما يعتقد العامة من زمان النبي ، وأطال عمره وغيبه إلى الآن ؟

● شرقت وغربت ، ذهبت لموسى عليه السلام ووصلت للدجال الآن !!

دعنا منها وليكن النقاش في المهديّ .. تكلم بعلم أو اسكت بحلم ، بارك الله فيك .. والجواب واضح أنّه ليس لديك جواب من المعصوم !!

الجواب: كما أنّه لا جواب عندك عن المعصوم فيما طرحت عليك !!
تغيب نبي الله موسى عليه السلام ، خلق الدجال من زمن النبي صلى الله عليه وآله ، وغيبته وإطالة عمره .

● عموماً أنا سأفدك ببعض المعلومات ، وسأكون أكرم منك .. سأتي لك بكلام معصوم وليس من (كيسي) وننتظر منكم التعليق ..
في الكافي: الإمام - وأظنه جعفر الصادق - يقول: أن للمهدي غيبة قبل ظهوره ، وأن السبب أنّه يخاف ، وأوماً بيده إلى بطنه ، يقول زرارة - وكان حاضراً - : يعني يخاف القتل ..

وكذلك الطوسي في كتاب الغيبة يقول : « علّة تمنع من ظهور المهدي إلّا خوفه على نفسه من القتل !! » .

الجواب: انتظرك إلى سنة تأتي بسبب خلق الدجال وغيبته وخلقه أعور ؟ !
وأما روايتك هذه فهي ضعيفة سنداً ؛ لأنّها خبر واحد في غير الفقه ، وقد ادّعى

المرتضى الإجماع على عدم حجّيته ، بل حتّى لو قلنا بحجّية خبر الواحد ، فهي ضعيفة من جهة أحمد بن هلال ، وخالد بن نجيح لم تثبت وثاقته .

● وكلام الطوسي ؟

الجواب : ليس بحجّة ، المدار مدار المعصوم .

● ومن ضعف أحمد بن هلال ؟

وحسب كلامك يجب عليّ أن أقبل إلا بتضعيف المعصوم له ، فغيره ليس بحجّة . وسأختصر لك السنّة في لحظة بخصوص الدّجال .. الدّجال ليس من أعظم أصول الدين (كمهديكم وغيبته المزعومة) !!

الجواب : ضعفه جملة من الأعلام ، وللسيد الخوئي بحث موسّع فيه في المعجم نقل صدور لعن الإمام الحجّة له وتكذيبه ؟ فراجع ..

ثم إنّ هنالك فرق بين قبول كلام العالم في المسائل الاجتهادية وبين قبول شهادته الحسينيّة ، ونقله لشهادة العلماء في مقام الجرح والتعديل ، فلا ينبغي الخلط ، وإلاّ على علماء السنّة قفل باب الجرح والتعديل ؟

والظاهر وقعت في اشتباه ، فما هو من أصول الدين عندنا نفس عقيدة الإمام المهديّ عليه السلام ، وأنّه الحجّة ابن الحسن عليه السلام ، أمّا غيبته ووجه غيبته فليست من العقائد ، فضلاً عن أن تكون من أصول ديننا ، وأتحدّك أن تأتي بعالم واحد يقول : إنّ وجه غيبته من أصول الدين ..

فمسألة وجه الغيبة عندنا كمسألة الدّجال عندكم !!

● تذكرت شيء مهمّ بخصوص الدّجال .. أنا أعتقد أنّه غير موجود الآن ، وهذا رأي شيخنا ابن عثيمين ، .. ولنرجع للمهديّ .. وأمّا بالنسبة لمن ضعفوه فهؤلاء ليسوا بحجّة ، وكلامهم مردود كما رددت كلام الطوسي !!

وأنا الآن محتار بأيّ كلام آخذ؟! كلام الطوسيّ ومعروف من هو الطوسيّ عندكم؟ أم كلامك أنت؟! وأظنني أدباً سأقدّم كلام الطوسيّ عليك؛ لأنّ كلامك أنت من (كيسك)، فلا حاجة لي به.. وكلامه موافق لرواية عن المعصوم في الكافي.. فأَيّ الكلام أحقّ وأوّل؟

الجواب: قال ابن حجر في فتح الباري: ...، وقال القرطبيّ في (التذكرة): «اختلف في تسميته دَجَّالاً على عشرة أقوال، وممّا يحتاج إليه في أمر الدجّال أصله، وهل هو ابن صياد أو غيره؟ وعلى الثاني، فهل كان موجوداً في عهد رسول الله أو لا؟ ومتى يخرج؟ وما سبب خروجه؟ ومن أين يخرج؟ وما صفته؟ وما الذي يدّعيه؟ وما الذي يظهر عند خروجه من الخوارق حتّى تكثّر أتباعه؟ ومتى يهلك؟ ومن يقتله؟

فأمّا الأول، فيأتي بيانه في كتاب (الاعتصام) في شرح حديث جابر أنّه كان يحلف أنّ ابن صياد هو الدجّال.

وأما الثاني، فمقتضى حديث فاطمة بنت قيس في قصّة تميم الداريّ الذي أخرجه مسلم أنّه كان موجوداً في العهد النبويّ، وأنّه محبوس في بعض الجزائر، وسيأتي بيان ذلك عند شرح حديث جابر أيضاً.

http://library.islamweb.net/newlibrary/display_book

http://library.islamweb.net/newlibrary/display_book.php?idfrom=13028&idto=13047&bk_no=52&ID=3925

فهل نصدّك ونصدّق ابن عثيمين، ونكذّب جابر ومسلم صاحب الصحيح والقرطبيّ فنقول: هو غير موجود، أو نكذّبك ونكذب ابن عثيمين ونصدّقهم!!

ثمّ أنّك تناقشني لا تناقش الطوسيّ ﷺ فإذا كان عندك إشكال عليّ فقله، وأمّا إذا كان عندك إشكال على الشيخ الطوسيّ، فانتظر حتّى تلقاه وتطرّحه عليه، وفي

نظري روايتك هذه ضعيفة ، وأثبت لك وجه الضعف .

● دعك من الدجال ، وليكن النقاش في المهدي . ملاحظة : يقال : إن فتح موضوع آخر دليل على العجز أو الهروب ، وأنت إن شاء الله محشوم عن هذا وهذا . . . وهل تظن ابن عثيمين يتكلم مثلك من (كيسه) ألا سامحك الله !!!

ومن أنت في المذهب الشيعي حتى أقبل كلامك ؟!

الجواب : وهل ابن عثيمين معصوم لا يشتهه ؟ ؟

أم هو أعلم من مسلم صاحب الصحيح ، ومن جابر !! الظاهر أن الدجال خلط أوراقك !

وأرى أنك تعتقد بأمور لا تستطيع أن تبين وجهها .

● ليس بمعصوم ، ويشتهه أيضاً ، وليس أعلم منهما . . . خللك من الدجال ، وخلصنا في المهدي بس . . وجدت الدجال حجة للهروب !!

الجواب : إذا كنت تحاورني بلغة من أنت ونحن في البداية أعتقد أنك بعد قليل ستسبني وينتهي الحوار بالشتم والسب .

قلت لك من البداية وأنت لا تريد أن تفهم : لا يوجد دليل معتبر يبين الوجه كما في الدجال عندكم - عفواً - عند مسلم صاحب الصحيح وجابر وابن حجر والقرطبي .

أرجو من الله لنا ولكم الهداية ..

● والله الذي لا إله إلا هو (أعلم) . . ليس لديك جواب . .

والسب والشتم واللعن معروف أهله . . ما شاء الله لا محاضرة ولا شيء إلا بتلك

الأركان !!!

ولن أناقشك في الدجال حتى ننتهي من المهدي !!

وعند هذه النقطة انتهى الحوار حيث تم إثبات أمور كثيرة عند المخالفين لم يخبر عنها المعصوم ، ولا يملكون فيها جواباً عن الله تعالى ، فلو كان عدم وجوب بيان قطعي لسبب غيبة الإمام المهدي عليه السلام دليلاً على بطلان مذهب أهل البيت عليه السلام فالأدلة على بطلان مذهب سنة الخلفاء التي هي من هذا القبيل كثيرة جداً .

الهوامش :

١ - قال السيد الخوئي رحمه الله : « وعلى الجملة : لا ينبغي الريب في انحراف الرجل عن الحق وفساد عقيدته بعد أن كان مستقيماً في أول أمره ، بل كان من أعيان هذه الطائفة ووجوهها وثقاتها ، وقد وردت فيه ذموم شديدة ، ومطاعن أكيدة عن العسكري عليه السلام ، كما ذكره النجاشي ، وعن الناحية المقدسة كما عن الكشي تتضمن اللعن عليه ، والتبري منه ، بل خروجه عن الدين ، حتى قطع الله عمره بدعوة الحجة عليه السلام » (١) .

ثم لا يخفى أن وثاقة أحمد لا تنفع بعد إثبات ضعف الرواية من جهات أخرى .
٢ - فإن قول العالم المستند إلى الحدس ليس حجة إلا في الفقه ، وحجته خاصة بغير المتمكن من تحصيل العلم لفقد القدرة على الاستنباط ، وأما إخبار الثقات في الأمور الحسنية فهو حجة لقيام الأدلة على لزوم تصديق الثقة ، ولهذا العامة فتحوا باب سوق الجرح والتعديل ، ففي الوقت الذي قد لا يقبل علماءهم رأياً فقهياً لعالم ما تراهم يقبلون طعنه في مفردة من الرواة .

٣ - أي ليست من العقائد المهمة التي يهتم ببيانها المعصوم عليه السلام .

٤ - سبحانه الله ! يقول هذا بعد أن بينا له ضعف الرواية ، فهو مصر على محاكمة المذهب في هذه المسألة التي لا تمس بالعقيدة بفهمه الخاص لكلام الشيخ الطوسي .

(١) المستند : ٢ : ٣٣٥ .

السفياني وحركة داعش واحتلال الكوفة^(١)

السؤال :

السلام عليكم سماحة الشيخ ورحمة الله وبركاته .
الأحداث الجارية في العراق جعلت المؤمنين يطرحون مجموعة من الأسئلة
من أهمها السؤال التاليان فقدّمهما إليكم ، ونرجو منكم أن تتفصّلوا بالإجابة :

- ١ - هل حركة داعش هي حركة السفياني ؟
- ٢ - هل يحتلّ السفياني الكوفة وسيطر عليها ؟

الجواب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة

والسلام على محمّد وآله الطيّبين الطاهرين

وبعد :

في مقام الجواب على هذين السؤالين نتحدّث في نقاط :

النقطة الأولى

إنّ أصل خروج السفياني قبل ظهور القائم عليه السلام من الأمور المتواترة :

(١) كتبه بيده الدائرة حيدر ابن الحاج عبد الله السندي (عاملهما الله بعفوه) في جوار الضامن
عليّ بن موسى الرضا عليه السلام .

١ - ففي الكافي : محمد ، عن ابن عيسى ، عن علي بن الحكم ، عن الخزاز ، عن عمر بن حنظلة ، قال : « سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ : خَمْسُ عَلَامَاتٍ قَبْلَ قِيَامِ الْقَائِمِ : الصَّيْحَةُ ، وَالسُّفْيَانِيُّ ، وَالْخَسْفُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الرَّكِيَّةِ ، وَالْيَمَانِيُّ .

فَقُلْتُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، إِنْ خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ قَبْلَ هَذِهِ الْعَلَامَاتِ ، أُنْخَرُجَ مَعَهُ ؟ قَالَ : لَا ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ تَلَوْتُ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ ^(١) ، فَقُلْتُ لَهُ : أَلَيْسَ الصَّيْحَةُ ؟ فَقَالَ : أَمَا لَوْ كَانَتْ خَضَعَتْ أَعْنَاقُ أَعْدَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ^(٢) .

٢ - وإسناده عن الصادق عليه السلام أَنَّهُ قَالَ : « قَالَ أَبِي عليه السلام : قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام : يَخْرُجُ ابْنُ آكَلَةِ الْأَكْبَادِ مِنَ الْوَادِي الْيَابِسِ ، وَهُوَ رَجُلٌ رَّبْعَةٌ ، وَحُشُّ الْوَجْهِ ، ضَخْمُ الْهَامَةِ ، بَوَاجُهُ أَثَرُ جُدْرِيٍّ ، إِذَا رَأَيْتَهُ حَسِبْتَهُ أَعْوَرَ ، اسْمُهُ عُثْمَانُ ، وَأَبُوهُ عُنْبَسَةُ ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ أَبِي سُفْيَانَ ، حَتَّى يَأْتِيَ أَرْضًا ذَاتَ قَرَارٍ وَمَعِينٍ فَيَسْتَوِي عَلَى مِنْبَرِهَا ^(٣) .

٣ - وبإسناده عنه عليه السلام أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ السُّفْيَانِيَّ لَرَأَيْتَ أَخْبَثَ النَّاسِ ، أَشَقَرَ أَحْمَرَ أَرْزَقَ ، يَقُولُ : يَا رَبِّ ثَارِي ثَارِي ثُمَّ النَّارَ ، وَقَدْ بَلَغَ مِنْ خُبْنِهِ أَنَّهُ يَدْفِنُ أُمَّ وَلَدٍ لَهُ وَهِيَ حَيَّةٌ مَخَافَةَ أَنْ تَدُلَّ عَلَيْهِ ^(٤) .

٤ - وبإسناده عنه عليه السلام : أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ اسْمِ السُّفْيَانِيِّ ، فَقَالَ : وَمَا تَصْنَعُ بِاسْمِهِ ؟ إِذَا مَلَكَ كُورَ الشَّامِ الْخَمْسَ : دِمَشْقَ وَحِمَصَ وَفِلَسْطِينَ وَالْأُرْدُنَّ وَقِنْسَرِينَ فَتَوَقَّعُوا عِنْدَ ذَلِكَ الْفَرَجِ .

(١) الشعراء ٢٦ : ٤ .

(٢) الكافي : ٨ : ٣١٠ ، الحديث ٤٨٣ .

(٣) كمال الدين : ٢ : ٦٥١ ، الحديث ٩ .

(٤) المصدر المتقدم : الحديث ١٠ .

قُلْتُ: يَمْلِكُ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ يَمْلِكُ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ لَا يَزِيدُ يَوْمًا»^(١).

٥ - وفي الكافي أيضاً: محمد، عن أحمد، عن السرد، عن يعقوب السراج، قال: «قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَمَّا مَتَى فَرَجُ شِيعَتِكُمْ؟ قَالَ: فَقَالَ: إِذَا اخْتَلَفَ وَلَدُ الْعَبَّاسِ، وَوَهَى سُلْطَانُهُمْ، وَطَمَعَ فِيهِمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَطْمَعُ فِيهِمْ، وَخَلَعَتِ الْعَرَبُ أَعْتَنَهَا، وَرَفَعَ كُلُّ ذِي صِيصِيَّةٍ صِيصِيَّتَهُ، وَظَهَرَ الشَّامِيُّ، وَأَقْبَلَ الْيَمَانِيُّ، وَتَحَرَّكَ الْحَسَنِيُّ، وَخَرَجَ صَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ بَثْرَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَقُلْتُ: مَا ثَرَاتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: سَيْفُ رَسُولِ اللَّهِ، وَدِرْعُهُ، وَعِمَامَتُهُ، وَبُرْدُهُ، وَقَضِيْبُهُ، وَرَأْيَتُهُ، وَلَا مَتَهُ ١١٦، وَسَرْجُهُ، حَتَّى يَنْزِلَ مَكَّةَ، فَيُخْرِجَ السَّيْفَ مِنْ غِمْدِهِ، وَيَلْبَسَ الدَّرْعَ، وَيَنْشُرَ الرَّايَةَ وَالْبُرْدَةَ وَالْعِمَامَةَ، وَيَتَنَاوَلَ الْقَضِيْبَ بِيَدِهِ، وَيَسْتَأْذِنَ اللَّهَ فِي ظُهُورِهِ، فَيَطْلُعَ عَلَى ذَلِكَ بَعْضُ مَوَالِيهِ، فَيَأْتِي الْحَسَنِيَّ فَيُخْبِرُهُ الْخَبَرَ، فَيَبْتَذِرُ الْحَسَنِيَّ إِلَى الْخُرُوجِ، فَيَثْبُ عَلَيْهِ أَهْلُ مَكَّةَ فَيَقْتُلُونَهُ وَيَبْعَثُونَ بِرَأْسِهِ إِلَى الشَّامِيِّ، فَيَظْهَرُ عِنْدَ ذَلِكَ صَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ، فَيَبَايَعُهُ النَّاسُ وَيَتَّبِعُونَهُ، وَيَبْعَثُ الشَّامِيُّ عِنْدَ ذَلِكَ جَيْشًا إِلَى الْمَدِينَةِ فَيُهْلِكُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذُوْنَهَا ١١٧، وَيَهْرُبُ يَوْمئِذٍ مَنْ كَانَ بِالْمَدِينَةِ مِنْ وَلَدِ عَلِيِّ عَمَّا إِلَى مَكَّةَ فَيَلْحَقُونَ بِصَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ، وَيُقْبَلُ صَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ نَحْوَ الْعِرَاقِ، وَيَبْعَثُ جَيْشًا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَيَأْمُنُ أَهْلُهَا وَيَرْجِعُونَ إِلَيْهَا»^(٢).

٦ - وفيه أيضاً: علي، عن أبيه، عن السرد، عن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله عَمَّا، قال: «لَا تَرَوْنَ مَا تُحِبُّونَ حَتَّى يَخْتَلِفَ بَنُو فُلَانٍ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفُوا طَمَعَ النَّاسُ، وَتَفَرَّقَتِ الْكَلِمَةُ، وَخَرَجَ السُّفْيَانِيُّ»^(٣).

(١) كمال الدين: ٢: ٦٥١ و ٥٦٢، الحديث ١١.

(٢) الكافي: ٨: ٢٢٤ و ٢٢٥، الحديث ٢٨٥.

(٣) الكافي: ٨: ٢٠٩، الحديث ٢٥٤.

٧ - وفيه أيضاً: العدة ، عن أحمد ، عن عثمان ، عن بكر بن محمد ، عن سدير ، قال : « قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام : يَا سَدِيرُ ، الزَّمْ بَيْتَكَ ، وَكُنْ حِلْسًا مِنْ أَخْلَاسِهِ ، وَاسْكُنْ مَا سَكَنَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، فَإِذَا بَلَغَكَ أَنَّ السُّفْيَانِيَّ قَدْ خَرَجَ فَارْحَلْ إِلَيْنَا وَلَوْ عَلَى رَجْلِكَ » ^(١).

٨ - وفيه أيضاً: محمد ، عن محمد بن الحسين ، عن عبد الرحمن بن أبي هاشم ، عن الفضل الكاتب ، قال : « كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَأَتَاهُ كِتَابُ أَبِي مُسْلِمٍ فَقَالَ : لَيْسَ لِكِتَابِكَ جَوَابٌ ، اخْرُجْ عَنَّا ، فَجَعَلْنَا يُسَارُّ بَعْضُنَا بَعْضًا ، فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ تُسَارُّونَ يَا فَضْلُ ؟ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ ذِكْرُهُ لَا يَعْجَلُ لِعَجَلَةِ الْعِبَادِ ، وَلَا زَالَةً جَبَلٍ عَنْ مَوْضِعِهِ أَيْسَرُ مِنْ زَوَالِ مُلْكٍ لَمْ يَنْقُضْ أَجَلُهُ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ فُلَانًا بَنَ فُلَانٍ - حَتَّى بَلَغَ السَّابِعَ مِنْ وُلْدِ فُلَانٍ - قُلْتُ : فَمَا الْعَلَامَةُ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ جُعِلْتُ فِدَاكَ ؟ قَالَ : لَا تَبْرَحِ الْأَرْضَ - يَا فَضْلُ - حَتَّى يَخْرُجَ السُّفْيَانِيُّ ، فَإِذَا خَرَجَ السُّفْيَانِيُّ فَأَجِيبُوا إِلَيْنَا . يَقُولُهَا ثَلَاثًا : وَهُوَ مِنَ الْمَحْتُومِ » ^(٢).

٩ - وفي التوقيع المشهور: عن أبي محمد الحسن بن أحمد المكتتب ، أنه قال : « كنت بمدينة السلام في السنة التي توفي علي بن محمد السمری ، فحضرتة قبل وفاته بأيام ، فأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمَرِيِّ ، أَعْظَمَ اللَّهُ أَجْرَ إِخْوَانِكَ فِيكَ ، فَإِنَّكَ مَيِّتٌ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ سِتَّةِ أَيَّامٍ ، فَاجْمَعْ أَمْرَكَ ، وَلَا تُوصِلْ إِلَى أَحَدٍ يَقُومُ مَقَامَكَ بَعْدَ وَفَاتِكَ ، فَقَدْ وَقَعَتِ الْغَيْبَةُ الثَّانِيَةُ ، فَلَا ظُهُورَ إِلَّا بَعْدَ إِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَذَلِكَ بَعْدَ طَوْلِ

(١) الكافي : ٨ : ٢٦٤ و ٢٦٥ ، الحديث ٣٨٣ .

(٢) الكافي : ٨ : ٢٧٤ ، الحديث ٤١٢ .

الْأَمَدِ ، وَقَسْوَةِ الْقُلُوبِ ، وَامْتِلَاءِ الْأَرْضِ جَوْرًا ، وَسَيِّئَاتِي شَيْعَتِي مَنْ يَدَّعِي
الْمُشَاهَدَةَ ، أَلَا فَمَنْ ادَّعَى الْمُشَاهَدَةَ قَبْلَ خُرُوجِ السُّفْيَانِيِّ وَالصَّيْحَةِ فَهُوَ
كَاذِبٌ مُفْتَرٍ .

وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ^(١)

وقد ورد ذكر السفيناني في روايات العامة ، وأخرج بعضها الحاكم والمتقي الهندي
والمناوي ، وغيرهم .

النقطة الثانية

دلّت جملة من الروايات على أنّ خروجه من المحتوم ، وقد تقدّم بعض ما يدلّ
على ذلك ، ومن تلك الروايات :

١ - ما في قرب الإسناد : « قُلْتُ لَهُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، إِنَّ ثَعْلَبَةَ بْنَ مَيْمُونٍ حَدَّثَنِي عَنْ
عَلِيِّ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، عَنْ زَيْدِ الْعَمِّيِّ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام ، قَالَ : يَقُومُ قَائِمُنَا لِمُوَاَفَاةِ
النَّاسِ سَنَةً .

قَالَ : يَقُومُ الْقَائِمُ بِلَا سُفْيَانِيٍّ . إِنَّ أَمْرَ الْقَائِمِ حَتَمٌ مِنَ اللَّهِ ، وَأَمْرُ السُّفْيَانِيِّ حَتَمٌ مِنَ اللَّهِ ،
وَلَا يَكُونُ قَائِمٌ إِلَّا بِسُفْيَانِيٍّ .

قُلْتُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، فَيَكُونُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ؟ قَالَ : مَا شَاءَ اللَّهُ .

قُلْتُ : يَكُونُ فِي الْبَتِّ يَلِيهَا ؟ قَالَ : يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ^(٢) .

٢ - ما جاء آنفاً تحت الرقم (٧) .

٣ - في كمال الدين : حدّثنا محمد بن موسى بن المتوكّل عليه السلام ، قال : حدّثنا

(١) كمال الدين : ٢ : ٥١٦ ، الحديث ٤٤ .

(٢) قرب الإسناد : ٣٧٤ ، الحديث ١٣٢٩ .

عبد الله بن جعفر الحميري ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن أبي حمزة الثمالي ، قال : قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَقُولُ : إِنَّ خُرُوجَ السُّفْيَانِيِّ مِنَ الْأَمْرِ الْمَحْتُومِ .

قَالَ لِي : نَعَمْ ، وَاخْتِلَافُ وَلَدِ الْعَبَّاسِ مِنَ الْمَحْتُومِ وَقَتْلُ النَّفْسِ الزَّكِيَّةِ مِنَ الْمَحْتُومِ ، وَخُرُوجُ الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْمَحْتُومِ .

فَقُلْتُ لَهُ : كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ النَّدَاءُ ؟ قَالَ : يُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَوَّلَ النَّهَارِ : أَلَا إِنَّ الْحَقَّ فِي عَلِيِّ وَشِيعَتِهِ ، ثُمَّ يُنَادِي إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ فِي آخِرِ النَّهَارِ : أَلَا إِنَّ الْحَقَّ فِي السُّفْيَانِيِّ وَشِيعَتِهِ ، فَيَرْتَابُ عِنْدَ ذَلِكَ الْمُبْطِلُونَ ^(١) .

٤ - وفيه : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ عليه السلام ، قال : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى ، عَنْ عِيسَى بْنِ أَعِينٍ ، عَنْ الْمُعَلَّى بْنِ خُنَيْسٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : إِنَّ أَمْرَ السُّفْيَانِيِّ مِنَ الْأَمْرِ الْمَحْتُومِ ، وَخُرُوجُهُ فِي رَجَبٍ ^(٢) .

٥ - في الغيبة باب ١٨ ما جاء في ذكر السفينائي ، وأن أمره من المحتوم ، وأنه قبل قيام القائم عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَقْدَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ قَيْسِ بْنِ رَمَّانَةَ مِنْ كِتَابِهِ - فِي رَجَبِ سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَمِئَتَيْنِ - قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ فَضَّالٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ثَعْلَبَةُ بْنُ مَيْمُونٍ أَبُو إِسْحَاقَ ، عَنْ عِيسَى بْنِ أَعِينٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : « السُّفْيَانِيُّ مِنَ الْمَحْتُومِ ، وَخُرُوجُهُ فِي رَجَبٍ ، وَمِنْ أَوَّلِ خُرُوجِهِ إِلَى آخِرِهِ خَمْسَةَ عَشَرَ شَهْرًا ، سِتَّةَ أَشْهُرٍ يُقَاتِلُ فِيهَا ، فَإِذَا مَلَكَ الْكُورَ الْخَمْسَ مَلَكَ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَلَمْ يَزِدْ عَلَيْهَا يَوْمًا » ^(٣) .

(١) كمال الدين : ٢ : ٦٥٢ ، الحديث ١٤ .

(٢) كمال الدين : ٢ : ٦٥٠ ، الحديث ٥ .

(٣) كتاب الغيبة للنعماني : ٢٩٩ و ٣٠٠ ، الحديث ١ .

٦ - وفيه: أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدثنا القاسم بن محمد بن الحسن بن حازم من كتابه، قال: حدثنا عبيس بن هشام، عن محمد بن بشر الأحول، عن عبد الله بن جبلة، عن عيسى بن أعين، عن معلى بن خنيس، قال: «سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: مِنَ الْأَمْرِ مَحْتُومٌ، وَمِنْهُ مَا لَيْسَ بِمَحْتُومٍ، وَمِنْ الْمَحْتُومِ خُرُوجُ السُّفْيَانِيِّ فِي رَجَبٍ»^(١).

٧ - وفيه: أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدثنا علي بن الحسن، عن العباس بن عامر، عن عبد الله بن بكير، عن زرارة بن أعين، عن عبد الملك بن أعين، قال: «كُنْتُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فَجَرَى ذِكْرُ الْقَائِمِ عليه السلام، فَقُلْتُ لَهُ: أَرْجُو أَنْ يَكُونَ عَاجِلًا وَلَا يَكُونَ سُفْيَانِيًّا؟ فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنْ الْمَحْتُومِ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ»^(٢).

٨ - وفيه: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدثنا علي بن الحسن، عن محمد بن خالد الأصم، عن عبد الله بن بكير، عن ثعلبة بن ميمون، عن زرارة، عن حمران بن أعين، عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾^(٣)، فَقَالَ: إِنَّهُمَا أَجَلَانِ: أَجَلٌ مَحْتُومٌ وَأَجَلٌ مَوْقُوفٌ. فَقَالَ لَهُ حُمْرَانُ: مَا الْمَحْتُومُ؟ قَالَ: الَّذِي لِلَّهِ فِيهِ الْمَشِيئَةُ.

قَالَ حُمْرَانُ: إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ أَجَلُ السُّفْيَانِيِّ مِنَ الْمَوْقُوفِ؟ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: لَا وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنْ الْمَحْتُومِ»^(٤).

٩ - وفيه: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدثنا محمد بن سالم بن عبد الرحمن الأزدي من كتابه - في سؤال سنة إحدى وسبعين ومئتين - قال: حدثني

(١) كتاب الغيبة للنعماني: ٣٠٠، الحديث ٢.

(٢) كتاب الغيبة للنعماني: ٣٠١، الحديث ٤.

(٣) الأنعام ٦: ٢.

(٤) كتاب الغيبة للنعماني: ٣٠١، الحديث ٥.

عثمان بن سعيد الطويل ، عن أحمد بن سليم ، عن موسى بن بكر ، عن الفضيل بن يسار ، عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : « إِنَّ مِنْ الْأُمُورِ أُمُورًا مَوْقُوفَةً وَأُمُورًا مَحْتُومَةً ، وَإِنَّ السُّفْيَانِيَّ مِنَ الْمَحْتُومِ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ » ^(١) .

١٠ - وفيه : حدّثنا محمد بن همام ، قال : حدّثني جعفر بن محمد بن مالك ، قال : حدّثني عباد بن يعقوب ، قال : حدّثنا خلاد الصائغ ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال : « السُّفْيَانِيُّ لَا بُدَّ مِنْهُ ، وَلَا يَخْرُجُ إِلَّا فِي رَجَبٍ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، إِذَا خَرَجَ فَمَا حَالُنَا ؟ قَالَ : إِذَا كَانَ ذَلِكَ فَالْتَنَّا » ^(٢) .

أقول : الظاهر من هذه الروايات أنّ أصل خروج السفينائي - وفي واحدة منها خروجه في رجب - من المحتوم ، ولا يوجد إلا أخبار آحاد ، وهي لا تفيد القطع بخروجه في رجب ، وحيث أنّ خروجه في رجب من المعارف التي لا تثبت إلا بالقطع ، فلا دليل على ثبوت التوقيت .

كما أنّ جملة من التفاصيل التي تعرّضت لها جملة من الروايات ، والتي ترتبط بحركة السفينائي ، لم تنصّ الروايات على أنّها من المحتوم ، بل في بعضها ما يدلّ على إمكانية وقوع البداء فيها ، كبعض أخبار مدّة حكمه .

ومن المناسب التأكيد هنا على أنّ جملة من التفاصيل لم تنقل بطريق معتبر فضلاً عن نقلها بالتواتر ، بل في نقل بعض التفاصيل تهافت وتعارض .

النقطة الثالثة

بيّنت الروايات هويّة السفينائي ، وعلامات خروجه ، ومكان ملكه ومدّته ، وأنّه مع اليماني والخراساني كفرسي رهان :

(١) كتاب الغيبة للنعماني : ٣٠١ ، الحديث ٦ .

(٢) كتاب الغيبة للنعماني : ٣٠٢ ، الحديث ٧ .

١ - حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ شَرِيحٍ ، عَنْ أُسْعَرٍ ^(١) بْنِ عَمْرِو الْجَعْفِيِّ ، عَنْ مُحَمَّدٍ بْنِ شَرِيحٍ ، أَنَّهُ قَالَ لَجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « جُعِلْتُ فِدَاكَ ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ لَا أَحْجَ ، فَأَعْلِمْنِي شَيْئاً إِذَا كَانَ أَشْتَرِيحُ إِلَيْهِ ، وَأَمُدُّ إِلَيْهِ عُقْيِي ، قَالَ : السُّفْيَانِيُّ إِذَا مَلَكَ الْكُورَ الْخُمْسَ - يَعْنِي الشَّامَ - فَإِذَا ظَهَرَ عَلَى كُورِ الشَّامِ فَأَقْبِلُوا إِلَيْنَا .
قَالَ : قُلْتُ لَهُ : فِي السَّلَاحِ ؟ قَالَ : فِي السَّلَاحِ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَا إِنَّ لَهُ شِرَّةً عَلَى الْمِصْرَيْنِ ، وَحُطْمَةً عَلَى مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ » ^(٢) .

٢ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ مَاجِيلُوه ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِي الْكُوفِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ سَفْيَانَ ، عَنْ قَتِيْبَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مَنْصُورِ الْجَلِيِّ ، قَالَ : « سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ اسْمِ السُّفْيَانِيِّ ، فَقَالَ : وَمَا تَصْنَعُ بِاسْمِهِ ؟ إِذَا مَلَكَ كُورَ الشَّامِ الْخُمْسَ : دِمَشْقَ ، وَحِمَصَ ، وَفِلَسْطِينَ ، وَالْأَزْدَنَ ، وَفَنَسْرِينَ ، فَتَوَقَّعُوا عِنْدَ ذَلِكَ الْفَرَجِ .

قُلْتُ : يَمْلِكُ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ يَمْلِكُ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ لَا يَزِيدُ يَوْماً » ^(٣) .

وفي بعض الروايات ينزل مصر ويسيطر فيها ، ففي التشریف بالمنن :

قال : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَرْوَانَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الْعَمَرِيِّ ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ حذيفة ، قال : « إِذَا دَخَلَ السُّفْيَانِيُّ أَرْضَ مِصْرَ ، أَقَامَ فِيهَا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ يَقْتُلُ وَيَسْبِي أَهْلَهَا ، فَيَوْمئِذٍ تَقُومُ النَّائِحَاتُ : بَاكِيةٌ تَبْكِي عَلَى اسْتِحْلَالِ فَرْجِهَا ، وَبَاكِيةٌ تَبْكِي عَلَى قَتْلِ أَوْلَادِهَا ، وَبَاكِيةٌ تَبْكِي عَلَى ذُلِّهَا بَعْدَ عِزِّهَا ، وَبَاكِيةٌ تَبْكِي شَوْقاً إِلَى قُبُورِهَا » ^(٤) .

(١) في نسخة : « أسعد بن عمر » .

(٢) الأصول الستة عشر : ٢٢٦ .

(٣) الإمامة والتبصرة : ١٣٠ ، الحديث ١٣٤ .

(٤) الملاحم والفتن : ١١٥ .

٣ - كتاب الغيبة : قال : أخبرنا جماعة عن أبي المفضل الشيباني ، عن أبي نعيم نصر بن عصام بن المغيرة العمري ، عن أبي يوسف يعقوب بن نعيم بن عمرو قرقرة الكاتب ، عن أحمد بن محمد الأسدي ، عن محمد بن أحمد ، عن إسماعيل بن عباس ، عن مهاجر بن حكيم ، عن معوية بن سعيد ، عن أبي جعفر محمد بن علي ، قال : « قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام إِذَا اخْتَلَفَ رُمَحَانُ بِالشَّامِ فَهُوَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى . قِيلَ : ثُمَّ مَهْ ؟ قَالَ : ثُمَّ رَجْفَةٌ تَكُونُ بِالشَّامِ يَهْلِكُ فِيهَا مِائَةُ أَلْفٍ ، يَجْعَلُهَا اللَّهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَعَذَابًا عَلَى الْكَافِرِينَ ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَانْظُرُوا إِلَى أَصْحَابِ الْبَرَادِينَ الشُّهْبِ ، وَالرَّايَاتِ الصُّفْرِ تُقْبِلُ مِنَ الْمَغْرِبِ ، حَتَّى تَحُلَّ بِالشَّامِ ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَانْتَظِرُوا خَسْفًا بَقْرِيَّةً مِنْ قُرَى الشَّامِ يُقَالُ لَهَا : حَرَسَتَا ^(١) ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَانْتَظِرُوا ابْنَ آكِلَةِ الْأَكْبَادِ بَوَادِي الْيَابِسِ » ^(٢) ، أي السفيناني .

٤ - وفيه أيضاً : وروى حذلم بن بشير ، قال : « قُلْتُ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام : صِفْ لِي خُرُوجَ الْمَهْدِيِّ ، وَعَرِّفْنِي دَلَالَهُ وَعَلَامَاتِهِ ؟ فَقَالَ : يَكُونُ قَبْلَ خُرُوجِهِ خُرُوجُ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ عَوْفُ السُّلَمِيِّ بِأَرْضِ الْجَزِيرَةِ ، وَيَكُونُ مَأْوَاهُ تَكْرِيتٌ ، وَقَتْلُهُ بِمَسْجِدِ دِمَشْقَ ، ثُمَّ يَكُونُ خُرُوجُ شُعَيْبِ بْنِ صَالِحٍ مِنْ سَمَرْقَنْدَ ، ثُمَّ يَخْرُجُ السُّفْيَانِيُّ الْمَلْعُونُ مِنَ الْوَادِي الْيَابِسِ ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، فَإِذَا ظَهَرَ السُّفْيَانِيُّ اخْتَفَى الْمَهْدِيُّ ، ثُمَّ يَخْرُجُ بَعْدَ ذَلِكَ » ^(٣) .

٥ - وفيه : عن ابن فضال ، عن ابن بكير ، عن محمد بن مسلم ، قال : « يَخْرُجُ قَبْلَ السُّفْيَانِيِّ مِصْرِيُّ وَيَمَانِيٌّ » ^(٤) .

(١) في نسخة : « خرشنا » .

(٢) كتاب الغيبة الطوسي : ٤٦١ .

(٣) كتاب الغيبة للطوسي : ٤٤٣ و ٤٤٤ .

(٤) كتاب الغيبة للطوسي : ٤٤٧ .

٦ - وفيه : عن أبي النصر إسماعيل بن عبد الله بن ميمون بن عبد الحميد بن أبي الرجال العجليّ ، قال : حدّثنا محمد بن عبد الرحمان بن أبي ليلى ، قال : حدّثنا جعفر بن سعد الكاهليّ ، عن الأعمش ، عن بشر بن غالب ، قال : يُقْبَلُ السُّفْيَانِيُّ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ مُتَنَصِّراً فِي عُنُقِهِ صَلِيبٌ ، وَهُوَ صَاحِبُ الْقَوْمِ ^(١) .

٧ - وفيه : قرقارة ، عن نصر بن الليث المروزيّ ، عن ابن طلحة الجحدريّ ، قال : حدّثنا عبد الله بن لهيعة ، عن أبي زرعة ، عن أبي عبد الله بن رزين ، عن عمار بن ياسر ، أنه قال : إِنَّ دَوْلَةَ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، وَلَهَا أَمَارَاتٌ ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ فَالْزَمُوا الْأَرْضَ ، وَكُفُّوا حَتَّى تَجِيَّ أَمَارَاتُهَا .

فَإِذَا اسْتَنَارَتْ عَلَيْكُمْ الرُّومُ وَالتُّرُكُ ، وَجُهِزَتِ الْجُيُوشُ ، وَمَاتَ خَلِيفَتُكُمْ الَّذِي يَجْمَعُ الْأَمْوَالَ ، وَاسْتُخْلِفَ بَعْدَهُ رَجُلٌ صَاحِبٌ ، فَيُخْلَعُ بَعْدَ سِنِينَ مِنْ بَيْعَتِهِ ، وَيَأْتِي هَلَاكُ مُلْكِهِمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأَ ، وَيَتَخَالَفُ التُّرُكُ وَالرُّومُ ، وَتَكْثُرُ الْحُرُوبُ فِي الْأَرْضِ ، وَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ سُورِ دِمَشْقَ : وَيَلُ لَأَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ ، وَيُخَسِّفُ بِعَرَبِيٍّ مَسْجِدَهَا حَتَّى يَخْرُ حَائِطُهَا ، وَيَظْهَرُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ بِالشَّامِ كُلُّهُمْ يَطْلُبُ الْمُلْكَ : رَجُلٌ أَنْفَعُ ، وَرَجُلٌ أَصْهَبُ ، وَرَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ أَبِي سُفْيَانَ يَخْرُجُ فِي كَلْبٍ ، وَيَحْضُرُ النَّاسُ بِدِمَشْقَ ، وَيَخْرُجُ أَهْلُ الْغَرْبِ إِلَى مِصْرَ .

فَإِذَا دَخَلُوا فَتِلْكَ إِمَارَةُ السُّفْيَانِيِّ ، وَيَخْرُجُ قَبْلَ ذَلِكَ مَنْ يَدْعُو لِإِلٍ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَتَنْزِلُ التُّرُكُ الْحِيرَةَ ، وَتَنْزِلُ الرُّومُ فَلَسْطِينَ ، وَيَسْبِقُ عَبْدُ اللَّهِ [عَبْدُ اللَّهِ] حَتَّى يَلْتَقِيَ جُنُودَهُمَا بِقَرْقِيسِيَاءَ عَلَى النَّهْرِ ، وَيَكُونُ قِتَالٌ عَظِيمٌ ، وَيَسِيرُ صَاحِبُ الْمَغْرِبِ فَيَقْتُلُ الرِّجَالَ ، وَيَسْبِي النِّسَاءَ ، ثُمَّ يَرْجِعُ فِي قَيْسٍ حَتَّى يَنْزِلَ الْجَزِيرَةَ السُّفْيَانِيَّةَ ، فَيَسْبِقُ الْيَمَانِيَّ [فَيَقْتُلُ] ، وَيَحْوزُ السُّفْيَانِيَّ مَا جَمَعُوا .

(١) كتاب الغيبة للطوسي : ٤٦٢ و ٤٦٣ .

ثُمَّ يَسِيرُ إِلَى الْكُوفَةِ فَيَقْتُلُ أَعْوَانَ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَيَقْتُلُ رَجُلًا مِنْ مُسَمِّينَهُمْ ، ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَهْدِيُّ عَلَى لَوَائِهِ شُعَيْبُ بْنُ صَالِحٍ ، وَإِذَا رَأَى أَهْلَ الشَّامِ قَدِ اجْتَمَعَ أَمْرُهَا عَلَى ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ فَأَلْحَقُوا بِمَكَّةَ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تُقْتَلُ النَّفْسُ الزَّكِيَّةُ وَأَخُوهُ بِمَكَّةَ ضَيْعَةً ، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ أَمِيرَكُمْ فُلَانٌ ، وَذَلِكَ هُوَ الْمَهْدِيُّ الَّذِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مِلْتُمْ ظُلْمًا وَجَوْرًا»^(١).

٨ - في الغيبة للنعماني : «... وقال عليه السلام : إِذَا خَرَجَ يَقُومُ بِأَمْرِ جَدِيدٍ ، وَكِتَابٍ جَدِيدٍ ، وَسُنَّةٍ جَدِيدَةٍ ، وَقَضَاءٍ جَدِيدٍ ، عَلَى الْعَرَبِ شَدِيدٍ ، وَلَيْسَ شَأْنُهُ إِلَّا الْقَتْلُ ، لَا يَسْتَبْقِي أَحَدًا ، وَلَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَانِمٍ .

ثُمَّ قَالَ عليه السلام : إِذَا اخْتَلَفَ بَنُو فُلَانٍ فِيمَا بَيْنَهُمْ فَعِنْدَ ذَلِكَ فَانْتَظِرُوا الْفَرَجَ ، وَلَيْسَ فَرَجُكُمْ إِلَّا فِي اخْتِلَافِ بَنِي فُلَانٍ ، فَإِذَا اخْتَلَفُوا فَتَوَقَّعُوا الصَّيْحَةَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَخُرُوجِ الْقَائِمِ عليه السلام ، إِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ .

وَلَنْ يَخْرُجَ الْقَائِمُ ، وَلَا تَرُونَ مَا تُحِبُّونَ ، حَتَّى يَخْتَلَفَ بَنُو فُلَانٍ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ طَمَعَ النَّاسُ فِيهِمْ ، وَاخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ ، وَخَرَجَ السُّفْيَانِيُّ .

وَقَالَ : لَا بُدَّ لِبَنِي فُلَانٍ مِنْ أَنْ يَمْلِكُوا ، فَإِذَا مَلَكُوا ثُمَّ اخْتَلَفُوا تَفَرَّقَ مُلْكُهُمْ ، وَتَشَتَّتَ أَمْرُهُمْ ، حَتَّى يَخْرُجَ عَلَيْهِمُ الْخُرَّاسَانِيُّ وَالسُّفْيَانِيُّ ، هَذَا مِنَ الْمَشْرِقِ وَهَذَا مِنَ الْمَغْرِبِ ، يَسْتَبِقَانِ إِلَى الْكُوفَةِ كَفَرَسِيِّ رِهَانٍ ، هَذَا مِنْ هُنَا وَهَذَا مِنْ هُنَا ، حَتَّى يَكُونَ هَلَاكُ بَنِي فُلَانٍ عَلَى أَيْدِيهِمَا ، أَمَّا إِنَّهُمْ لَا يُبْقُونَ مِنْهُمْ أَحَدًا .

ثُمَّ قَالَ عليه السلام : خُرُوجُ السُّفْيَانِيِّ وَالْيَمَانِيِّ وَالْخُرَّاسَانِيِّ فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ ، فِي شَهْرِ وَاحِدٍ ، فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ، نِظَامَ كَنْظَامِ الْخَرَزِ يَتَّبِعُ بَعْضُهُ بَعْضًا ، فَيَكُونُ الْبَأْسُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ ، وَئِلَّ لِمَنْ نَاوَاهُمْ ، وَلَيْسَ فِي الرَّاياتِ رَايَةٌ أَهْدَى مِنْ رَايَةِ الْيَمَانِيِّ هِيَ رَايَةُ هُدًى ؛

(١) كتاب الغيبة للطوسي : ٤٦٣ و ٤٦٤ .

لَأنَّهُ يَدْعُو إِلَى صَاحِبِكُمْ ، فَإِذَا خَرَجَ الْيَمَانِيُّ حَرَمَ بَيْعِ السِّلَاحِ عَلَى النَّاسِ وَكُلِّ مُسْلِمٍ ، وَإِذَا خَرَجَ الْيَمَانِيُّ فَأَنْهَضُ إِلَيْهِ ، فَإِنَّ رَأْيَتَهُ رَأْيَةٌ هُدًى ، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَلْتَوِيَ عَلَيْهِ ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ؛ لِأنَّهُ يَدْعُو إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ ^(١) .

٩ - وفي الغيبة : حدَّثنا أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة ، قال : حدَّثنا علي بن الحسن التيملي - في صفر سنة أربع وسبعين ومئتين - قال : حدَّثنا الحسن بن محبوب ، عن أبي أيوب الخزاز ، عن محمد بن مسلم ، قال : « سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ الْبَاقِرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ : اتَّقُوا اللَّهَ ، وَاسْتَعِينُوا عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِالْوَرَعِ وَالْاجْتِهَادِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، فَإِنَّ أَشَدَّ مَا يَكُونُ أَحَدُكُمْ اغْتِبَاطًا بِمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الدِّينِ لَوْ قَدْ صَارَ فِي حَدِّ الْآخِرَةِ ، وَانْقَطَعَتِ الدُّنْيَا عَنْهُ ، فَإِذَا صَارَ فِي ذَلِكَ الْحَدِّ عَرَفَ أَنَّهُ قَدْ اسْتَقْبَلَ النَّعِيمَ وَالْكَرَامَةَ مِنَ اللَّهِ ، وَالْبُشْرَى بِالْجَنَّةِ ، وَأَمِنَ مِمَّا كَانَ يَخَافُ ، وَأَيَقَنَ أَنَّ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ هُوَ الْحَقُّ ، وَأَنَّ مَنْ خَالَفَ دِينَهُ عَلَى بَاطِلٍ ، وَأَنَّهُ هَالِكٌ .

فَأَبْشَرُوا ثُمَّ أَبْشَرُوا بِالَّذِي تُرِيدُونَ ، أَلَسْتُمْ تَرَوْنَ أَعْدَاءَكُمْ يَقْتَتِلُونَ فِي مَعَاصِي اللَّهِ ، وَيَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى الدُّنْيَا دُونَكُمْ ، وَأَنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ آمِنُونَ فِي عَزْلَةٍ عَنْهُمْ ، وَكَفَى بِالسُّفْيَانِيِّ نِقْمَةً لَكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ ، وَهُوَ مِنَ الْعَلَامَاتِ لَكُمْ ، مَعَ أَنَّ الْفَاسِقَ لَوْ قَدْ خَرَجَ لَمْ كُنْتُمْ شَهْرًا أَوْ شَهْرَيْنِ بَعْدَ خُرُوجِهِ ، لَمْ يَكُنْ عَلَيْكُمْ بَأْسٌ حَتَّى يَقْتُلَ خَلْقًا كَثِيرًا دُونَكُمْ .

فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : فَكَيْفَ نَصْنَعُ بِالْعِيَالِ إِذَا كَانَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : يَتَغَيَّبُ الرَّجَالُ مِنْكُمْ عَنْهُ ، فَإِنَّ حَنْفَهُ وَشَرَّهُهَ إِنَّمَا هِيَ عَلَى شِيعَتِنَا ، وَأَمَّا النِّسَاءُ فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ بَأْسٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) كتاب الغيبة للنعماني : ٢٥٣ - ٢٥٧ ، الحديث ١٣ .

قِيلَ : فَإِلَى أَيْنَ مَخْرَجُ الرِّجَالِ وَيَهْرُبُونَ مِنْهُ ؟ فَقَالَ : مَنْ أَرَادَ مِنْهُمْ أَنْ يَخْرُجَ يَخْرُجَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، أَوْ إِلَى مَكَّةَ ، أَوْ إِلَى بَعْضِ الْبُلْدَانِ ، ثُمَّ قَالَ : مَا تَصْنَعُونَ بِالْمَدِينَةِ ؟ وَإِنَّمَا يَقْصِدُ جَيْشُ الْفَاسِقِ إِلَيْهَا ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمَكَّةَ فَإِنَّهَا مَجْمَعُكُمْ ، وَإِنَّمَا فَتِنَتْهُ حَمْلُ امْرَأَةٍ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ ، وَلَا يَجُوزُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ^(١) .

١٠ - حَدَّثَنَا أَبُو سُلَيْمَانَ أَحْمَدُ بْنُ هُوذَةَ الْبَاهِلِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّهَوَنْدِيُّ بِنَهَاوَنْدٍ - سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَمِئَتَيْنِ - قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمَادٍ الْأَنْصَارِيُّ - سَنَةِ تِسْعٍ وَعَشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ - عَنْ عَمْرِو بْنِ شَمْرٍ ، عَنْ جَابِرِ الْجَعْفِيِّ ، قَالَ : « سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ الْبَاقِرَ عليه السلام عَنِ السُّفْيَانِيِّ فَقَالَ : وَأَنْتَى لَكُمْ بِالسُّفْيَانِيِّ حَتَّى يَخْرُجَ قَبْلَهُ الشَّيْصَبَانِيُّ ، يَخْرُجُ مِنْ أَرْضِ كُوفَانَ ، يَنْبُغُ كَمَا يَنْبُغُ الْمَاءُ ، فَيَقْتُلُ وَفَدَكُمْ ، فَتَوَقَّعُوا بَعْدَ ذَلِكَ السُّفْيَانِيَّ وَخُرُوجَ الْقَائِمِ عليه السلام » ^(٢) .

١١ - وَفِيهِ أَيْضاً : أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سَعِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ التِّيمَلِيُّ مِنْ كِتَابِهِ - فِي صَفَرِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَمِئَتَيْنِ - قَالَ : حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ رَبَاحٍ الثَّقَفِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الرَّبِيعِ الْأَقْرَعُ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ : « إِذَا اسْتَوَلَى السُّفْيَانِيُّ عَلَى الْكُورِ الْخَمْسِ فَعُدُّوا لَهُ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ ، وَزَعَمَ هِشَامٌ أَنَّ الْكُورَ الْخَمْسَ : دِمَشْقُ وَفِلَسْطِينُ وَالْأَرْدُنُّ وَحِمَصٌ وَحَلَبٌ » ^(٣) .

١٢ - أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَمِيرٍ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ :

(١) كتاب الغيبة للنعماني : ٣٠٠ ، الحديث ٣ .

(٢) كتاب الغيبة للنعماني : ٣٠٢ ، الحديث ٨ .

(٣) كتاب الغيبة للنعماني : ٣٠٤ ، الحديث ١٣ .

«الْيَمَانِيُّ وَالسُّفْيَانِيُّ كَفَرَسَيَّ رِهَانٍ»^(١).

١٣ - وفيه أيضاً: أخبرنا علي بن أحمد، عن عبيد الله بن موسى، عن محمد بن موسى، قال: أخبرني أحمد بن أبي أحمد المعروف بأبي جعفر الوراق، عن إسماعيل بن عياش، عن مهاجر بن حكيم، عن المغيرة بن سعيد، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: «قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: إِذَا اخْتَلَفَ الرُّمَحَانِ بِالشَّامِ لَمْ تَنْجَلِ إِلَّا عَنْ آيَةٍ مِنَ آيَاتِ اللَّهِ.

قِيلَ: وَمَا هِيَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: رَجَفَةٌ تَكُونُ بِالشَّامِ، يَهْلِكُ فِيهَا أَكْثَرُ مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ، يَجْعَلُهَا اللَّهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، وَعَذَاباً عَلَى الْكَافِرِينَ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَانْظُرُوا إِلَى أَصْحَابِ الْبَرَادِيزِ الشُّهْبِ الْمَحْدُوفَةِ، وَالرَّايَاتِ الصُّفْرِ تُقْبَلُ مِنَ الْمَغْرِبِ حَتَّى تَحُلَّ بِالشَّامِ، وَذَلِكَ عِنْدَ الْجَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَالْمَوْتِ الْأَحْمَرِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَانْظُرُوا خَسَفَ قَرْيَةٍ مِنْ دِمَشْقَ يُقَالُ لَهَا: حَرَسْتَا، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ خَرَجَ ابْنُ آكِلَةِ الْأَكْبَادِ مِنَ الْوَادِي الْيَابِسِ حَتَّى يَسْتَوِيَ عَلَى مِنْبَرٍ دِمَشْقَ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَانْتَظِرُوا خُرُوجَ الْمَهْدِيِّ عليه السلام»^(٢).

١٤ - أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدثنا حميد بن زياد، قال: حدثني علي بن الصباح بن الضحّاك، قال: حدثنا أبو علي الحسن بن محمد الحضرمي، قال: حدثنا جعفر بن محمد، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبي أيوب الخزاز، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «السُّفْيَانِيُّ أَحْمَرُ أَشَقَرُ أَزْرَقُ، لَمْ يَعْبُدِ اللَّهَ قَطُّ، وَلَمْ يَرِ مَكَّةَ وَلَا الْمَدِينَةَ قَطُّ، يَقُولُ: يَا رَبِّ ثَارِي وَالنَّارَ، يَا رَبِّ ثَارِي وَالنَّارَ»^(٣).

(١) كتاب الغيبة للنعماني: ٣٠٥، الحديث ١٥.

(٢) كتاب الغيبة للنعماني: ٣٠٥ و ٣٠٦، الحديث ١٦.

(٣) كتاب الغيبة للنعماني: ٣٠٦، الحديث ١٨.

١٥ - في اليقين لابن طاووس : [وجدنا ذلك بخط المحدث الأخباري محمد بن المشهدي ، بإسناده عن محمد بن القاسم ، عن أحمد بن محمد ، عن مشايخه ، عن سليمان الأعمش ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال :] حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ - وَكَانَ خَادِمَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : لَمَّا رَجَعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ قِتَالِ أَهْلِ النَّهْرَوَانِ نَزَلَ بِرَأْتَا ، وَكَانَ بِهَا رَاهِبٌ فِي قَلَابَتِهِ ، وَكَانَ اسْمُهُ الْحُبَابُ ، فَلَمَّا سَمِعَ الرَّاهِبَ الصَّيْحَةَ وَالْعَسْكَرَ أَشْرَفَ مِنْ قَلَابَتِهِ إِلَى الْأَرْضِ ، فَنَظَرَ إِلَى عَسْكَرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَاسْتَفْظَعَ ذَلِكَ ، وَنَزَلَ مُبَادِرًا فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ وَمَنْ رَئِيسُ هَذَا الْعَسْكَرِ ؟ فَقِيلَ لَهُ : هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَدْ رَجَعَ مِنْ قِتَالِ أَهْلِ النَّهْرَوَانِ .

فَجَاءَ الْحُبَابُ مُبَادِرًا يَتَخَطَّى النَّاسَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا حَقًّا ، فَقَالَ لَهُ : وَمَا عِلْمُكَ بِأَنِّي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا حَقًّا ؟ قَالَ لَهُ : بِذَلِكَ أَخْبَرَنَا عُلَمَاؤُنَا وَأَحْبَارُنَا .

فَقَالَ لَهُ : يَا حُبَابُ ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ : وَمَا عِلْمُكَ بِاسْمِي ؟

فَقَالَ : أَعْلَمَنِي بِذَلِكَ حَبِيبِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ لَهُ الْحُبَابُ : مُدَّ يَدَكَ ، فَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنَّكَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَصِيُّهُ ، فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَأَيْنَ تَأْوِي ؟ فَقَالَ : أَكُونُ فِي قَلَابَةٍ لِي هَاهُنَا .

فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : بَعْدَ يَوْمِكَ هَذَا لَا تَسْكُنُ فِيهَا ، وَلَكِنْ ابْنِ هَاهُنَا مَسْجِدًا وَاسْمِهِ بِاسْمِ بَانِيهِ ، فَبَنَاهُ رَجُلٌ اسْمُهُ بَرَاءُ فَسَمَّى الْمَسْجِدَ بِبَرَاءُ بِاسْمِ الْبَانِي لَهُ .

ثُمَّ قَالَ : وَمِنْ أَيْنَ تَشْرَبُ يَا حُبَابُ ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مِنْ دِجْلَةِ هَاهُنَا .

قَالَ : فَلِمَ لَا تَحْفِرُ هَاهُنَا عَيْنًا ، أَوْ بئْرًا ؟ فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كُلَّمَا حَفَرْنَا بئْرًا وَجَدْنَاهَا مَالِحَةً غَيْرَ عَذْبَةٍ .

فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : احْفِرْ هَاهُنَا بئْرًا ، فَحَفَرَ فَخَرَجَتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ لَمْ

يَسْتَطِيعُوا قَلْعَهَا ، فَقَالَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَنْقَلَعَتْ عَنْ عَيْنِ أَحْلَى مِنَ الشَّهَدِ ، وَالَّذِ
مِنَ الرُّبْدِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا حُبَابُ ، يَكُونُ شُرْبُكَ مِنْ هَذِهِ الْعَيْنِ ، أَمَا إِنَّهُ - يَا حُبَابُ - سَتَبْنِي
إِلَى جَنْبِ مَسْجِدِكَ هَذَا مَدِينَةً ، وَتَكْثُرُ الْجَبَابِرَةُ فِيهَا ، وَتَعْظُمُ الْبَلَاءُ ، حَتَّى إِنَّهُ لَيُرْكَبُ
فِيهَا كُلُّ لَيْلَةٍ جُمُعَةٍ سَبْعُونَ أَلْفَ فَرَجٍ حَرَامٍ ، فَإِذَا عَظُمَ بَلَاؤُهُمْ شَدُّوا عَلَى مَسْجِدِكَ
بِفُطْوَةٍ ، ثُمَّ وَابْنِهِ مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ وَابْنِهِ ، لَا يَهْدِمُهُ إِلَّا كَافِرٌ ، ثُمَّ بَيْتَانَا ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ مُنَعُوا
الْحَجَّ ثَلَاثَ سِنِينَ ، وَاخْتَرَقَتْ خُضْرُهُمْ ، وَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ السَّفْحِ ، لَا
يَدْخُلُ بَلَدًا إِلَّا أَهْلَكَهُ وَأَهْلَكَ أَهْلَهُ ، ثُمَّ لِيَعُودَ عَلَيْهِمْ مَرَّةً أُخْرَى ، ثُمَّ يَأْخُذْهُمْ الْقَحْطُ
وَالْغَلَاءُ ثَلَاثَ سِنِينَ ، حَتَّى يَبْلُغَ بِهِمُ الْجَهْدُ ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ يَدْخُلُ الْبَصْرَةَ فَلَا يَدْعُ
فِيهَا قَائِمَةً إِلَّا سَخَطَهَا وَأَهْلَكَهَا ، وَأَسْخَطَ أَهْلَهَا ، وَذَلِكَ إِذَا عُمِّرَتِ الْخَرِبَةُ ، وَبُنِيَ فِيهَا
مَسْجِدٌ جَامِعٌ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُ هَلَاكُ الْبَصْرَةِ .

ثُمَّ يَدْخُلُ مَدِينَةَ بَنَاهَا الْحَجَّاجُ يُقَالُ لَهَا : وَاسِطُ ، فَيَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَتَوَجَّهُ نَحْوَ
بَغْدَادَ فَيَدْخُلُهَا عَفْوًا ، ثُمَّ يَلْتَجِئُ النَّاسُ إِلَى الْكُوفَةِ ، وَلَا يَكُونُ بَلَدٌ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَّا
تَشَوَّشَ الْأَمْرُ لَهُ ، ثُمَّ يَخْرُجُ هُوَ وَالَّذِي أَدْخَلَهُ بَغْدَادَ نَحْوَ قَبْرِ لَيْسَبَشُهُ ، فَيَتَلَقَّاهُمَا
السُّفْيَانِيُّ فِيهِزْمُهُمَا ، ثُمَّ يَقْتُلُهُمَا ، وَيُوجِّهُ جَيْشًا نَحْوَ الْكُوفَةِ فَيَسْتَعْبِدُ بَعْضَ أَهْلِهَا ،
وَيَجِيءُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَيُلْجِئُهُمْ إِلَى سُورٍ ، فَمَنْ لَجَأَ إِلَيْهَا أَمِنَ ، وَيَدْخُلُ جَيْشُ
السُّفْيَانِيِّ إِلَى الْكُوفَةِ فَلَا يَدْعُونَ أَحَدًا إِلَّا قَتَلُوهُ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ لَيَمُرُّ بِالذَّرَّةِ
الْمَطْرُوحَةِ الْعَظِيمَةِ فَلَا يَتَعَرَّضُ لَهَا ، وَيَرَى الصَّبِيَّ الصَّغِيرَ فَيُلْحَقُهُ فَيَقْتُلُهُ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ
- يَا حُبَابُ - يُتَوَقَّعُ بَعْدَهَا . هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ، وَأُمُورٌ عِظَامٌ ، وَفَتَنٌ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ،
فَاحْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ يَا حُبَابُ»^(١) .

١٦ - وفي الهداية الكبرى : «... فَقَالَ الْمُفَضَّلُ : يَا سَيِّدِي ، فَتَقَبَّاءُ الْقَائِمِ إِلَيْهِ

(١) كتاب اليقين : ٤٢١ .

التَّسْلِيمَ بَايَعُوهُ قَبْلَ قِيَامِهِ ؟ قَالَ : يَا مُفَضَّلُ ، كُلُّ بَيْعَةٍ قَبْلَ ظُهُورِ الْقَائِمِ فَهِيَ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَخَدِيعَةٌ ، لَعَنَ اللَّهُ الْمُبَايِعَ لَهَا ، بَلْ - يَا مُفَضَّلُ - يُسْنَدُ الْقَائِمُ ظَهْرَهُ إِلَى كَعْبَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، وَيَمُدُّ يَدَهُ الْمُبَارَكَةَ فَتَرَى بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ، فَيَقُولُ : هَذِهِ يَدُ اللَّهِ ، وَعَنِ اللَّهِ ، وَبِأَمْرِ اللَّهِ ، ثُمَّ يَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١) .

وَأَوَّلُ مَنْ يَقْبَلُ يَدَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ يُبَايِعُهُ ، وَتُبَايَعُهُ الْمَلَائِكَةُ ، وَنُقَبَاءُ الْحَقِّ ، ثُمَّ النُّجَبَاءُ ، وَيُصْبِحُ النَّاسُ بِمَكَّةَ فَيَقُولُونَ : مَنْ هَذَا الَّذِي بَجَانِبِ الْكَعْبَةِ ؟ وَمَا هَذَا الْخَلْقُ الَّذِي مَعَهُ ؟ وَمَا هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي رَأَيْنَاهَا بِهِذِهِ اللَّيْلَةِ وَلَمْ نَرِ مِثْلَهَا ؟ فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : انظُرُوا هَلْ تَعْرِفُونَ أَحَدًا مِمَّنْ مَعَهُ ؟

فَيَقُولُونَ : لَا نَعْرِفُ مِنْهُمْ إِلَّا أَرْبَعَةً مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَأَرْبَعَةً مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَهُمْ فُلَانٌ وَفُلَانٌ يَعُدُّونَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ الْيَوْمَ أَوَّلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ بَيْضَاءَ نَقِيَّةً ، فَإِذَا طَلَعَتْ وَابْيَضَّتْ صَاحَ صَائِحٌ بِالْخَلَائِقِ مِنْ عَيْنِ الشَّمْسِ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ يَسْمَعُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ : يَا مَعَاشِرَ الْخَلَائِقِ ، هَذَا مَهْدِيُّ آلِ مُحَمَّدٍ ، وَيُسَمِّيهِ بِاسْمِ جَدِّهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَيُكْنِيهِ بِكُنْيَتِهِ ، وَيُنْسِبُهُ إِلَى أَبِيهِ الْحَسَنِ الْحَادِي عَشَرَ ، فَاتَّبِعُوهُ تَهْتَدُوا ، وَلَا تَخَالِفُوهُ فَتَضِلُّوا .

فَأَوَّلُ مَنْ يُلَبِّي نِدَاءَهُ الْمَلَائِكَةُ ، ثُمَّ الْجِنُّ ، ثُمَّ النَّقَبَاءُ ، وَيَقُولُونَ : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ، وَلَمْ يَبْقَ ذُو أُذُنٍ إِلَّا سَمِعَ ذَلِكَ النِّدَاءَ ، وَتَقْبَلُ الْخَلْقُ مِنَ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ ، وَالْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، يُحَدِّثُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيُفْهِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مَا سَمِعُوهُ فِي نَهَارِهِمْ بِذَلِكَ الْيَوْمِ .

فَإِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ صَرَخَ صَارِخٌ مِنْ مَغَارِبِهَا: يَا مَعَاشِرَ الْخَلَائِقِ ، لَقَدْ ظَهَرَ رَبُّكُمْ مِنَ الْوَادِي الْيَاسِ مِنْ أَرْضِ فَلَسْطِينَ ، وَهُوَ عَثْمَانُ بْنُ عَنبَسَةَ الْأُمَوِيِّ ، مِنْ وَلَدِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ، فَاتَّبَعُوهُ تَهْتَدُوا ، وَلَا تُخَالِفُوهُ فَتَضِلُّوا ، فَتَرُدُّ عَلَيْهِ الْجَنُّ وَالنُّقَبَاءُ قَوْلَهُ ، وَيُكَذِّبُونَهُ وَيَقُولُونَ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ، وَلَا يَبْقَى ذُو شَكٍّ ، وَلَا مُرْتَابٍ ، وَلَا مُنَافِقٍ ، وَلَا كَافِرٍ الْأَصْلُ فِي النَّدَاءِ الثَّانِي ، وَيُسْنِدُ الْقَائِمُ ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ وَيَقُولُ: مَعَاشِرَ الْخَلَائِقِ ، أَلَا مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ فَهَذَا أَنَا إِبْرَاهِيمُ ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مُوسَى وَيُوشَعَ فَهَذَا أَنَا مُوسَى ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى عِيسَى وَشَمْعُونَ فَهَذَا أَنَا عِيسَى ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ ، فَهَذَا أَنَا مُحَمَّدٌ ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الْأَيْمَةِ مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ فَهَذَا أَنَا هُمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ فَهَذَا أَنَا هُمْ ، فَلْيَنْظُرُوا إِلَيَّ وَيَسْأَلْنِي ، فَإِنِّي نَبِيٌّ بِمَا نَبَّؤُوا بِهِ وَمَا لَمْ يَنْبُؤُوا . أَلَا مَنْ كَانَ يَقْرَأُ الصُّحُفَ وَالْكِتَابَ فَلْيَسْمَعْ إِلَيَّ .

ثُمَّ يَبْتَدِءُ بِالصُّحُفِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى آدَمَ وَشَيْثَ فَيَقْرَأُهَا ، فَتَقُولُ أُمُّهُ آدَمَ: هَذِهِ وَاللَّهِ الصُّحُفُ حَقًّا ، وَلَقَدْ قَرَأَ مَا لَمْ نَكُنْ نَعْلَمُهُ مِنْهَا ، وَمَا أَخْفَى عَنَّا ، وَمَا كَانَ أُسْقِطَ وَبَدَّلَ وَحُرِّفَ .

وَيَقْرَأُ صُحُفَ نُوحٍ وَصُحُفَ إِبْرَاهِيمَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ فَتَقُولُ أُمَّتُهُمْ: هَذِهِ وَاللَّهِ كَمَا نَزَلَتْ ، وَالتَّوْرَةُ الْجَامِعَةُ ، وَالزَّبُورُ النَّامُ ، وَالْإِنْجِيلُ الْكَامِلُ ، وَإِنَّهَا أَضْعَافُ مَا قَرَأْنَا ، ثُمَّ يَتْلُو الْقُرْآنَ فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: هَذَا وَاللَّهِ الْقُرْآنُ حَقًّا الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ، فَمَا أُسْقِطَ ، وَلَا بُدِّلَ ، وَلَا حُرِّفَ ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ أُسْقِطَهُ وَبَدَّلَهُ وَحَرَّفَهُ .

ثُمَّ تَظْهَرُ الدَّابَّةُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ ، فَتَكْتَبُ فِي وَجْهِ الْمُؤْمِنِ مُؤْمِنٌ ، وَفِي وَجْهِ الْكَافِرِ كَافِرٌ ، ثُمَّ يَقْبَلُ عَلَى الْقَائِمِ رَجُلٌ وَجْهُهُ إِلَى قَفَاهُ وَقَفَاهُ إِلَى صَدْرِهِ ، وَيَقِفُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَقُولُ: أَنَا وَآخِي بِشِيرٍ أَمَرَنِي مَلِكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَنْ أَلْحَقَ بِكَ ، وَأُبَشِّرَكَ بِهَلَاكِ

السُّفْيَانِيُّ بِالْبَيْدَاءِ ، فَيَقُولُ لَهُ الْقَائِمُ: بَيْنَ قِصَّتِكَ وَقِصَّةِ أَخِيكَ نَذِيرٌ؟ فَيَقُولُ الرَّجُلُ: كُنْتُ وَأَخِي نَذِيرٌ فِي جَيْشِ السُّفْيَانِيِّ ، فَخَرَّبْنَا الدُّنْيَا مِنْ دِمَشْقَ إِلَى الزَّوْرَاءِ وَتَرَكْنَاهُمْ حُمَمًا ، وَخَرَّبْنَا الْكُوفَةَ ، وَخَرَّبْنَا الْمَدِينَةَ ، وَرَوَّثْتُ أَبْغَالَنَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ، وَخَرَجْنَا مِنْهَا نُرِيدُ مَكَّةَ ، وَعَدَدْنَا ثَلَاثُمِائَةَ أَلْفٍ رَجُلٍ نُرِيدُ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ ، وَخَرَابَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَقَتْلَ أَهْلِهِ ، فَلَمَّا صِرْنَا بِالْبَيْدَاءِ عَرَّسْنَا بِهَا ، فَصَاحَ صَائِحٌ: يَا بَيْدَاءُ بِيَدِي بِالْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ، فَأَنْفَجَرَتِ الْأَرْضُ وَابْتَلَعَتْ ذَلِكَ الْجَيْشَ. فَوَاللَّهِ مَا بَقِيَ عَلَى الْأَرْضِ عِقَالُ نَاقَةٍ وَلَا سِوَاهُ غَيْرِي وَأَخِي نَذِيرٍ ، فَإِذَا بِمَلِكٍ قَدْ ضَرَبَ وَجُوهَنَا إِلَى وَرَاءِ كَمَا تَرَانَا ، وَقَالَ لِأَخِي: وَيْلَكَ يَا نَذِيرُ! أَنْذِرِ الْمَلْعُونِ بِدِمَشْقَ بِظُهُورِ مَهْدِيِّ آلِ مُحَمَّدٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ جَيْشَهُ بِالْبَيْدَاءِ ، وَقَالَ لِي: يَا بَشِيرُ ، الْحَقُّ بِالْمَهْدِيِّ بِمَكَّةَ ، فَبَشَّرَهُ بِهَلَاكِ السُّفْيَانِيِّ ، وَتُبَّ عَلَى يَدِهِ فَإِنَّهُ يَقْبَلُ تَوْبَتَكَ ، فَيَمُرُّ الْقَائِمُ يَدُهُ عَلَى وَجْهِهِ فَيَرُدُّهُ سَوِيًّا كَمَا كَانَ وَيُبَايِعُهُ وَيَسِيرُ مَعَهُ»^(١).

١٧ - في الغيبة للنعماني: أخبرنا أحمد بن هوزة الباهلي ، قال : حدثنا إبراهيم بن إسحاق النهاوندي ، عن عبد الله بن حماد الأنصاري ، عن الحسين بن العلاء ، عن عبد الله بن أبي يعفور ، قال : « قَالَ لِي أَبُو جَعْفَرٍ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ لَوْلِدَ الْعَبَّاسِ وَالْمَرْوَانِيِّ لَوْفَعَةً بِقَرْقِيسَاءَ يَشِيبُ فِيهَا الْغُلَامُ الْحَزَوْرُ ، وَيَرْفَعُ اللَّهُ عَنْهُمْ النَّصْرَ ، وَيُوحِي إِلَى طَيْرِ السَّمَاءِ ، وَسِبَاعِ الْأَرْضِ: اشْبَعِي مِنْ لُحُومِ الْجَبَّارِينَ ، ثُمَّ يَخْرُجُ السُّفْيَانِيُّ »^(٢).

أقول: جملة من هذه الروايات ضعيفة السند ، ولو صحَّت فبعض مضامينها ظني ، وهو لا ينفع في إثبات المعارف كما أسلفنا ، ومع غُضِّ النظر عن هذه الجهة والبناء على ثبوت المضامين بها فإنَّ هذه الروايات تدلُّ على عدَّة أمور تقتصر على

(١) الهداية الكبرى: ٣٩٧ - ٣٩٩.

(٢) كتاب الغيبة للنعماني: ٣٠٣ و ٣٠٤ ، الحديث ١٢.

ذكر بعضها، وهو ما ينفع في جواب السؤال الأول :

الأمر الأول: هو أنَّ السفينائي يخرج بعد رجفة تكون بالشام يهلك فيها مئة ألف يجعله الله رحمة للمؤمنين وعذاباً على الكافرين .

الأمر الثاني: بعد الرجفة يقع حدث يرتبط أصحاب البراذين الشهب .

الأمر الثالث: وبعد الرجفة أيضاً تقبل الرايات الصفر من المغرب حتى تحل بالشام .

الأمر الرابع: وبعد ذلك يقع خسف بقرية من قرى الشام يقال لها خرشا أو خرشنا أو حرستا، فإذا كان ذلك فانتظروا ابن آكلة الأكباد بوادي اليباس، أي السفينائي .

الأمر الخامس: أنَّ قوماً يكون لهم ملك ولملكهم تأثير، ويميل إليهم السفينائي في أول الأمر، ولا يكون خروج السفينائي إلا إذا ظهر اختلافهم ووهنهم بنحو يطمع الناس فيما في أيديهم «إِذَا اخْتَلَفَ بَنُو فُلَانٍ فِيمَا بَيْنَهُمْ فَعِنْدَ ذَلِكَ فَانْتَظِرُوا الْفَرَجَ، وَلَيْسَ فَرَجُكُمْ إِلَّا فِي اخْتِلَافِ بَنِي فُلَانٍ، فَإِذَا اخْتَلَفُوا فَتَوَقَّعُوا الصَّيْحَةَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَخُرُوجَ الْقَائِمِ ﷺ، إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ.

وَلَنْ يَخْرُجَ الْقَائِمُ، وَلَا تَرَوْنَ مَا تُحِبُّونَ، حَتَّى يَخْتَلِفَ بَنُو فُلَانٍ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ طَمَعَ النَّاسُ فِيهِمْ، وَاخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ، وَخَرَجَ السُّفِينَائِيُّ، وَقَالَ: لَا بُدَّ لِبَنِي فُلَانٍ مِنْ أَنْ يَمْلِكُوا» .

الأمر السادس: أنَّ خروج الخراساني واليماني في نفس وقت خروج السفينائي ويكون بينهم تقارن في التحرك، ومنافسة على السيطرة والغلبة «خُرُوجُ السُّفِينَائِيِّ وَالْيَمَانِيِّ وَالْخَرَّاسَانِيِّ فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ، فِي شَهْرٍ وَاحِدٍ، فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، نِظَامٌ كَنِظَامِ الْخَرَزِ يَتَّبِعُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَيَكُونُ الْبَأْسُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، وَيُلِّ لِمَنْ نَاوَاهُمْ، وَلَيْسَ فِي الرَّايَاتِ رَايَةٌ أَهْدَى مِنْ رَايَةِ الْيَمَانِيِّ هِيَ رَايَةُ هُدَى؛ لِأَنَّهُ يَدْعُو إِلَى صَاحِبِكُمْ، فَإِذَا

خَرَجَ الْيَمَانِيُّ حَرَمَ بَيْعِ السِّلَاحِ عَلَى النَّاسِ وَكُلِّ مُسْلِمٍ ، وَإِذَا خَرَجَ الْيَمَانِيُّ فَانْهَضْ إِلَيْهِ ، فَإِنَّ رَأْيَتَهُ رَأْيَةُ هُدًى ، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَلْتَوِيَ عَلَيْهِ ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ؛ لِأَنَّهُ يَدْعُو إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ » ، « لَا بُدَّ لِبَنِي فُلَانٍ مِنْ أَنْ يَمْلِكُوا ، فَإِذَا مَلَكُوا ثُمَّ اخْتَلَفُوا تَفَرَّقَ مُلْكُهُمْ ، وَتَشَتَّتَ أَمْرُهُمْ ، حَتَّى يَخْرُجَ عَلَيْهِمُ الْخُرَاسَانِيُّ وَالسُّفْيَانِيُّ ، هَذَا مِنَ الْمَشْرِقِ وَهَذَا مِنَ الْمَغْرِبِ ، يَسْتَبِقَانِ إِلَى الْكُوفَةِ كَفَرَسَى رِهَانٍ ، هَذَا مِنْ هُنَا وَهَذَا مِنْ هُنَا ، حَتَّى يَكُونَ هَلَاكُ بَنِي فُلَانٍ عَلَى أَيْدِيهِمَا » ، « الْيَمَانِيُّ وَالسُّفْيَانِيُّ كَفَرَسَى رِهَانٍ » ، وفي بعض الروايات يخرج اليماني قبل السفنياني « يَخْرُجُ قَبْلَ السُّفْيَانِيِّ مَضْرِيٍّ وَيَمَانِيٍّ » .

أقول: الخراساني نسبة إلى خراسان ، وهي لا تختص بإيران فضلاً عن مدينة مشهد ، كما يتصور بعض العامة ، كما يظهر من الأخبار أن في إخلاص الخراساني وأتباعه شيئاً ؛ إذ تسيطر عليهم نزعه ذاتية ، وتحركهم مقاصد غير التوطين للحجة عليه السلام قد تكون قومية أو سياسية أو مادية « وَلَيْسَ فِي الرَّايَاتِ رَأْيَةٌ أَهْدَى مِنْ رَأْيَةِ الْيَمَانِيِّ هِيَ رَأْيَةُ هُدًى ؛ لِأَنَّهُ يَدْعُو إِلَى صَاحِبِكُمْ » ، وليس المقصود بأهدى ما تعطية أفعال التفضيل لدخول راية السفنياني في المقارنة ، ولا هداية فيها ، خصوصاً مع ملاحظة قول عبارة : « هِيَ رَأْيَةُ هُدًى » ، والتعليل : « لِأَنَّهُ يَدْعُو إِلَى صَاحِبِكُمْ » ، وهذا يعني أن الخراساني في بداية أمره ليس على المنهج القويم ، ويستفاد من جملة من الروايات أنه يصلح حاله ويوطد للحجة عليه السلام .

الأمر السابع : أن خروج السفنياني مسبوق بخروج الشيباني « وَأَنْتَى لَكُمْ بِالسُّفْيَانِيِّ حَتَّى يَخْرُجَ قَبْلَهُ الشَّيْبَانِيُّ ، يَخْرُجُ مِنْ أَرْضِ كُوفَانَ ، يَنْبُعُ كَمَا يَنْبُعُ الْمَاءُ ، فَيَقْتُلُ وَفْدَكُمْ ، فَتَوَقَّعُوا بَعْدَ ذَلِكَ السُّفْيَانِيَّ » .

ولعله المقصود فيما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام : « وَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ السَّفْحِ ، لَا يَدْخُلُ بَلَدًا إِلَّا أَهْلَكَهُ وَأَهْلَكَ أَهْلَهُ ، ثُمَّ لِيَعُودَ عَلَيْهِمْ مَرَّةً أُخْرَى ، ثُمَّ يَأْخُذُهُمْ

الْقَحْطُ وَالْغَلَاءُ ثَلَاثَ سِنِينَ ، حَتَّى يَبْلُغَ بِهِمُ الْجَهْدُ ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِمْ .
ثُمَّ يَدْخُلُ الْبَصْرَةَ فَلَا يَدْعُ فِيهَا قَائِمَةً إِلَّا سَخِطَهَا وَأَهْلَكَهَا ، وَأَسْخَطَ أَهْلَهَا ، وَذَلِكَ
إِذَا عُمِّرَتِ الْخَرْبَةُ ، وَبُنِيَ فِيهَا مَسْجِدٌ جَامِعٌ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُ هَلَاكُ الْبَصْرَةِ .
ثُمَّ يَدْخُلُ مَدِينَةَ بَنَاهَا الْحَجَّاجُ يُقَالُ لَهَا : وَاسِطٌ ، فَيَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَنْوَجَّهُ نَحْوَ
بَغْدَادَ فَيَدْخُلُهَا عَفْوًا ، ثُمَّ يَلْتَجِئُ النَّاسُ إِلَى الْكُوفَةِ ، وَلَا يَكُونُ بَلَدٌ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَّا
تَشَوَّشَ الْأَمْرُ لَهُ ، ثُمَّ يَخْرُجُ هُوَ وَالَّذِي أَدْخَلَهُ بَغْدَادَ نَحْوَ قَبْرِ لِسَيْنَشُهُ ، فَيَتَلَقَّاهُمَا
السُّفْيَانِيُّ فِيهِزْمُهُمَا ، ثُمَّ يَقْتُلُهُمَا « فَقَدْ يَكُونُ أَصْلُهُ مِنْ أَهْلِ السَّفْحِ ، وَيَخْرُجُ مِنْ أَرْضِ
كُوفَانَ وَهُوَ يَطْلُقُ عَلَى الْعِرَاقِ ، وَاللَّهُ الْعَالِمُ .

الأمر الثامن: يخرج قبل السفيناني رجلان : عوف السلمي بأرض الجزيرة ،
والظاهر أنها جزيرة الشام ، ويكون مأواه تكريت ، وشعيب بن صالح من سمرقند .
« يَكُونُ قَبْلَ خُرُوجِهِ خُرُوجَ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ عَوْفُ السُّلَمِيِّ بِأَرْضِ الْجَزِيرَةِ ، وَيَكُونُ
مَأْوَاهُ تَكْرِيتَ ، وَقَتْلُهُ بِمَسْجِدِ دِمَشْقَ ، ثُمَّ يَكُونُ خُرُوجُ شُعَيْبِ بْنِ صَالِحٍ مِنْ سَمَرْقَنْدَ ،
ثُمَّ يَخْرُجُ السُّفْيَانِيُّ الْمَلْعُونُ مِنَ الْوَادِي الْيَابِسِ ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ عَتْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ،
وشعيب في بعض الأخبار على لواء الإمام عليه السلام ، « ثُمَّ يَخْرُجُ الْمُهْدِيُّ عَلَى لَوَائِهِ
شُعَيْبُ بْنُ صَالِحٍ » .

الأمر التاسع: قبل خروج السفيناني يخرج أهل الغرب إلى مصر « وَيَخْرُجُ أَهْلُ
الْغَرْبِ إِلَى مِصْرَ ، فَإِذَا دَخَلُوا فَتِلْكَ إِمَارَةُ السُّفْيَانِيِّ » .

الأمر العاشر: قبل خروج السفيناني يخرج من يدعو لآل محمد عليهم السلام .
أقول: يحتمل أن يكون الداعي إلى أهل البيت عليهم السلام ، فقد ورد أنه يخرج قبل
السفيناني كما تقدّم « يَخْرُجُ قَبْلَ السُّفْيَانِيِّ مِصْرِيٌّ وَيَمَانِيٌّ » ، وأن رأيته « هِيَ رَأْيُهُ
هُدًى ؛ لِأَنَّهُ يَدْعُو إِلَى صَاحِبِكُمْ » .

الأمر الحادي عشر: خروج السفينائي بعد الصبيحة « يا مُفَضِّلُ ، يُسِنِدُ الْقَائِمُ ظَهْرَهُ إِلَى كَعْبَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، وَيَمُدُّ يَدَهُ الْمُبَارَكَةَ فَتَرَى بَيْضَاءَ ... وَيُصْبِحُ النَّاسُ بِمَكَّةَ فَيَقُولُونَ: مَنْ هَذَا الَّذِي بِجَانِبِ الْكَعْبَةِ ؟ وَمَا هَذَا الْخَلْقُ الَّذِي مَعَهُ ؟ وَمَا هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي رَأَيْنَاهَا بِهِذِهِ اللَّيْلَةِ وَلَمْ نَرِ مِثْلَهَا ؟ ... وَيَكُونُ ذَلِكَ الْيَوْمَ أَوَّلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ بَيْضَاءَ نَقِيَّةً ، فَإِذَا طَلَعَتْ وَابْيَضَّتْ صَاحَ صَائِحٌ بِالْخَلَائِقِ مِنْ عَيْنِ الشَّمْسِ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ يَسْمَعُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ : يَا مَعَاشِرَ الْخَلَائِقِ ، هَذَا مَهْدِيُّ آلِ مُحَمَّدٍ ، وَيُسَمِّيهِ بِاسْمِ جَدِّهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَيَكْنِيهِ بِكُنْيَتِهِ ، وَيَنْسُبُهُ إِلَى أَبِيهِ الْحَسَنِ الْحَادِي عَشَرَ ، فَاتَّبِعُوهُ تَهْتَدُوا ، وَلَا تُخَالِفُوهُ فَتَضِلُّوا .

فَأَوَّلَ مَنْ يُلَبِّي نِدَاءَهُ الْمَلَائِكَةُ ، ثُمَّ الْجِنُّ ، ثُمَّ النَّبَّاءُ ، وَيَقُولُونَ: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ... فَإِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ صَرَخَ صَارِخٌ مِنْ مَعَارِبِهَا: يَا مَعَاشِرَ الْخَلَائِقِ ، لَقَدْ ظَهَرَ رَبُّكُمْ مِنَ الْوَادِي الْيَاسِ مِنْ أَرْضِ فَلَسْطِينَ ، وَهُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَنَسَةَ الْأُمَوِيُّ ، مِنْ وَلَدِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ، فَاتَّبِعُوهُ تَهْتَدُوا ، وَلَا تُخَالِفُوهُ فَتَضِلُّوا ، فَتَرُدُّ عَلَيْهِ الْجِنُّ وَالنَّبَّاءُ قَوْلَهُ ، وَيَكْذِبُونَهُ وَيَقُولُونَ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ... فَإِذَا اخْتَلَفُوا فَتَوَقَّعُوا الصَّبِيحَةَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَخُرُوجِ الْقَائِمِ ﷺ ، إِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ .

وَلَنْ يَخْرُجَ الْقَائِمُ ، وَلَا تَرَوْنَ مَا تُحِبُّونَ ، حَتَّى يَخْتَلَفَ بَنُو فُلَانٍ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ طَمَعَ النَّاسُ فِيهِمْ ، وَاخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ ، وَخَرَجَ السُّفْيَانِيُّ .

وَقَالَ: لَا بُدَّ لِبَنِي فُلَانٍ مِنْ أَنْ يَمْلِكُوا .

أقول: من خلال ملاحظة هذه الأمور بأجمعها يتضح أنَّ داعش وحركتها الحالية لا ينطبق عليها ما ذكرته الروايات حول السفينائي وحركته ؛ إذ لم تتحقق علامات وأحداث بينت الروايات وقوعها قبل السفينائي أو معه . نعم ، يحتمل أن يكون الدواعش هم أتباع الشيصباني ، أو الرجل الذي يقصد النجف لنش القبر الشريف

في رواية (برائثا)، خصوصاً وأنّ النباش ديدن الدواعش، ولم تبيّن الروايات تقصّد السفينائي للقبور ومحاولة هدمها ونبشها، كما يحتمل أنّهم بداية تكون جيش السفينائي ومرحلة سابقة تهبّي خروجه، والله العالم.

النقطة الرابعة

في أنّ جيش السفينائي هل يدخل الكوفة ويسيطر عليها أو لا؟

والجواب: تحدّثت الروايات عن وضع الكوفة وما يجري عليها في زمن تحرّك السفينائي الذي تكون له سيطرة على الشام وفي الحجاز والعراق، ويدلّ بعضها على سيطرته على الكوفة، وفعله الأفاعيل فيها، وهنا نستعرض ما ظفرنا به من تلك الروايات:

١ - في غيبة الشيخ: قرقارة، عن نصر بن الليث المروزي، عن ابن طلحة الجحدري، قال: حدّثنا عبد الله بن لهيعة، عن أبي زرعة، عن أبي عبد الله بن رزين، عن عمّار بن ياسر، أنّه قال: إنّ دولة أهل بيت نبيّكم في آخر الزمان، ولها أمارات، فإذا رأيتم فالزموا الأرض، وكفّوا حتّى تجيء أماراتها.

فإذا استشارت عليكم الروم والتّرك، وجّهت الجيوش، ومات خليفكم الذي يجمع الأموال، واستخلف بعده رجلٌ صحيح... ويخرج قبل ذلك من يدعو لآل محمّد ﷺ، وتنزل التّرك الحيرة، وتنزل الروم فلسطين، ويسبق عبد الله [عبد الله] حتّى يلتقي جُنودهما بقرقيسياء على النّهر، ويكون قتال عظيم، ويسير صاحب المغرب فيقتل الرجال، ويسبي النساء، ثمّ يرجع في قيس حتّى ينزل الجزيرة السفينائي، فيسبق اليماني [فيقتل]، ويحوز السفينائي ما جمعو.

ثمّ يسير إلى الكوفة فيقتل أعوان آل محمّد ﷺ، ويقتل رجلاً من مسميهم...»^(١).

(١) كتاب الغيبة للطوسي: ٤٦٣ و ٤٦٤.

٢ - بإسناده عن محمد بن القاسم ، عن أحمد بن محمد ، عن مشايخه ، عن سليمان الأعمش ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ - وَكَانَ خَادِمَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : لَمَّا رَجَعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ قِتَالِ أَهْلِ النَّهْرَوَانِ نَزَلَ بِرَأَا ، وَكَانَ بِهَا رَاهِبٌ فِي قَلَابَةٍ ، وَكَانَ اسْمُهُ الْحُبَابُ ، فَلَمَّا سَمِعَ الرَّاهِبَ الصَّيْحَةَ وَالْعَسْكَرَ أَشْرَفَ مِنْ قَلَابَتِهِ إِلَى الْأَرْضِ ، فَنَظَرَ إِلَى عَسْكَرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَاسْتَفْظَعَ ذَلِكَ ، وَنَزَلَ مُبَادِرًا فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ وَمَنْ رَئِيسُ هَذَا الْعَسْكَرِ ؟ فَقِيلَ لَهُ : هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَدْ رَجَعَ مِنْ قِتَالِ أَهْلِ النَّهْرَوَانِ .

فَجَاءَ الْحُبَابُ مُبَادِرًا يَتَخَطَّى النَّاسَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا حَقًّا ، فَقَالَ لَهُ : وَمَا عَلِمْتُكَ بِأَنِّي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا حَقًّا ؟ قَالَ لَهُ : بِذَلِكَ أَخْبَرَنَا عُلَمَاؤُنَا وَأَحْبَارُنَا .

فَقَالَ لَهُ : يَا حُبَابُ ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ : وَمَا عَلِمْتُكَ بِاسْمِي ؟ فَقَالَ : أَعَلَمَنِي بِذَلِكَ حَبِيبِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ لَهُ الْحُبَابُ : مُدَّ يَدَكَ ، فَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنَّكَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَصِيُّهُ ، فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَأَيْنَ تَأْوِي ؟ فَقَالَ : أَكُونُ فِي قَلَابَةٍ لِي هَاهُنَا .

فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : بَعْدَ يَوْمِكَ هَذَا لَا تَسْكُنُ فِيهَا ، وَلَكِنْ ابْنِ هَاهُنَا مَسْجِدًا وَاسْمِهِ بِاسْمِ بَانِيهِ ، فَبَنَاهُ رَجُلٌ اسْمُهُ بَرَاءُ فَسَمَّى الْمَسْجِدَ بِبَرَاءُ بِاسْمِ الْبَانِي لَهُ ... وَدَخَلَ جَيْشُ السُّفْيَانِيِّ إِلَى الْكُوفَةِ فَلَا يَدْعُونَ أَحَدًا إِلَّا قَتَلُوهُ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ لَيَمُرُّ بِالذُّرَّةِ الْمَطْرُوحَةِ الْعَظِيمَةِ فَلَا يَتَعَرَّضُ لَهَا ، وَيَرَى الصَّبِيَّ الصَّغِيرَ فَيُلْحَقُهُ فَيَقْتُلُهُ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ - يَا حُبَابُ - يُتَوَقَّعُ بَعْدُهَا . هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ، وَأُمُورٌ عَظَامٌ ، وَفِتْنٌ كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، فَاحْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ يَا حُبَابُ ^(١) .

(١) كتاب اليقين : ٤٢١ .

٣ - وفي الهداية الكبرى: قال المفضل: «... فَقَالَ الْمُفَضَّلُ: يَا سَيِّدِي، فَتَقْبَأُ الْقَائِمَ إِلَيْهِ التَّسْلِيمُ بَايَعُوهُ قَبْلَ قِيَامِهِ؟ قَالَ: يَا مُفَضَّلُ، كُلُّ يَبْعَةٍ قَبْلَ ظُهُورِ الْقَائِمِ فَهِيَ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَخَدِيعَةٌ، لَعَنَ اللَّهُ الْمُبَايِعَ لَهَا، بَلْ - يَا مُفَضَّلُ - يُسْنَدُ الْقَائِمُ ظَهْرَهُ إِلَى كَعْبَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَيَمُدُّ يَدَهُ الْمُبَارَكَةَ فَتَرَى بَيضَاءَ مَنْ غَيْرِ سَوْءٍ، فَيَقُولُ: هَذِهِ يَدُ اللَّهِ، وَعَنِ اللَّهِ، وَبِأَمْرِ اللَّهِ، ثُمَّ يَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنَّا فَمَنْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١).

وَأَوَّلُ مَنْ يَقْبَلُ يَدَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ يُبَايِعُهُ، وَتُبَايَعُهُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَقْبَأُ الْحَقِّ، ثُمَّ النُّجَبَاءُ، وَبُصِيحُ النَّاسِ بِمَكَّةَ فَيَقُولُونَ: مَنْ هَذَا الَّذِي بِجَانِبِ الْكَعْبَةِ؟ وَمَا هَذَا الْخَلْقُ الَّذِي مَعَهُ؟ وَمَا هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي رَأَيْنَاهَا بِهَذِهِ اللَّيْلَةِ وَلَمْ نَرِ مِثْلَهَا؟ فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انظُرُوا هَلْ تَعْرِفُونَ أَحَدًا مِمَّنْ مَعَهُ؟

فَيَقُولُونَ: لَا نَعْرِفُ مِنْهُمْ إِلَّا أَرْبَعَةً مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَأَرْبَعَةً مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَهُمْ فُلَانٌ وَفُلَانٌ يَعُدُّونَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ، وَيَكُونُ ذَلِكَ الْيَوْمَ أَوَّلُ طُلُوعِ الشَّمْسِ بَيَضَاءَ نَفِيَّةٍ، فَإِذَا طَلَعَتْ وَابْيَضَّتْ صَاحَ صَائِحُ الْخَلَائِقِ مِنْ عَيْنِ الشَّمْسِ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ يَسْمَعُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ: يَا مَعَاشِرَ الْخَلَائِقِ، هَذَا مَهْدِيُّ آلِ مُحَمَّدٍ، وَيُسَمِّيهِ بِاسْمِ جَدِّهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَيَكْنِيهِ بِكُنْيَتِهِ، وَيَنْسُبُهُ إِلَى أَبِيهِ الْحَسَنِ الْحَادِي عَشَرَ، فَاتَّبِعُوهُ تَهْتَدُوا، وَلَا تَخَالِفُوهُ فَتَضِلُّوا.

فَأَوَّلُ مَنْ يَلْبِي نِدَاءَهُ الْمَلَائِكَةُ، ثُمَّ الْجَنُّ، ثُمَّ النُّبَّاءُ، وَيَقُولُونَ: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، وَلَمْ يَبْقَ ذُو أُذُنٍ إِلَّا سَمِعَ ذَلِكَ النِّدَاءَ، وَتَقْبَلُ الْخَلْقُ مِنَ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ، وَالْبَرِّ وَالْبَحْرِ، يُحَدِّثُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيُنْفِخُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مَا سَمِعُوهُ فِي نَهَارِهِمْ بِذَلِكَ الْيَوْمِ.

فَإِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ صَرَخَ صَارِخٌ مِنْ مَغَارِبِهَا: يَا مَعَاشِرَ الْخَلَائِقِ ، لَقَدْ ظَهَرَ رَبُّكُمْ مِنَ الْوَادِي الْيَاسِ مِنْ أَرْضِ فَلَسْطِينَ ، وَهُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَنبَسَةَ الْأُمَوِيِّ ، مِنْ وَلَدِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ، فَاتَّبِعُوهُ تَهْتَدُوا ، وَلَا تُخَالِفُوهُ فَتَضِلُّوا ، فَتَرُدُّ عَلَيْهِ الْجَنُّ وَالنُّقَبَاءُ قَوْلَهُ ، وَيُكَذِّبُونَهُ وَيَقُولُونَ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ، وَلَا يَبْقَى ذُو شَكٍّ ، وَلَا مُرْتَابٍ ، وَلَا مُنَاقِقٍ ، وَلَا كَافِرٍ الْأَصْلُ فِي النَّدَاءِ الثَّانِي ، وَيُسْنِدُ الْقَائِمُ ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ... ثُمَّ يُقْبِلُ عَلَى الْقَائِمِ رَجُلٌ وَجْهُهُ إِلَى قَفَاهُ وَقَفَاهُ إِلَى صَدْرِهِ ، وَيَقِفُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَقُولُ: أَنَا وَأَخِي بَشِيرٌ أَمَرَنِي مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَنْ أَلْحَقَ بِكَ ، وَأُبَشِّرَكَ بِهَلَاكِ السُّفْيَانِيِّ بِالْبَيْدَاءِ ، فَيَقُولُ لَهُ الْقَائِمُ: بَيْنَ قِصَّتِكَ وَقِصَّةِ أَخِيكَ نَذِيرٌ؟ فَيَقُولُ الرَّجُلُ: كُنْتُ وَأَخِي نَذِيرٌ فِي جَيْشِ السُّفْيَانِيِّ ، فَخَرَّبْنَا الدُّنْيَا مِنْ دِمَشْقَ إِلَى الزَّوْرَاءِ وَتَرَكْنَاهُمْ حُمَمًا ، وَخَرَّبْنَا الْكُوفَةَ ، وَخَرَّبْنَا الْمَدِينَةَ ، وَرَوَّثْتُ أَبْعَالَنَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ، وَخَرَجْنَا مِنْهَا نُرِيدُ مَكَّةَ ، وَعَدَدْنَا ثَلَاثِمِائَةَ أَلْفٍ رَجُلٍ نُرِيدُ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ ، وَخَرَابَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَقَتْلَ أَهْلِهِ ، فَلَمَّا صَرْنَا بِالْبَيْدَاءِ عَرَّسْنَا بِهَا ، فَصَاحَ صَائِحٌ: يَا بَيْدَاءُ بِيَدِي بِالْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ، فَانْفَجَرَتِ الْأَرْضُ وَابْتَلَعَتْ ذَلِكَ الْجَيْشَ. فَوَاللَّهِ مَا بَقِيَ عَلَى الْأَرْضِ عِقَالُ نَاقَةٍ وَلَا سِوَاهُ غَيْرِي وَأَخِي نَذِيرٌ ، فَإِذَا بِمَلِكٍ قَدْ ضَرَبَ وَجُوهَنَا إِلَى وَرَاءِ كَمَا تَرَانَا ، وَقَالَ لِأَخِي: وَيْلَكَ يَا نَذِيرُ! أَنْذِرِ الْمَلْعُونِ بِدِمَشْقَ بِظُهُورِ مَهْدِيِّ آلِ مُحَمَّدٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ جَيْشَهُ بِالْبَيْدَاءِ ، وَقَالَ لِي: يَا بَشِيرُ ، الْحَقُّ بِالْمَهْدِيِّ بِمَكَّةَ ، فَبَشَّرَهُ بِهَلَاكِ السُّفْيَانِيِّ ، وَتُبَّ عَلَى يَدِهِ فَإِنَّهُ يَقْبَلُ تَوْبَتَكَ ، فَيَمُرُّ الْقَائِمُ يَدُهُ عَلَى وَجْهِهِ فَيَرُدُّهُ سَوِيًّا كَمَا كَانَ وَيُبَايِعُهُ وَيَسِيرُ مَعَهُ»^(١).

٤ = في مختصر بصائر الدرجات في أجوبة المفصل: «ثُمَّ تَظْهَرُ الدَّابَّةُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ ، فَيَكْتُبُ فِي وَجْهِ الْمُؤْمِنِ مُؤْمِنٌ ، وَفِي وَجْهِ الْكَافِرِ كَافِرٌ.

(١) الهداية الكبرى : ٣٩٧ - ٣٩٩.

ثُمَّ يَظْهَرُ السُّفْيَانِيُّ وَيَسِيرُ جَيْشُهُ إِلَى الْعِرَاقِ فَيُخْرِئُهُ ، وَيُخْرِبُ الزُّوْرَاءَ ، وَيُتْرَكُهُمَا جَمَاءَ ، وَيُخْرِبُ الْكُوفَةَ وَالْمَدِينَةَ ، وَتُرَوِّثُ بِغَالِهِمْ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وَجَيْشُ السُّفْيَانِيِّ يَوْمَئِذٍ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفٍ رَجُلٍ ، بَعْدَ أَنْ خَرَبَ الدُّنْيَا ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى الْبَيْدَاءِ يُرِيدُ مَكَّةَ وَخَرَابَ الْبَيْتِ ، فَلَمَّا صَارَ بِالْبَيْدَاءِ وَعَرَسَ بِهَا ، صَاحَ بِهِمْ صَاحٌّ : يَا بَيْدَاءُ أَيْدِي ، فَنَبَتْلِعُهُمُ الْأَرْضُ بِخَيْلِهِمْ ، فَيَبْقَى اثْنَانِ ، فَيَنْزِلُ مَلَكٌ فَيَحْوِلُ وَجُوهَهُمَا إِلَى وَرَائِهِمَا وَيَقُولُ : يَا بَشِيرُ ، امْضِ إِلَى الْمَهْدِيِّ وَبَشِّرْهُ بِهَلَاكِ جَيْشِ السُّفْيَانِيِّ .

وَقَالَ لِلَّذِي اسْمُهُ نَذِيرٌ : امْضِ إِلَى السُّفْيَانِيِّ فَعَرِّفْهُ بِظُهُورِ الْمَهْدِيِّ ﷺ مَهْدِيَّ آلِ

مُحَمَّدٍ ﷺ .

فَيَمْضِي مُبَشِّرًا إِلَى الْمَهْدِيِّ ﷺ وَيَعْرِفُهُ بِهَلَاكِ جَيْشِ السُّفْيَانِيِّ ، وَإِنَّ الْأَرْضَ انْفَجَرَتْ ، فَلَمْ يَبْقَ مِنَ الْجَيْشِ عَقْلٌ نَاقَةٌ ، فَاِذَا بَاتَ مَسَحَ الْمَهْدِيُّ ﷺ عَلَى وَجْهِهِ وَبَرَدُهُ خَلْقًا سِوَايَا ، وَيَبَايَعُهُ وَيَكُونُ مَعَهُ ^(١) .

٥ - وفي خطبة المخزون الواردة في مختصر بصائر الدرجات : « وَلِذَلِكَ آيَاتٌ وَعَلَامَاتٌ ، أَوَّلُهُنَّ : إِحْصَارُ الْكُوفَةِ بِالرَّصِدِ وَالْخَنْدَقِ ، وَتَحْرِيقُ الزَّوَايَا فِي سِكَكِ الْكُوفَةِ ، وَتَعْطِيلُ الْمَسَاجِدِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، وَتَخْفِقُ رَايَاتُ ثَلَاثِ حَوْلِ الْمَسْجِدِ الْأَكْبَرِ ، يُشْبِهْنَ بِالْهَدَى ، الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ ، وَقَتْلُ كَثِيرٍ وَمَوْتُ كَثِيرٍ ذَرِيعٌ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الرُّكْبَةِ بِظَهْرِ الْكُوفَةِ فِي سَبْعِينَ ، وَالْمَذْبُوحُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ ، وَقَتْلُ الْأَسْبَعِ الْمُظْفَرِ صَبْرًا فِي بَيْعَةِ الْأَصْنَامِ ، مَعَ كَثِيرٍ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ .

وَخُرُوجُ السُّفْيَانِيِّ بِرَايَةِ خَضْرَاءَ ، وَصَلِيبٍ مِنْ ذَهَبٍ ، أَمِيرُهَا رَجُلٌ مِنْ كَلْبٍ ، وَاثْنَا عَشَرَ أَلْفَ عَنَانٍ مِنْ خَيْلٍ يَحْمِلُ السُّفْيَانِيَّ مُتَوَجِّهًا إِلَى مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، أَمِيرُهَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ يُقَالُ لَهُ : خُزَيْمَةُ ، أَطْمَسُ الْعَيْنِ الشَّمَالِ ، عَلَى عَيْنِهِ طَرْفَةٌ تَمِيلُ بِالدُّنْيَا ، فَلَا تُرَدُّ

(١) مختصر بصائر الدرجات : ٤٤٥ .

لَهُ رَايَةٌ حَتَّى يَنْزَلَ الْمَدِينَةَ ، فَيَجْمَعُ رِجَالًا وَنِسَاءً مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ ص فَيَحْبِسُهُمْ فِي دَارٍ بِالْمَدِينَةِ يُقَالُ لَهَا: دَارُ أَبِي الْحَسَنِ الْأُمَوِيِّ .

وَيَبْعَثُ خِيَلًا فِي طَلَبِ رَجُلٍ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، قَدْ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ بِمَكَّةَ أَمِيرُهُمْ رَجُلٌ مِنْ غَطَفَانَ ، حَتَّى إِذَا تَوَسَّطُوا الصَّفَائِحَ الْبَيْضَ بِالْبَيْدَاءِ يُخَسِفُ بِهِمْ ، فَلَا يَنْجُو مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ ، يُحَوِّلُ اللَّهُ وَجْهَهُ فِي قَفَاهُ لِيُنْذِرَهُمْ ، وَلِيَكُونَ آيَةً لِمَنْ خَلْفَهُ ، فَيَوْمِئِذٍ تَأْوِيلُ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ (١) .

وَيَبْعَثُ السُّفْيَانِيُّ مَائَةً وَثَلَاثِينَ أَلْفًا إِلَى الْكُوفَةِ ، فَيَنْزِلُونَ بِالرُّوْحَاءِ وَفَارُوقَ ، وَمَوْضِعَ مَرْيَمَ وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِالْقَادِسِيَّةِ ، وَيَسِيرُ مِنْهُمْ ثَمَانُونَ أَلْفًا حَتَّى يَنْزِلُوا الْكُوفَةَ مَوْضِعَ قَبْرِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالنُّخَيْلَةِ ، فَيَهْجُمُوا عَلَيْهِ يَوْمَ زِينَةِ ، وَأَمِيرُ النَّاسِ جَبَّارٌ عِنْدُ يَقَالُ لَهُ: الْكَاهِنُ السَّاحِرُ ، فَيَخْرُجُ مِنْ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: الزُّورَاءُ فِي خَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْكَهَنَةِ ، وَيَقْتُلُ عَلَى جِسْرِهَا سَبْعِينَ أَلْفًا ، حَتَّى يَحْتَمِيَ النَّاسُ مِنَ الْفُرَاتِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنَ الدِّمَاءِ وَنَتْنِ الْأَجْسَامِ ، وَيَسْبِي مِنَ الْكُوفَةِ أَبْكَارًا ، لَا يُكْشَفُ عَنْهَا سِتْرٌ وَلَا قِنَاعٌ ، حَتَّى يُوَضَّعْنَ فِي الْمَحَامِلِ ، يُزْلَفُ بِهِنَّ الثَّوْبَةُ وَهِيَ الْغَرِيْبَةُ .

ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ الْكُوفَةِ مَائَةُ أَلْفٍ بَيْنَ مُشْرِكٍ وَمُنَافِقٍ ، حَتَّى يَضْرِبُوا دِمَشْقَ ، لَا يَصُدُّهُمْ عَنْهَا صَادٌّ ، وَهِيَ إِرَمُ ذَاتِ الْعِمَادِ ، وَتُقْبَلُ رَايَاتُ شَرْقِيٍّ الْأَرْضِ لَيْسَتْ بِقُطْنٍ وَلَا كِتَانٍ وَلَا حَرِيرٍ ، مُخْتَمَةً فِي رُءُوسِ الْقَنَا بِخَاتَمِ السَّيِّدِ الْأَكْبَرِ ، يَسُوقُهَا رَجُلٌ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، يَوْمَ تَطِيرُ بِالْمَشْرِقِ يُوجَدُ رِيحُهَا بِالْمَغْرِبِ كَالْمِسْكِ الْأَذْفَرِ ، يَسِيرُ الرُّعْبُ أَمَامَهَا شَهْرًا .

وَيَخْلُفُ أَبْنَاءُ سَعْدِ السَّقَّاءِ بِالْكُوفَةِ طَالِبِينَ بِدِمَاءِ آبَائِهِمْ ، وَهُمْ أَبْنَاءُ الْفَسَقَةِ ، حَتَّى

تَهْجُمَ عَلَيْهِمْ خَيْلُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام)، يَسْتَبِقَانِ كَانَتْهُمَا فَرَسَا رِهَانٍ، شُعْتُ غُبْرُ أَصْحَابِ
بَوَاكِي وَقَوَارِحَ؛ إِذْ يَضْرِبُ أَحَدُهُمْ بِرِجْلِهِ بَاكِيَةً، يَقُولُ: لَا خَيْرَ فِي مَجْلِسٍ بَعْدَ يَوْمِنَا
هَذَا...»^(١).

٦- في الغيبة للنعماني: عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: «قال أبو جعفر مُحَمَّد
ابن علي الباقر (عليه السلام): يَا جَابِرُ، الزَّمِ الْأَرْضَ وَلَا تُحَرِّكْ يَدًا وَلَا رِجْلًا حَتَّى تَرَى عِلَامَاتِ
أَذْكُرَهَا لَكَ - إِنْ أَدْرَكْتَهَا - أُولَئِهَا: اخْتِلَافُ بَنِي الْعَبَّاسِ، وَمَا أَرَاكَ تُدْرِكُ ذَلِكَ، وَلَكِنْ
حَدَّثَ بِهِ مَنْ بَعْدِي عَنِّي، وَمُنَادٍ يُنَادِي مِنَ السَّمَاءِ، وَيَحْيِيكُمْ الصَّوْتُ مِنْ نَاحِيَةِ دِمَشْقَ
بِالْفَتْحِ، وَتُخَسَفُ قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى الشَّامِ تُسَمَّى الْجَابِيَّةَ، وَتَسْقُطُ طَائِفَةٌ مِنْ مَسْجِدِ دِمَشْقَ
الْأَيْمَنِ، وَمَارِقَةٌ تَمْرُقُ مِنْ نَاحِيَةِ التُّرْكِ، وَيَعْقُبُهَا هَرَجُ الرُّومِ، وَسَيَقْبِلُ إِخْوَانُ التُّرْكِ
حَتَّى يَنْزِلُوا الْجَزِيرَةَ، وَسَيَقْبِلُ مَارِقَةَ الرُّومِ حَتَّى يَنْزِلُوا الرَّمْلَةَ، فَتِلْكَ السَّنَةُ - يَا جَابِرُ -
فِيهَا اخْتِلَافٌ كَثِيرٌ فِي كُلِّ أَرْضٍ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَغْرِبِ، فَأَوَّلُ أَرْضٍ تَخْرُبُ أَرْضُ الشَّامِ،
ثُمَّ يَخْتَلِفُونَ عِنْدَ ذَلِكَ عَلَى ثَلَاثِ رَايَاتٍ: رَايَةُ الْأَصْهَبِ، وَرَايَةُ الْأَبْقَعِ، وَرَايَةُ
السُّفْيَانِيِّ، فَيَلْتَقِي السُّفْيَانِيُّ بِالْأَبْقَعِ فَيَقْتَتِلُونَ، فَيَقْتُلُهُ السُّفْيَانِيُّ وَمَنْ تَبِعَهُ، ثُمَّ يَقْتُلُ
الْأَصْهَبَ، ثُمَّ لَا يَكُونُ لَهُ هِمَّةٌ إِلَّا الْإِقْبَالَ نَحْوَ الْعِرَاقِ، يَمُرُّ جَيْشُهُ بِقَرْيَسِيَاءَ فَيَقْتَتِلُونَ
بِهَا، فَيَقْتُلُ بِهَا مِنَ الْجَبَّارِينَ مِائَةَ أَلْفٍ، وَيَبْعَثُ السُّفْيَانِيُّ جَيْشًا إِلَى الْكُوفَةِ وَعِدَّتُهُمْ
سَبْعُونَ أَلْفًا، فَيَصِيبُونَ مِنَ أَهْلِ الْكُوفَةِ قَتْلًا وَصَلْبًا وَسَبْيًا.

فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَتْ رَايَاتُ مِنْ قَبْلِ خُرَاسَانَ، وَتَطْوِي الْمَنَازِلَ طَيًّا حَثِيثًا،
وَمَعَهُمْ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ الْقَائِمِ، ثُمَّ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ مَوَالِي أَهْلِ الْكُوفَةِ فِي ضِعْفَاءَ فَيَقْتُلُهُ
أَمِيرُ جَيْشِ السُّفْيَانِيِّ بَيْنَ الْحِيرَةِ وَالْكُوفَةِ، وَيَبْعَثُ السُّفْيَانِيُّ بَعْثًا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَيَنْفِرُ
الْمَهْدِيُّ مِنْهَا إِلَى مَكَّةَ، فَيَبْلُغُ أَمِيرَ جَيْشِ السُّفْيَانِيِّ: أَنَّ الْمَهْدِيَّ قَدْ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ،

(١) مختصر بصائر الدرجات: ٤٦٣ - ٤٧٥.

فَيَبْعَثُ جَيْشًا عَلَى أَثَرِهِ فَلَا يُدْرِكُهُ ، حَتَّى يَدْخُلَ مَكَّةَ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ عَلَى سُنَّةِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عليه السلام .

قَالَ : فَيَنْزِلُ أَمِيرُ جَيْشِ السُّفْيَانِيِّ الْبَيْدَاءَ فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : يَا بَيْدَاءُ ، أَيْدِي الْقَوْمِ ، فَيَخْشَفُ بِهِمْ فَلَا يُفْلِتُ مِنْهُمْ إِلَّا ثَلَاثَةٌ نَفَرٌ يُحَوِّلُ اللَّهُ وُجُوهَهُمْ إِلَى أَفْقِيَّتِهِمْ ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ ، وَفِيهِمْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا ﴾ الْآيَةُ (١) .

قَالَ : وَالْقَائِمُ يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ قَدْ أَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ مُسْتَجِيرًا بِهِ ، فَيُنَادِي : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا نَسْتَنْصِرُ اللَّهَ ، فَمَنْ أَجَابَنَا مِنَ النَّاسِ فَأَنَا أَهْلُ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ، وَنَحْنُ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ وَبِمُحَمَّدٍ عليه السلام ، فَمَنْ حَاجَّني فِي آدَمَ فَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِآدَمَ ، وَمَنْ حَاجَّني فِي نُوحٍ فَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِنُوحٍ ، وَمَنْ حَاجَّني فِي إِبْرَاهِيمَ ، فَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ ، وَمَنْ حَاجَّني فِي مُحَمَّدٍ عليه السلام فَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِمُحَمَّدٍ عليه السلام ، وَمَنْ حَاجَّني فِي النَّبِيِّينَ فَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِالنَّبِيِّينَ .

أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢﴾ ، فَأَنَا بَقِيَّةٌ مِنْ آدَمَ ، وَذَخِيرَةٌ مِنْ نُوحٍ ، وَمُصْطَفَى مِنْ إِبْرَاهِيمَ ، وَصَفْوَةٌ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ . أَلَا فَمَنْ حَاجَّني فِي كِتَابِ اللَّهِ فَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِكِتَابِ اللَّهِ ، أَلَا وَمَنْ حَاجَّني فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ فَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله .

فَأَنْشُدُ اللَّهَ مَنْ سَمِعَ كَلَامِي الْيَوْمَ لَمَّا بَلَغَ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ ، وَأَسْأَلُكُمْ بِحَقِّ اللَّهِ ، وَحَقِّ رَسُولِهِ صلى الله عليه وآله ، وَبِحَقِّي ، فَإِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقَّ الْقُرْبَى مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ، إِلَّا أَعْتَمْتُمُونَا ،

(١) النساء ٤ : ٤٧ .

(٢) آل عمران ٣ : ٣٣ و ٣٤ .

وَمَنْعَتُمُونَا مِمَّنْ يَظْلِمُنَا ، فَقَدْ أُخِفْنَا وَظَلِمْنَا ، وَطَرِدْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانِنَا ، وَبُعِيَ عَلَيْنَا ، وَدُفِعْنَا عَنْ حَقِّنَا ، وَافْتَرَى أَهْلُ الْبَاطِلِ عَلَيْنَا ، فَاللَّهُ اللَّهُ فِينَا ، لَا تَخْذُلُونَا ، وَانْصُرُونَا يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ تَعَالَى .

قَالَ : قَالَ : فَيَجْمَعُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَصْحَابَهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا ، وَيَجْمَعُهُمُ اللَّهُ لَهُ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ قَرَعًا كَفَزَعَ الْخَرِيفِ ، وَهِيَ - يَا جَابِرُ - الْآيَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ : ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١) ، فَيَبَايَعُونَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ ، وَمَعَهُ عَهْدٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ تَوَارَثَتْهُ الْأَبْنَاءُ عَنِ الْأَبَاءِ ، وَالْقَائِمُ - يَا جَابِرُ - رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ يُصْلِحُ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ فِي لَيْلَةٍ ، فَمَا أَشْكَلَ عَلَى النَّاسِ مِنْ ذَلِكَ - يَا جَابِرُ - فَلَا يُشْكِلَنَّ عَلَيْهِمْ وَلَا دُتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَوَرِاثَتُهُ الْعُلَمَاءُ عَالِمًا بَعْدَ عَالِمٍ ، فَإِنْ أَشْكَلَ هَذَا كُلُّهُ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ الصَّوْتَ مِنَ السَّمَاءِ لَا يُشْكِلُ عَلَيْهِمْ إِذَا نُودِيَ بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ^(٢) .

٧ - فِي غَيْبَةِ النُّعْمَانِيِّ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ هَمَامٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبَانَ ، عَنْ يُونُسَ ابْنِ أَبِي يَعْفُورٍ ، قَالَ : « سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : إِذَا خَرَجَ السُّفْيَانِيُّ يَبْعَثُ جَيْشًا إِلَيْنَا وَجَيْشًا إِلَيْكُمْ ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَأَتُونَا عَلَى كُلِّ صَعْبٍ وَذُلُولٍ »^(٣) .

أَقُولُ : يُونُسُ كُوفِي . قَالَ الشَّيْخُ : « يُونُسُ بْنُ أَبِي يَعْفُورٍ : رَوَى عَنْهُ يُونُسُ بْنُ يَعْقُوبٍ ، وَاسْمُ أَبِي يَعْفُورٍ قَيْسُ بْنُ يَعْفُورٍ ، مِنْ بَنِي أَشِيمٍ ، كُوفِي »^(٤) .

وَفِي نَقْدِ الرِّجَالِ : « رَوَى عَنْهُ يُونُسُ بْنُ يَعْقُوبٍ ، وَاسْمُ أَبِي يَعْفُورٍ قَيْسُ بْنُ

(١) البقرة ٢ : ١٤٨ .

(٢) كتاب الغيبة للنعماني : ٢٧٩ - ٢٨٢ .

(٣) كتاب الغيبة للنعماني : ٣٠٦ ، الحديث ١٧ .

(٤) معجم رجال الحديث : ٢١ : ٢٠٠ .

يعفور، من بني أشيم، كوفي، من أصحاب الباقر^(١) والصادق^(٢) عليهما السلام^(٣).

فقول الإمام حسب الرواية: «إِذَا خَرَجَ السُّفْيَانِيُّ يَبْعَثُ جَيْشًا إِلَيْنَا وَجَيْشًا إِلَيْكُمْ» يدلّ على أنّ السفيناني يبعث جيشاً إلى الحجاز وجيشاً إلى الكوفة، إلا أنّ هذه الرواية ليس فيها حديث عن سيطرته عليها، اللهم إلا أن يقال بأنّ عبارة «فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَأَتُونَا عَلَى كُلِّ صَعْبٍ وَذُلُولٍ» تدلّ على غلبته في الكوفة دون الحجاز، ولهذا أمر الإمام عليه السلام بشدّ الرحال من الكوفة إلى الحجاز.

٨ - وفي غيبة الشيخ: عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «كَأَنِّي بِالسُّفْيَانِيِّ - أَوْ لِصَاحِبِ السُّفْيَانِيِّ - قَدْ طَرَحَ رَحْلَهُ فِي رَحْبَتِكُمْ بِالْكُوفَةِ فَنَادَى مُنَادِيهِ: مَنْ جَاءَ بِرَأْسِ [رَجُلٍ] مِنْ شِيعَةِ عَلِيٍّ فَلَهُ أَلْفُ دِرْهَمٍ»^(٤).

٩ - في التشریف بالمنن: «الباب ٩٢: فيما ذكره نعيم من دخول السفيناني الكوفة، وإقامته بها ثماني عشرة ليلة، ويقتل منها ستين ألفاً.

١٠٩ - قال: حدّثنا نعيم، حدّثنا الحكم بن نافع، عن جرّاح، عن أرطاة، قال: «يدخل السفيناني الكوفة فيسيبها ثلاثة أيام، ويقتل من أهلها ستين ألفاً، ويمكث فيها ثماني عشرة ليلة يقسم أموالها، ودخوله الكوفة، ثم ذكر تمام الحديث... إلى أن تبعث الرايات السود بالبيعة إلى المهدي».

وفيه: «الباب ١٠٤: فيما ذكره في أنّ من علامات المهدي وصول السفيناني الكوفة... قال: أخبرنا نعيم، حدّثنا الوليد ورشدين عن ابن لهيعة، حدّثني أبو زرعة عن ابن زريق، [عن عمّار بن ياسر]، قال: «إذا بلغ السفيناني الكوفة، وقتل أعوان

(١) رجال الطوسي: ١٥٠، الرقم ١٦.

(٢) رجال الطوسي: ٣٢٤، الرقم ٧١.

(٣) نقد الرجال: ١٠٦: ٥.

(٤) كتاب الغيبة للطوسي: ٤٥٠.

آل محمد، خرج المهديّ على لوائه شعيب بن صالح...»^(١).

قال: حدّثنا نعيم، حدّثنا عبد القدّوس، عن ابن عيّاش، قال: حدّثني بعض أهل العلم عن محمد بن جعفر، عن عليّ بن أبي طالب، قال: «يكتب السفينانيّ إلى الذي دخل الكوفة بخيله بعدما يعركها عرك الأديم يأمره بالمسير إلى الحجاز، فيسير إلى المدينة، فيضع السيف في قريش، فيقتل منهم ومن الأنصار أربعمئة رجل، ويبقر البطون، ويقتل الولدان، ويقتل أخوين من قريش رجل وأخته يقال لهما: محمد وفاطمة، ويصلبهما على باب المسجد بالمدينة»^(٢).

وفيه: «ثمّ من بعد ذلك الكوفة، ويكون السفينانيّ بالشام، فإذا صار جيشه بالكوفة بويح لخير آل محمد ﷺ تحت الكعبة، فيتمنّى الأحياء عند ذلك أنّ أمواتهم في الحياة، يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً»^(٣).

١٠ - ونقل عن كتاب الفتن^(٤) للسليبيّ في الباب ٥٤: فيما نذكره من الملاحم عن مولانا عليّ عليه السلام... قال: حدّثنا عمر، قال: حدّثنا محمد، قال: حدّثنا أحمد، قال: حدّثني محمد بن القاسم، عن محمد بن عبد الرحمن، عن جعفر بن محمد عليه السلام، أنّه قال: «إنّ لنا بالبصرة وقعة عظيمة، وقد قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام... (وذكر ما جرى من حديث عليّ بن محمد صاحب الزنج وغيره، ثمّ قال:) وتعود دار الملك إلى الزوراء، وتصير الأمور شوري، من غلب على شيء فعله، فعند ذلك خروج السفينانيّ، فيركب في الأرض تسعة أشهر يسومهم سوء العذاب، فويل لمصر، وويل للزوراء، وويل للكوفة، والويل لواسط»^(٥).

(١) الملاحم والفتن: ١١٧.

(٢) الملاحم والفتن: ١٢٥.

(٣) الملاحم والفتن: ٢٣٥.

(٤) كتاب الفتن: ٢٦٦.

(٥) الملاحم والفتن: ٢٦٦.

١١ - رجال الكشي: حمدويه، عن ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، ومحمد بن مسعود، عن أحمد بن المنصور، عن أحمد بن الفضل، عن ابن أبي عمير، عن حماد بن عيسى، عن عبد الحميد بن أبي الديلم، قال: «كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَأَتَاهُ كِتَابُ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَعِيمٍ وَكِتَابُ الْفَيْضِ بْنِ الْمُخْتَارِ وَسَلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ، يُخْبِرُونَهُ أَنَّ الْكُوفَةَ شَاغِرَةٌ بِرَجُلَيْهَا، وَأَنَّهُ إِنْ أَمَرَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا مَا أَخَذُوا، فَلَمَّا قَرَأَ كِتَابَهُمْ رَمَى بِهِ، ثُمَّ قَالَ: مَا أَنَا لَهُؤُلَاءِ بِإِمَامٍ. أَمَا عَلِمُوا أَنَّ صَاحِبَهُمُ السُّفْيَانِيُّ»^(١).

١٢ - وفي البحار عن تفسير العياشي: عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام يقول: «الزَّمِ الْأَرْضَ لَا تُحَرِّكَنَّ يَدَكَ وَلَا رِجْلَكَ أَبَدًا حَتَّى تَرَى عَلَامَاتٍ أَذْكُرُهَا لَكَ فِي سَنَةٍ، وَتَرَى مُنَادِيًا يَنَادِي بِدِمَشْقَ، وَخُسْفٍ بِقَرْيَةٍ مِنْ قُرَاهَا، وَيَسْقُطُ طَائِفَةٌ مِنْ مَسْجِدِهَا، فَإِذَا رَأَيْتَ التُّرْكَ جَازَوْهَا فَأَقْبَلَتِ التُّرْكَ حَتَّى نَزَلَتِ الْجَزِيرَةَ، وَأَقْبَلَتِ الرُّومُ حَتَّى نَزَلَتِ الرَّمْلَةَ، وَهِيَ سَنَةٌ اخْتِلَافٍ فِي كُلِّ أَرْضٍ مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ، وَإِنَّ أَهْلَ الشَّامِ يَخْتَلِفُونَ عِنْدَ ذَلِكَ عَلَى ثَلَاثِ رَايَاتٍ: الْأَصْهَبُ وَالْأَبْقَعُ وَالسُّفْيَانِيُّ مَعَ بَنِي ذَنْبِ الْحِمَارِ مُضْرٌّ، وَمَعَ السُّفْيَانِيِّ، أَخْوَالُهُ مِنْ كُلِّ، فَيُظْهَرُ السُّفْيَانِيُّ وَمَنْ مَعَهُ عَلَى بَنِي ذَنْبِ الْحِمَارِ حَتَّى يَقْتُلُوا قَتْلًا لَمْ يَقْتُلْهُ شَيْءٌ قَطُّ، وَيَحْضُرُ رَجُلٌ بِدِمَشْقَ فَيُقْتَلُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ قَتْلًا لَمْ يَقْتُلْهُ شَيْءٌ قَطُّ، وَهُوَ مِنْ بَنِي ذَنْبِ الْحِمَارِ، وَهِيَ الْآيَةُ الَّتِي يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾»^(٢)، وَيُظْهَرُ السُّفْيَانِيُّ وَمَنْ مَعَهُ حَتَّى لَا يَكُونَ لَهُ هِمَّةٌ إِلَّا آلَ مُحَمَّدٍ عليه السلام وَشِيعَتُهُمْ، فَيَبْعَثُ بَعْثًا إِلَى الْكُوفَةِ فَيَصَابُ بِأَنَاسٍ مِنْ شِيعَةِ آلِ مُحَمَّدٍ بِالْكُوفَةِ قَتْلًا

(١) رجال الكشي: ٣٥٣ و ٣٥٤، الرقم ٦٦٢.

(٢) مريم ١٩: ٣٧.

وَصَلَبًا ، وَيُقْبَلُ رَايَةً مِنْ خُرَّاسَانَ حَتَّى يَنْزِلَ سَاحِلَ الدَّجَلَةِ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنَ الْمَوَالِي ضَعِيفٌ وَمَنْ تَبِعَهُ فَيُصَابُ بِظَهْرِ الْكُوفَةِ ، وَيَبْعَثُ بَعْثًا إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَيَقْتُلُ بِهَا رَجُلًا ، وَيَهْرُبُ الْمَهْدِيُّ وَالْمَنْصُورُ مِنْهَا ، وَيُؤْخَذُ آلُ مُحَمَّدٍ صَغِيرُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ ، لَا يَتْرُكُ مِنْهُمْ أَحَدًا إِلَّا حَبَسَ ، وَيَخْرُجُ الْجَيْشُ فِي طَلَبِ الرَّجُلَيْنِ ^(١) .

١٣ - وفي البحار عن سرور أهل الإيمان : وبإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام - في خبر طويل - أنه قال : « لَا يَكُونُ ذَلِكَ حَتَّى يَخْرُجَ خَارِجٌ مِنْ آلِ أَبِي سُفْيَانَ يَمْلِكُ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ كَحَمَلِ الْمَرْأَةِ ، وَلَا يَكُونُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ وَلَدِ الشَّيْخِ ، فَيَسِيرُ حَتَّى يُقْتَلَ بِبَطْنِ النَّجَفِ . فَوَاللَّهِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رِمَاحِهِمْ وَسُيُوفِهِمْ وَأَمْتِنَتِهِمْ إِلَى حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ النَّجَفِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ ، وَيُسْتَشْهَدُ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ » ^(٢) .

١٤ - وفيه : وبإسناده ، عن ابن محبوب ، عن ابن عاصم الحافظ ، عن أبي حمزة الثمالي ، قال : « سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ : إِذَا سَمِعْتُمْ بِاخْتِلَافِ الشَّامِ فِيمَا بَيْنَهُمْ فَالْهَرَبُ مِنَ الشَّامِ ، فَإِنَّ الْقَتْلَ بِهَا وَالْفِتْنَةَ .

قُلْتُ : إِلَى أَيِّ الْبِلَادِ ؟ فَقَالَ : إِلَى مَكَّةَ فَإِنَّهَا خَيْرُ بِلَادٍ يَهْرُبُ النَّاسُ إِلَيْهَا . قُلْتُ : فَالْكُوفَةُ ؟ قَالَ : الْكُوفَةُ مَاذَا يُلْقَوْنَ يُقْتَلُ الرَّجَالُ إِلَّا شَامِيًّا ، وَلَكِنَّ الْوَيْلَ لِمَنْ كَانَ فِي أَطْرَافِهَا مَاذَا يَمُرُّ عَلَيْهِمْ مِنْ أَذَى بِهِمْ ، وَتُسَبَّى بِهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ ، وَأَحْسَنُهُمْ حَالًا مَنْ يَعْبُرُ الْفُرَاتَ ، وَمَنْ لَا يَكُونُ شَاهِدًا بِهَا .

قَالَ : فَمَا تَرَى فِي سُكَّانِ سَوَادِهَا ؟ فَقَالَ بِيَدِهِ : يَعْنِي لَا ، ثُمَّ قَالَ : الْخُرُوجُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَقَامِ فِيهَا .

(١) بحار الأنوار : ٥٢ : ٢٢٢ و ٢٢٣ ، الحديث ٨٧ .

(٢) بحار الأنوار : ٥٢ : ٢٧١ ، الحديث ١٦٣ .

قُلْتُ: كَمْ يَكُونُ ذَلِكَ؟ قَالَ: سَاعَةً وَاحِدَةً مِنْ نَهَارٍ.

قُلْتُ: مَا حَالُ مَنْ يُؤْخَذُ مِنْهُمْ؟ قَالَ: لَيْسَ عَلَيْهِمْ بَأْسٌ، أَمَّا إِنَّهُمْ سَيَنْتَفِذُهُمْ أَقْوَامٌ مَا لَهُمْ عِنْدَ أَهْلِ الْكُوفَةِ يَوْمَئِذٍ قَدَرٌ، أَمَّا لَا يَجُوزُونَ بِهِمُ الْكُوفَةَ»^(١).

١٥ - وفيه: وفي خبر آخر: «يُخْرَجُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَيَقِيمُ بِهَا مَا شَاءَ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى الْكُوفَةِ وَيَسْتَعْمِلُ عَلَيْهَا رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ، فَإِذَا نَزَلَ الشَّفْرَةَ جَاءَهُمْ كِتَابُ السُّفْيَانِيِّ: إِنْ لَمْ تَقْتُلُوهُ لَأَقْتُلَنَّ مَقَاتِلِيكُمْ، وَلَأَسْبِيَنَّ ذُرَارِيَكُمْ، فَيَقْبُلُونَ عَلَى عَامِلِهِ فَيَقْتُلُونَهُ، فَيَأْتِيهِ الْخَبَرُ فَيَرْجِعُ إِلَيْهِمْ فَيَقْتُلُهُمْ، وَيَقْتُلُ قُرَيْشًا حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُمْ إِلَّا أَكْلَةُ كَبْشٍ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى الْكُوفَةِ وَيَسْتَعْمِلُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ فَيَقْبِلُ وَيَنْزِلُ النَّجَفَ»^(٢).

١٦ - وفيه: عن تفسير العياشي: عن عبد الأعلى الحلبي قال: «قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَكُونُ لِصَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ غَيْبَةٌ فِي بَعْضِ هَذِهِ الشَّعَابِ، ثُمَّ أَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةِ ذِي طُوًى، حَتَّى إِذَا كَانَ قَبْلَ خُرُوجِهِ بِلَيْلَتَيْنِ انْتَهَى الْمَوْلَى الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ يَدَيْهِ، حَتَّى يَلْقَى بَعْضَ أَصْحَابِهِ فَيَقُولُ: كَمْ أَنْتُمْ هَاهُنَا؟ فَيَقُولُونَ: نَحْنُ مِنْ أَرْبَعِينَ رَجُلًا.

فَيَقُولُ: كَيْفَ أَنْتُمْ لَوْ قَدْ رَأَيْتُمْ صَاحِبَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَاللَّهِ لَوْ يَأْوِي بَنَا الْجِبَالِ لَا وَئِنَّا هَا مَعَهُ، ثُمَّ يَأْتِيهِمْ مِنَ الْقَابِلَةِ فَيَقُولُ لَهُمْ: أَشِيرُوا إِلَى ذَوِي أَسْنَانِكُمْ وَأَخْيَارِكُمْ عَشْرَةَ [عَشِيرَةً]؟ فَيَشِيرُونَ لَهُ إِلَيْهِمْ، فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ حَتَّى يَأْتُونَ صَاحِبَهُمْ، وَيَعِدُّهُمْ إِلَى اللَّيْلَةِ الَّتِي تَلِيهَا.

ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَاللَّهِ لَكَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَيْهِ وَقَدْ أَسْنَدَ ظَهْرُهُ إِلَى الْحَجَرِ، ثُمَّ يَنْشُدُ اللَّهَ حَقَّهُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ يُحَاجِّنِي فِي اللَّهِ فَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ. يَا أَيُّهَا النَّاسُ،

(١) بحار الأنوار: ٥٢: ٢٧١، الحديث ١٦٤.

(٢) بحار الأنوار: ٥٢: ٣٠٨، الحديث ٨٣.

مَنْ يُحَاجِّجُنِي فِي آدَمَ فَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِآدَمَ. يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ يُحَاجِّجُنِي فِي نُوحٍ فَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِنُوحٍ. يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ يُحَاجِّجُنِي فِي إِبْرَاهِيمَ فَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ. يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ يُحَاجِّجُنِي فِي مُوسَى فَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِمُوسَى. يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ يُحَاجِّجُنِي فِي عِيسَى فَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى. يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ يُحَاجِّجُنِي فِي مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِمُحَمَّدٍ. يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ يُحَاجِّجُنِي فِي كِتَابِ اللَّهِ فَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِكِتَابِ اللَّهِ، ثُمَّ يَنْتَهِي إِلَى الْمَقَامِ فَيُصَلِّي عَنْدهُ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ يَنْشُدُ اللَّهَ حَقَّهُ.

ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: هُوَ وَاللَّهُ الْمُضْطَرُّ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿أَمَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ ^(١)، وَجَبْرِئِيلَ عَلَى الْمِيزَابِ فِي صُورَةِ طَائِرٍ أَبْيَضَ، فَيَكُونُ أَوَّلَ خَلْقِ اللَّهِ يُبَايِعُهُ جَبْرِئِيلُ، وَيُبَايِعُهُ الثَّلَاثُمِائَةُ وَالْبُضْعَةُ عَشَرَ رَجُلًا.

قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: فَمَنْ ابْتُلِيَ فِي الْمَسِيرِ وَافَاهُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ، وَمَنْ لَمْ يُبْتَلِ بِالْمَسِيرِ فَقَدْ عَنَ فِرَاشِهِ.

ثُمَّ قَالَ: هُوَ وَاللَّهُ قَوْلُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام: الْمَفْقُودُونَ عَنْ فُرُشِهِمْ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ ^(٢) أَصْحَابُ الْقَائِمِ الثَّلَاثُمِائَةِ وَالْبُضْعَةُ عَشَرَ رَجُلًا.

قَالَ: هُمْ وَاللَّهُ الْأُمَّةُ الْمَعْدُودَةُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَلَيْنَ أَخْرَجْنَاهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾ ^(٣). قَالَ: يَجْتَمِعُونَ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ قَزَعًا كَقَزَعِ الْخَرِيفِ، فَيُصْبِحُ بِمَكَّةَ

(١) النمل ٢٧: ٦٢.

(٢) البقرة ٢: ١٤٨.

(٣) هود ١١: ٨.

فَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ ، فَيَحْبِبُهُ نَفَرٌ يَسِيرٌ ، وَيَسْتَعْمِلُ عَلَى مَكَّةَ ، ثُمَّ يَسِيرُ فَيَبْلُغُهُ أَنَّ قَدْ قُتِلَ عَامِلُهُ ، فَيَرْجِعُ إِلَيْهِمْ فَيَقْتُلُ الْمُقَاتِلَةَ ، لَا يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا - يَعْنِي السَّبْيَ - .

ثُمَّ يَنْطَلِقُ فَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ السَّلَامُ ، وَالْوَلَايَةِ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ ، وَالْبَرَاءَةِ مِنْ عَدُوِّهِ ، وَلَا يُسَمِّي أَحَدًا حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى الْبَيْدَاءِ ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ جَيْشُ السُّفْيَانِيِّ ، فَيَأْمُرُ اللَّهُ الْأَرْضَ فَيَأْخُذُهُمْ مِنْ تَحْتِ أَقْدَامِهِمْ ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزَعُوا فَلَافَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ * وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ ﴾ - يَعْنِي بِقَائِمِ آلِ مُحَمَّدٍ - ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ ﴾ - يَعْنِي بِقَائِمِ آلِ مُحَمَّدٍ - إِلَى آخِرِ السُّورَةِ (١) ، فَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ إِلَّا رَجُلَانِ يُقَالُ لَهُمَا: وَتَرٌ وَوَتِيرَةٌ مِنْ مُرَادٍ ، وَجُوهُهُمَا فِي أَقْفَتَيْهِمَا ، يَمْشِيَانِ الْقَهْقَرَى ، يُخْبِرَانِ النَّاسَ بِمَا فَعَلَ بِأَصْحَابِهِمَا ، ثُمَّ يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ فَيُغِيبُ عَنْهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ قُرَيْشٌ ، وَهُوَ قَوْلُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ قُرَيْشًا - أَيْ عِنْدَهَا - مَوْفِقًا وَاحِدًا جَزَرَ جَزُورٍ بِكُلِّ مَا مَلَكَتْ ، وَكُلِّ مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أَوْ غَرَبَتْ .

ثُمَّ يُحَدِّثُ حَدَثًا ، فَإِذَا هُوَ فَعَلَ قَالَتْ قُرَيْشٌ: أَخْرَجُوا بَنَا إِلَى هَذِهِ الطَّاغِيَةِ ، فَوَاللَّهِ أَنْ لَوْ كَانَ مُحَمَّدِيًّا مَا فَعَلَ ، وَلَوْ كَانَ عَلَوِيًّا مَا فَعَلَ ، وَلَوْ كَانَ فَاطِمِيًّا مَا فَعَلَ ، فَيَمْنَحُهُ اللَّهُ أَكْتَافَهُمْ ، فَيَقْتُلُ الْمُقَاتِلَةَ ، وَيَسْبِي الذَّرِيَّةَ ، ثُمَّ يَنْطَلِقُ حَتَّى يَنْزِلَ الشُّقْرَةَ ، فَيَبْلُغُهُ أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا عَامِلَهُ ، فَيَرْجِعُ إِلَيْهِمْ فَيَقْتُلُهُمْ مَقْتَلَةً لَيْسَ قَتْلُ الْحَرَّةِ إِلَيْهَا بِشَيْءٍ ، ثُمَّ يَنْطَلِقُ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ وَالْوَلَايَةِ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَالْبَرَاءَةِ مِنْ عَدُوِّهِ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ إِلَى الثَّغْلَبِيَّةِ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ صُلُبِ أَبِيهِ ، وَهُوَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَدَنِيَّةً ، وَأَشَجَعِهِمْ بَقْلَبَةً ، مَا خَلَا صَاحِبَ هَذَا الْأَمْرِ ، فَيَقُولُ: يَا هَذَا ، مَا تَصْنَعُ ، فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَجْفِلُ النَّاسَ إِجْفَالَ النَّعَمِ ، أَفَبِعَهْدٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَمْ بِمَاذَا ؟ فَيَقُولُ الْمَوْلَى

الَّذِي وَلِيَ الْبَيْعَةَ: وَاللَّهُ لَتَسْكُنَنَّ أَوْ لَأَضْرِبَنَّ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاكَ ، فَيَقُولُ لَهُ الْقَائِمُ: اسْكُتْ يَا فُلَانُ ، إِي وَاللَّهِ إِنْ مَعِيَ عَهْدًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ . هَاتِ لِي يَا فُلَانُ الْعَبَّةَ أَوْ الزَّنْفِيلَةَ ؟ فَيَأْتِيهِ بِهَا ، فَيَقْرُؤُ الْعَهْدَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ، فَيَقُولُ: جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ، أَعْطِنِي رَأْسَكَ أَقْبَلُهُ ؟ فَيُعْطِيهِ رَأْسَهُ فَيَقْبَلُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، ثُمَّ يَقُولُ: جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ، جَدِّدْ لَنَا بَيْعَةً ؟ فَيَجِدُّ لَهُمْ بَيْعَةً .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ مُصْعِدِينَ مِنْ نَجَفِ الْكُوفَةِ ثَلَاثِمِائَةٍ وَبِضْعَةِ عَشَرَ رَجُلًا كَانَ قُلُوبُهُمْ زُبُرَ الْحَدِيدِ ، جَبْرُئِيلُ عَنْ يَمِينِهِ ، وَمِيكَائِيلُ عَنْ يَسَارِهِ ، يَسِيرُ الرُّعْبُ أَمَامَهُ شَهْرًا وَخَلْفَهُ شَهْرًا ، أَمَدَهُ اللَّهُ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ، حَتَّى إِذَا صَعِدَ النَّجَفَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: تَعَبَدُوا لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ ، فَيَبْسُتُونَ بَيْنَ رَاكِعٍ وَسَاجِدٍ يَتَضَرَّعُونَ إِلَى اللَّهِ ، حَتَّى إِذَا أَصْبَحَ قَالَ: خُذُوا بِنَا طَرِيقَ النُّخَيْلَةِ ، وَعَلَى الْكُوفَةِ خَنْدَقٌ مُخَنْدَقٌ .

قُلْتُ: خَنْدَقٌ مُخَنْدَقٌ ؟ قَالَ: إِي وَاللَّهِ ، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى مَسْجِدِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام بِالنُّخَيْلَةِ فَيُصَلِّي فِيهِ رَكَعَتَيْنِ ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ مَنْ كَانَ بِالْكُوفَةِ مِنْ مُرْجِئِهَا ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ جَيْشِ السُّفْيَانِيِّ ، فَيَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: اسْتَطَرِدُّوا لَهُمْ ، ثُمَّ يَقُولُ: كَرُّوا عَلَيْهِمْ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: وَلَا يَجُوزُ وَاللَّهِ الْخَنْدَقُ مِنْهُمْ مُخْبِرٌ ، ثُمَّ يَدْخُلُ الْكُوفَةَ فَلَا يَبْقَى مُؤْمِنٌ إِلَّا كَانَ فِيهَا ، أَوْ حَنَّ إِلَيْهَا ، وَهُوَ قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ عليه السلام ، ثُمَّ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: سِيرُوا إِلَى هَذِهِ الطَّاغِيَةِ ، فَيَدْعُو إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ص ، فَيُعْطِيهِ السُّفْيَانِيُّ مِنَ الْبَيْعَةِ سِلْمًا ، فَيَقُولُ لَهُ كَلْبٌ - وَهُمْ أَخْوَالُهُ -: مَا هَذَا ، مَا صَنَعْتَ ، وَاللَّهِ مَا بُيَاعُكَ عَلَى هَذَا أَبَدًا ؟ فَيَقُولُ: مَا أَصْنَعُ ؟ فَيَقُولُونَ: اسْتَقْبَلْهُ فَيَسْتَقْبَلُهُ ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ الْقَائِمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ: خُذْ حِذْرَكَ فَإِنِّي أَدَيْتُ إِلَيْكَ ، وَأَنَا مُقَاتِلُكَ ، فَيُصْبِحُ فَيَقَاتِلُهُمْ ، فَيَمْنَحُهُ اللَّهُ أَكْتَافَهُمْ وَيَأْخُذُ السُّفْيَانِيُّ أَسِيرًا ، فَيَنْطَلِقُ بِهِ وَيَذْبَحُهُ بِيَدِهِ ، ثُمَّ يُرْسِلُ جَرِيدَةً خَيْلٍ إِلَى الرُّومِ

لَيْسَتْ حَضَرُوا بَقِيَّةَ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَإِذَا انْتَهَوْا إِلَى الرُّومِ قَالُوا: أَخْرِجُوا إِلَيْنَا أَهْلَ مِلَّتِنَا عِنْدَكُمْ ،
فَيَأْتُونَ وَيَقُولُونَ: وَاللَّهِ لَا نَفْعَلُ ، فَيَقُولُ الْجَرِيدَةُ: وَاللَّهِ لَوْ أَمَرْنَا لَقَاتَلْنَاكُمْ ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى
صَاحِبِهِمْ فَيَعْرِضُونَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، فَيَقُولُ: انْطَلِقُوا فَأَخْرِجُوا إِلَيْهِمْ أَصْحَابَهُمْ ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ
قَدْ أَتَوْا بِسُلْطَانٍ عَظِيمٍ ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴾ * لَا
تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴾ * - قَالَ: يَعْنِي الْكُتُوزَ
الَّتِي كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ - قَالُوا: يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى
جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١﴾ لَا يَبْقَى مِنْهُمْ مُخَبِّرٌ ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى الْكُوفَةِ فَيَبْعَثُ
الثَّلَاثِمَانَةَ وَالْبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا إِلَى الْآفَاقِ كُلِّهَا ، فَيَمْسَحُ بَيْنَ أَكْتَافِهِمْ ، وَعَلَى صُدُورِهِمْ
فَلَا يَتَعَايُونَ فِي قَضَاءٍ ، وَلَا تَبْقَى أَرْضٌ إِلَّا نُودِيَ فِيهَا شَهَادَةٌ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا
شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ ﴿٢﴾ ، وَلَا يَقْبَلُ صَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ الْجَزِيَّةَ كَمَا قَبَلَهَا رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ ﴿٣﴾ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يُقَاتِلُونَ وَاللَّهِ حَتَّى يُوَحِّدَ اللَّهُ وَلَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ ، وَحَتَّى يَخْرُجَ
الْعَجُوزُ الضَّعِيفَةُ مِنَ الْمَشْرِقِ تُرِيدُ الْمَغْرِبَ وَلَا يَنْهَاهَا أَحَدٌ ، وَيُخْرِجُ اللَّهُ مِنَ الْأَرْضِ
بَذَرَهَا ، وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ قَطْرَهَا ، وَيُخْرِجُ النَّاسَ خَرَاجَهُمْ عَلَى رِقَابِهِمْ إِلَى الْمَهْدِيِّ ،
وَيُوسِّعُ اللَّهُ عَلَى شِيعَتِنَا ، وَلَوْ لَا مَا يُدْرِكُهُمْ مِنَ السَّعَادَةِ لَبَغَوْا ، فَبَيْنَا صَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ قَدْ
حَكَمَ بَعْضُ الْأَحْكَامِ ، وَتَكَلَّمَ بَعْضُ السُّنَنِ؛ إِذْ خَرَجَتْ خَارِجَةً مِنَ الْمَسْجِدِ يُرِيدُونَ
الْخُرُوجَ عَلَيْهِ ، فَيَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: انْطَلِقُوا ، فَيَلْحَقُونَهُمْ فِي التَّمَارِينِ فَيَأْتُونَهُ بِهِمْ أَسْرَى ،

(١) الأنبياء ٢١: ١٢ - ١٥ .

(٢) آل عمران ٣: ٨٣ .

(٣) الأنفال ٨: ٣٩ .

فَيَأْمُرُ بِهِمْ فَيَذْبُحُونَ، وَهِيَ آخِرُ خَارِجَةٍ يَخْرُجُ عَلَى قَائِمِ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ^(١).

١٧ - في المستدرك^(٢): أخبرني محمد بن المؤمل، ثنا الفضل بن محمد الشعراني، ثنا نعيم بن حماد، ثنا الوليد ورشدين (قالا:) ثنا ابن لهيعة، عن أبي قبيل، عن أبي رومان، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: يظهر السفيناني على الشام، ثم يكون بينهم وقعة بقرقيسا، حتى تشيع طير السماء وسباع الأرض من جيفهم، ثم ينفق عليهم فتق من خلفهم، فتقبل طائفة منهم حتى يدخلوا أرض خراسان، وتقبل خيل السفيناني في طلب أهل خراسان، ويقتلون شيعة آل محمد عليه السلام بالكوفة، ثم يخرج أهل خراسان في طلب المهدي.

١٨ - وفي كنز العمال: عن عمّار بن ياسر، قال: «إن لأهل البيت بينكم أمارات، فالزموا الأرض حتى ينساب الترك في خلافة رجل ضعيف! فيخلع بعد سنتين من بيعته، ويخالف الترك بالروم، ويخسف بغربي مسجد دمشق، ويخرج ثلاثة نفر بالشام، ويأتي هلاك ملكهم من حيث بدأ، ويكون بدء الترك بالجزيرة والروم وقسطنطين، فيتبع عبدالله عبدالله فيلتقي جنودهما بقرقيسياء على النهر، فيكون قتال عظيم، ويسير صاحب المغرب فيقتل الرجال، ويسبي النساء، ثم يرجع في قيس حتى ينزل الجزيرة إلى السفيناني، فيتبع اليماني فيقتل قيساً بأريحا، ويحوز السفيناني ما جمعوا، ثم يسير إلى الكوفة فيقتل أعوان آل محمد، ثم يظهر السفيناني بالشام على الرايات الثلاث، ثم يكون كلهم وقعة بقرقيسياء عظيمة، ثم ينفق عليهم فتق من خلفهم، فيقتل طائفة منهم حتى يدخلوا أرض خراسان، وتقبل خيل السفيناني كالليل والليل، فلا تمر بشيء إلا أهلكته وهدمته حتى يدخلوا الكوفة فيقتلون شيعة

(١) بحار الأنوار: ٥٢: ٣٤١ - ٣٤٥، الحديث ٩١.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ٤: ٥٠٢.

آل محمّد ، ثمّ يطلبون أهل خراسان في كلّ وجه ، ويخرج أهل خراسان في طلب المهديّ ، فيدعون له وينصرونه»^(١). (نعيم).

وفيه : عن أبي جعفر ، قال : «إذا ظهر السفينائيّ على الأبقع وعلى المنصور والكنديّ والترك والروم ، خرج وسار إلى العراق ، ثمّ يطلع القرن ثمّ السعا ، فعند ذلك هلاك عبد الله ، ويخلع المخلوع ، وينسب أقوام في مدينة الزوراء على جهل ، فيظهر الأخص على مدينة الزوراء عنوة فيقتل بها مقتلة عظيمة ، ويقتل ستّة أكبش من آل عبّاس ، ويذبح فيها ذبحاً صبراً ، ثمّ يخرج إلى الكوفة»^(٢). (نعيم بن حمّاد كتاب الفتن).

١٩ - وفي فيض القدير^(٣) : «قال البسطاميّ : قبل نزول عيسى يخرج من بلاد الجزيرة رجل يقال له : الأصهب ، ويخرج عليه من الشام رجل يقال له : جرهم ، ثمّ يخرج القحطانيّ رجل بأرض اليمن ، فبينما هؤلاء الثلاثة إذا هم بالسفنيانيّ وقد خرج من غوطة دمشق ، واسمه معاوية بن عنبة ، وهو رجل مربوع القامة ، رقيق الوجه ، طويل الأنف ، في عينه اليمنى كسر قليل ، فأولّ ظهوره يكون بالزهد والعدل ، ويخطب له على منابر الشام ، فإذا تمكّن وقويت شوكته زال الإيمان من قلبه ، وأظهر الظلم والفسق ، يسير إلى العراق بجيش عظيم على مقدّمته رجل يقال له : ناهب ، فأولّ ما يقابله القحطانيّ ينهزم ، ثمّ ينفذ جيشاً إلى الكوفة وجيشاً إلى خراسان وجيشاً إلى الروم ، فيقتلون العباد ، ويظهرون الفساد .

وقيل : إنّ السفينائيّ من ولد أبي سفيان بن حرب ، يخرج من قبل المغرب من مكان يقال له البادي اليابس ، ويخرج حتّى يصل إسكندريّة ، فيقتل بها ما شاء الله ، ثمّ يدخل

(١) كنز العمال : ١١ : ٢٧٣ ، الرقم ٣١٤٩٧ .

(٢) كنز العمال : ١١ : ٢٧٧ ، الرقم ٣١٥١١ .

(٣) فيض القدير : ٤ : ١٦٨ .

مصر والشام والكوفة وبغداد وخراسان حتى يدخل مرو، فيلقاه رجل يسمى الحارث يقتله». (طب عن جاحل الصدفي). قال الهيثمي: فيه جماعة لم أعرفهم.

٢٠ - الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة: بالإسناد إلى جابر، أنه قال لأبي جعفر الباقر عليه السلام: متى يكون هذا الأمر؟ فقال عليه السلام: أنى يكون ذلك - يا جابر - ولما تكثرت القتل بين الحيرة والكوفة» (١).

أقول: يحتمل نظر هذه الرواية إلى أمر وقع سابقاً، ويحتمل نظرها إلى حركة السفيناني، أو حركة أخرى.

٢١ - الصدوق في إكمال الدين: بالإسناد إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: «يخرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس، وهو رجل ربعة، وحش الوجه، ضخمة الهامة، بوجه أثر جذري، إذا رأيته حسبتة أعور، اسمه عثمان، وأبوه عبسة، وهو من ولد أبي سفيان، حتى يأتي أرضاً ذات قرار ومعين فيستوي على منبرها» (٢).

أقول: وهذا العدد الكبير لا يملك الإنسان معه إلا الجزم بتحقيق القدر المشترك فيها، وهو سيطرة السفيناني على الكوفة وفعل الأفاعيل فيها، إلا أن هذه الروايات على كثرتها لم تنص على أن ذلك من المحتوم كأصل خروجه، والله الأمر من قبل ومن بعد، يدها مبسوطتان يمحو ما يشاء، ويثبت وعنده أم الكتاب.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين محمد وآله الطاهرين، لا سيما خاتمهم عجل الله فرجه، وسهل مخرجه.

(١) كتاب الغيبة للطوسي: ٤٤٦.

(٢) كمال الدين: ٢: ٦٥١، الحديث ٩.

الفصل الثاني عشر

هدي العلماء و المرجعية

بداية المرجعية الشيعية

السؤال :

الأخ الشيخ حيدر .. السلام عليكم

عندي بعض الاستفسارات عن نشوء (بداية التقليد) ، هل هو بدأ بعد وفاة آخر وكيل للإمام عليه السلام ؟ ومن هو أول مقلد ؟ تاريخ بداية التقليد ؟ ثم تتابع سلسلة المقلدين إلى يومنا هذا ؟ وتاريخ الرجوع لهم بالتقليد ؟ وتاريخ وفاتهم ؟

الجواب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ،

والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين

نظراً إلى انشغالي فقد لا أتمكن من تفصيل الجواب في الوقت الحالي ، ولكن باختصار أقول :

التقليد لم يبدأ من زمان الغيبة الكبرى ، وإنما كان في زمن الظهور ، وذلك لعدة أسباب منها :

السبب الأول : أن الأئمة عليهم السلام كانوا يبينون قواعد عامة ورد عليها تقييد وتخصيص ، ولا يتمكن غير العالم من الإحاطة بجميع كلامهم ، ومعرفة موارد التقييد والتخصيص ، وبالتالي هو لا يتمكن من تحديد الحجية الفعلية في حقه .

السبب الثاني : أن الإمام عليه السلام تحدّه الجغرافيا ، فما كان بإمكان كلّ مكلف أن يتّصل بالإمام ويأخذ منه الأحكام الشرعية التي يتلى بها .

السبب الثالث: أن كلام النبي والأئمة السابقين وصل إلى المعاصرين للأئمة المتأخرين - كأصحاب الكاظمين والعسكريين - بوسائط وكتب مختلفة الرواة والنسخ ، وتحقيق جهة الصدور فيها يحتاج إلى تخصص وتنمّر في الرجال والطبقات وعلم النسخ ، وهذا ما يمكن أن يتحصّل لكل إنسان .

لهذا من الطبيعي أن يهتم الأئمة عليهم السلام بتربية العلماء والفقهاء ليكونوا واسطة في نقل معالم الدين وتبيينها لعامة الناس ، ثم إرجاع غير المتخصص إليهم ، وهذا فعل عقلائي يقوم به جميع المشرّعين والمقنّنين ، ولهذا تهتمّ الدول بإيجاد رجال القانون وفقهاء الدستور والأنظمة النازلة ، وهي الأنظمة النيابية والوزارية والبلدية لتوضيح معالم القانون وموارد تطبيقه لعامة المواطنين .

ومما يدلّ على قيام الأئمة عليهم السلام بالإرجاع إلى المتخصصين في معالم الدين طوائف متعدّدة من الروايات استدللّ بها على حجّة الفقيه ، وردّ بعضها عن الصادقين عليهم السلام ، ومنها روايات الأمر بالإفتاء والإرجاع إلى آحاد الفقهاء والعلماء كمحمّد بن مسلم وزكريّا بن آدم ويونس بن عبد الرحمن ، وغيرهم .

فعن الحسن بن يقطين ، قال : « قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ الرُّضَا عليه السلام : لَا أَكَادُ أَصِلُ إِلَيْكَ أَسْأَلُكَ عَنْ كُلِّ مَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَعَالِمِ دِينِي ، أَفَيُؤْنَسُ بِنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ثِقَةً أَخُذُ عَنْهُ مَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَعَالِمِ دِينِي ، فَقَالَ : نَعَمْ » ^(١) .

وعن أحمد بن إسحاق ، عن أبي الحسن عليه السلام ، قال : « سَأَلْتُهُ وَقُلْتُ : مَنْ أَعَامِلُ ؟ وَعَمَّنْ أَخُذُ ؟ وَقَوْلَ مَنْ أَقْبَلُ ؟ فَقَالَ : الْعَمْرِيُّ ثِقَتِي ، فَمَا أَدَى إِلَيْكَ عَنِّي فَعَنِّي يُؤَدِّي ، وَمَا قَالَ لَكَ عَنِّي فَعَنِّي يَقُولُ ، فَاسْمَعْ لَهُ وَأَطِعْ ، فَإِنَّهُ الثَّقَةُ الْمَأْمُونُ .

قَالَ : وَسَأَلْتُ أَبَا مُحَمَّدٍ عليه السلام عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ ، فَقَالَ : الْعَمْرِيُّ وَابْنُهُ ثِقَتَانِ » ^(٢) .

(١) وسائل الشيعة : ٢٧ : ١٤٧ ، الباب ١١ من أبواب صفات القاضي ، الحديث ٣٣ .

(٢) المصدر المتقدم : ١٣٨ ، الحديث ٤ .

وعن مسلم بن أبي حية، قال: «كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي خِدْمَتِهِ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَفَارِقَهُ وَدَعْتُهُ وَقُلْتُ: أَحِبُّ أَنْ تُزَوِّدَنِي، فَقَالَ: إِنَّتِ أَبَانَ بْنَ تَغْلِبَ فَإِنَّهُ قَدْ سَمِعَ مِنِّي حَدِيثًا كَثِيرًا، فَمَا رَوَاهُ لَكَ فَارَوْهُ عَنِّي» ^(١).

وعن أبان تغلب، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «جَالِسُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ يَرَوْا فِي شِيعَتِنَا مِثْلَكَ» ^(٢).

وعن سليمان بن خالد الأقطع، قال: «سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: مَا أَحَدٌ أَحَدًا أَحْيَا ذِكْرَنَا وَأَحَادِيثَ أَبِي عليه السلام إِلَّا زُرَّارَةُ، وَأَبُو بَصِيرٍ لَيْثُ الْمُرَادِيِّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ، وَبُرَيْدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْعَجَلِيُّ، وَلَوْ لَا هَؤُلَاءِ مَا كَانَ أَحَدٌ يَسْتَنْبِطُ هَذَا. هَؤُلَاءِ حُقَافُ الدِّينِ، وَأُمَنَاءُ أَبِي عليه السلام عَلَى حَلَالِ اللَّهِ وَحَرَامِهِ، وَهُمْ السَّابِقُونَ إِلَيْنَا فِي الدُّنْيَا، وَالسَّابِقُونَ إِلَيْنَا فِي الْآخِرَةِ» ^(٣).

وروي: «أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ لِلْفَيْضِ بْنِ الْمُخْتَارِ - فِي حَدِيثٍ -: فَإِذَا أَرَدْتَ حَدِيثَنَا فَعَلَيْكَ بِهَذَا الْجَالِسِ، وَأَوْمَأَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَسَأَلْتُ أَصْحَابَنَا عَنْهُ، فَقَالُوا: زُرَّارَةُ بْنُ أَعْيَنَ» ^(٤).

وعن عبد الله بن أبي يعفور، قال: «قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّهُ لَيْسَ كُلُّ سَاعَةٍ أَلْقَاكَ، وَلَا يُمَكِّنُ الْقُدُومَ، وَيَجِيءُ الرَّجُلُ مِنْ أَصْحَابِنَا فَيَسْأَلُنِي وَلَيْسَ عِنْدِي كُلُّ مَا يَسْأَلُنِي عَنْهُ، فَقَالَ: مَا يَمْنَعُكَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ الشَّقَفِيِّ، فَإِنَّهُ سَمِعَ مِنْ أَبِي،

(١) وسائل الشيعة: ٢٧: ١٤٧، الباب ١١ من أبواب صفات القاضي، الحديث ٣٠.

(٢) رجال الكشي: ٣٣٠ و ٣٣١، الرقم ٦٠٣.

(٣) المصدر المتقدم: ١٤٤، الحديث ٢١.

(٤) المصدر المتقدم: ١٤٣، الحديث ١٩.

وَكَانَ عِنْدَهُ وَجِيهًا»^(١).

وعن شعيب العقرقوفي، قال: «قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: رُبَّمَا احْتَجْنَا أَنْ نَسْأَلَ عَنْ الشَّيْءِ، فَمَنْ نَسْأَلُ؟ قَالَ: عَلَيْكَ بِالْأَسَدِيِّ، يَعْنِي أَبَا بَصِيرٍ»^(٢).

وعن علي بن المسيّب، قال: «قُلْتُ لِلرَّضَا ﷺ: شُقَّتِي بَعِيدَةٌ وَلَسْتُ أَصِلُ إِلَيْكَ فِي كُلِّ وَقْتٍ، فَمِمَّنْ أَخَذُ مَعَالِمَ دِينِي؟ قَالَ: مِنْ زَكَرِيَّا بْنِ آدَمَ الْقُمِّيِّ، الْمَأْمُونِ عَلَى الدِّينِ وَالْدُّنْيَا»^(٣).

إنّ هذه الروايات وغيرها تبيّن دور المتخصّصين كوسطاء لبيان معالم الدين في زمن الظهور قبل الغيبة، وهذا هو الدور الذي يقوم به الفقيه في زمن الناس هذا مع تفاوت في بعض الجوانب التي تفرضها طبيعة الغيبة، والبعد الزمني الطويل بيننا وبين عصر الظهور، إلّا أنّ الرجوع إلى المتخصّص، والاعتماد على قوله -كطريق إلى الواقع- لم يختلف من حيث الجوهر والمضمون.

وقد استمرّ الرجوع إلى المتخصّص، واشتدّت الحاجة إليه في عصر الغيبة الكبرى، وما زال الله يمنّ علينا بعلماء عدول ثقات متخصّصين في معارف الدين، كالشيخ الصدوق والمفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي وابن إدريس الحلّي والقاضي بن البرّاج والمحقّق الحلّي والعلامة الحلّي والشهيدين العامليين، وما زالت معاهد العلم والتحقيق تزخر بالعلماء، وتعدّ المحقّقين المدقّقين (زاد الله في توفيقهم، وحرسهم بحراسته من كيد أعداء المذهب).

(١) رجال الكشي: ١٤٤، الحديث ٢٤.

(٢) المصدر المتقدم: ١٤٢، الحديث ١٥.

(٣) المصدر المتقدم: ١٤٦، الحديث ٢٧.

من كلمات المرجع الأعلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ،

والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين

من لطف الله عليّ وفضله أن وفقني لزيارة العتبات المقدسة في العراق ، فقد وصلت النجف الأشرف مركز التشيع ، وقلب الولاء النابض بالعلم والإيمان ، وعبق التاريخ المجيد المنبسط على قرون تجارزته العشرة ، أعطت رجالاً كانوا مناراً للعلم في الكلام والفقه والفلسفة و التفسير والتاريخ والأدب ، وغيرها من المعارف ، وقدوة في العمل ، وحصوناً للإيمان وأهله .

وقد كان وصولي في يوم الأحد الثاني والعشرين من شهر جمادى الأولى لسنة ١٤٣٧هـ من الهجرة النبوية المباركة ، وقد تشرفت بزيارة سيّد الموحّدين أمير المؤمنين عليه السلام في يوم وصولي ، ثمّ في اليوم الذي يليه ذهبت لزيارة المرجع الأعلى السيّد السيستاني (حفظه الله) ، وبعد أن استقرّ بي المقام في مكتبه ، وقبل الدخول في المكان المعدّ للسلام على السيّد المرجع ، والتشرف بلقائه ، والاستنارة من توجيهاته وتوصياته ، رأيت سماحة العلامة الشيخ عليّ الدهنين (حفظه الله) وقد دخلت معه (حفظه الله) على سماحة السيّد المرجع (حفظه الله) ، وبعد التشرف بالسلام والجلوس في محضره وبين يديه قدّم سماحة الشيخ الدهنين (حفظه الله) لي تعريفاً عقّبت عليه بأنّي لست أهلاً له .

المهمّ هو أنّ السيّد المرجع -والذي عودنا الحكمة والدقة في تعليقاته وتوصياته -

أستثمر كلمة وردت في تقديم العلامة الدهنين (حفظه الله) وهي : (مدافع عن المرجعية) ، فيبين عدة أمور منها :

الأمر الأول : هو أن أعداء التشيع التفتوا إلى أهمية المرجعية كأفضل منصب يمثل الإمام المهدي عليه السلام ، ويقوم بدور تعليم الناس وتزكيتهم ، وإرشادهم إلى معالم الدين ومقاصد الشريعة في الوقت الذي يملك فيه رصيذاً كبيراً من التقدير والاحترام ، وله القدرة العظيمة على التأثير والتوجيه .

وهذا ما يفسر الحملات التشويهية المتتالية التي يقوم بها أعداء التشيع ، وعلى مستويات مختلفة وفي جوانب متعددة . إن الهدف من كل ذلك هو إسقاط مكانة المرجعية ، وفصل الناس عن العلماء ليسهل القضاء على التشيع بعد ذلك حصونه المنيع .

الأمر الثاني : هو أن من الطرق التي يحاول أعداء التشيع سلكها لتحقيق مقاصدهم استهداف حوزة النجف الأشرف ، والعمل على إسقاط موقعيتها في عالم التشيع ، والعالم الإسلامي بشكل عام ؛ وذلك لأن لهذه الحوزة خصوصية ، فإن حوزة النجف - ولأكثر من ألف عام - كانت تشكّل مركز العلم والثقافة ، ومنبع المعرفة الدينية ، ولا يوجد عالم في زمان الناس هذا إلا ولحوزة النجف فضل عليه مباشرة أو مع الواسطة ، فمن الطبيعي أن يكون لهذا الكيان العظيم مكانة خاصة من حيث التقدير ، ومن حيث التأثير ، فإسقاطه إسقاط للتاريخ والحاضر والمستقبل .

الأمر الثالث : هو أن بعض الشيعة قد تأثروا بأطروحات أعداء التشيع ، فأخذوا يرددون تشكيكاتهم ويسوقونها بعناوين مختلفة قد تنطلي على البسطاء .

الأمر الرابع : هو أن الدفاع عن المرجعية أمر مهم ، ولست أقول ذلك لأنني أخدم المؤمنين بهذا العنوان ، وإنما أقوله من أجل أهمية العنوان كمنصب عام ثابت وإن تغير المصداق الذي يمثله .

ولكن ينبغي أن نلتفت إلى نقطة وهي أن أفضل طريق لدفع الشبهات التي تثار حول المرجعية ليس كتابة الردود ، وإنما مطابقة عمل المرجع للقول ، كتابة الردود مهمة ولكن ليست الأمر الحاسم ، فإنك قد تكتب كتاباً في الدفاع عن المرجعية ، ويكتب في مقابلة مئة كتاب ، ولكن كل هذه الكتب المئة تأثيرها ينتفي إذا وجد الناس مصداقية العالم والتزامه بالمبادئ والشعارات التي يرفعها ويدعو إليها .

كما أن العالم لكي يكون مؤثراً ، وقائماً بالأدوار المرجوة منه ، لا بد وأن يكون عالماً بزمانه لا تهجم عليه اللوالبس ، وقد نقل عن المرحوم السيد أبو الحسن الأصفهاني رحمه الله أنه قال : « العلوم التي تحقق القدرة على الاستنباط جزء من مئة جزء مما يحتاجه الإنسان ليكون مرجعاً » .

وهنا قلت لسماحته : إن من منن الله علينا أن جعل من يمثل مقام المرجعية العليا عالماً ، صائناً لنفسه ، وحافظاً لدينه ، ومخالفاً على هواه ، ومطيعاً لأمر مولاه ، وهذا هو الرد العملي الحاسم على هذه الأراجيف .

فقال سماحة السيد (حفظه الله) : أنا لا أرى المرجعية مقاماً ، ولا أرى نفسي إلا خادماً للمؤمنين .

ثم تفضل سماحته بالدعاء لي ولعامة المؤمنين .

أُسْئَلَةُ حَوْلِ دَوْرِ الْفُقَهَاءِ

السلام عليكم ورحمة الله

السؤال الأول: ما هي صحّة الرواية المنقولة عن الإمام العسكري عليه السلام: «فَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ صَائِنًا لِنَفْسِهِ، حَافِظًا لِدِينِهِ، مُخَالَفًا عَلَى هَوَاهُ، مُطِيعًا لِأَمْرِ مَوْلَاهُ، فَلِلْعَوَامِّ أَنْ يَقْلُدُوهُ»^(١)؟

هل بالإمكان توثيق: «أَمَّا الْحَوَادِثُ الْوَاقِعَةُ فَارْجِعُوا فِيهَا إِلَى رِوَاةِ حَدِيثِنَا، فَإِنَّهُمْ حُجَّتِي عَلَيْكُمْ، وَأَنَا حُجَّةُ اللَّهِ»^(٢)؟ أقصد بالتوثيق صحّة التوقيع أو الرواية.

الجواب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين

وعليكم السلام أخي الكريم:

أما الرواية المنسوبة إلى الإمام العسكري عليه السلام: «وَأَمَّا الْحَوَادِثُ الْوَاقِعَةُ...» فهي ضعيفة للإرسال.

قال السيّد الخوئي رحمه الله: «نعم، ورد في رواية الاحتجاج: فَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ صَائِنًا لِنَفْسِهِ، حَافِظًا لِدِينِهِ، مُخَالَفًا عَلَى هَوَاهُ، مُطِيعًا لِأَمْرِ مَوْلَاهُ، فَلِلْعَوَامِّ أَنْ يَقْلُدُوهُ، إِلَّا أَنَّهَا رَوَايَةٌ مَرْسَلَةٌ غَيْرُ قَابِلَةٍ لِلْاعْتِمَادِ عَلَيْهَا...»^(٣).

(١) الاحتجاج: ٢: ٤٥٨.

(٢) الاحتجاج: ٢: ٤٧٠.

(٣) الاجتهاد والتقليد للسيّد الخوئي: ٨٢.

ولكن ضعفها لا يمنع من تأثيرها في إفادة الاطمئنان ، بل القطع ، بجواز التقليد فيما إذا ضُمَّت إلى غيرها من الأدلة النقليّة .

وأما التوقيع ، فقد اهتم العلماء ببحث سنده ، ولعلّ من أهمّ الأبحاث في ذلك بحث شيخنا الأستاذ العلامة عليّ الجزيريّ (حفظه الله) ، وقد قرّرتّه وطبعته ضمن دروسه (حفظه الله) في الاجتهاد والتقليد ، وهنا أنقل نصّ كلامه :

قال (حفظه الله) : للتوقيع طريقان :

الأول : طريق الشيخ الصدوق في كمال الدين وتمام النعمة .

الثاني : طرق الشيخ الطوسي في الغيبة . قال رحمته الله : قال في الغيبة : وأخبرني جماعة عن جعفر بن محمد ابن قولويه وأبو غالب الزراري وغيرهما ، عن محمد بن يعقوب الكليني ، عن إسحاق بن يعقوب ^(١) .

وقد نسب بعض العلماء طريقاً ثالثاً للشيخ الكشي رحمته الله .

قال الإسترابادي في الفوائد المدنيّة : « وهذا الحديث الشريف بهذا السند مذكور أيضاً في كتاب الاحتجاج للطبرسي ، وفي كتاب الرجال لعمدة القدماء المحدثين الشيخ أبي عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي ، وفي اختيار رئيس الطائفة من ذلك الكتاب » ^(٢) .

وقال الفيض القاساني رحمته الله في الأصول الأصيلة : « ويدلّ على ما ذلك ما استفاض عنهم عليهم السلام في هذا المعنى ، وهو ما رواه الصدوق في إكمال الدين : عن محمد بن عصام ، قال : حدّثنا محمد بن يعقوب الكليني ، عن إسحاق بن يعقوب .

ورواه الطبرسي في الاحتجاج ، والكشي في الرجال ، والطوسي في اختياره :

(١) كتاب الغيبة للطوسي : ١٧٦ .

(٢) الفوائد المدنيّة : ٣٠١ .

عن إسحاق بن يعقوب»^(١).

وقال المحقق النراقي في **عوائد الأيام**: «وكذا ما رواه الصدوق في كمال الدين، والشيخ في كتاب الغيبة، والطبرسي في الاحتجاج، والكشي في رجاله بالسند الصحيح العالي»^(٢).

ونحن بعد مراجعة كتاب الكشي رحمته الله لم نقف على هذا الطريق، فلا ندري هل تأثر المتأخر منهم بالمتقدم، أو كانت عندهم لرجال الكشي نسخة لم تصل إلينا وكانت توجد في تلك النسخة؟

وكيف كان، فسند الحديث في كمال الدين قصير، أما الصدوق فهو أجل من أن يوثق، وأما محمد بن محمد بن عاصم، فلم يذكر في كتب الرجال بمدح ولا قدح، وأما الكليني، فحاله كحال الصدوق ثقة الإسلام، وأما إسحاق بن يعقوب، فحاله كحال محمد بن محمد بن عاصم لم يذكر له توثيق.

وقد يقال في تصحيحه: بأن محمد بن محمد بن عاصم وإسحاق بن يعقوب ثقتان، أما وثاقة محمد، فلا سبب:

السبب الأول: أن الصدوق قد ترضى عنه، والصدوق لا يترضى إلا عن إمامي. نعم، يمكن أن يترحم على غير الإمامي.

السبب الثاني: أن الصدوق قد أكثر الرواية عنه، وكثرة رواية الأجلاء من كواشف الوثاقة.

السبب الثالث: أن محمداً من الوسائط بين الصدوق والكليني وجميع الوثائق بينهما ثقات.

(١) الأصول الأصيلية: ٥٠.

(٢) عوائد الأيام: ٤٤٢.

أما إسحاق بن يعقوب ، فیدلّ علی وثاقته أمور :

الأول : أنه من مشايخ الكليني ، وجميع مشايخ الكليني ثقات ، حتى من كان منهم ضعيف العقيدة ، مثل النينوائي ، فإن النجاشي قد وثقه .

الثاني : أن سعد بن عبدالله الأشعري قد روى عنه ، وسعد هو الثقة الجليل الذي قال فيه النجاشي : « شيخ هذه الطائفة وفقهها ووجهها »^(١) بل إن سعداً شيخ محمد بن الحسن الوليد ، وهو شيخ القميين في وقته ، وقد عرف القميون بتشددهم في الرواية ، وغلظتهم على من يروي عن الضعفاء .

الثالث : أن هذا التوقيع يتضمن ما يثبت جلالة إسحاق بن يعقوب : « **أَمَّا مَا سَأَلْتُ عَنْهُ أَرَشَدَكَ اللَّهُ وَثَبَّتَكَ** »^(٢) التثبيت على من يكون هو على الحق من الثقات لأن دعاء الإمام عليه السلام على التثبيت يدل على جلالته ، وكذا « **وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا إِسْحَاقَ بْنَ يَعْقُوبَ** »^(٣) .

والإنصاف أن جميع هذه الوجوه لا تنهض بتوثيق الرجلين ، ولكنها قرائن تقوي ما يشهد به متن الرواية ومضمونها ، فإن نظم الرواية ، وجزالة التعبير فيها ، وما تحتويه من براهين وإجابات شافية في مسائل غامضة لم تكن معروفة قبل زمان هذه الرواية ، من الشواهد على صدورهما عن المعصوم عليه السلام .

ثم إن جماعة من علمائنا قد نسبوا هذه الفقرة إلى صاحب الزمان عليه السلام بصيغة الجزم منهم : الشهيد الأول في **الدرّة الباهرة**^(٤) ، قال : « ومما كتبه عليه السلام جواباً لإسحاق بن يعقوب (وذكر هذه الفقرة) » .

(١) رجال النجاشي : ١٧٧ .

(٢) كتاب الغيبة للطوسي : ٢٩١ .

(٣) كتاب الغيبة للطوسي : ٢٩٣ .

(٤) الدرّة الباهرة : ١٢ .

ومنهم : الفيض الكاشاني في الحق المتين^(١) ، قال : « وقال صاحب زماننا عليه السلام (ثم ذكر الفقرة) » .

ومنهم : المحقق النجفي في الجواهر^(٢) ، قال : « بل هو مقتضى قول صاحب الزمان (روحي له الفداء) » .

ومنهم : الشيخ الأنصاري في القضاء والشهادات ، قال : « وقوله عليه السلام في التوقيع الرفيع » ، وقال فيه أيضاً : « وقوله عليه السلام : فإنهم حجّتي عليكم »^(٣) . وفي كتاب الزكاة قال : « ولقوله عليه السلام في التوقيع الشريف »^(٤) . وفي المكاسب قال : « وقوله عليه السلام : هم حجّتي عليكم »^(٥) .

ومنهم : المحقق الآشتياني^(٦) قال : « وقول الإمام عليه السلام في التوقيع الشريف » .

ومنهم : المحقق الخراساني في حاشيته على المكاسب^(٧) قال : « ومنها قوله عليه السلام في التوقيع الشريف » .

ومنهم : السيّد الحكيم في المستمسك^(٨) ، قال : « ولقوله عليه السلام في التوقيع الشريف » .

وبعض المعاصرين^(٩) ذهب إلى أنّ الحديث قطعي ، حيث قال في كتاب

(١) الحق المبين : ٩ .

(٢) جواهر الكلام : ٤٠ : ١٨ .

(٣) كتاب القضاء والشهادات للشيخ الأنصاري : ٣٤ .

(٤) كتاب الزكاة للشيخ الأنصاري : ٣٥٦ .

(٥) المكاسب المحرّمة : ٣ : ٥٥٢ .

(٦) كتاب القضاء للآشتياني : ١٢ .

(٧) حاشية المكاسب : ٩٤ .

(٨) مستمسك العروة الوثقى : ٢ : ٤٣٨ .

(٩) القضاء في الفقه الإسلامي للحائري : ٢٦٨ .

القضاء: « وإنَّ قوله في التوقيع الشريف الذي هو شبه قطعي كما أشرنا إليه ».

السؤال الثاني: بداية شاكر لكم ما صرفتم من وقت للإيضاح ، هل توجد شواهد لممارسات فقهية لعلماء آل محمد في زمن المعصومين ؟

الجواب: الشواهد كثيرة جداً ، فإنَّ ما تقتضيه طبيعة الأمور هو أن يعتمد الأئمة على منهج إلقاء القواعد العامة ، وتربية الفقهاء القادرين على التفريع والتطبيق ؛ لأنَّ المعصوم لوحده لا يمكن أن يلبي حاجة كلِّ سائل مع أنَّه قد يكون في الحجاز أو العراق أو خراسان والشيعة منتشرون في شرق الأرض وغربها ، ومن الشواهد :

١ - الروايتان اللتان سألت عنهما .

٢ - ما نقل ابن إدريس من كتاب هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : « إِنَّمَا عَلَيْنَا أَنْ نُلْقِيَ إِلَيْكُمْ الْأُصُولَ ، وَعَلَيْكُمْ أَنْ تُفَرِّعُوا »^(١).

٣ - ما في كتاب ابن أبي نصر ، عن الرضا عليه السلام ، قال : « عَلَيْنَا إلقاءُ الْأُصُولِ إِلَيْكُمْ ، وَعَلَيْكُمْ التَّفَرُّعُ »^(٢).

٤ - ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : « حَدِيثٌ تَدْرِيهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ حَدِيثٍ تَرْوِيهِ ، وَلَا يَكُونُ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فَقِيهاً حَتَّى يَعْرِفَ مَعَارِضَ كَلَامِنَا وَإِنَّ الْكَلِمَةَ مِنْ كَلَامِنَا »^(٣).

وقال : « أَنْتُمْ أَفْقَهُ النَّاسِ مَا عَرَفْتُمْ مَعَانِي كَلَامِنَا . إِنَّ كَلَامَنَا لَيَنْصَرِفُ عَلَى سَبْعِينَ وَجْهاً »^(٤).

(١) بحار الأنوار: ٢: ٢٤٥ ، الحديث ٥٣ .

(٢) المصدر المتقدم : الحديث ٥٢ .

(٣) معاني الأخبار: ٢ .

(٤) بصائر الدرجات: ٣٢٩ ، الحديث ٦ .

وفي رواية أخرى: « أَنْتُمْ أَفْقَهُ النَّاسِ إِذَا عَرَفْتُمْ مَعَانِيَ كَلَامِنَا . إِنَّ الْكَلِمَةَ لَتَنْصَرِفُ عَلَى وُجُوهِ »^(١).

٥ - جواب مكاتبة محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري إلى صاحب الزمان عليه السلام يسألني بعض الفقهاء عن المصلي إذا قام من التشهد الأول للركعة الثالثة ، هل يجب عليه أن يكبر ، فإن بعض أصحابنا قال : لا يجب عليه التكبير ، ويُجزيه أن يقول : بحول الله وقوته أقوم وأقعد ، فخرج الجواب : أن فيه حديثين : أما أحدهما فإنه إذا انتقل من حالة إلى حالة أخرى فعليه تكبير ، وأما الآخر فإنه روي أنه إذا رفع رأسه من السجدة الثانية فكبر ، ثم جلس ، ثم قام ، فليس عليه للقيام بعد القعود تكبير ، وكذلك التشهد الأول يجري هذا المجرى ، وبأيهما أخذت من باب التسليم كان صواباً^(٢).

فإن فيه دلالة واضحة على أن الفقهاء كانوا يمارسون إبداء الرأي ويختلفون فيه .

٦ - ما في رجال النجاشي في ترجمة أبان بن تغلب : « وَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : اجْلِسْ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ وَأَفْتِ النَّاسَ ، فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ يَرَى فِي شِيعَتِي مِثْلَكَ »^(٣).

٧ - ما رواه معاذ بن مسلم النحوي ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : « قَالَ لِي : بَلَّغْنِي أَنَّكَ تَقْعُدُ فِي الْجَامِعِ فَتَفْتِي النَّاسَ ؟ قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ ، وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ ، إِنِّي أَقْعُدُ فِي الْمَسْجِدِ فَيَجِيءُ الرَّجُلُ يَسْأَلُنِي عَنِ الشَّيْءِ ، فَإِذَا عَرَفْتُهُ بِالْخِلَافِ لَكُمْ أَخْبَرْتُهُ بِمَا يَفْعَلُونَ ، وَيَجِيءُ الرَّجُلُ أَعْرِفُهُ بِحُبِّكُمْ أَوْ مَوَدَّتِكُمْ فَأُخْبِرُهُ بِمَا جَاءَ عَنْكُمْ ، وَيَجِيءُ الرَّجُلُ لَا أَعْرِفُهُ وَلَا أَدْرِي مَنْ هُوَ ، فَأَقُولُ : جَاءَ عَنْ فُلَانٍ كَذَا ، وَجَاءَ ، عَنْ فُلَانٍ كَذَا ، فَأَدْخِلْ قَوْلَكُمْ فِيَمَا بَيْنَ ذَلِكَ . قَالَ : فَقَالَ لِي : اصْنَعْ

(١) معاني الأخبار : ١ .

(٢) بحار الأنوار : ٢ : ٢٧٧ ، الحديث ٢٩ .

(٣) رجال النجاشي : ١٠ .

كَذَا فَإِنِّي كَذَا أَصْنَعُ»^(١).

قال السيد الخوئي رحمته الله: «الأخبار المشتملة على الأمر الصريح بإفتاء بعض أصحابهم عليه السلام كقوله لأبان بن تغلب: اجلس في مسجد المدينة وأفت الناس، فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ يُرَى فِي شِيعَتِي مِثْلُكَ، وقوله لمعاذ بن مسلم النحوي: بَلِّغْنِي أَنَّكَ تَقْعُدُ فِي الْجَامِعِ فَتُفْتِي النَّاسَ؟

قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ، إِنِّي أَقْعُدُ فِي الْمَسْجِدِ فَيَجِيءُ الرَّجُلُ يَسْأَلُنِي عَنِ الشَّيْءِ، فَإِذَا عَرَفْتُهُ بِالْخِلَافِ لَكُمْ أَخْبَرْتُهُ بِمَا يَفْعَلُونَ، وَيَجِيءُ الرَّجُلُ أَعْرِفُهُ بِحُبِّكُمْ أَوْ مَوَدَّتِكُمْ فَأُخْبِرُهُ بِمَا جَاءَ عَنْكُمْ، وَيَجِيءُ الرَّجُلُ لَا أَعْرِفُهُ وَلَا أَدْرِي مَنْ هُوَ، فَأَقُولُ: جَاءَ عَنْ فُلَانٍ كَذَا، وَجَاءَ عَنْ فُلَانٍ كَذَا، فَأَدْخِلْ قَوْلَكُمْ فِيْمَا بَيْنَ ذَلِكَ. قَالَ: فَقَالَ لِي: أَصْنَعُ كَذَا فَإِنِّي كَذَا أَصْنَعُ. وهذه الطائفة لا إشكال في دلالتها على جواز الإفتاء في الأحكام، كما أنها تدلنا على جواز التقليد والرجوع إلى مثل أبان أو معاذ؛ إذ لو لم يجز تقليده بأن لم يكن فتواه حجة على السائل لم يكن فائدة في أمرهم: بإفتائه لأنه حينئذٍ لغو ومما لا أثر له»^(٢).

٨ - رواية الفضل بن شاذان، عن عبدالعزيز بن المهدي - وكان خير قمي رأيته، وكان وكيل الرضا عليه السلام وخاصته - قال: «سَأَلْتُ الرُّضَا عليه السلام فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَلْقَاكَ فِي كُلِّ وَقْتٍ، فَعَمَّنْ أَخْذُ مَعَالِمَ دِينِي؟ فَقَالَ: خُذْ، عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ»^(٣).

٩ - رواية محمد بن عيسى، عن عبدالعزيز بن المهدي، قال: «قُلْتُ لِلرُّضَا عليه السلام:

(١) رجال الكشي: ٢٥٣، الرقم ٤٧٠.

(٢) الاجتهاد والتقليد للسيد الخوئي: ٩٤.

(٣) وسائل الشيعة: ٢٧: ١٤٨، الباب ١١ من أبواب صفات القاضي، الحديث ٣٤.

إِنَّ شُقَّتِي بَعِيدَةٌ فَلَسْتُ أَصِلُ إِلَيْكَ فِي كُلِّ وَقْتٍ ، فَأَخُذُ مَعَالِمَ دِينِي ، عَنْ يُؤُسِّ مَوْلَى آلِ يَقُطِينٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ^(١) .

١٠ - رواية عبد العزيز بن المهتدي والحسن بن علي بن يقطين ، جميعاً عن الرضا عليه السلام ، قال : « قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَا أَكَادُ أَصِلُ إِلَيْكَ أَسْأَلُكَ عَنْ كُلِّ مَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَعَالِمِ دِينِي ، أَفَيُؤُسُّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ثِقَةً أَخُذُ عَنْهُ مَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَعَالِمِ دِينِي ، فَقَالَ : نَعَمْ ^(٢) .

السؤال الثالث: هل لفظ (العوام) المشار إليه يصدق على طالب العلم ممن هو دون مرتبة الاحتياط ؟ لا عدمنا قلمكم سيالاً لخدمة الدين ، وعذراً لأخذ وقتكم .
الجواب: نعم ، فهو يشمل غير القادر على استنباط الأحكام ولو كان طالب علم ، بل ولو كان مجتهداً متجزئاً ، فإنه في المسائل التي لا يستطيع فيها الاستنباط عامي وظيفته التقليد .

(١) وسائل الشيعة : ٢٧ : ١٤٨ ، الباب ١١ من أبواب صفات القاضي ، الحديث ٣٥ .

(٢) وسائل الشيعة : ٢٧ : ١٤٧ ، الباب ١١ من أبواب صفات القاضي ، الحديث ٣٣ .

هل هذا نقد علمي أم قاموس شتائم!!

السؤال: السلام عليكم شيخ حيدر.. أتصوّر بلغك تطاول بعض أئمة المساجد على الشيخ الوحيد (دام ظلّه) لأنّه اعتبر نفسه كلباً لأهل البيت عليهم السلام، وقد علّق بعض طّالّاب العلم حول كلام الشيخ، وهل هو مقبول أو لا؟ ولكن لم يصل لي تعليق لك، فما تقول؟

الجواب: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

كنت في أحد القروبات وهو يضمّ جملة من طّالّاب العلم وفيهم الفضلاء، فطرّحت هذه القضية، ونقل بعضهم عن سماحة العلامة السيّد منير الخبّاز (حفظه الله) أنّه أجاب بالتالي: إنّهُ موافق للكناية المستخدمة في الأدب الفارسيّ من التذلل، وهي كناية شائعة ومقبولة في خلفيّتها.

نعم، هي قبيحة في الأدب العربيّ، ولكن لا يصحّ محاكمة كنايات ثقافة ولغة معيّنة وفق ثقافة أخرى.

والغريب أنّ مقام الشيخ الوحيد (أنار الله برهانه) لا ينكر، وموقعيّته فوق أن تُعرف وتُبيّن، وأياديه الكريمة في خدمة الدين وطّالّاب العلم والمؤمنين لم تستثن موقعاً أو جهةً أو فرداً، إلّا أنّ أغلب طّالّاب العلم أخذهم السكوت، وبعضهم حاول إغلاق الموضوع دون إبداء أي إنكار، مع أنّ ما وقع كان استخفافاً واستهزاء بمراجع من المراجع الكبار، ومن شخص عرف عنه ذلك كمنهج، وبأسلوب مجانب للأدب وضوابط الشرع، ولا تقبله قيم التقدّم والحضارة والوعي في نقد الآخر مهما كان طرحه مخالفاً، ولكي لا نظلم الكلّ فهناك أفراد قليلون جدّاً أظهروا الاستياء

والشجب، والمقصر كاتب هذه الأسطر منهم، حيث قلت مؤيداً لما نقل عن سماحة السيد المنير: جواب سماحة السيد منير لطيف جداً.

وبعد ذلك بينت وجه تأييدي فقلت:

من الخطأ محاكمة شخص بعرف وثقافة مخالفة للثقافة التي يتكلم على وفقها، ولعلنا نجد ذلك ماثلاً في كلام نفس المتهجم على الشيخ الوحيد (حفظه الله)، فإنه قال: «يقول هذا المتحدث»، وإلا فلسنا حتى في مقام كلب مدّ على اعتاب دارهم ذراعيه، وهزّ أمامهم ذنبه».

هذا منطوق عالم!

هم يعني رادونه انقتل الحسين حتى نكون كلاب أو لنكون في أعلى درجات الشرف والكرامة... شنهو قاعدين يسوون بينا ذوله سنين مرّت عشر سنوات جايين نكملها في الجامع وأنا أقول مايزوا بين العمائم، مايزوا بينها، بعضها غث مطوية على السوء، أمّا بعضها نتشرّف بالغبار الذي يقع عليها لأنها تحمل العلم الصافي من منابعه، وتتحرك من أجل الشرف والكرامة التي أرادها الحسين بن علي... تريد تصوير كلب تبصص بذنك براحتك بس لا تلصقها بأهل البيت، أهل البيت لا يتشرفون بالكلاب...».

وفي عبارته هذه ورد تعبير «بعضها نتشرّف بالغبار الذي يقع عليها»، فهل ابن آدم يتشرّف بالغبار!! وهل في ذلك الكرامة التي كان المتحدث يصرخ بأعلى صوته مطالباً بها!! ومنافحاً عنها!! هل قاتل المعصومون وجاهدوا واستشهدوا لتشرّف بالغبار!!

إنّ كلامه هذا لو عرض على شخص من خارج ثقافتنا وأراد أن يحاكمه وفق الدلالات الوضعية وثقافته الخاصة لقال بأنّ المتحدث أولى بالأوصاف التي ساقها في الشيخ (حفظه الله) منه؛ لأنّ الشيخ تحدّث عن كلب، وهو عن غبار، والغبار دون

الكلب في سلسلة الوجود ومراتبه .

كما أنَّ الشيخ (حفظه الله) قال ذلك بالنسبة إلى أشرف الخلق ، والمتحدّث بالنسبة إلى المعمّمين من غيرهم عليهم السلام .

وبهذا يحقّ لغير المأنوس بثقافتنا أن يخاطب المتهمّ قائلاً: « تريد تتشرّف بالغبار ، وتلطّخ وجهك به وتمسّح ، براحتك ، بس لا تلصقها بأهل البيت ، أهل البيت لا يتشرّفون بمن يتشرّف بالغبار ، وإنّما هم يريدون منّا صناع الحضارة ، نحول التراب والغبار إلى عالم متقدّم في جميع مجالات الحياة لا أن نقع فوق العمائم نبحث عن حبة غبار هنا أو تراب هناك - ، وغير ذلك من المزايدات التي تنطلي على البسطاء الذين لا يتجاوزون عذوبة اللفظ إلى قيمة المعنى .

ثم تعرّضت إلى ما قد يقال من أنّ ذلك إذلالاً للنفس فقلت :

وبهذا يتّضح ما في اعتبار ذلك إذلالاً ، فالخلاف صغرويّ يرجع إلى النظر العرفيّ وهو يختلف باختلاف الأعراف والثقافات ، وملاحظة من يُتذلّل له ، فربّ تذلّل هو بنظر العرف من كمال الأدب ومصداق لتعظيم الله وتعظيم الأولياء ، وكيف كان ، ما صدر من الشيخ (حفظه الله) لا يستوجب أن يقول المتحدّث : « أصلح الله حاله » في سياق الحديث عنه والردّ عليه : « مايزوا بين العمائم ، مايزوا بينها ، بعضها غثّ مطوية على السوء » .
وهنا أضيف عدّة أمور :

الأمر الأوّل

هو أنّه ربّ فعل أو لقب يكون بالنسبة إلى عرف وشخص حسناً ، وبالنسبة إلى عرف وشخص آخر قبيحاً ، فمن يقبّل يد أو رجل خادمه يعتبر مهيناً لنفسه ، وأمّا من يقبّل يد أو رجل والدته ، ففي كثير من الأعراف فعله قمّة البرّ والوفاء ،

ويدل على سمو الروح بخصالها الحميدة ، والمعصوم هو أعظم شأنًا وحقًا من الوالدة ، ولهذا قد يكون الفعل أو اللقب مهينًا مع غيره وليس كذلك معه ، ولعل رواية ابن يقطين تبين ذلك جلياً :

ففي البحار: عن محمد بن علي الصوفي ، قال : « استأذن إبراهيم الجمال رضي الله عنه على أبي الحسن علي بن يقطين الوزير فحجبه ، فحج علي بن يقطين في تلك السنة فاستأذن بالمدينة على مولانا موسى بن جعفر فحجبه ، فرآه ثاني يومه فقال علي بن يقطين : يا سيدي ، ما ذنبي ؟ فقال : حجبتك لأنك حجت أخاك إبراهيم الجمال ، وقد أباي الله أن يشكر سعيك ، أو يغفر لك إبراهيم الجمال .

فقلت : سيدي ومولاي ، من لي بإبراهيم الجمال في هذا الوقت وأنا بالمدينة وهو بالكوفة ؟ فقال : إذا كان الليل فامض إلى البقيع وحدك من غير أن يعلم بك أحد من أصحابك وعلمايك ، واركب نجيباً هناك مسرجاً قال فوافي البقيع وركب النجيب ولم يلبث أن أناخه على باب إبراهيم الجمال بالكوفة فقرع الباب وقال : أنا علي بن يقطين ، فقال إبراهيم الجمال من داخل الدار : وما يعمل علي بن يقطين الوزير بباني ؟ فقال علي بن يقطين : يا هذا ، إن أمري عظيم ، وإلى عليه أن يأذن له ، فلما دخل قال : يا إبراهيم ، إن المولى عليه السلام أباي أن يقبلني أو تغفر لي ؟ فقال : يغفر الله لك ، فإلى علي بن يقطين على إبراهيم الجمال أن يطأ خده ، فامتنع إبراهيم من ذلك ، فإلى عليه ثانياً ففعل ، فلم يزل إبراهيم يطأ خده وعلي بن يقطين يقول : اللهم اشهد ، ثم انصرف وركب النجيب وأناخه من ليلته بباب المولى موسى بن جعفر عليه السلام بالمدينة ، فأذن له ودخل عليه فقبله » (١) .

إن ما فعله ابن يقطين لم يكن إذلاً قبيحاً بل حسناً ، وترتب عليه قبول الإمام

(١) بحار الأنوار : ٤٨ : ٨٥ ، الحديث ١٠٥ .

الكاظم عليه السلام له ؛ وذلك لأنه إذلال للنفس أمام خليفة الله تعالى الذي أسجد الله له جميع صنوف الملائكة .

ومن ذلك ما نقل عن السيّد الخميني ؛ في ١٠٠ كلمة عرفانية ٥٤ من أنه قال :
« من المؤسف جداً آلاف المرات أنني قدمت إلى هذا العالم وأنا مستغرق في
بحار هوى النفس ، وملتصق بالأرض الماديّة ، ومقيّد بالشهوات ، وأسير
للبطن والفرج ، وغافل عن عالم مُلك الوجود ، وسكران بسكر الأنانيّة والذاتيّة .

من المؤسف أنني سأفارق هذا العالم ولم أدرك شيئاً من محبة الأولياء ، ولم أفهم
شيئاً أبداً من جذباتهم وجذواتهم ومنازلهم ومغازلاتهم ، بل كان حضوري في هذا
العالم حضوراً حيوانياً ، وحركاتي حركات حيوانية وشيطانية . وعليه فسيكون موتي
أيضاً حيوانياً وشيطانياً .

اللهم إليك المشتكى وعليك المعوّل . إلهمي ، أنقذنا بنور هدايتك ، وأيقظنا
من هذا النوم العميق ، وخذ بأيدينا إلى عالم الغيب والنور ودار البهجة والسرور ،
ومحفل الأنس ، والخلة الخاصّة بك .

فإنّ هذا التعبير من هذا العارف الكبير إذلال للنفس وتوهين لها ، ووصف
بالحيوانية ، وبيان لتقصيرها في حضرة القدس تعالى ، وليس ذلك قبيحاً ، وإنّما هو
من تمام الوفاء والأدب كما لا يخفى على العارف بالله وأوليائه ، وأساليب التعبير
العرفية ومعانيها المقصودة .

الأمر الثاني

هو أنّ وصف النفس بالكلب كان شائعاً جداً في ثقافة الفرس ، وعند بعض
العلماء الأعلام ؛ لما فيه من ظهور عرفي في الوفاء وإذلال النفس للأولياء بالنحو
الحسن عقلائياً ، وهنا سوف أنقل لك أخي السائل جملة من التسميات المشهورة :

١ - كلب عليّ فقيه إمامي. له رسالة في صلاة الجمعة، اختار فيها الوجوب مع وجود الفقيه الجامع للشرائط مستدلاً بظواهر الآيات والأخبار الصحيحة، واحتمل الطهراني اتّحاده مع كلب عليّ الذي أُلّف للسلطان عبّاس الصفوي (المتوفى ١٠٣٨هـ) كتاب خلاصة التلخيص في المعاني والبيان، وفرغ منه سنة (١٠٠٧هـ)، واحتمل أيضاً اتّحاده مع كلب عليّ ابن نوروز عليّ التبريزي مؤلف رسالة تجويد القرآن^(١).

٢ - جاء في ترجمة: ٣٦٤٢ الكمرني (١١١٥هـ): «جعفر بن عبد الله بن إبراهيم، الحوزي الأصل، الكمرني الأصفهاني، القاضي: أحد أعلام الإمامية: وأخذ وروى عنه آخرون، منهم: محمد رفيع بن فرج الجيلاني، ومحمد أكمل البهبهاني، ومحمد زمان بن كلب عليّ التبريزي»^(٢).

٣ - وقال محقق كتاب إرشاد الأذهان للعلامة الحلّي حول كتابه الأبحاث المفيدة: «الأبحاث المفيدة في تحصيل العقيدة. وهو في الكلام. ذكره المصنّف في الخلاصة، وفي الإجازة: الأبحاث المفيدة في تحقيق العقيدة، وقد شرحه الشيخ ناصر بن إبراهيم البويهّي الأحسائي من أعلام القرن التاسع، والحكيم الحاج ملا هادي السبزواري من أعلام القرن ١٣.

من أهمّ نسخه: نسخة في المكتبة الوطنية في طهران، ضمن المجموعة رقم ١٩٤٦، كتبها محمد جواد بن كلب عليّ في سنة ١٠٩٠، ذكرت في فهرسها ٦٣٠/١٠»^(٣).

(١) طبقات أعلام الشيعة: ٥: ٤٦٦ و ٤٦٧. الذريعة: ٣: ٣٧٣، برقم ١٣٥٤ و: ١٥: ٧٨،

برقم ٥١٣. وراجع موسوعة طبقات الفقهاء: ١١: ٤٣٥.

(٢) موسوعة طبقات الفقهاء: ١٢: ٨٧.

(٣) راجع الإرشاد: ١: ٦٨.

٤ - وذكر محقق كتاب كشف اللثام في معرض بيان نسخ الكتاب: النسخة المحفوظة في خزانة مكتبة آية الله العظمى السيد النجفي المرعشي العامة بقم تحت رقم ٥٦٦٤، ضمت بين دفتيها كتاب الطهارة، كتبها محمد إبراهيم بن كلب علي الخوانساري، واتفق الفراغ من نسخها في العشرين من شهر شعبان المعظم سنة أربع وستين ومئتين بعد الألف من الهجرة النبوية. رمزنا لها بالحرف (م) ^(١).

٥ - وقال مقرر كتاب مطارح الأنظار: «تم ما أفاده الله في مسألة المجلد والمبين، ولعمري نعم ما أفاد مما لم يسبقه، ويتلوه الكلام في الأدلة العقلية، حرره العبد الحقير الفقير أقل الطلاب كلب علي القزويني في سنة ١٣٠٧ من الهجرة النبوية، وعلى هاجرها ألف ألف تحية وسلام من كلب آستان توام، يا علي مدد» ^(٢).

٦ - وفي موسوعة طبقات الفقهاء ^(٣): ٦٥ الطريحي (١٠٩٥ - ١١٠٥ هـ) حسام الدين بن جمال الدين بن محمد علي بن أحمد الطريحي....

وروى عنه: السيد جابر بن طعمة الحسيني النجفي، ومحمد جواد بن كلب علي الكاظمي.

٧ - وفي موسوعة طبقات الفقهاء ^(٤): ٢١٩ الكربلائي (- حياً ١١٣٦ هـ) علي بن الحسين الكربلائي، الأصفهاني، العالم الإمامي، المتفّن. كان من تلامذة محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، ذا معرفة واسعة بالعلوم الإسلامية. درس في مدرسة مريم بيكم بأصفهان. وتلمذ عليه جماعة منهم كلب علي بن خان بابا الشريف الكرهودي...».

(١) راجع كشف اللثام: ١: ٧٥.

(٢) مطارح الأنظار: ٢٢٩.

(٣) موسوعة طبقات الفقهاء: ١١: ٣٣٥٣.

(٤) موسوعة طبقات الفقهاء: ١٢: ٣٧٤٧.

٨ - ٣٨٦٤ محمّد زمان التبريزي: (- حدود ١١٣١هـ) محمّد زمان بن كلب عليّ التبريزي، الأصفهاني، أحد علماء الإمامية. درس على علماء أصفهان وروى عنهم، ومن هؤلاء: محمّد باقر بن محمّد تقي...»^(١).

٩ - أمين بن محمود بن كلب عليّ بن غلام عليّ الغفاري، وقيل: الأسدي، الكاظمي (- قبل ١٢٢٢هـ): فقيه إمامي، وعالم جليل. بنى مدرسة، ونهض بمسؤولياته في بثّ الأحكام وإحياء روح الإيمان بأساليب ناجعة تهفو إليها النفوس. وقد نجحت جهوده التبليغية والعلمية في جعل الكاظمية من الأماكن التي يقصدها طلاب العلم. وللمترجم شعر، منه:

قف بالطفوف وسلها عن أهاليها وطف بأرجائها والشم نواحيها
واستنشق الترب منها، إنّ تربتها فيها الشفاء، وللأسقام تبريها^(٢)

١٠ - وذكر محقق كتاب نور البراهين^(٣) للسيد نعمة الله الجزائري: أنّ من تلاميذه: الحاج عبد الحسين بن الحاج كلب عليّ الكركري (المتوفى سنة ١١٤١هـ. ق).

١١ - وجاء في كتاب كفاية الأصول حواشي المشكيني^(٤): رياض المسائل (حجري): «رياض المسائل في بيان الأحكام بالدلائل للسيد عليّ بن محمّد بن عليّ الطباطبائي (١٢٣١ - ١١٦١هـ) في مجلدين طبع مؤسسة آل البيت عليه السلام بخطط كلب عليّ بن عباس القزويني سنة ١٢٨٨ (١٢٨٦هـ).

(١) راجع الموسوعة: ١٣: ٧٠٧.

(٢) أعيان الشيعة: ٣: ٤٩٦. الكرام البررة: ١: ١٥٧ برقم ٣٢٣

(٣) نور البراهين: ١: ٢٧.

(٤) كفاية الأصول: ٥: ٥٠١.

١٢ - وقال السيّد أحمد في تراجم الرجال: «المولى كلب عليّ الكرهوديّ (ق ١٢-ق ١٣) كلب عليّ بن خان بابا الشريف الكرهوديّ كتب مجموعة فيها كتاب (سراج السالكين) للشيخ عليّ بن الحسين الكربلائيّ في سنة ١٢١٩-١٢٢٠ مصرّحاً في آخره أنّ المؤلّف شيخه وأستاذه، والموضوعات الموجودة في هذه المجموعة، تدلّ على أنّه كان على جانب كبير من العلم والفضل والأدب»^(١).

وفيه أيضاً: «(ق ١٣ - بعد ١٣٠٤) كلب عليّ بن العباس الشرنديّ القزوينيّ أقام في طهران مدة متلمّذاً في المعقول على المولى آقا عليّ الزنوزيّ، وفي الفقه والأصول على الشيخ عبد الحسين شيخ العراقيين الطهرانيّ، وكتب تقارير أبحاث الثاني منهما في عدّة من أبواب الفقه، وتتلّمذ في قزوین على الميرزا يحيى القزوينيّ في الفقه، والمولى صفر عليّ الرشتي، وأقام بها مشغولاً بالوظائف الشرعيّة، ومتولّياً للأُمور الاجتماعيّة»^(٢).

١٣ - وفي الذريعة ٩: القسم الأوّل: ١٠٨٥: ١٧٧: ديوان تسليم سهسوني «وهو محمّد أنوار حسين. له تاج المدايح في مدايح كلب علي خان بهادر حاكم رامپور. أورد منها في (روشن: ٢٩١٠). (١٣٣): ديوان شريف ورنو سفادراڻي واسمه ملا محمّد بن كلب عليّ الحجار، من قرية ورنو سفادران بأصفهان. الذريعة: ٩: القسم الثاني: ١٤٩٩. ٥٢٤: رفيع الدرجات للمولى محمّد حسين بن كلب عليّ التستريّ. فارسيّ فرغ من تأليفه ١٢٢٠ أوّل: [حمد نامعدود وثناي نامحدود تحفه بارگاه كبرياء عليم..] وهو في المواعظ والأخلاق وكأنه تلخيص لعين الحياة للمجلسيّ. ٨٨٨: قلميّة للمولى فتح الله بن أحمد بن محمود السبزواريّ، فارسيّ في فاتحة وثلاث فصول، أوّل: [الحمد لله الذي أنشأ من النقطة الوحداڻيّة خطوط

(١) تراجم الرجال: ١: ٤٤٧، ترجمة ٨٣٠.

(٢) تراجم الرجال: ١: ٤٤٧، ترجمة ٨٣١.

العقول على الترتيب والنظام ...]، يوجد نسخة منه في (الحقوق : ٨٧ د) بخط كلب علي بن كرم علي تاريخ كتابتها ١١٢٨ كما في فهرسها (الصفحة : ١١٩) .

إذن التعبير بكلب عليّ تعبير مقبول في ثقافة الفرس ، وكان شائعاً من العلماء والفقهاء ، ولم ينكر ذلك علماء العرب مع اطلاعهم ومعرفتهم لما فيه من دلالة عرفية مناسبة في تلك الثقافة ، ومن الجهل التشنيع على الشيخ الوحيد وهو ابن ثقافته ويتحدث وفق بيئته ، وكان ينبغي على المتهجم عليه بدل أن ينتقده بأقبح الألفاظ ويحذر منه معتبراً عمامته غثً وتنطوي على سوء أن يبين للحاضرين من المؤمنين مناسبة كلامه لثقافته وأن ذلك مستساغاً ، وفي التعبيرات المجازية والكنائية والتشبيهات تلحظ جهة المناسبة والملازمة العرفية لا جميع الجهات ، وإلا لكان واصف أمير المؤمنين عليه السلام بأنه أسد الله أو القول بأنه كالأسد مهيناً له ؛ لأن الأسد حيوان لا عقل له فكيف يوصف به الأمير عليه السلام !

الأمر الثالث

يحتمل في كلام الشيخ الوحيد (أنار الله برهانه) احتمالان :

الأول : أنه في مقام الإخبار عن نفسه (وعبر بالجمع فراراً من الأنا) ، ولهذا قال : « والضمير هنا يعود لي شخصياً » ، وهو لو كان مخبراً لم يكن ملاماً ، بل كان تعبيره صحيحاً موافقاً للأدب والتذلل في محضر أولياء الله وفق ثقافته والمأنوس من لغته ، فهذا تذلل في محله كما أوضحنا .

فإن الشيخ - كما ظهر لمن لاحظ عبارته - كان في مقام التشبيه ولهذا قال : « على نحو تبصص الكلب » ، وفي التشبيه ينظر إلى جهة التشبيه ، وهي هنا الاتباع والتفاني في خدمة السيد ورعايته ، ومقصوده أننا لسنا كالكلب من هذه الجهة ، فإن الكلب يقذفه صاحبه بالحجارة ويعود له ، فهو مجرب مجتاز في الوفاء للامتحان ونحن

لم يقذفنا الإمام بالحجارة ، لم نخضع لامتحان الولاء والتفاني في خدمته .

ومن الواضح أنه في التشبيه تلاحظ الجهة الملحوظة فقط ويقيم التشبيه على أساسها وفق النظرة العرفية ، فمن قال لرجل : أنت كالأسد لا يلام ويعتبر شاتماً له ؛ لأن الأسد حيوان لا عقل له ، وإنما يعتبر مادحاً إذا كانت الجهة الملحوظة البارزة في الأسد عرفاً هي الشجاعة .

الثاني : أن يكون في مقام بيان جملة شرطية حيث قال : «كل ما بقي هو ذلك السيد صاحب الزمان ، وأي مولى هو... اللهم إلا أن يتلطف علينا ببركة دم جدّه الحسين ، وإلا فلسنا حتى في مقام كلب مدّ على أعتاب دارهم ذراعيه ، وهزّ أمانهم ذنبه . كلا فنحن أقل من كلب و أسوأ» .

ومن المحتمل جداً أن يكون مراده من العبارة التي قرأها المتهجم بيان أننا بدون تلطف الإمام عليه السلام علينا لن نظفر بخير ؛ إذ بدون فضله ولطفه لن نكون حتى في مقام كلب ، وهذا المعنى صحيح وليس فيه توصيف ، فكل شخص يعلم بالله تعالى وعظيم حقه ، ويدرك عظم ما يصدره منه ، حتى لو كان سيئاً في محضره تعالى ، يدرك أنه لولا شفاعتهم وفضلهم لكان من أهل النار لاستحقاقه لها بذنبه ، ومن كان من أهل النار سوف يتمنى أن يكون تراباً كما أخبر عن ذلك القرآن ، أي يرى التراب خيراً منه ، وهذا معنى عرفاني رفيع يتناسب مع جلالة قدر الشيخ (أنار الله برهانه) .

فلو كان الاحتمال الأول فاسداً في نفسه - وليس كذلك - كان من المناسب حمل كلام الشيخ على الاحتمال الثاني ، وتوجّه عبارته به ، فهو أهل للتوجيه ؛ إذ حسن الظنّ بالعلماء العظام يتناسب مع حسن الأدب والأخلاق العالية ، وهو الموقف الملائم للورع والتقوى والتقدم والحدّثة ، وليس التوهين في مقامه ، والطعن فيه ، والإساءة إليه .

الأمر الرابع

إنَّ المتَهَجِّمَ على الشيخ قال في كلامه : « من هؤلاء المزايدين شو فاشلون يقول أحدهم يصف الحال واستعراض في الطرح كلِّ ما بقي هو ذاك السيّد - يعني الخلف الباقي من آل محمّد عليه الصلاة والسلام - وأي مولى هو (... يقول هذا المتحدث) وإلا فلسنا حتّى في مقام كلب مدّ على أعتاب دارهم ذراعيه ، وهزّ أمامهم ذنبه) . هذا منطق عالم !

هم يعني رادونه انقتل الحسين حتّى نكون كلاب ، أو لنكون في أعلى درجات الشرف والكرامة ... شنهو قاعدين يسوّون بينا ذوله سنين مرّت عشر سنوات جايين نكملها في الحامع وأنا أقول مايزوا بين العمائم ، مايزوا بينها ، بعضها غثّ مطوية على السوء ، أمّا بعضها يتشرّف بالغبار الذي يقع عليها لأنّها تحمل العلم الصافي من منابعه ، وتتحرك من أجل الشرف والكرامة التي أرادها الحسين بن عليّ ... تريد تصوير كلب تبصص بذيئك براحتك بس لا تلصقها بأهل البيت ، أهل البيت لا يتشرفون بالكلاب ... » .

وفي هذا الكلام وما بعده مجموعة من الإساءات منها :

- ١ - أنّ الشيخ من المزايدين .
- ٢ - أنّ منطقهم ليس منطق عالم .
- ٣ - أنّ الشيخ يزعم أنّ الأئمة يريدوننا نكون كلاباً .
- ٤ - عمامته غثّ .
- ٥ - تنطوي على السوء .
- ٦ - الشيخ ليس كالعمائم التي يتشرّف بغبارها يحمل علماً صافياً من منابعه .
- ٧ - أنّ الشيخ كالعمائم التي يتشرّف بغبارها يتحرك من أجل الشرف .

٨ - أن الشيخ كالعمام التي يتشرف بغبارها يتحرك من أجل الكرامة التي أراها الحسين عليه السلام .

٩ - الشيخ يريد أن يكون كلباً يبصص بذنبه ، مع أن الشيخ لم يقل يريد أن يكون كلباً يبصص ، وإنما تحدث عن الوفاء بنحو التشبيه وفق ثقافته ، وبهذا يتضح أن استشهاد المتهم برواية قول سيد الشهداء عليه السلام للشمر : « له بوز كبوز الكلاب » أجنبي عن المقام ؛ لأن الكلام فيها تشبيه للكلب في العرف العربي في جهة الشكل ، بينما الشيخ يتكلم في التشبيه وفق العرف الفارسي في جهة الوفاء والإخلاص ، فهل يمكن أن نعترض على الحزب الديمقراطي الأمريكي لأنه وضع الحمار شعاراً وفق ثقافتنا العربية !

١٠ - الشيخ يريد أن يكون شيئاً لا يشرف أهل البيت عليه أن يلصق بهم ، وقد غاب عنه أن أهل البيت يشرفون كل شيء ولا يتشرفون بالكلام وغيرهم من الخلق .

١١ - يقول : « لا يقبل على طائفة تمتن كرامتها بعمامة ... مثل ياسر الحبيب وأضرابه » ، وقوله هذا في سياق نقد الشيخ يدل على أنه يرى عمامته تمتن الكرامة ومثل عمامة ياسر الحبيب ، فهذا ما يظهر لنا .

١٢ - يقول : « شنهو يقف وراء هذا الشيء هذا المسار الانحراف الخطيرة رجال دين يعيشون الفقر المدقع في ثقافتهم المعاصرة ، ما يدرون وش يجري في الدنيا » .

١٣ - يقول : « أكثر من موكب ضرب صدور على طريقة مايكل جكسن إلى ما عنده يرسل لي رقمه وأدزله وهو هذا إلي يريده الحسين بس إذا الواحد الكبير يقول أنا كلب أريد أصير كلب أبصص بذنبه ... إي هذا خله يرقص هم مات » .

ولست أدري أين قال الشيخ (أظهر الله برهانه) أنه يريد أن يصير كلباً ! وما ربط كلامه بالرقص في المواكب بالطريقة التي وصفه ! ولماذا هذه الطريقة الاستهزائية والتي قال بعدها بأنه لا يتمسخر إلا بالعقليات العفنة !!

وكلّ هذه الإساءات بلا مبرّر إذا الشيخ كما تقدم يتكلّم وفق ثقافته ، وغرضه إن كان في مقام الإخبار التواضع في حضرة المعصوم ، وبيان التقصير في جهة التشبيه ، وليس مقصودة المعنى الحقيقي لكلمة (الكلاب) بلا إضافة ، وهل يتصوّر شخص لديه أدنى مرتبة من الوعي أنّ الشيخ (أنار الله برهانه) يريد أن يكون كلباً يصبص بذنبه كما حاول أن يصور المتهجّم عليه!! وبهذا يتّضح أن قول المتهجّم (طينتهم لا تنجب كلاباً) لا علاقة له بكلام الشيخ أصلاً ، فالشيخ يتحدّث عن الوفاء بنحو التشبيه ، وما ربط ذلك بإنتاج طينتهم ﷺ!

وأما إذا كان الشيخ (أنار الله برهانه) في مقام بيان شرطية ، وهي أنّا بدون لطفهم لا شيء يذكر حتّى بمستوى الكلب ، وهو محتمل في كلامه ، فالأمر أوضح .
والغريب أنّ المتهجّم في محاضرة بعد محاضرة التهجّم على سماحة الشيخ (أظهر الله برهانه) تكلم عن النقد وأهمّيته ، وأنّه تلميذ الشيخ ويحترمه ومنه تعلّم النقد ، وليس من الصحراء بل من عائلة كذا وجده فلان وخاله فلان ، ولي على كلامه هذا عدّة تعليقات :

التعليق الأول: يظهر أنّ صاحبنا عنده مشكلة في التمييز بين النقد وقاموس الشتائم والسباب ، ومع ذلك يقول هو لم يأت من الصحراء!!
النقد هو أن تقيم ما يذكر الشخص تقييماً علمياً لا أن تصفه بأنّه مزايّد وعمامته غثّ ومنطوية على السوء... إلخ .

التعليق الثاني: إذا كان الشيخ أستاذاً للمتهجّم فالجزم أبشع وأقبح .
يقول الإمام السجّاد عليه السلام في رسالة الحقوق : وَحَقُّ سَائِسِكَ بِالْعِلْمِ التَّعْظِيمِ لَهُ وَالتَّوْقِيرِ لِمَجْلِسِهِ... وَأَنْ تَدْفَعَ عَنْهُ إِذَا ذُكِرَ عِنْدَكَ بِسُوءٍ وَأَنْ تَسْتُرَ عَيْبَهُ وَتُظْهِرَ مَنَاقِبَهُ وَلَا تُجَالِسَ لَهُ عَدُوّاً وَلَا تُعَادِيَ لَهُ وَلِيّاً^(١) .

(١) بحار الأنوار : ٧١ : ٥ .

وأين المتهجّم عن هذا الأدب والخلق الرفيع ، فقد أظهر التوهين بدل التعظيم ، وذكره بسوء بدل أن يدفع عنه السوء ، ووصفه بأنّ عمامته تنطوي على سوء ، ولعلّ المتهجّم يواجه مشكلة أيضاً في التمييز بين التعظيم والتوهين ، والمدح والذمّ ، كما يواجهها في التمييز بين النقد والشتم !

التعليق الثالث: هناك مثل يقول : (ليس الفتى من قال كان أبي) وفي بيت لطيف :

كن ابن من شئت واكتسب أدباً يغنيك محموده عن النسب

المتحضّرون المتطوّرون غير الرجعيّين لا يقيمون طرح الشخص وفكره بالاسم الموجود في بطاقته الشخصية أو كرت العائلة ، فذكر السلف المنتقل إلى فسحة القبور وعالم الضياء والنور ما عاد يساهم في قبول الأفكار في عالم التحضّر والوعي ، فالمثقف الواعي يفهم أنّ قيمة المتكلّم فيما يقول ، وليس كونه ابن فلان أو ابن أخت فلان من عواصم الفكر عن الخطأ وموجبات التقديس والاتباع ، نحن في عصر تكلم يعرف وزنك وحجمك أنت مطوي تحت لسانك ، ولو قلت : (أنا أنا) من الآن إلى أن تصل نجران فلن يزيدك هذا إلّا وهناً .

الأمر الخامس

كذب المتهجّم على الشيخ (أعلى الله مقامه) ، ولعلّه لا يحسن القراءة ، وهذا هو سبب الخلل ، فقد نقل أنّ الشيخ قال : « وكلّنا نحن أقلّ من كلب وأسوأ » ، مع أنّ عبارة الشيخ هي : « كلّا فنحن أقلّ من كلب » ، وقد بيّن سابقاً كما نقلنا أنّه يقصد نفسه لا غيره ، وقد يعبر بالجمع ويقصد المفرد ، ومراده من حيث خضوع الكلب للاختبار في إخلاصه وأمانته ونجاحه ، ووفائه لسيّده حتّى بعد أن يرميه بالحجارة وهذا من التذلل واتّهام النفس في حضرة خلفاء الله تعالى .

والغريب أنَّ المتهجم قال بعد ذلك : «إلي ما يفهم كلامي يجيني إلي يبلغه الكلام وعنده استفهام يشرف صدري أوسع من بيتي ٥٠٠ متر بس صدري أوسع ، (وليته طبّق ذلك مع من يقول أنّه أستاذ وذهب إليه وطرح عليه اشتباهاته ، أو طلب منه أن يقرأ له العبارة ، لا أقلاً بالطريقة الصحيحة وأنّ المكتوب (كلا) وليس (كلنا) ، ولست أدري أي صدر واسع مع قاموس شتائم في قضية تعبيرية شخص فيها الشيخ وفق عرفه خلاف تشخيص المتهجم .

الأمر السادس

هو أنَّ ما ارتكبه المتهجم مستنكر جداً بقطع النظر عن كون الشيخ (أظهر الله برهانه) مصيباً في كلامه أو لا ، فإنّ غاية ما ينبغي أن يقال لو كان مخطئاً هو أنَّ كلامه غير صحيح ، ويبين ذلك بعلم لا بالصراخ والكلام الإنشائي الخالي من المحتوى العلمي ، فلو فرضنا أنَّ طالب علم خالف السيّد السيستاني (دام مجده) في فتوى جواز كشف الوجه ، ويراها غير مصيب في ذلك ، فهل يسوغ له أن يخطب عامة الناس ويشغلهم ويشغل المجتمع بقراءة روايات الغيرة والستر ، ويصرخ ويفزع ويضرب بيده المنصّة مراراً ، ويتهجم على السيّد السيستاني ويصفه بأبشع الأوصاف ليبرهن لنا بأنّه متجدّد ليس رجعيّاً ، وأنّ السيّد السيستاني لا غيرة عنده !!

لهذا من الخلل أن ننشغل عن تجاوزه على مقام المرجعية والشيخ الوحيد (دام مجده) بالحديث عن صحّة التشبيه بالكلب في بعض صفاته الحسنة أو لا ؟ وينبغي أن يكون لنا موقف واضح في هذه المسألة ، وإني شخصياً تشرفت بزيارة المرجعية العليا في النجف الأشرف سماحة السيّد السيستاني (دام مجده ، وأظهر الله برهانه) وقد أفادنا في فيوضاته شيئاً كثيراً عن أهميّة المرجعية وتميّزها ودورها في حفظ المذهب ، وتكلّم عن ضرورة الدفاع عنها وثمن جهود المدافعين ، وحذّر من المرجفين والمشكّكين .

وفي الحقيقة لا يوجد بيني وبين المتهجم على سماحة الشيخ الوحيد (حفظه الله) عداوة شخصية، وإنني أرجو له الصلاح وأن يبصر طريق خيره جيداً، وأحب له الخير كما أحبه لنفسه، غير أنني لا يمكنني السكوت عن تهجمه على مقام المرجعية بغير علم، وتسويقه ذلك باسم النقد كما يسكت غيري، خصوصاً مع طرح بعض المؤمنين (أعزهم الله) السؤال عليّ، ولا أظن أنني بحاجة إلى توجيه حسن الدفاع عن مرجع الأمة ومقام المرجعية، فهذا من فضول القول، وأرجو أن يتسع صدر المتهجم أكثر من ١٠٠٠ متر لنقدي، كما أرجو أن يكون نقدي بناءً ينتفع به المؤمنون.

وقفة تأمل في حدث استثنائي

(وثمار زئير أسد العقيدة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلاة على محمد وآله الطاهرين

١ - استثنائية الحدث :

واجه الشيعة في الخليج والعالم الإسلامي بشكل عام حدثاً استثنائياً من جميع الجهات ، لم يكن مألوفاً أو متكرراً ، بل هو الأول من نوعه في مدينة عرفت بالهدوء والسكون والألفة والموودة ، وتخرج طلاب العلم المتميزين بالعلم والتقوى وحسن السيرة والقبول عند المراجع العظام .

فقد علّق المرجع الأعلى وكالة وكيل له بعد إساءته إلى مقام الصديقة زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام ، ومقام المرجع الكبير الشيخ الخراساني (دام ظلّه) ، ولم يعهد من زمن السيّد محسن الحكيم رحمته الله مروراً بالسيّد الخوئي والسيّد الكلبيّ رحمته الله مع عشرات السنين ومئات الوكلاء أن علّقت وكالة وكيل ، مع كثرة الملاحظات التي تثار بين الفترة والفترة حول وكيل هنا ووكيل هناك ، وليس المعزول شخصاً مجهولاً لا حضور له ، وإنما هو من عائلة علميّة كريمة ، وساعده انتمائها إليها في الحصول على مكانة اجتماعيّة عند شريحة ليست بالقليلة ، كما أنّ عزله لم يكن من شخص معروف بالتسرّع والعجلة واتخاذ المواقف الانفعاليّة ، وإنما من المرجع الأعلى المعروف بالحكمة والتأني والاحتياط كما هو حال مراجعنا العظام .

٢ - نافذة على الكمالات الشخصية للمرجع الأعلى :

إنّ الحديث عن كمالات المرجع الأعلى (دام مجده) يقصر عن بلوغ مداه مثلي ، غير أنّ تجربة هذا الرجل المسنّ في حكمة أهل البيت عليه السلام ، والجامع لتجارب السلف الصالح في الحالة العراقية ، تفتح للقارئ العزيز شيئاً من تلك الكمالات المتعدّدة ، فالسيد عليّ السيستاني (دام ظلّه) برهن فعلاً على رؤية ثاقبة تستند إلى مقدّمات بحث ومتابعة وتأمّلات متعدّدة تحوطها عناية وليّ الله الأعظم عليه السلام ، فهو يعرف متى يسكت ومتى يتكلّم ، وإذا تكلم ماذا يقول وكيف يقول ، هو فعلاً خلاصة من كان قبله ، ويعجز في الرأي وكيفية العمل الإصلاحيّ من يأتي بعده .

وكنت قد كتبت تلخيصاً لكتاب الحاج حامد الخفّاف (الرحلة العلاجية) ، واستفدت في مقدّمته من كتابه الآخر المرتبط ببيانات السيّد السيستاني (حفظه الله) ، وانتشر هذا التلخيص كردّ على من حاول أن يوهّم وجود غيبوبة يستترّ فيها المرجع الأعلى عن الواقع ، والحقيقة هناك فرق بين الغيبة عن الواقع وبين أن يكون للمرجع الأعلى تكييف خاصّ للمرحلة ، وتشخيص معيّن في كيفية العمل يختلف عن تكييف وتشخيص من يتوهّم الغيبوبة ، والحال أنّ صاحب التوهّم هو الذي يعيش الغيبوبة بسبب مواقفه الانفعالية وتشخيصاته المتسرّعة .

لقد تشرّفت يوماً بتقيل يد هذا الحصن الرفيع الذين يحوط المذهب وأيتام آل محمد عليه السلام بسور عنايته العالي ، فقال : إنّ لي منهجاً خاصّاً في الفقه أدخل فيه عناصر قد لا يراها غيري ذات تأثير في عملية الاستنباط ، وكذلك منهجي في قضايا الأمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، فأنا أعدّ لكلّ حدث ملفاً ، ومثّل لذلك بتجربة الإخوان في مصر ، وبين أنّ عنده ملفّ خاصّ يرتبط بحركتهم صعوداً وهبوطاً .

ولو لاحظ المتابع البيانات الكثيرة التي صدر منها في ثلاث سنوات أو أكثر ما يبلغ (٩٧) بياناً لوجد أنّ هذه الشخصية تتمتع بعدة أمور منها :

الأمر الأول: الشموليّة . فقد عالجت هذه البيانات عدّة مسائل حسّاسة في مختلف مفاصل الحالة العراقيّة منها :

- ١ - آثار العراق .
- ٢ - خطّة انتقال السلطة .
- ٣ - الموقف من الاحتلال .
- ٤ - تحديد العطل .
- ٥ - الموقف من اختلاف مكُونات الشعب .
- ٦ - الانتخابات .
- ٧ - الموقف من الدول الإقليميّة .
- ٨ - الموقف من البعث ومسؤولي النظام السابق .
- ٩ - التهريب وضبط مداخل الدولة .
- ١٠ - الموقف من التيارات المختلفة .
- ١١ - حقوق الإنسان والمواطن .
- ١٢ - الموقف من الحكومات .
- ١٣ - الدستور .
- ١٤ - علاقة الدين بالدولة .
- ١٥ - الأمن .
- ١٦ - توفير الخدمات .
- ١٧ - الفتنة الطائفية .
- ١٨ - الفساد الإداري .
- ١٩ - الموقف من الفدرالية .
- ٢٠ - قانون إدارة الدولة للفترة الانتقالية .
- ٢١ - الاقتصاد والممتلكات العامّة .
- ٢٢ - قضايا الأُمّة العامّة كفضيّة فلسطين ولبنان .

وفي البيان الأخير المرتبط بتعليق الوكالة تطرّق سماحته (حفظه الله) لشأن خطير حسّاس له مساس بعلاقة المرجع بجميع أفراد الأُمّة وذي طابع ديني واجتماعي خاصّ ، وهو الوكالة والوكلاء ، وسوف نقف على دراسة بيانه (حفظه الله) بشيء من التحليل .

الأمر الثاني: تنوّع الجهات المعنية بها . فقد خاطب (حفظه الله) في هذه البيانات الشعب العراقيّ ، وكافة المسلمين ، ورجال الدين ، والسياسيين ، ومن بيدهم القرار ، ووسائل الإعلام ، والمؤسّسات العامّة ، ومن تلك الجهات الأمم المتّحدة ، فقد وجّه (حفظه الله) رسالة جوابيّة إلى مبعوث الأمم السيّد الأخضر الإبراهيمي جاء فيه :

١ - إنَّ المرجعية الدينية التي بذلت جهوداً مضنية في سبيل عودة الأمم المتحدة إلى العراق ، وإشرافها على العملية السياسية ، وإجراء الانتخابات العامة ، كانت تتوقع أن يترك لممثلي الشعب العراقي في الجمعية الوطنية المنتخبة حرية إدارة البلد في المرحلة الانتقالية ، وكتابة الدستور الدائم ، والاستفتاء عليه وفق الآلية التي يقرّها المندوبون أنفسهم .

ولكن بعد إقرار ما يسمّى بـ(قانون الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية) ستكون الجمعية الوطنية القادمة مكبلة بقيود كثيرة لا تسمح لها باتخاذ ما تراه مطابقاً لمصلحة الشعب العراقي ، حيث أملى عليها مجلس غير منتخب هو مجلس الحكم الانتقالي وبالتنسيق مع سلطة الاحتلال قانوناً (غريباً) لإدارة الدولة في المرحلة الانتقالية ، كما أملى عليها -وهو الأخطر- مبادئ وأحكاماً وآليات معينة فيما يخص كتابة الدستور الدائم وإجراء الاستفتاء عليه .

إنَّ هذا (القانون) الذي لا يتمتع بتأييد معظم الشعب العراقي -كما تؤكد ذلك استطلاعات الرأي العامّ ، وملايين التوقيعات التي جمعت خلال الأيام القليلة الماضية في رفضه أو المطالبة بتعديله- يصادر حقّ ممثلي الشعب العراقي المنتخبين بصورة لا نظير لها في العالم ، وبذلك تفقد الانتخابات -التي طالما طالبت بها المرجعية الدينية- الكثير من معناها وتصبح قليلة الجدوى .

إنَّ هذا (القانون) الذي يعهد بمنصب الرئاسة في العراق إلى مجلس يتشكّل من ثلاثة أشخاص -سيكون أحدهم من الكرد ، والثاني من السنة العرب ، والثالث من الشيعة العرب- يكرّس الطائفية والعرقية في النظام السياسي المستقبلي للبلد ، ويعيق اتخاذ أيّ قرار في مجلس الرئاسة إلاّ بحصول حالة التوافق بين الأعضاء الثلاثة ، وهي ما لا تيسّر عادة من دون وجود قوّة أجنبية ضاغطة -كما وجدنا مثل ذلك في حالات مماثلة- وإلاّ يصل الأمر إلى طريق

مسدود ، ويدخل البلد في وضع غير مستقرّ ، وربما يؤدي إلى التجزئة والتقسيم لا سمح الله تعالى .

٢ - إنّ المرجعية الدينية التي سبق لها أن طالبت بصدر قرار من مجلس الأمن الدوليّ يحدّد موعد الانتخابات العامّة تخشى أن تعمل سلطة الاحتلال على إدراج هذا (القانون) في القرار الجديد لمجلس الأمن ليكتسب صفة الشرعية الدوليّة ، ويلزم به الشعب العراقيّ رغماً عليه .

إنّنا نحذّر من أيّة خطوة من هذا القبيل لن تكون مقبولة من عامّة العراقيين ، وستكون له نتائج خطيرة في المستقبل ، ونرجو إبلاغ أعضاء مجلس الأمن بهذا الأمر .

٣ - في ضوء ما تقدّم ، وبالرغم ممّا يتمتّع به شخصكم من احترام وتقدير لدى سماحة السيّد ، إلّا أنّه لا يرغب أن يكون طرفاً في أيّة لقاءات واستشارات تجريها البعثة الدوليّة في مهمّتها القادمة في العراق ما لم يصدر من الأمم المتّحدة موقف واضح بأنّ هذا (القانون) لا يلزم الجمعية الوطنيّة المنتخبة بشيء ، ولن يذكر في أيّ قرار جديد لمجلس الأمن الدوليّ بشأن العراق . هذا ما لزم بيانه ، وتقبلوا فائق الاحترام .

الجمعة ٢٧ / المحرم ١٤٢٥ هـ

١٩ / آذار / ٢٠٠٤ م

مكتب السيّد السيستاني (دام ظلّه)

النجف الأشرف

الأمر الثالث : الحكمة والدقّة في اختيار المسائل المهمّة والحساسة ، والحزم والبصيرة في كيفية تحقيق الأهداف العليا التي يريد تحقيقها جمع أفراد الشعوب الإسلامية ، ونذكر لذلك بعض الأمثلة :

المثال الأول: تركيزه على استثمار القوانين التي يدّعي الغرب احترامها من أجل نزع الحقوق منهم ، ومن ذلك تركيزه على أن إرادة الشعب العراقيّ الحرّة والتي تعكس الأغلبية ، والتي هي تعتقد بضرورة اتباع المرجعية لتحقيق صلاح الدنيا والدين ، مصدر جميع القوانين والأنظمة ، ففي جوابه على سؤال وكالة رويترز: ما هي رؤيتكم لمستقبل الحكم في العراق ؟

قال مكتبه (حفظه الله) : المبدأ الذي يؤكّد عليه سماحته هو أن الحكم في العراق يجب أن يكون للعراقيين بلا أي تسلّط للأجنبيّ ، والعراقيّون هم الذين لهم الحقّ في اختيار نوع النظام في العراق بلا تدخّل للأجانب .

وجاء في جواب سؤال وكالة الأوسشيتد برس : ما هي الحكومة التي تريدون في عراق ما بعد صدام حسين ؟ وكيف يجب أن يتمّ تشكيلها ؟ هل ستلعبون دوراً فيها ؟ :

شكل نظام الحكم في العراق يحدّده الشعب العراقيّ ، وآليّة ذلك أن تجري انتخابات عامّة لكي يختار كلّ عراقيّ من يمثّله في مجلس تأسيسيّ لكتابة الدستور ، ثمّ يطرح الدستور الذي يقرّه هذا المجلس على الشعب للتصويت عليه ، والمرجعية لا تمارس دوراً في السلطة والحكم .

المثال الثاني: رفعه لشعار حقّ المواطنة للجميع ، ومطالبته بحقوق جميع الطوائف ، فقد سئل سؤالاً طائفيّاً من وكالة الأوسشيتد برس الأمريكيّة جاء فيه : هل تريدون من أبناء الطائفة الشيعيّة الكريمة أن يتعاونوا مع الإدارة المدنيّة الأميركيّة في العراق ؟

فأجاب (حفظه الله) : الذي نريده هو أن يفسح المجال لتشكيل حكومة منبعثة من إرادة الشعب العراقيّ بجميع طوائفه وأعراقه .

وقال في جواب سؤالها : هل أبناء الطائفة الشيعيّة الكريمة موحدون في العراق حالياً ؟ وكيف هي العلاقة مع المراجع الأخرى ؟ : العراقيّون بجميع طوائفهم

ومذاهبهم ، من الشيعة وغيرهم ، موحدون في المطالبة باحترام إرادتهم في تقرير مصيرهم ، ورفض أن يخطط الأجنبي لمستقبلهم السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي .

المثال الثالث: رفضه كشف المقابر الجماعية إلا بإشراف من لجان دولية ليكشف الناس على الظلم العظيم الذي وقع على الشعب العراقي ، وهذا ما يدعو إلى تعاطف جميع الشعوب العالمية مع الشعب العراقي ، والوقوف معهم في وجه الاحتلال ، فقد قال مكتبه (حفظه الله) في جواب سؤال : ما هو حكم كشف المقابر الجماعية ؟ : كشف المقابر الجماعية إنما يجوز بإذن الحاكم الشرعي ، وسماحة السيد (مد ظله) لا يأذن بذلك إلا بإشراف من لجنة دولية بحيث لا تضيع معالم الجرائم ضد الإنسانية التي ارتكبت على أيدي أزام النظام السابق ، والله الهادي .

المثال الرابع: بيانه الشهير الذي ألغى فيه اعتبار المجلس الدستوري الذي يراد تشكيله من قبل قوات الاحتلال ، وقد جاء فيه :

إن تلك السلطات لا تتمتع بأية صلاحية في تعيين أعضاء مجلس كتابة الدستور ، كما لا ضمان أن يضع هذا المجلس دستوراً يطابق المصالح العليا للشعب العراقي ويعبر عن هويته الوطنية التي من ركائزها الأساس الدين الإسلامي الحنيف ، والقيم الاجتماعية النبيلة ، فالمشروع المذكور غير مقبول من أساسه ، ولا بد أولاً من إجراء انتخابات عامة لكي يختار كل عراقي مؤهل للانتخاب من يمثله في مجلس تأسيسي لكتابة الدستور ، ثم يجري التصويت العام على الدستور الذي يقره هذا المجلس ، وعلى المؤمنين كافة المطالبة بتحقيق هذا الأمر المهم ، والمساهمة في إنجازه على أحسن وجه .

أخذ الله تبارك وتعالى بأيدي الجميع إلى ما فيه الخير والصلاح .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فإنّ هذا البيان يكشف حزمه (حفظه الله) الشديد، وإدراكه الواعي لإمكانيات المرجعية، وقدرتها على التأثير، ومثل هذا البيان ما جاء في جوابه على السيّد الإبراهيمي حيث قال (حفظه الله): «إنّنا نحذّر من أيّة خطوة من هذا القبيل لن تكون مقبولة من عامّة العراقيين، وستكون له نتائج خطيرة في المستقبل، ونرجو إبلاغ أعضاء مجلس الأمن بهذا الأمر».

إذن هذه الشخصية الدقيقة في قراءة الواقع وتشخيصه، والحازمة في اتّخاذ القرار والعمل من أجل الإصلاح، هي التي أسقطت داعش الإرهابي في ضربة خاطفة جمعت القلوب تحت راية النصر، وبهذا حفظت المقدّسات، وصانت الحرمات، وردّت الحقوق إلى أهلها، وها هي اليوم تسقط التشكيكات في قداسة المرجعية ومصادقيتها، وتقضي على الفتنة، من خلال قرار حسم آخر.

إنّ تلك الشخصية بكلّ ما تحمل من وعي ومواكبة وحكمة ومتابعة، وهي شخصية المرحلة، قد حسمت أمرها في تعليق وكالة وكيل من وكلائها وصدرت البيان التالي:

٣- بيان تعليق الوكالة:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إنّكم على علم بما صدر من في خطبة الجمعة قبل أسبوعين من استخدام تعابير غير لائقة تجاه مولانا زينب الكبرى عليها السلام، ومن إساءة مباشرة لسماحة المرجع الديني الكبير الشيخ الوحيد الخراساني (دام ظلّه)، حيث قرأ نصّاً هو ترجمة لبعض أقواله، واستهزاء بصاحبه، وعدّه من المزايد ومن العمائم المطوية على السوء. وقد طلبت منه -كما سمعنا- أن يعتذر ممّا صدر منه، ويتعهد بعدم تكراره، ولكنّا سمعنا في خطبة الجمعة اليوم يتهرّب من الاعتذار، بل ينكر أن يكون قد قصد سماحة الشيخ (دام ظلّه) بكلامه بالرغم من أنّ النصّ الذي قرأه مطبوع منشور

منسوباً إلى سماحته دون غيره ، يعرف ذلك القاضي والداني ، فما هو موقف السيد المرجع الأعلى منه بعد ما جرى ؟ أخبرونا رجاء .

بسم الله

قد تمّ تعليق إجازته في الأمور الحسبية ، والحقوق الشرعية ، من قبل سماحة السيد (دام ظلّه) .

وهذا البيان نستفيد منه الأمور التالية :

- ١ - أنّ المرجعية كانت متابعة وعلى علم وإطلاع بخطاب من علقت وكالته .
 - ٢ - أنّ المرجعية ترى المعلق وكالته مدان .
 - ٣ - أنّ إدانته تتمثل في أنّ المرجعية تراه مرتكباً لأمرين عظيمين وهما :
- الإساءة إلى الحوراء عليهنّ السلام .
- الإساءة إلى مقام المرجع الوحيد (حفظه الله) .
 - ٤ - أنّ الإساءة التي وقعت في نظر المرجعية على الشيخ الوحيد (حفظه الله)
متمثلة في الاستهزاء ، وعدّه من المزايدين ، ومن العمام المطوية على سوء .
 - ٥ - أنّ المرجعية طلبت الاعتذار والتعهد بعدم التكرار .
 - ٦ - أنّه وقع تهرب من الاعتذار .
 - ٧ - أنّ التهرب كان بمحاولات لم تنطل على المرجعية ، فالمتهم حاول أن يلتف بذكر أمر يعرف خلافه القاضي والداني .
- وتعرف كلّ هذا الأمور المتقدمة من إقرار المرجعية لما ورد في السؤال وعدم تكذيبها لشيء منه ، وهذا يعني موافقتها .
- ٨ - أنّ السؤال ورد في يوم ٢٦ من شهر محرم لعام ١٤٣٨ ، والجواب جاء سريعاً في نفس اليوم ، وهذا يكشف عن شدة تفاعل المرجعية مع هذا الحدث ، ونظرها إليه على أنّه من الأولويات رغم انشغالها بوفاء المرجع الكبير السيد القمي رحمته الله ،

وهذا ما يفتح للقارئ العزيز نافذة على وجود مبررات قوية لموقف المرجعية الحازم، وقد لا نكون واقفين على جميعها، وهذا ما قد يؤمن جواباً واضحاً على تساؤلات البعض حول خلفيات هذا الموقف الاستثنائي، وهل موقف سريع أو مارس فيه المرجع الأعلى المعروف عنه الصبر والتأني والاحتياط في نظائر هذا الموقف.

٩ - أنه تم تعليق الوكالة، فالمتهم ليس وكيلاً فعلياً، وبالتالي لا يجوز تسليمه الحقوق الشرعية من تاريخه، وهذا التعليق يستند حسب الظاهر إلى المبررات السابقة، والتي جعلت السيد لا يرى صلاحاً في عدم تعليق الوكالة، أو يرى فساداً في إبقائها.

والملاحظ أن السيد المرجع (حفظه الله) رغم عظم ما صدر من الوكيل المنتهية صلاحية وكالته الأمر، الذي جعله ورغم انشغالاته الكثيرة في العراق وخارجه يتصدى للحزم بعد إبداء الفرصة، إلا أنه يعيش في وجدانه الأب الرحيم العطوف على أبنائه مهما عظم جرمهم، فلم يعبر بعبارات قاسية تغلق باب التوبة وتقطع طريق الرجعة، وإنما عبر بمفردة التعليق، وهي مع اشتراكها مع مفردة العزل وسحب الوكالة من حيث الإلغاء والأثر، إلا أنها تفتح باب رجاء الصلاح، وتبقي مجالاً لإصلاح المسار بالتوبة وسلك طريق الصلاح.

إن على المؤمنين أن يتعلموا من هذا المرجع المجسد للخلق العالي والمشاعر النبيلة، أن مثل هذه المواقف ليس من منطلق الحقد أو بغرض الانتقام، ولا ينبغي أن تكون داعياً للتشفي والسخرية، فهي مواقف شرعية ضمن ضوابط شرعية، ولهذا ينبغي أن يترفعوا عن الإسفاف والمهاترات والتراشق، فما وقع فعلاً محزون ولا تمناء لأحد من المؤمنين، غير أنه كان لا بد من التدخل بالعلاج الموضعي، وقد تم العلاج بالحكمة والموقف المناسب، وينبغي أن تكون كلمة المرجع هي الحسم وبها ختام الفتنة.

٤ - مكتسبات هذا البيان الاستثنائي :

هناك مكتسبات كثيرة تترتب على هذا البيان ، ولست مبالغاً إن قلت إن هذا البيان بمثابة خارطة مستقبلية تحدد المسار الصحيح في نظر الواعين الذين يستشرفون من مواقف الأعظم المستقبل بعد رصد وتحليل ما بين السطور ، ومن المكتسبات :

١ - وقوف المجتمع على مواكبة المرجعية المباشرة والمستمرة لحركة المجتمع ونشاط النخبة منهم ، خصوصاً الوكلاء وقوفاً عيانياً .

٢ - صرامة المرجعية في الحسم ، وأنه لا يوجد شخص فوق المحاسبة مهما كان موقعه ومكانه الاجتماعي .

٣ - سعي المرجعية من أجل القضاء على الفتنة ، ولو كان يترتب على ذلك بعض المحاذير الاجتماعية ، وارتفاع بعض الأصوات النشاز ، ففي التزاحم لا بد من ملاحظة جميع حيثيات الحالة والترجيح عقلائياً للمهم على غيره ، أو الأهم على المهم .

٤ - سرعة المرجعية في الحسم بعد اكتمال الرؤية ، وجمع عناصر الحساب الكافية عقلائياً .

٥ - بروز مصداقية المرجعية بصورة جلية ، فكم شكك البعض في مصداقيتها وأنها لا تقوم بوظائفها لمصالح مادية ونحو ذلك ، لقد وقف المرجفون والشكاكون على أن المرجعية العليا لا تخضع لحسابات شخصية ذاتية وقوفاً علنياً ، وبأن لهم فشل مساعيهم التشويهيّة .

٦ - ظهور انحياز المرجعية للمبدأ ومخالفاتها للانحراف والإساءة ، وتأيدها للأصوات الإيمانية التي تعالت في جميع بقاع التشيع في العالم ، وفي هذا تقدير من المرجعية للعلماء والفضلاء وطلاب العلم والمؤمنين الذين تواصلوا معها ، وأخلصوا في تشكيل قراءة واعية للمشهد .

٧ - بيان أنَّ العمائم التي كان يحاربها البعض ويعتبرها غثَّ ومنطوية على سوء هي العمائم التي ينبغي أن تنصر وتَعْظُم ويُتخذ الموقف الحازم من أجل دفع الإساءة عنها، وأنَّ المرجعية العليا تسندها .

٨ - الإطاحة بالتَّيار الحداثي الذي اصطفَّ مع حالة الإساءة والإسفاف بعنوان التجديد وحرية الرأي واحترام الأفكار ، فقد بيَّنت المرجعية أنَّ كلَّ ذلك لا يعدو كونه وساوس التلبس على البسطاء وفي موقفها تحذير من هذه الوسوس .

لقد كشف السيّد المرجع (دام مجده) قناع اتِّباع التيارات المنحرفة ، وجعلهم متميِّزين اجتماعيًّا ، يعيشون الضعف والانكسار لما أن سدّد ضربته الموجعة على تكتلاتهم واصطفافاتهم خلف قاموس شتائم الطعن في المرجعية ، فكلَّ من نصر وبرّر أو تجاسر وكرّر نفس الشتائم لم يبق له مجال للمراوغة بعد موقف المرجعة العليا ذي التأثير الأكبر في وجدان الأمة بسبب ما تتمتع به من مصداقية وإخلاص وحكمة وروية وحسن إدارة للمواقف .

إنَّ من البعيد جدًّا أن تخرس جميع الدعوات المنحرفة ، وأن تتوقّف التبريرات السمجّة ، بل نتوقع أن تتحرّك بعض الوجوه المقنعة أو التي لا يوجد ماء حياء فيها فتظهر علناً لتوسّع دائرة الطعن لتطال المرجع الأعلى بسبب موقفه الحكيم الذي لا يتناسب مع رغباتها وميولاتها ، وتمارس الانتقام من خلال الافتراء والكذب وتكريس المغفلين المخدوعين بالشعارات الرنّانة ، غير أنَّ هذه المحاولات قد كتب لها الفشل لارتفاع مستوى وعي المؤمنين بمواقف المخلصين من رجال الدين المتوّجة ببيان تعليق الوكالة .

٩ - إنَّ منهج التعامل مع الحالات المنحرفة ليس على نسق واحد ، فقد يكون على مستوى التنبيه ، وقد يكون على مستوى التحذير ، وقد يكون على مستوى البيان العام ، وقد يكون على مستوى البيان الخاص ، بأن يذكر اسم من يراد التصدي له شخصاً ويبين الموقف فيه ، ومن يُقدّر ذلك هو المرجع بعد متابعة للوضع

وجمع للمعطيات .

١٠ - ما يرفعه البعض من أنَّ في الردِّ على الدعوات المنحرفة فتنة وتهديد السلم والوحدة الشيعية لا صحة له على إطلاقه ، وإنَّما يقدر ذلك باختلاف الحالات والظروف ، وقد يكون الردُّ والحسم الشخصي هو الأنسب للإجهاز على الفتنة والحفاظ على الوحدة الشيعية الشيعية ، ومن المعلوم أنَّه لا خصوصية لشخص في ذلك ، فكلُّ حالة تدعم أو تكرر الفعل ، وتحقق نفس الحالة ، فهي غير مرضية من هذه الجهة عند المرجعية ، وينبغي للمؤمن أن يكون حذيفاً في ذلك .

وقرار الحسم النهائي بيد المرجع .

١١ - كانت هناك شخصيات معروفة بالإيمان والغيرة على الدين ، وتقوم بوظائفها الشرعية في ظلِّ وجود نماذج ساكتة ، وتعيش خارج دائرة الرصد والمتابعة ، وكان البعض يُشكل من يقوم بالوظيفة فتنيئاً والساكت وسطياً ، والمجامل على حساب المبدأ منفتحاً إصلاحياً ، وقد أعاد المرجع الأعلى الوسطي المتأني المنفتح بالحب والخير على الإنسانية تشكيل التوصيفات والتسميات الاجتماعية .

١٢ - تأصيل الشعور بوجود رادع راصد ، وأنَّه لا شخص فوق ردعه ، والوكالة لا تعني الحصانة ، فالكلُّ مُقيم وفق عمله وموزون بفعله ، وهذا ما سوف يجعل البعض يفكر أكثر فيما إذا أراد استغلال الوكالة استغلالاً سيئاً .

١٣ - بيان عدم وجود حالة المنافسة والنزاع بين المرجعيات الممثلة للمذهب بحق ، فالمتهم لم يطل السيد السيستاني (حفظه الله) بالإساءة ، بل مدحه وأثنى عليه ، وكانت الإساءة في حقِّ مرجع آخر وهو الشيخ الوحيد (دام عزه) ، ومع ذلك السيد (دام مجده) تدخل متحملاً ما يترتب على تدخله صوتاً للمذهب بصون حصونه كآية الله العظمى الوحيد (دام عزه) .

إنَّ على المؤمنين أن يتعلموا من كبرائهم هذا النهج العملي القويم ، فلاختلاف

في التقليد ، وتعدّد مراجع الفقه ، لا ينبغي أن يكون حافزاً للتناحر والاصطدام ،
 وحرمة المؤمن ينبغي أن تكون محفوظة ، وروح الأخوة لا بدّ وأن تكون مصونة
 وإن اختلف مرجع التقليد .

إنّ المرجعية هي فخرنا ومفزع نازلتنا ، وقد استمرّ المذهب قوياً بقوّتها ،
 وسوف يستمرّ قوياً ما دمنا نلتفّ حولها ، ونجعل قولها الفصل ، ونذبّ عنها ،
 ونهتدي بالهدي الذي يتدفّق من عيون وليّ الله الأعظم عليه السلام ، ويجري في أنهار
 المرجعية إلى قلوب المخلصين الواعين والثابتين على ولاية أهل البيت عليهم السلام .

٥ - قيمة العالم :

لقد تحدّثت الروايات عن قيمة العالم ، والدور الذي يقوم به ، وهي كثيرة
 جداً فوق الإحصاء منها :

١ - الكافي : عن ابن عيسى ، عن محمّد بن سنان ، عن إسماعيل بن جابر ،
 عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : « الْعُلَمَاءُ أُمَنَاءُ ، وَالْأَتْقِيَاءُ حُصُونٌ ، وَالْأَوْصِيَاءُ سَادَةٌ » .
 وفي رواية أخرى : « الْعُلَمَاءُ مَنَارٌ ، وَالْأَتْقِيَاءُ حُصُونٌ ، وَالْأَوْصِيَاءُ سَادَةٌ » ^(١) .

٢ - الكافي : محمّد بن يحيى ، عن ابن عيسى ، عن البرقي ، عن أبي البخري ،
 عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : « إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورِثُوا
 دِرْهَمًا وَلَا دِينَارًا ، وَإِنَّمَا أَوْرِثُوا أَحَادِيثَ مِنْ أَحَادِيثِهِمْ ، فَمَنْ أَخَذَ بِشَيْءٍ مِنْهَا فَقَدْ أَخَذَ
 حَظًّا وَافِرًا ، فَانْظُرُوا عِلْمَكُمْ هَذَا عَمَّنْ تَأْخُذُونَهُ ، فَإِنَّ فِينَا أَهْلَ الْبَيْتِ فِي كُلِّ خَلْفٍ
 عُدُولًا يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ » ^(٢) .

٣ - الفقيه : المعلى بن محمّد ، عن أحمد بن محمّد بن عبد الله ، عن عمرو بن

(١) الكافي : ١ : ٣٣ ، الحديث ٥ .

(٢) الكافي : ١ : ٣٢ ، الحديث ٢ .

زياد ، عن مدرك بن عبد الرحمن ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَمَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، وَوَضَعَتِ الْمَوَازِينُ ، فَتَوَزَنُ دِمَاءُ الشُّهَدَاءِ مَعَ مِدَادِ الْعُلَمَاءِ ، فَيَرْجَحُ مِدَادُ الْعُلَمَاءِ عَلَى دِمَاءِ الشُّهَدَاءِ » ^(١) .

٤ - الفقيه : قال أمير المؤمنين عليه السلام : « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اللَّهُمَّ ارْحَمْ خُلَفَائِي .

قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَنْ خُلَفَاؤُكَ ؟ قَالَ : الَّذِينَ يَأْتُونَ مِنْ بَعْدِي يَرْوُونَ حَدِيثِي وَسُنَّتِي » ^(٢) .

تعال أيها القارئ العزيز نتأمل هذه الرواية :

الفقيه : عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : « مَا مِنْ أَحَدٍ يَمُوتُ أَحَبَّ إِلَى إِبْلِيسَ مِنْ مَوْتِ فَقِيهِ » ^(٣) .

فإن هذه الرواية تبين عظم الخسارة المترتبة على موت العالم ، وما يترتب عليه من حرمان الأمة من دوره ، وهذا ما يحبه إبليس كثيراً .

يقول الفيض الكاشاني رحمته الله : « وَذَلِكَ لِأَنَّ شَأْنَ الْفَقِيهِ إِفَادَةُ الْعِلْمِ ، وَتَعْلِيمُ الْحَقِّ ، وَإِرْشَادُ السَّبِيلِ ، وَالْحَثُّ عَلَى الطَّاعَةِ ، وَالزَّجْرُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ ، وَشَأْنُ إِبْلِيسَ إِقْدَاءُ الشُّكِّ وَالْوَسْوَسَةِ فِي النُّفُوسِ ، وَإِرَاءَةُ الْبَاطِلِ فِي صُورَةِ الْحَقِّ ، وَالْإِضْلَالُ ، وَالْحَثُّ عَلَى الْمَعَاصِي ، فَإِذَا كَانَ مِنْهُ عَلَى طَرَفِ الضَّدِّ فَلَا مُحَالَةَ أَحَبَّ فَقْدَهُ وَلَيْسَ مَوْتُ سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَهُ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ » ^(٤) .

ولا يخفى أنَّ إسقاط العالم وإن كان حياً من عيون الناس ، والخطأ من قدره ،

(١) من لا يحضره الفقيه : ٤ : ٣٩٩ ، الحديث ٥٨٥٣ .

(٢) من لا يحضره الفقيه : ٤ : ٤٢٠ ، الحديث ٥٩١٩ .

(٣) من لا يحضره الفقيه : ١ : ١٨٦ ، الحديث ٥٥٩ .

(٤) الشافي في العقائد والأخلاق والأحكام : ٨٤ .

يترتب عليه نفس الأثر الذي يترتب على الموت . إذن سيكون العالم موجوداً ولكنه ضائع بين جهال لا يستفاد من علمه بسبب تسقيطه ، وهذا ما يسعد الشيطان أشد السعادة ، ويحزن الغيور على الدين أشد الحزن ، لهذا ينبغي التصدي للذين يحاولون تشويه سمعة العلماء ، والخط من قدرهم ، ويعملون على التفريق بين المرجعية والشيعة .

الحمد لله رب العالمين

إذا كانت الرسالة خاطئة فهناك مشكلة في التفكير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ،

والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين

وبعد :

فقد أرسل إليّ أحد الأصدقاء رسالة بعنوان (رسالة مفتوحة للسيد محمد رضا السيستانيّ نجّل مرجعنا الأعلى السيّد عليّ السيستانيّ دام ظلّه الوارف للتحذير من العبث بالنظام الاحتسابيّ الحالي) ، وهي منسوبة إلى العنوان التالي : (ملتقى شيعة الخليج).

وليس من المهمّ الحديث عن هويّة (ملتقى شيعة الخليج) ، فهل هو ملتقى حقيقة يضم جماعة شيعة الخليج ، أو هو مجرد عنوان يخفي وراءه شخصاً وليس أكثر؟ وهل الشخص فعلاً من شيعة الخليج أو من غيرهم؟ فهذا لا يهمّ في زمان بات بإمكان أيّ شخص أو جهة بسبب تطوّر وسائل الاتصال وسرعة تناقل المعلومات أن يصوّر وجود جماعة معتدّ بها تمثّل توجّهاً معيّناً أو طرْحاً خاصّاً ، ويوصل هذا تصوّر أكبر شريحة من الناس في ظلّ وجود شغف عند المتلقّين لتناقل الرسائل ، خصوصاً تلك التي تكون خارجة عن المألوف في الأدب والإتقان العلمي والطرح المتّزن .

فالمهمّ أن نقف على محتوى هذه الرسالة لنرى ما فيها من أخطاء متراكمة تشي بوزن صاحبها في ميزان الفكر ، ونتحدّث حول هذه الرسالة ضمن وقفات :

الوقفه الأولى

جاء في الرسالة: سيّدنا العزيز، حفظكم الله، وسدّد خطاكم، في تحمّل هذه المسؤولية التي تنهضون بها في خدمة الدين من خلال العمل الاحتسابيّ لمرجعية والدكم طلباً للأجر والثواب، سائلين من المولى أن يتقبّله منكم أحسن القبول.

فمرجعية السيّد السيستاني ونظامها الاحتسابيّ قد غدت اليوم أمانة كبيرة في عنقكم، وثقلها بحجم امتدادها في العالم الإسلامي، وأهميّتها بأهميّة الشغور التي تحمي بيضة الإسلام.

وعليه فحفظ مكانة المرجعية هدف إسلاميّ أصيل؛ لأنّه حفظ للإسلام في قلوب المؤمنين كما هو حفظ للإسلام ككيان على هذه الأرض. ومن حقّ الأخوة الإيمانيّة بين المؤمنين، ومن باب الحرص على حفظ مكانة المرجعية، نرسل لك هذه الرسالة بكلّ حبّ ومودّة.

التعليق: إذا كان من وراء الرسالة حريصاً فعلاً على حفظ مكانة المرجعية، فلماذا يكتب رسالة موجّهة إلى سماحة آية الله السيّد محمّد رضا السيستاني (حفظه الله)، ولكنّها تنشر وباسم غير معروف في وسائل التواصل لتصل إلى جميع الناس! لماذا لا يفصح الكاتب عن شخصه، ويتقدّم بملاحظاته وما يدعمها عند الشخص المعنيّ بدل أن ينشر اتّهاماته علناً قبل أن يسمع رأي آية الله السيّد السيستاني نفسه فيها، فهل في نشر الاتّهامات والتشكّك في أداء فقيه موثوق علناً دون تقديم أيّ إثبات ودليل، صالح المذهب، وحفظ المرجعية، وتدعيم مكانتها في نفوس الناس!

وقد تقول: ما هي الاتّهامات والتشكيكات غير المدلّل عليها في الرسالة؟

الجواب: هي كثيرة جدّاً، ولكن اكتفي بذكر بعضها:

١ - اتَّهَامُ السَّيِّدِ (حَفْظُهُ اللَّهِ) بِأَنَّهُ خَرَقَ النِّظَامَ الْاِحْتِسَابِيَّ حَسَبَ التَّعْبِيرِ الْوَارِدِ فِي الرِّسَالَةِ وَنِظَامِ الْمُؤَسَّسَةِ الدِّينِيَّةِ النَّجْفِيَّةِ ، فَقَدْ جَاءَ فِيهَا : « وَلَكِنْ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ تَمَّ خَرَقُ الْقَوَاعِدِ وَالْعَادَاتِ وَالتَّقَالِيدِ الْعَرِيقَةِ لِلْمُؤَسَّسَةِ الدِّينِيَّةِ النَّجْفِيَّةِ مِنْ قِبَلِكُمْ » .

٢ - اتَّهَامُ السَّيِّدِ (حَفْظُهُ اللَّهِ) بِأَنَّهُ يَسْتَقِلُّ فِي مَوَاقِفِهِ عَنِ وَالِدِهِ ، وَذَلِكَ فِي إِشَارَةٍ إِلَى أَنَّ الْقَرَارَ التَّارِيخِيَّ الَّذِي صَدَرَ مِنْ سَمَاحَةِ الْمَرْجِعِ الْأَعْلَى (حَفْظُهُ اللَّهِ) الْمَتَعَلِّقَ بِتَعْلِيْقِ وَكَالَةِ أَحَدِ أَيْمَةِ الْجَمَاعَةِ الْمَأْذُونِينَ لَمْ يَصْدُرْ مِنْ نَفْسِ الْمَرْجِعِ ، وَإِنَّمَا هُوَ بِتَدْبِيرِ مَنْ وَلَدَهُ الْعَلَامَةُ السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ رِضَا (حَفْظُهُ اللَّهِ) ، وَهَذَا يَشْتَمِلُ عَلَى تَهْمَةٍ لِلْمَرْجِعِ نَفْسِهِ بِأَنَّهُ غَافِلٌ عَنْ مَجْرِيَّاتِ الْأُمُورِ ، وَتَدَارِجِ مَرْجِعِيَّتِهِ مِنْ خَلْفِهِ .

٣ - اتَّهَامُ السَّيِّدِ (حَفْظُهُ اللَّهِ) بِأَنَّهُ يَدِيرُ الْمَرْجِعِيَّةَ مِنْ وَرَاءِ أَبِيهِ ، وَيَخْتَرِقُ نِظَامَ الْمَرْجِعِيَّةَ لِمَصَالِحِ شَخْصِيَّةٍ ، وَهِيَ تَوْسِيعُ سُلْطَتِهِ ، فَقَدْ جَاءَ فِي الرِّسَالَةِ : « عِنْدَمَا حَاولَتْ (تَعْزِيزُ سُلْطَتِكَ) ، وَبَسَطَ نَفْوَذُكَ الشَّخْصِيَّ عَلَى حِسَابِ تَقْلِيلِ مَسَاحَةِ الْعَمَلِ لِلْعُلَمَاءِ الْمُتَصَدِّينَ لِأَعْمَالِ الْحِسْبَةِ فِي مَنَاطِقِهِمْ ، وَهَذَا التَّصَرُّفُ مِنْ جَنَابِكُمْ سَابِقَةٌ غَيْرُ مَعْهُودَةٍ ، وَتَحْمِلُ فِي طَيَّانَاتِهَا اسْتِفْهَامَاتٌ كَثِيرَةٌ ، وَنَتَائِجُ أَكْثَرُ خَطُورَةٌ !!! » .

وَمِنْ حَقِّ كُلِّ عَاقِلٍ مَنْصُفٍ أَنْ يَطْرَحَ عَلَى نَفْسِهِ السُّؤَالَ التَّالِيَّ : مَا هُوَ الْمُبَرَّرُ الشَّرْعِيُّ لِهَؤُلَاءِ فِي إِطْلَاقِ هَذِهِ التَّهْمِ فِي الْهَوَاءِ الطَّلُقِ بِلَا دَلِيلٍ وَبِلَا بُرْهَانٍ ، وَإِرْسَالِهَا فِي وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ ؟ وَكَيْفَ وَقَفُوا عَلَى تَصَرُّفِ الْعَلَامَةِ أَبِي حَسَنِ (حَفْظُهُ اللَّهِ) دُونَ إِطْلَاعِ الْمَرْجِعِ (حَفْظُهُ اللَّهِ) ؟ وَكَيْفَ كَشَفُوا مَا فِي صَدْرِ آيَةِ اللَّهِ الْابْنِ وَشَاهَدُوا أَنَّهُ اسْتَبَدَّ بِقَرَارِ تَعْلِيْقِ وَكَالَةِ مَنْ يَدَافِعُونَ عَنْهُ لِمُغْرَضِ تَعْزِيزِ السُّلْطَةِ وَبَسْطِ النِّفْوَذِ ؟ فَهَلْ خَصَّهْمُ اللَّهُ بِعِلْمٍ مَا فِي الْقُلُوبِ ، وَأَطْلَعَهُمْ عَلَى غَيْبِهِ فِي ذَلِكَ ؟ أَمْ هَذَا مِنَ الْحَدِيثِ بِلَا عِلْمٍ فِي طَعْنِ عِلْمٍ مِنْ أَعْلَامِ الطَّائِفَةِ ، صَرَفَ الْكَثِيرَ مِنْ جِهْدِهِ الْفِكْرِيِّ وَالْبَدَنِيِّ فِي سَبِيلِ إِعْلَاءِ الدِّينِ ، وَتَرْبِيَةِ الْعُلَمَاءِ وَالْفَضَلَاءِ ، فَشَكَرَ اللَّهُ سَعْيَهُ وَأَجْزَلَ مَثُوبَتَهُ .

إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَجْهَلُونَ حَرَمَةَ الْاِفْتِرَاءِ عَلَى الْمُؤْمِنِ الْعَادِي ، فَضْلًا عَنِ الْفَقْهَاءِ

العاملين ، أو يعلمون بها ويخالفون الله فيها علناً مع التسرّب بغلاف (ملتقى شيعة الخليج) هم الذين يتقمّصون لباس الغيرة على الشريعة ليخالفوا أحكامها ، ثمّ ليحدثوا حالة من الفوضى والهرج الاجتماعي ، وكلّ ذلك باسم العمل على حفظ مقام المرجعية الذي بعزّته يكون الإسلام عزيزاً !

إنّ المؤمن الواعي يدرك جلياً من يقف اليوم لينعق -علائية تارة ، ومتخفياً خلف عناوين مختلفة أخرى - دفاعاً عن البذاءة ، وسبّ المراجع والعلماء تحت مسميات حرّية الفكر تارة ، ومحاربة الفكر الخرافيّ الداعشيّ ثانية ، والحفاظ على مكانة المرجعية وعاداتها في النظام الاحتسابيّ ثالثة ، كما أنّه يدرك أنّهم جماعة محدودة باتت مطوّقة محاصرة منبوذة ، وكلّما تضيق خناقها سوف تحاول إيجاد طرق جديدة للنيل ممّن فضحها وكشف أوراقها ، وهؤلاء بأساليبهم هذه ينسجون على أنفسهم شرنقة الموت لأنّهم كلّما تكلموا افتضحوا أكثر وبان للناس ما يضمرون .

الوقفّة الثانية

جاء في الرسالة : « النظام الاحتسابيّ التابع لمرجعية السيّد عليّ السيستانيّ (حفظه الله) - مرجعنا الأعلى - قام على أكتاف السيّد جواد الشهرستانيّ والحاجّ حامد الخفّاف ، وعلى أكتاف العلماء المحتسبين في الأحساء والدّمّام والقطيف ولبنان ، وإلى بقيّة المناطق الشيعيّة .. والنظام الاحتسابيّ نقصد به - كما لا يخفى عليكم - هو القيام بالأُمور التي لا يرضى الشارع بتركها احتساباً للأجر وطلباً للثواب ، كقبض الحقوق الشرعيّة وصرفها على مستحقّيها ، والتصدّي للأُمور الحسبية مختلف عن التصدّي للإفتاء ، فالإفتاء يجب أن يكون للفقهاء فقط ، أمّا العمل الاحتسابيّ فهو متاح لكلّ عدول المؤمنين ، ولكن يجب أن يكون عملهم تحت نظارة أو إشراف الفقهاء كي لا يقع المحتسبون في المخالفات الشرعيّة . وبطبيعة الحال ففي كلّ منطقة يجب على عدول المؤمنين أن ينهضوا بالعمل الاحتسابيّ بها ، وعادة

ما ينهض علماء المنطقة بهذا العمل الاحتسابيّ، ويطلبون من المرجع الأعلى إذناً لممارسة العمل الاحتسابيّ وفق فتاواه، ومن باب التطوُّع والاحتساب يعطي المرجع إذناً للمحتسبين بمزاولة أعمالهم الاحتسابيّة. ووفق هذه الآليات جرت العادات والتقاليد في المؤسّسات الدينيّة، وهكذا جرت سيرة علماء الأحساء والقطيف والبحرين ولبنان في التنسيق مع مراجع النجف في إدارة العمل الاحتسابيّ. وهكذا جرت سيرة مرجعنا الأعلى السيّد عليّ السيستانيّ - عندما كانت زمام الأمور بيد السيّد جواد الشهرستانيّ - فكنا نراه دائماً عندما تثار أي مشكلة في منطقة بعيدة عن النجف يوكل حلّ هذه الأمور للعلماء المتصدّين للعمل الحسبيّ بتلك المنطقة، وبنفس هذه الآليّة قد حلّت مشاكل كثيرة بالأحساء والقطيف، فكان السيّد السيستانيّ يحيل الأمر للعلماء المتصدّين للحسبة بالأحساء لحلّ المشاكل، من أمثال السيّد عليّ الناصر والسيّد طاهر السلطان.

وإلى نظرائهم في القطيف، من أمثال آل الخبّاز والشيخ العنكيّ والشيخ الربيع. ولكن في هذه المرّة تمّ خرق القواعد والعادات والتقاليد العريقة للمؤسّسة الدينيّة النجفيّة من قبلكم عندما حاولت (تعزيز سلطتك)، وبسط نفوذك الشخصي على حساب تقليص مساحة العمل للعلماء المتصدّين لأعمال الحسبة في مناطقهم، وهذا التصرف من جنابكم سابقة غير معهودة، وتحمل في طيّاتها استفهامات كثيرة، ونتائج أكثر خطورة!!!».

التعليق: هو أنّ المرجعيّة العليا تستند في نجاحها إلى تأييد وليّ الله الأعظم عليه السلام، والكفاءة العالية المتمثّلة في المرجع الأعلى (حفظه الله)، ووجود شبكة من الإداريّين والوكلاء المعتمدين المتفاوتين في مقدار صلاحيّاتهم، ومنهم من ذكر صاحب الرسالة، فجهدهم غير منكور، وفي مقدّماتهم آية الله السيّد محمّد رضا السيستانيّ (حفظه الله)، ومن المعيب جدّاً عدم ذكره، وتجاهل جهوده وجهاده، التي هي أوضح من أن تبين.

والأُمور الحسبيّة في تقنينها وتنفيذها يُرجع فيها إلى الفقيه ، وكلمته فيها الفصل ، وليس لأحد من المؤمنين أن يتصدّى إلّا بعد معرفة جواز تصدّيه كفتوى أو إذن من الفقيه ، وكان المراجع ولا يزالون لا يعتمدون إلّا على من يثبت عندهم أنّه دين ورع أمين ، وملتزم بالأداب العامّة ، ومراعٍ لحدود الله ، ذو سمّة حسن مقبول عند الشرع والعرف ، غير أنّ معرفة ذلك لا تبيّن في كثير من الأحيان ، بل في أغلبها ، إلّا بواسطة الموثّقين ، والموثّق قد يشّبهه ، فيكون من ليس أهلاً للوكالة وكيلًا ، أو يكون شخص أهل للوكالة وكيلًا ، ثمّ بعد مدّة -والعياذ بالله- ينحرف أو يصدر منه ما لا يليق بالمؤمن ، فإنّ العصمة لأهلها ، وهنا أي مرجع ورع تقّي سوف يوازن بين مفاصد إبقاء الوكيل وبين مفاصد عزله ، وما يترتب من مشاحنات اجتماعيّة ، فقد يشخّص في مورد عدم سحب الوكالة لأنّ مفاصد السحب أعظم ، وقد تتراكم مفاصد إبقاء الوكالة فيشخّص الفقيه -اعتماداً على بحث وتحقيق واستشارة الموثّقين من علماء بلد الوكيل ، والعارفين به- أنّ مفاصد إبقاء الوكالة أعظم ، فيسحب الوكالة ، وهذا ما عليه المراجع العظام ، وعليه مرجعيّة السيّد السيستاني (دام عزّه) ، فلم يوجد خرق سماحته أي نظام احتسابيّ أو غير احتسابيّ ، وإنّما هو قد جرى وفق الضوابط الشرعيّة والعقلانيّة ، ووقف بنفسه على شواهد الإدانة مع وضوح الإدانة حتّى انطلقت أصوات الإنكار من جهات متعدّدة في أماكن تواجد الشيعة المختلفة .

وقد تقول: لم نعهد سابقاً عزل وكيل أو تعليق وكالته ، وهذا يدلّ على أنّ هذا حدث استثنائيّ ، وليس من المرجع نفسه ، وإنّما هو من ولده .

والجواب: هو كوننا لم نعهد ذلك من سماحة السيّد المرجع (حفظه الله) في وكيل آخر من وكلاء المنطقة لا يدلّ على أنّ ما صدر ليس منه ، أو لا يوجد فيه تنسيق مع علماء المنطقة كما يتوهّم صاحب الرسالة ، وإنّما يدلّ على أنّ المرجع (حفظه الله) لم يجد مبررات التعليق كافية في وكيل آخر غير الوكيل المعلّقة وكالته ،

وأمر تنصيب الوكيل وعزله ، أو تعليق وكالته ، ليس بيد وكلاء البلد ولا عامة المؤمنين ، وإنما هو بيد الموكل نفسه وهو المرجع (حفظه الله) ، وهذا من واضحات الشرع ، غير أن كاتب الرسالة - كما يظهر - بعيد عن أجواء الثقافة الشرعية ، ومع ذلك جعل نفسه على منصة التكييف الشرعي فأخذ يتكلم فيما لا يحسن موجهاً لفتيه كبير كالسيد أبي حسن السيستاني (حفظه الله) نصحه وتوجيهه ، وقد ذكرني هذا برسالته هذه رسالة أرسلها معاوية إلى الإمام علي عليه السلام يتقمص فيها لباس الناصح المذكر فأجابه الإمام عليه السلام بقوله : « فَلَقَدْ خَبَأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَبًا ؛ إِذْ طَفَقْتَ تُخَبِّرُنَا بِبَلَاءِ اللَّهِ عِنْدَنَا ، وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا ، فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجَرَ ، أَوْ دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَى التَّضَالِ ، وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ فُلَانٌ وَفُلَانٌ ، فَذَكَرْتَ أَمْرًا إِنَّ تَمَّ اعْتَزَلَ كُلُّهُ ، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُهُ ، وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ وَالْمَفْضُولَ ، وَالسَّائِسَ وَالْمَسُوسَ ، وَمَا لِلطُّلَقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ ، وَالتَّمْيِيزَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ ، وَتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ ، وَتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ . هَيْهَاتَ ، لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا ، وَطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا » (١) .

الوقفة الثالثة

جاء في الرسالة : « لأن هذا الخرق للتقاليد المتبعة في العمل الاحتسابي سيؤدي إلى نتائج كارثية في المستقبل القريب للأسباب التالية .

١ - مخالفة العادات والتقاليد النجفية في النأي عن السياسة وهذا العمل - تعليق مأذونية محتسب في دولة أخرى لأجل قضية رأي ونشرها للعلن - يصبغ المرجعية بصبغة سياسية معارضة للسلطات المحلية بحيث تبدو المرجعية كسلطة أجنبية

(١) نهج البلاغة : ٣ : ٣٠ .

تعبّر حدود الدول وتجمع الأموال، وتوظّف جباة أموال لها، وتعزل آخرين، بحيث يبدو الشيعة أنّهم ينتمون ويمولون نظاماً خارجياً وليس انتماءؤهم لنظام دولتهم، وحاشا لله ذلك».

التعليق: هذا الكلام غريب جداً، ويدلّ على أنّ كاتب الرسالة لا يحسن تنظيم أفكاره بطريقة صحيحة، فهو يجهل السياسة وأمورها، فهو يتصوّر أنّ تعليق محسوبية وكيل في دولة تصرف سياسيّ وتدخل في الشؤون الداخلية لدولة أخرى!!

إنّ جميع حكومات الدول التي توجد فيها شيعة - خصوصاً وطننا الحبيب أدام الله على أهله نعمة الأمان والاستقرار - يعلمون بأنّ المكوّن الشيعي يرجع في شؤونهم الدينية إلى الفقهاء والمراجع، ويوجد للمراجع في جميع البلاد وكلاء في إدارة شؤونهم الدينية فحسب، والمرجعية العليا من الناحية الاجتماعية والسياسية لا تأذن بمخالفة جميع الأنظمة الدولية التي بها حفظ المجتمع، وتحرم الإخلال بالنظام العام، وهذه بعض أجوبته:

السؤال: هل من نصيحة وتوجيه للمؤمنين في احترام القوانين؟

الجواب: ننصح جميع المؤمنين باحترام القوانين الجارية الضامنة لمصالح المجتمع، والوفاء بالتزاماتهم العقدية، والاجتناب عن الأعمال الموضعية التي تسلب البركة في الدنيا، وتوجب الإثم في الآخرة، وعليهم أن يرسوا قواعد الخلق الإسلاميّ النبيل في المجتمع الذي يعيشون فيه ليكونوا مثلاً يقتدي بهم فكلّكم راع، وكلّكم مسؤول عن رعيّته^(١). قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٢).

أخذ الله تبارك بأيدي الجميع إلى ما فيه الخير والصالح

(١) صحيح مسلم: ٣: ١٤٥٩.

(٢) المائدة ٥: ٢.

<http://www.sistani.org/arabic/qa/02207/page/2/>

السؤال: هل يجوز مخالفة القوانين الوضعية في الدولة؟

الجواب: لا يجوز مخالفة القوانين التي تجعل لمصلحة الناس .

<http://www.sistani.org/arabic/qa/70220/>

السؤال: توجد عبارات في بعض وسائل النقل تنص على عدم جواز التدخين، فهل تجوز مخالفتها؟

الجواب: إذا كان ذلك بمثابة شرط ضمني على من يريد الركوب فيها، أو كان قانوناً حكومياً وقد التزم لهم برعاية القوانين الحكومية، لزمه العمل وفق شرطه والتزامه .

<http://www.sistani.org/arabic/qa/70220/>

ثم إنه إذا كان تعليق وكالة وكيل تدخل في شأن سياسي، فهذا يعني أن جعل الوكلاء أيضاً تدخل سياسي، وإبقاء الوكلاء تدخل سياسي، فلماذا يتباكى صاحب الرسالة على التعليق ولا يتباكى على أصل التوكيل وإبقاء الوكالات!!

إن من الغريب جداً أن يحاول كاتب الرسالة تصوير عزل الوكلاء تدخل في الوقت الذي ينتقد فيه جعل الوكلاء من جهة أن ذلك يصطدم مع الدولة فيقول: « وهذا العمل - تعليق مأذونية محتسب في دولة أخرى لأجل قضية رأي ونشرها للعلن - يصبغ المرجعية بصبغة سياسية معارضة للسلطات المحلية بحيث تبدو المرجعية كسلطة أجنبية تعبر حدود الدول وتجمع الأموال، وتوظف جباة أموال لها، وتعزل آخرين بحيث يبدو الشيعة أنهم ينتمون ويمولون نظاماً خارجياً، وليس انتمائهم لنظام دولتهم، وحاشا لله ذلك! ».

فهو لا يحسن التعبير عما يختلج في صدره، وربما هو مضطرب الأفكار ولا يدري أصلاً ماذا في خلده، فهل هو مع تعليق الوكالة لكي لا يكون هناك وكلاء للمرجعية

فتصطبغ المرجعية بصبغة سياسية، وتبدو المرجعية كسلطة أجنبية تعبر حدود الدول، أو هو ضدّ التعليق ولهذا غضب وكتب هذه الرسالة وأخذ يتهم فيها على بيت المرجعية العليا!!!

وبعيداً عن اضطرابه فإنّ الدول تعي بدقّة أنّ مكوّناتها الشيعي له عقيدة خاصّة ويتعبّد بطريقة خاصّة، وارتباطه بالمرجعية التي تأمره بحفظ أنظمة دولته، وتحكم بحرمة مخالفتها، لا يخرج عن إطار التدين والتعبّد، وهذا ظاهر كما يبدو لي حتّى لصاحب الرسالة طيلة السنين السابقة على تعليق الوكالة، ولكن غضبه بسبب تعليق الوكالة جعله يحاول اللعب على جميع الحبال، والليبب بالإشارة يفهم.

الوقفزة الرابعة

جاء في الرسالة في بيان نتائج التعليق الخطيرة في نظر كاتبها: «عرف عن السيّد السيستاني الحكمة والحياديّة في ظلّ الاختلافات الشيعيّة بما يحفظ وحدة الكلمة، ولكن تصرفك أيها السيّد محمّد رضا السيستاني قد أخرج المرجعية عن الوسطيّة وزجّ بها في عمق الفتنة».

التعليق: هو أنّ تعليق الوكالة ليس تصرف سماحة السيّد محمّد رضا السيستاني (حفظه الله)، وإنّما هو تصرف المرجع نفسه، وعلى بيان التعليق توقيع المرجع نفسه، وليس في هذا التعليق خروج عن الحكمة، وإنّما فيه انحياز للفضيلة وحفظ المرجعية من لوثة السبّ والشتّم، وقدح المراجع، والعمل على إسقاط طلائع العلم، وهذه قمة الوسطيّة، فليس من الوسطيّة السكوت عن الباطل، ودعم من يتهمّم بالسباب والشتائم على رجل في العقد العاشر من عمره أمضاه في تعلّم معارف أهل البيت عليه السلام، والدفاع عنها، وتربية العلماء والمجتهدين.

إنّ فقد الوعي يجعل البعض يتصوّر أنّ هنالك مكاناً وسطاً بين الحقّ والباطل،

وبين الفضيلة والرذيلة ، وأن على الإنسان أن يكون في هذا المكان الوسط إذا أراد أن يكون سوياً ، وليس الأمر كذلك ، فالإنسانية خلقت للحق والحقيقة . نعم ، قد يختلف في موطن الحق فينبغي عذر من لم يكن مقصراً في عدم الوقوف مع الحق ، وأما بعد معرفة الحق ، وقيام الحجة ، وتحديد الباطل ، فلا عذر لمن ينحاز إلى الباطل ، ولا لمن يتنصل عن الحق والقيام بمقتضياته .

في الرواية عن رسول الله ﷺ : « كن مع الحق حيث كان ، وميز ما اشتبه عليك بعقلك ، فإن حجة الله عليك ودبغة فيك ، وبركاته عندك »^(١) .

الوقفه الخامسة

جاء في الرسالة في بيان نتائج التعليق الخطيرة في نظر كاتبها : « تفكيك وحدة النظام الاحتسابي وتشتيته ؛ وذلك أن قوة النظام الاحتسابي يأتي من خلال العلماء المحتسبين الذين يرجعون له في الفتوى ، ويطلبون الإذن منه ، فعندما يتم تعليق عمل المحتسبين فهذا لن يعطل العمل الاحتسابي ؛ لأنهم سيرجعون لمرجع آخر أو أنهم سيرون أنهم وصلوا مرحلة من العلم والرشد والاجتهاد الفقهي بحيث يكونون قادرين على العمل الاحتسابي دون الحاجة لطلب إذن من فقهاء خارج القطر ، وهذا سيؤدي إلى انفصال العمل الحسبي في الداخل عن الخارج ، وهذا سيضعف مكانة المرجعية الحالية ، ويفتت من عوامل قوتها ووحدتها » .

التعليق : هذا الكلام فيه أمور كثيرة قابلة للتعليق لبيان الخلل فيها ، ولكن أذكر أموراً :

الأمر الأول : هو أن المرجعية ترى أن من نجاح إدارتها للأمور الحسبية وجود الكفاءات والشخصيات المناسبة ، ولهذا كان تعليقها رافداً أساساً لحفظ نجاحها ،

(١) كشف الخفاء : ٢ : ١٣٥ .

فما دام المرجع يراعي في الإدارة وجود الأفراد الصالحين فلا خوف على العمل الاحتسابي. نعم، ينبغي أن نخاف عندما تغضّ المرجعية الطرف عن الأشخاص غير المناسبين لأنها تخاف على مكانتها، أو عدد مقلّديها، أو مقدار الرصيد المالي الذي تتحصّل عليه.

الأمر الثاني: من الغريب أن كاتب الورقة كان قبل قليل لا يريد أن تصطبغ المرجعية بلباس المتدخلّة في شؤون الدول الأخرى، وهو الآن يحذر المرجعية من وجود مرجعيّات محلّية في الدول فيما إذا علّقت وكالة وكيل هنا، أو سحبت وكالة وكيل هناك!! فهل هو مع مراجع الخارج أو لا؟ لست أدري وربما هو لا يدري!!

الأمر الثالث: من الواضح أن كاتب الورقة لا يعرف لغة الإخلاص والعمل لوجه الله تعالى دون النظر إلى المصالح الشخصية، فيظنّ أن المرجع مثله يعيش التنافس على حطام الدنيا وأسهمها الفانية لا محالة، لهذا هو يكتب من واقعه إلى بيت المرجعية مستخدماً الأساليب التي تنفع عادة مع تجّار الدنيا وطلّابها، ويتهّم العلماء باستخدام الأساليب الوضيعة التي عهداها في واقعه، وهذا ما اكتسبته يده عندما كتب: «إضعاف شعبية المرجعية، وهذا نتيجة طبيعّة عندما يستخدم المال في إسكات العقل في زمن المعلوماتيّة وزمن الوعي والانفتاح، ولا يمكن للمال أبداً أن يُسكت العقل، والاستمرار في استخدام هذه الأساليب سيضعف من شعبية المرجعية ومن ثقة الناس فيها»!

الوقفه السادسة

جاء في الرسالة: «ومحاسبة وكيل بتعليق وكالته لأجل (قضية رأي) يفتح الباب لمحاسبة كلّ الوكلاء التي ثبتت عليهم تجاوزات ماليّة وتجاوزات أخلاقيّة

- واللييب بالإشارة يعلم - وتم غص الطرف عنهم بحجة حماية سمعة المؤسسة الدينية، ولو فتح هذا الباب في محاسبة الوكلاء سيفتح باب الجحيم على المؤسسة الدينية النجفية .

التعليق: سحب الوكالة أو تعليقها لا يدور مدار التهم والافتراءات أو الادعاءات الفارغة من الإثبات، خصوصاً إذا كانت من شخص مجهول يتستر بعنوان (ملتقى) وبكلام عار عن الدليل والبرهان، وقد ذكرت سابقاً أن تعليق الوكالة لا يدور مدار ارتكاب أي خطأ، فالوكلاء ليسوا ملائكة ولا معصومين، وإنما التعليق يدور مدار الأرجح في موازنة المصالح والمفاسد، وهذا ما عليه العقلاء قاطبة في جميع الأمور، والذي يوازن هو الفقيه وفق موازين الشرع والعقلاء، وليس وفق أذواق الناس المختلفة، فالوكالة شأنه وهو له أن يجعل الوكيل ثم يعزله أو يعلق وكالته.

ولو كان كاتب الورقة ليلاً لأدرك أن المرجعية في تعليقها لم تتحرك من موقف شخصي، وإنما مما تفرضه المبادئ، وهي قانون عام يطبق كلما تحقق مصداق مماثل خارجاً دون محاباة لأحد، ولهذا ذكرت في مقال سابق: أن موقف هذه المرجعية الحكيمة والمتأنية له مكاسب كثيرة، منها إظهار الصرامة والحزم، فلا مجال لمن يهتك المراجع، ويحذر الناس من العلماء، ويدعو إلى ترك نهجهم القويم، وهذا تحذير لكل من تسول له نفسه ذلك.

الوقف السابعة

جاء في الرسالة: «إخراج المرجعية من دور الأبوية وإدخالها في الاصطفافات الضيقة، وهذا الأسلوب يكرس ثقافة التبعية العمياء لقوة المال، ويكرس لثقافة الانغلاق وفتح الباب أمام التصفيات الاجتماعية بين المحتسبين، وسيرمي المؤسسة الدينية بكامل أطيافها للمحاسبة الاجتماعية، مما سيوهن من كيان المرجعية في مستقبل الأيام...».

التعليق: كل هذا تهويل وتضخيم لأمر لا يستحق حتى الوقوف عنده، فكل ما جرى أن وكيلاً واحداً من آلاف الوكلاء - ومنهم المئات في المنطقة - علقت وكالته لما وجدته المرجعية مدان في أمر خطير جداً هو التحدث بأسلوب غير لائق عن الصديقة زينب عليها السلام، والتهجم بالألفاظ جداً سيئة عن المرجع الوحيد (أدام الله مجده)، والمجتمع وجد المرجعية مصيبة، وطوى صفحة هذا الموضوع وكاد أن ينساها، ولا يوجد إلا جماعة خاصة معلومة التوجه تحاول التضخيم والتهويل، وتتخذ الآن نفس أسلوب من تتباكى على وكالته، ولكن هو استخدمه مع الشيخ الوحيد (حفظه الله)، وهي تستخدمه مع السيد السيستاني ونجله (حفظهما الله)، فلا توجد زلازل ولا عواصف وإنما بعض الغبار المتطاير، وإذا صمتت هذه الجماعة سيحط الغبار على الأرض ويصفو الجو، وهو سيصفو سيصفو لا محالة؛ إذ لا صوت يعلو فوق صوت المرجعية.

إن كاتب الرسالة - وكغيره من الممتنين إلى تياره المدعي للحدثة وضرورة الخروج عن عباءة المرجعية المتخلفة والخرافية والداعشية، كما يصفها - يشعر بالضعف والانكسار ولهذا علامات منها:

١ - اللهجة المنحطة وغير العقلانية التي يتكلم بها مع بيت المرجعية، ولهذا تراه يقول: «لا كما حدث في هذه الخطوة النزقة» و «أيم الله لهذا عين الظلم والإجحاف، ورمي الشيعة بالداخل في فم التنين، وهذا مبادرة لا يحمد عقباها» «وهذا الأسلوب يكرس ثقافة التبعية العمياء لقوة المال».

٢ - تكثير النفس، فهو يعبر عن نفسه بأنه (ملتقى شيعة الخليج)، وهذا يوحي أنه جماعة كثيرة منتشرة في كل بقاع الخليج، ثم في طيات حديثه يغفل ويضيّق نفسه ويوسّع فيقول: «ورجاؤنا من السيد محمد رضا ابن مرجعنا السيستاني أن يتقي الله فينا نحن شيعة الشرقية»، فهم ليسوا شيعة الخليج وإنما شيعة الشرقية، وكل متابع يعلم أنهم ليسوا شيعة الشرقية، ولا يخرجون عن كونهم أفراداً معدودين

من الأحساء والدمام، ولكن التورم النفسي جعلهم يصادرون كل شيعة الشريعة ويتحدثون باسمهم بهذه اللغة الفجة مع بيت المرجعية العليا.

٣ - عنوان الرسالة بأنها إلى السيد محمد رضا السيستاني (حفظه الله)، ثم إرسالها في الهواء الطلق لعله إلى كل إنسان إلا الذي وجهت إليه الرسالة نفسه، ولعل ذلك من جهة أنهم يشعرون بالهزيمة في أنفسهم، ويرون عدم تأثير كلامهم البتة، ولهذا يحاولون إرباك الوضع وتبطين التهديد، فلربما ذلك يؤثر فيخاف الجبل من خز الدبابير.

إن من يريد النصح عليه أولاً أن يكون بمستواه من خلال تحصيل الرؤية الواضحة والتامة، واستخدام الأسلوب المناسب، وهو توجيه النصح لمن يراد نصحه سراً لأنه المعني وبأسلوب حسن مهذب، وليس إرسال الرسالة علناً إلى كل الأمة وبأسلوب الجهل والاتهام والطعن. إن الله عز وجل لما أرسل رسولين إلى أشتر الخلق في زمانه وهو فرعون أمرهما بحسن الأسلوب، وأن يكون خطابهما موجه إليه فقال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾^(١)، إذا كان هذا أدب النصح مع شر خلق الله مدعي الألوهية، فكيف مع المؤمن العادي، بل كيف مع فقيه من الدوحة الهاشمية، إن هذا الخلق القرآني هو الخلق الإنساني النبيل الذي يفتقر إليه دعاة الحداثة وحرية الفكر وكرامة الإنسان، ولكن للأسف هم بعيدون جداً عن شعاراتهم التي يرفعونها بيد ويطعنونها في القلب باليد الأخرى.

ومن المضحك جداً أن كاتب الورقة يطالب السيد (حفظه الله) بعدم الانحياز والتدخل سراً فيقول: «ورجاؤنا من السيد محمد رضا ابن مرجعنا السيستاني أن يتقي الله فينا نحن شيعة الشريعة، وأن لا يتدخل في العمل الاحتسابي تدخلات سافرة في وضوح النهار، وإن كان لا بد من التدخل فيجب عليه أن يكون بالخفاء،

ويكون واسطة خير، ولا يكون طرفاً يوسّع الهوة ويؤزّم المواقف أكثر فأكثر». ولكنّه هو ينحاز ويتدخل علناً، ولا يكون واسطة خير سراً، وإنّما يكتب التّهم والافتراءات ويرسلها إلى كلّ الأُمّة جمعاء، وهذا والله من أعجب العجب، فهو ينطبق عليه ما تمثّل به الأمير عليّ: «هَيْهَاتَ، لَقَدْ حَنَّ قِدْحُ لَيْسَ مِنْهَا، وَطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا»^(١).

(١) نهج البلاغة: ٣: ٣٠.

الفصل الثالث عشر

فقيسات

إطالة مختصرة على أحكام كثير السفر وفق رأي السيّد السيستاني (حفظه الله)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين ،

والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين

وبعد :

فقد كثر السؤال في الأيام الأخيرة عن حكم من يسافر إلى مكان للعمل وهو لا يعلم مدّة السفر ، أو عدد السفرات ، وأيام السفر ، وحكم من صلّى قصراً في موضع التمام أو العكس ، ولكي يتّضح ذلك أذكر نقاطاً على نحو الاختصار ، ونوكل التفصيل إلى تنقيح كتابنا (أحكام كثير السفر) الذي أرجو من الله تعالى أن يوفّقنا لتنقيحه وإعادة ترتيبه وفق مستجدّات المسائل :

النقطة الأولى

يرى السيّد السيستاني (حفظه الله) توقّف انطباق عنوان كثير السفر على أمرين :

الأمر الأوّل : أن يبني الإنسان على تكرار السفر لمدّة لا تقل عن أشهر متّصلة ، إمّا من سنة أو سنتين بحيث يكون في كلّ سنة ثلاثة أشهر .

الأمر الثاني : أن يبني على تكرار السفر في كلّ شهر مرّات ، أو يسافر سفرة موزّعة على جميع الأشهر ، أو يكون مسافراً عشرة أيام في كلّ شهر ، ويحقّقها في

أكثر من سفرة، وإذا كانت في سفرة واحدة فالسيد (حفظه الله) يحتاط ويكفي أن يكون مسافراً ستين يوماً موزعة على جميع الأشهر.
وعلى هذا يرى سماحته (حفظه الله) انطباق عنوان كثير السفر في عدة فروض منها:

- ١- أن يحرز المكلف أنه سيعمل ٦ أشهر متصلة في كل شهر يسافر ١٠ مرّات، أو يكون مسافراً أياماً يحقّقها في ثلاث سفرات مثلاً.
 - ٢- أن يحرز المكلف أنه سيعمل ٦ أشهر متصلة ويحقّق فيها ٦٠ سفرة متفرقة، أو ستين يوماً في السفر.
 - ٣- أن يحرز ٣ أشهر من ستين كل سنة ٣ أشهر، وعدد السفرات ١٠، أو ١٠ أيام السفر في كل شهر لا يقلّ عن ١٠ يحدثها في سفرتين أو أكثر.
- وإذا كان سيعمل سنة فلا بدّ لانطلاق عنوان كثير السفر في جميع أشهر السنة من ١٢٠ سفرة مفرقة على جميع الأشهر، أو أن يكون مسافراً ١٢٠ يوماً كذلك.

النقطة الثانية

من سيعمل فقط شهرين يقصر إلّا إذا ذهب يومياً، فوظيفته الاحتياط، ومثله إذا كان عدد أيام السفر من كل شهر ٢٢ أيام.

ومن سيعمل ٣ أشهر فإنّه يحتاط إذا كان يسافر في كل شهر ١٥ يوماً، ويقصر إذا كان أقلّ، ومن يسافر ٤ أشهر فإنّه يحتاط إذا كان يسافر ١٢ أيام في كل شهر.

وأما من سيعمل شهراً فقط أو شهرين ويسيافر في كل شهر ١٠ أيام - مثلاً - فإنّه يقصر كما تقدّم.

ومن سيعمل خمسة أشهر ويسيافر أقلّ من ١٠ مرّات، أو عشرة أيام في كل

شهر، فإنه يقصر .

وأما من سيسافر ١٠ مرّات ، أو عشرة أيّام فإنه يحتاط ، ومثله من سيسافر ٦ أشهر من كلّ شهر ٩ سفرات ، أو تسعة أيّام فقط .

النقطة الثالثة

إذا علم الإنسان أنه سيسافر مدّة ٦ أشهر من كلّ شهر ١٠ أيّام مثلاً، فإنه يتمّ بعد الاحتياط بالجمع مدّة شهر، ويمكن أن يرجع إلى السيّد الحكيم ، ويتمّ من أوّل يوم .

والرجوع للسيّد الحكيم (حفظه الله) يختصّ بالعامل ولا يشمل الطالب .

النقطة الرابعة

من لا يعلم مدّة العمل ، فما هي وظيفته ؟

الجواب : يقصر إلى أن يحقّق أحد فروض الاحتياط ، فيحتاط إلى أن يحقّق أحد فروض التمام فيتمّ .

النقطة الخامسة

لا فرق عند سماحة السيّد السيستاني (حفظه الله) في انطباق عنوان كثير السفر بين كون السفر للعمل أو لغيره ، كزيارة الأقارب والأصدقاء . نعم ، ينبغي أن يكون السفر لغرض عقلائيّ ، وإلا فالوظيفة هي الاحتياط بالجمع .

وإذا انطبق عنوان كثير السفر وجب التمام في جميع السفرات حتّى التي تكون للنزهة لا للعمل ومزاولة المهنة .

النقطة السادسة

من يعمل في منطقة ويذهب إلى منطقة أخرى ، ففيه فرضان :

الفرض الأول: أن لا ينطبق على محل عمله عنوان المقر ، والمقر هو المكان الذي يريد الإنسان أن يمكث فيه مدة طويلة بحيث لا يصدق عليه أنه مسافر ، وفي مقدار هذه المدة صور كثيرة تختلف باختلاف عدد أيام ، وساعات المكوث في المحل ، لا نتعرض لها في هذا المختصر .

وهنا يعتبر الإنسان مسافراً في الطريق ، ومحل العمل فهو مسافر سفر واحد من خروجه من وطنه إلى محل العمل وإلى رجوعه .

الفرض الثاني: أن ينطبق عليه عنوان المقر ، وهنا يأتي هذا السؤال المهم : متى يكون الذهاب إلى مقر العمل مع الرجوع منه إلى الوطن سفرة واحدة ؟ ومتى يكون سفرتين ؟

وهذا ينفع في تعداد عدد السفرات الذي يحقق كثرة السفر أو الاحتياط بالتفصيل المتقدم .

والجواب : إذا كان الذهاب والإياب في يوم واحد ، أو الفاصل بينهما أقل من أيام فهما سفرة واحدة ، إلا إذا أحدث بينهما سفرة في الوسط ، كمن هو من كربلاء ويعمل في بغداد ، وذهب يوم السبت إليها ثم ذهب يوم الثلاثاء إلى سامراء ، وعاد يوم الأربعاء إلى كربلاء ، فان رجوعه يكون حينئذ سفرًا مستقلًا عن ذهابه .

نعم ، إذا مكث في وطنه حسب ثلاثة أيام يعتبر ذهابه مستقلًا عن رجوعه إلى مقر العمل ، وكذلك إذا كان الفاصل بين الذهاب والأيام عشرة أيام ، وهذا ما نقله بعض الثقات ، ولم أقف على استفتاء فيه .

النقطة السابعة

من كان يعمل في مكان لا يبعد مسافة امتدادية - وهي ٤٤ كم ، فهنا يوجد فرضان :

الأول : أن ينطبق عنوان المقر على محل العمل ، وهنا لا يكون المكلف كثير سفر ، فإذا سافر مسافة شرعية في غير جهة العمل يقصر إلا إذا تحقق مسوغ للتمام . ومتى ينطبق محل العمل مقرراً ؟

فيه تفصيل نعرض عنه - كما ذكرنا سابقاً - في هذا المختصر .

الثاني : أن لا ينطبق عنوان المقر ، وهنا يكون المكلف كثير سفر إذا انطبقت عليه الضابطة السابقة .

النقطة الثامنة

وأما حكم من صلى قصرأ في موضع التمام في جميع موارد كثرة السفر فالإعادة أو القضاء ، وقد ذكر سماحة السيد (حفظه الله) أن من وظيفته التمام إذا قصر بطلت صلاته في جميع الموارد ، بلا فرق في ذلك بين العامد والجاهل ، والناسي والخطأ . نعم ، المقيم عشرة أيام إذا قصر جهلاً بأن حكمه التمام ، ثم علم به ، كان الحكم بوجوب الإعادة عليه مبنياً على الاحتياط الوجوبي ، وأما حكم من صلى تماماً في موضع القصر ففيه صور :

١ - أن يكون ذلك لجهله بأصل مشروعية التقصير للمسافر ، أو كونه واجباً ، ففي هذه الصورة تصح صلاته ، ولا تجب إعادتها .

٢ - أن يكون ذلك لجهله بالحكم في خصوص المورد وإن علم به في الجملة ، وذلك كمن أتم صلاته في المسافة التليفية لجهله بوجوب القصر فيها وإن علم به

في المسافة الامتدادية ، وفي هذه الصورة الأحوط وجوباً إعادة الصلاة إذا علم بالحكم في الوقت ، ولا يجب قضاؤها إذا علم به بعد خروج الوقت .

٣ - يكون ذلك لخطئه واشتباهه في التطبيق مع علمه بالحكم ، ففي هذه الصورة تجب الإعادة في الوقت ، ولا يجب القضاء إذا انكشف له الحال بعد مضي الوقت .

٤ - أن يكون ذلك لنسيانه سفره ، أو وجوب القصر على المسافر ، ففي هذه الصورة تجب الإعادة في الوقت ، ولا يجب القضاء إذا تذكر بعد مضي الوقت .

٥ - أن يكون ذلك لأجل السهو أثناء العمل مع علمه بالحكم والموضوع فعلاً ، ففي هذه الصورة تجب الإعادة في الوقت ، فإن لم يتذكر حتى خرج الوقت ، فالأحوط وجوباً قضاؤها .

والحمد لله ربّ العالمين

نافذة شرعية على الفن

السؤال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لو سمحتم شيخنا عندي سؤال حول ما طرحه من أن إيجاد الفنان يتوقف على جعل الفن محترماً في أذهان الناس ، فيجب أن نقيم مكانة للفنان المؤمن ، والفنان المؤمن الذي أخرج موسيقى مسلسل المختار... العود في يده أفضل من المسيحة في يد العابد ؛ لأن هذا نشر فكر أمير المؤمنين عليه السلام والعابد يسبح لنفسه ؟

الجواب: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

تعليقاً على كلام من نقلتم عنه حديث العود أتكلّم في عدّة جهات :

الجهة الأولى

في تعريف الفن بشكل عام

وقد ذكرت للفن عدّة تعريفات ، منها أنه إبداع وابتكار أنماط وأشكال يعبر من خلاله الإنسان الفنان عن نفسه ومشاعره ، وعن مواقف تجاه الكون الذي يعيش فيه ، وهو وليد الانفعال السابق ، والحس المرهف ، والذكاء .

وهذا التعريف يدلّ على عدّة أمور :

أنّ الفنّ إبداع ، وطبيعي لا يقصد منه هنا إيجاد عمل لم يسبق من قبل وجود مثله ؛ إذ الفنّ يصدق على تكرار رسم الرسومات الموجودة ، أو تمثيل المشاهد الممثلة سابقاً ، وإنّما يقصد بالإبداع الموهبة الخاصة التي تمكّن الفنان من تجسيد الثقافة ضمن إطار خاصّ مادّي ، كما في الرسم والنحت وصنع الفخار والزخرفة

والنسج والطبخ، أو غير مادي، كما في التمثيل والموسيقى وإنشاء القصة والخطبة، وعلى هذا الأساس يقسم الفن إلى فن مادي وفن غير مادي.

الفن وسيلة لتجسيد الثقافة الخاصة وتفعيلها في المجتمع، فهو رسالة اجتماعية تفاعلية، فإن القيم المجردة لا تعيش في وجدان الأمة كما تعيش الحسيات المشاهدة بالحواس؛ وذلك لأن عامة الناس يؤثر فيهم الحس أكثر من غيره، وحضور المحسوسات في وجدانهم أشد من حضور المجردات والمعنويات، من هنا أبدع الإنسان العقلاني الفن كوسيلة لتجسيد الثقافة بما تحوي من خصوصيات معنوية، ومنها القيم العامة، وتلك الوسيلة هي الفن، فالفن في جميع نواحيه يهدف لجعل الفكرة وجوداً حسياً ماثلاً يشاهد بالحواس الظاهرية، كالعين في الرسم، والذوق في الطبخ، والسمع في الموسيقى، وبهذا يكون للمعنويات كخبرة الطباخ - مثلاً - وجوداً ماثلاً في عالم الحس.

الفن يعكس حالة من تطور المجتمع على الصعيد الفكري والسيكولوجي؛ وذلك لأن المجتمع في بدايته يعيش العفوية في كيفية التعبير، وقضاياه تكون قضايا ساذجة غير معقدة، وأنيّة تعبّر عن موقف أني يجتازه الإنسان البدائي دون أن يلتفت إلى أهميّة تأسيس قاعدة عامّة تضبطه، ولكن مع تكثّر عدد أفراد المجتمع، واختلاف ميولاتهم، ودخول علاقاتهم في طور التعقيد والسرعة التي تفرض تكرّر المواقف والأحداث، احتاج المجتمع إلى ضبط العلاقات ضمن قانون، فواجه المجتمع جدية المقتن وضمان تطبيق القانون، فطرح مسائل العقيدة والقيم الأخلاقية، وخلفيات القانون الاجتماعي، وملاحظة مناشئ تشريعه في الزمكان، وهذا الانفجار الكبير في البعد الفكري والاجتماعي حتم على المجتمعات سلك طرق جديد للتعبير والتواصل الثقافي، وتوريث القيم والمبادئ غير الطريقة تقليدية المستخدمة في المجتمعات البدائية، وبهذا وجد الفن في الكلام عبر البيان والبديع وأساليب التعبير كالشعر والخطبة، وكذلك وجد الفن في المعمار والرقص

والفخار والمسكوكات والمنسوجات والرسومات الجدارية في العصر الباليوثي أو البدنية كما في قبائل أفريقيا وأميركا اللاتينية ، وتوسّع الفن في جميع مفصل الحياة ، فوجد في الرياضة والتمثيل والغناء والموسيقى ، وغير ذلك .

الجهة الثانية

إنّ الوقوف على تعريف الفن ودوره الفعّال في نشر القيم وحفظها ، وجعلها ماثلة متجسّدة يبرهن لنا أهميّة الفن كظاهرة اجتماعيّة عقلائيّة في جميع المجتمعات البشريّة ، ونظراً لهذه الأهميّة فقد اهتمّ المشرّع الإسلاميّ بالفن ، بل أولاه اهتماماً بالغاً ، ونجد ذلك واضحاً في فقه الشعيرة ، وتعلم السباحة والسباق والرماية والفنون القتالية ، بل هو ماثل في أغلب الآداب الأخلاقيّة والفقهية المرتبة بمعاملة الناس وتهذيب كفيّة الحديث معهم ، خصوصاً في مقام الدعوة إلى الحقّ ، وترويج الدين والشرع ، وكذلك في كفيّة اللباس والتجمل ، وترك الشذوذ العرفي ، ومراعاة الذوق العام ، ما دام لا يصادم الشرع الحنيف .

إنّ الإسلام بلا شكّ دين يولي الفن اهتماماً بالغاً ، ولسنا بحاجة في البرهنة على ذلك إلى جهد وعناء ، بل يكفي ما فيه من عناوين ندب إليها ندباً حثيثاً ، وهي تنطبق على الفن في كثير من مصاديقه ، كالدعوة إلى الحقّ ، وإعلان وإعلاء شأنه ، وتعظيم أهله ، وتعريف الناس بهم بالحكمة ، ومن الحكمة استثمار الطرق الحضاريّة للتعبير ، ومن أهمّ هذه الطرق الفن .

فالباحث لكي يجعل للفنّ تقديراً في نفوس المسلمين سوف يكون مرتاحاً جدّاً لكثرة الطرق الموصلة إلى غرضه ، فهو ليس بحاجة له إلى التكلّف والتخرّص ؛ لأنّ الأمر سهل جدّاً في ظلّ ما نعلمه من الشرع بعدّة طرق .

الجهة الثالثة

إنَّ ترويج الفنِّ والدعوة إليه ينبغي أن يكون ضمن الحدود الشرعيَّة التي جعلها الإسلام، فلا ينبغي اجتياز هذه الحدود، وبحسب حدود الشرع يمكن أن ينطبق على الفنِّ عنوان يجعله راجحاً كما في شعائر الدين، وقد يتطبق عليه عنوان يجعله مرجوحاً، كما في رقص المرأة أمام الرجل الأجنبي، أو المرأة أمام المرأة على الأحوط عند بعض الأعلام.

ومن ذلك الغناء:

قال العلامة المجلسي (قُدَّس سرُّه الشريف): إنَّه لا خلاف في حرمة الغناء عند علماء الشيعة، ونقل الشيخ الطوسي والعلامة وابن إدريس (رحمهم الله تعالى) الإجماع على حرمة، وهذا دأب علماء الشيعة.

وروي عن رسول الله ﷺ: «إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ اسْتِخْفَافًا بِالدِّينِ... وَأَنْ تَتَّخِذُوا الْقُرْآنَ مَزَامِيرَ...»^(١).

وروي عن الصادق عليه السلام في السند الصحيح: «بَيِّتُ الْغِنَاءِ لَا تُؤْمَنُ فِيهِ الْفَجِيعَةُ، وَلَا تُجَابُ فِيهِ الدَّعْوَةُ، وَلَا يَدْخُلُهُ الْمَلَكُ»^(٢).

وروي أنَّه من قول الزور أن يقول للمغني: (أحسن) ^(٣).

وفي رواية نهى الصادق عليه السلام رجلاً كان يستمع للغناء وضرب العود عند جيرانه... وقال له: «قُمْ فَاغْتَسِلْ، وَسَلِّ مَا بَدَا لَكَ، فَإِنَّكَ كُنْتَ مُقِيمًا عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ، مَا كَانَ

(١) عيون أخبار الرضا: ٢: ٤٢، الرقم ١٤٠.

(٢) الكافي: ٦: ٤٣٣، الحديث ١٥.

(٣) راجع المكاسب المحرمة للسيد الخميني: ١: ٢٠٣.

أَسَوًّا حَالَك لَوْ مِتَّ عَلَى ذَلِكَ ؟ أَحْمَدُ اللَّهِ ، وَسَلُّهُ التَّوْبَةَ مِنْ كُلِّ مَا يَكْرَهُ ، فَإِنَّهُ لَا يَكْرَهُ إِلَّا كُلَّ قَبِيحٍ ، وَالْقَبِيحَ دَعَا لِأَهْلِهِ ، فَإِنَّ لِكُلِّ أَهْلًا»^(١) .

فالغناء مع أنه من مصاديق الفن إلا أن الشارع المقدس لما فيه من مفسد نهى عنه ، فلا يجوز أن يستفيد منه المؤمن كوسيلة تعبيرية ولولنشر تعاليم القرآن وقيمته ، فالله تعالى لا يطاع من حيث يعصى ، وينبغي أن يلتزم بأحكامه ، وأن لا يخالفها أحد أتباعاً للهوى .

ومن ذلك صنع واستعمال آلات اللهو المتمحضة فيه عرفاً :

قال في الجواهر في مقام بيان آلات اللهو المحرّم بيعها وشراؤها والتكسّب بها : « النوع (الثاني : ما يحرم) التكسّب به (لتحريم ما قصد به) من الغايات التي وضع لها الشيء (كآلات اللهو ، مثل : العود ، والزممر ، وهياكل العبادة المبتدعة - كالصليب - والصنم ، وآلة القمار - كالنرد والشطرنج) ، ونحو ذلك ، بلا خلاف أجده فيه ، بل الإجماع بقسميه عليه والنصوص »^(٢) .

وقال السيد الخوئي رحمته الله في المسائل الشرعية : « السؤال ١٤ : هناك آلات موسيقية - مثل : الطبل والمزمار والضرب بالأوتار من ضمنها العود والبيانو - هل هذه آلات لهوية ، وهل صنعت للهو ؟

الجواب : نعم ، واللعب بها ، والعزف عليها ، لا يجوز .

السؤال ١٥ : ما الحكم في استخدامها في المجالس والتعزيات والمواكب الحسينية ؟

الجواب : لا يجوز .

السؤال ١٦ : هل هناك واقعاً آلات غير لهوية يجوز اللعب بها أم جميع الآلات

(١) الكافي : ٦ : ٤٣٢ ، الحديث ١ .

(٢) جواهر الكلام : ٢٢ : ٢٥ .

الموسيقية لهوية، فلا يُعلم أيها لهوي وأيها غير لهوي؟

الجواب: تختلف الآلات الموسيقية، فبعضها لهوي فلا يجوز استعماله مطلقاً، ولا يبيعه ولا شراؤه، وبعضها الآخر غير لهوي، فلا بأس ببيعه وشراؤه، والنوع غير اللهوي يرجع وصفه إلى أهل الخبرة من العرف، وكما ذكرنا سابقاً الموسيقى المحرمة هي الأغاني التي تناسب حفلات اللهو والرقص - مثلاً - وتستعمل لها، وأما الألحان غير اللهوية فليست محرمة، كالتى تستعمل في العزاء أو الحرب وما شاكلها»^(١).

وقال في صراط النجاة: «سؤال ١٠١٢: إن بعض أنواع الموسيقى (كالمتعارف في بعض البلدان) لا يشبه ما تعارفت عليه مجالس اللهو، ومع ذلك يسمّى بالموسيقى، حتى في عرف أهل اللهو، فهل عنوان المحرم يشمل استماع ضرب العود والمزمار أو غيرها من الآلات الموسيقية الحديثة، أو أنّ عنوان الحرمة هو غير هذا، مع العلم أنّ بعضه يطرب ومع هذا لا يلتفت إليه أهل اللهو لقلة طربه، وعدم فائدته عندهم حسب ما يزعمون، وبعضه يولد الحماس والهيجان في النفس، فهل تترتب عليه الأحكام من حرمة الاستماع ووجوب النهي عن المنكر وغيره من الأحكام، أم أنّ هناك تفصيلاً؟ نرجو من سماحتكم الجواب المفصل الشافي، فإن بعض المؤمنين قد صار في حيرة من هذا الأمر لكثرة الابتلاء به، وقلة الأجوبة الواضحة عنه؟

الخواص: أمّا استعمال آلات اللهو المذكورة وأمثالها فيحرم مطلقاً، ولا يجوز حفظها، وأمّا إذا كانت الموسيقى بوسيلة ما ليس منها، فإن كان على الكيفية المتداولة في مجالس اللهو فاستماعها حرام، وإلا فلا مانع منه، والله العالم»^(٢).

(١) منية السائل للسيد الخوئي: ١٦٢.

(٢) صراط النجاة: ١: ٣٧٣.

أقول: ولم يعلق الشيخ التبريزي على كلامه بما يدل على عدم القبول .
وقال السيد السيستاني (حفظه الله) في المسائل المنتخبة : « مسألة ٦٣٢ : يحرم بيع آلات اللهو المحرّم مثل البريبط والمزامير ، والأحوط الاجتناب عن بيع المزامير التي تصنع للعب الأطفال .

وأما الآلات المشتركة التي تستعمل في الحرام تارة ، وفي الحلال أخرى ، ولا تنحصر منفعتها المتعارفة في الحرام ، فلا بأس ببيعها وشرائها ، كالراديو والمسجل ، وأما التلفزيون فإن عدّ في العرف آلة للحرام فلا يجوز بيعه وشراؤه ، وإلا فلا مانع منه ، وأما الإصغاء إلى برامج المحلّلة ، والنظر إليها ، فلا بأس بهما»^(١) .

أقول: هناك روايات كثيرة تبين مرجوحية استعمال آلات اللهو كالعود منها :

١ - إسحاق بن جرير : « سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ : إِنَّ شَيْطَانًا يَقَالُ لَهُ : الْقَفْنَدَرُ إِذَا ضُرِبَ فِي مَنْزِلِ الرَّجُلِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا بِالْبَرْبَطِ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ الرَّجُلُ ، وَضَعَ ذَلِكَ الشَّيْطَانُ كُلَّ عَضْوٍ مِنْهُ عَلَى مِثْلِهِ مِنْ صَاحِبِ الْبَيْتِ ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ نَفْخَةً فَلَا يَغَارُ بَعْدَهَا ، حَتَّى تُؤْتِيَ نِسَاؤُهُ فَلَا يَغَارُ »^(٢) .

٢ - أبو داود المسترق ، قال : « مَنْ ضُرِبَ فِي بَيْتِهِ بَرْبَطٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِ شَيْطَانًا يَقَالُ لَهُ : الْقَفْنَدَرُ ، فَلَا يَبْقَى عَضْوٌ مِنْ أَعْضَائِهِ إِلَّا قَعَدَ عَلَيْهِ ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ نُزِعَ مِنْهُ الْحَيَاءُ ، وَلَمْ يُبَالِ مَا قَالَ وَلَا مَا قِيلَ فِيهِ »^(٣) .

٣ - كليب الصيداوي : « سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ : ضَرْبُ الْعِيدَانِ يُنْبِتُ النَّفَاقَ

(١) المسائل المنتخبة للسيد السيستاني : ٢٥٨ .

(٢) وسائل الشيعة : ١٧ : ٣١٢ ، الباب ١٠٠ من أبواب ما يكتسب به ، الحديث ١ .

(٣) المصدر المتقدم : ٣١٣ ، الحديث ٢ .

فِي الْقَلْبِ كَمَا يُنْبِتُ الْمَاءُ الْخُضْرَةَ»^(١).

٤- موسى بن حبيب ، عن علي بن الحسين عليه السلام ، قال : « لَا يُقَدِّسُ اللَّهُ أُمَّةً فِيهَا بَرَبُطٌ يُقَعِّعُ ، وَنَايَةٌ تُفَجِّعُ »^(٢).

٥- أحمد بن عامر الطائي ، عن الرضا عليه السلام - في حديث الشامي - : « أَنَّهُ سَأَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَنْ مَعْنَى هَذِيرِ الْحَمَامِ الرَّاعِيَّةِ . قَالَ : تَدْعُو عَلَى أَهْلِ الْمَعَارِفِ وَالْمَزَامِيرِ وَالْعِيدَانِ »^(٣).

أقول: البربط هو العود ، ففي لسان العرب : « الْبَرَبُطُ : الْعُودُ ، أَعْجَمِي لَيْسَ مِنْ مَلَاهِي الْعَرَبِ فَأَعْرَبْتَهُ حِينَ سَمِعْتُ بِهِ . التَّهْذِيبُ : الْبَرَبُطُ مِنْ مَلَاهِي الْعَجَمِ شَبَّهَ بِصَدْرِ الْبَطِّ »^(٤) ، والصدر بالفارسية بَر ، فقليل : بَرَبُطٌ . وفي حديث علي بن الحسين : لَا قُدُسَتْ أُمَّةٌ فِيهَا الْبَرَبُطُ ؛ ... قال ابن الأثير : أصله بَرَبْتُ ، فَإِنَّ الضَّارِبَ بِهِ يَضَعُهُ عَلَى صَدْرِهِ ، وَاسْمُ الصَّدْرِ بَرٌّ »^(٥).

وعلى هذا لا ينبغي أن يكون اندفاعنا نحو الفن وطلب التحضر سبباً لتحليل حرام الله تعالى ، وإحداث شرع جديد ما نزل على النبي الخاتم صلوات الله عليه ، وما دام تحقيق نشر الدين ممكناً بطريق غير مرجوح فلا يمكن أن نجعل المرجوح مثل أو أفضل من الراجح شرعاً.

وفي الحقيقة ينبغي التعجب ممن يحارب بعض الشعائر ويعتبرها خرافة وبدعة وسخافة - وإن أجازها ، بل حكم باستحبابها بعض الفقهاء العظام كالتطبير مثلاً ،

(١) وسائل الشيعة : ١٧ : ٣١٣ ، الباب ١٠٠ من أبواب ما يكتسب به ، الحديث ٣.

(٢) المصدر المتقدم : الحديث ٤.

(٣) المصدر المتقدم : ٣١٤ ، الحديث ١٠.

(٤) تهذيب الأحكام : ١٠ : ٣٠٩ (الهامش).

(٥) لسان العرب : ٧ : ٢٥٨.

ثم يأتي إلى استخدام الفن بالعود فيراه أعظم من تسبيح العابد مع حكم الفقهاء بأن العود من آلات اللهو ، وتصريح جملة منهم بحرمة استخدامه مطلقاً ولو بطريقة غير لهويّة - ولا يعتبر كلامه سخافة وابتداعاً! ؟

الجهة الرابعة

لنقل أنّ بعض الفقهاء حكم بحرمة شراء وبيع العود ، وحرمة استخدامه بطريقة لهويّة ، وحرمة الاستماع إليه إذا كان بطريقة لهويّة ، وفي نفس الوقت يرى جواز الاستعمال والاستماع إذا كان الضرب بطريقة غير لهويّة كما في بعض فتاوى المرجعية العليا .

غير أنّ هذا لا يوجب أن يجزم الوعي المثقف بأفضليّة استخدام العود لإيجاد موسيقى في المسلسلات الدنيّة وغيرها على تسبيح الله تعالى ؛ وذلك لأنّ ترويح الدين بالموسيقى لا ينحصر في استخدام العود ، فهناك وسائل أخرى غير العود -الذي أفتى جملة من الفقهاء بحرمة استخدامه مطلقاً- ويمكن من خلالها إحداث الموسيقى المحلّلة ، كما أنّ مقدار الأجر والثواب أمر غيبي لا يُعلم بالتكهّن والتخرّص ، وإنّما بإخبار الله تعالى ، ولا دليل من الكتاب والسنة على أنّ ثواب عازف العود في مسلسل المختار أعظم من ثواب من يسبح لله تعالى بمسبحة في يده ، وعليه لا ينبغي العمل على إيجاد حالة من الاحترام والتقدير للضرب بالعود من خلال الحديث بلا علم ، ودليل عن أمر غيبي لا يعلم إلّا بنصّ قطعيّ من الشارع !! فلم ينتشر فكر أمير المؤمنين عليه السلام بالموسيقى المنبعثة من العود ، ومجرّد إدخال تأثيرات صوتيّة في مسلسل توجب تفاعلاً نفسياً لا يعني انتشار الفكر بالعود وتغنّي الناس بأمير المؤمنين عليه السلام بالعود !!

كما أنّه لا يتوقّف انتشار فكر أمير المؤمنين عليه السلام على الضرب بالعود ، ولا يتوقّف

إيجاد حالة الاحترام للموسيقى الهادفة إلى الحديث عن العود والضرب به ؛ لعدم انحصار تحقق الموسيقى به ، وانحصار الحث على الموسيقى في بيان أفضليته على التسبيح ، فالمقارنة بين الضرب على العود وتسبيح الله تعالى بالمسبحة في غير محلها ، كما أن انتقادها ليس انقلاباً على العلماء وطلاب العلم ، وإنما هو فعل حضاري لا بد منه لإصلاح الاعوجاج الفكري والأطروحات غير المتزنة التي تخالف الشرع ، ولا تنسجم مع طرح الأعلام إن وجد الاعوجاج والأطروحات غير المتزنة .

وينبغي على اللبيب الحصيف أن يتجنب الخوض فيما يثير المجتمع ويوجب انقسامه ، خصوصاً مع عدم ترتب فائدة عليه ، فلماذا نترك أولويات الأمة وتحدياتها الجسيمة ونحدث عن أفضلية الضرب والدندن بالعود على التسبيح ! فهل جهل الناس بهذه الأفضلية مشكلة المشاكل ، والعقبة التي تمنع إنتاج مسلسلات كمسلسل المختار ويوسف الصديق ! وهل هو الخشبة المعترضة لمجرى سيل الحضارة والتقدم ، وبرفعها ستتدفق الخيرات ، وتعم البركات ، وينتشر الهدى ، وتشرق أنوار الحقيقة في جميع القلوب المظلمة !! ؟

حقيقة الاعتكاف

جرى حوار في أحد القروبات حول حقيقة الاعتكاف ، ومشاركة منّي كتبت المقال التالي :

الكلام في حقيقة الاعتكاف ، ويقع في عدّة جهات :

الجهة الأولى

هو أنّ الاعتكاف في اللغة من العكوف هو الكفّ على الشيء ، وحيث أنّ من يبقى في مكان ويلزم نفسه به يكفّها عن غيره عبّر عن الاعتكاف في المكان باللبث فيه ، وهنا نستعرض بعض الكلمات في ذلك :

١ - قال الجصاص في أحكام القرآن : «... فيكون قوله : ﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾^(١)

من يعتكف فيه ، وهذا يحتمل وجهين :

أحدهما : الاعتكاف المذكور في قوله : ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾^(٢) ،

فخصّ البيت في هذا الموضع .

والوجه الآخر : المقيمون بمكة اللائذون به ، إذا كان الاعتكاف هو اللبث . وقيل :

في العاكفين : المجاورون . وقيل : أهل مكة ، وذلك كلّ يرجع إلى معنى اللبث والإقامة في الموضع^(٣) .

(١) البقرة ٢ : ١٢٥ .

(٢) البقرة ٢ : ١٨٧ .

(٣) أحكام القرآن : ١ : ٩٢ .

٢ - قال الرازي: « وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ » في الآية مسائل: المسألة الأولى: قال الشافعي...: الاعتكاف اللغوي ملازمة المرء للشيء وحبس نفسه عليه، برأ كان أو إثمًا، قال تعالى: «يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ»^(١)، والاعتكاف الشرعي: المكث في بيت الله تقريباً إليه، وحاصله راجع إلى تقييد اسم الجنس بالنوع بسبب العرف، وهو من الشرائع القديمة، قال الله تعالى: «أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ»^(٢)، وقال تعالى: «وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ»^(٣).

٣ - قال في السرائر: «الاعتكاف في اللغة هو اللبث الطويل»^(٤).

٤ - قال في مجمع البيان: «والعكوف: الإقامة وملازمة الشيء، ومنه الاعتكاف في المسجد»^(٥).

٥ - قال ابن حمزة في الوسيلة: «الاعتكاف في اللغة: هو اللبث الممتد»^(٦).

٦ - قال الشيخ في المبسوط: «الاعتكاف في اللغة: هو اللبث الطويل»^(٧).

٧ - قال المحقق في المعتمد - كتاب الاعتكاف: «وهو في اللغة اللبث المتطاول»^(٨).

٨ - قال ابن فهد في المهذب: «الاعتكاف لغة اللبث الطويل، قال الله تعالى:

(١) الأعراف: ٧: ١٣٨.

(٢) البقرة: ٢: ١٢٥.

(٣) تفسير الرازي: ٥: ١٢٤.

(٤) السرائر: ٢: ٩٨.

(٥) مجمع البيان: ٧: ٤٨.

(٦) الوسيلة: ١٥٢.

(٧) المبسوط: ١: ٢٨٩.

(٨) المعتمد: ٣: ٧٢٥.

﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾^(١).

وقال الشاعر :

ومعتكف في ربع غرة لم يكن له حاجة في الربع إلا اعتماها
أي زيارتها.

وشرعاً : لبث مخصوص للعبادة...»^(٢).

٩- قال في الجواهر : « (ويقع) الكلام في ماهيته وأقسامه وأحكامه (أما الأول فـ)
الاعتكاف (لغة هو الاحتباس ، ومنه اللبث الطويل الذي هو أحد أفراد لزوم الشيء
وحبس النفس عليه ، براً كان أو غيره ، قال الله تعالى : ﴿ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ
لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ ، أي لازمون لها ، وحاسون أنفسكم عليها ، نحو قوله : ﴿ يَعْكِفُونَ
عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ ﴾ »^(٣).

١٠- قال السيّد الخوئي رحمه الله في كتاب الصوم : « الاعتكاف لغة هو الاحتباس
والإقامة على شيء بالمكان ، كما حكاها في الحدائق عن اللغويين »^(٤).
وعليه فحقيقة الاعتكاف في المكان لغة هو اللبث والبقاء والمكوث فيه .

الجهة الثانية

إذا كان حقيقة الاعتكاف اللبث والمكوث فينبغي حمل الأدلة الشرعية الوارد
فيها لفظ الاعتكاف عليها . نعم ، يضاف إليها القيود والشروط والكيفية الخاصة
التي أخذها الشارع المقدس فيه ، و عليه إذا أخذنا قيد للعبادة أو التعبّد وقصد

(١) الأنبياء ٢١ : ٥٢ .

(٢) المهدّب البارع : ٢ : ٩٣ .

(٣) جواهر الكلام : ١٧ : ١٦٠ .

(٤) كتاب الصوم للسيّد الخوئي : ٢ : ٣٢٤ .

القربة في الاعتكاف شرعاً ، فحقيقة الاعتكاف هي المكوث للعبادة أو المكوث بقصد التعبد ، وليس هو نفس التعبد بالمكوث ، وفرق بين التعبيرين ، وقد جرى تعبير الفقهاء على الأول ومن تعبيراتهم :

- ١ - قال في السرائر : « وفي عرف الشرع هو طول اللبث للعبادة »^(١).
- ٢ - قال في مجمع البيان : « ومنه الاعتكاف ، وهو لزوم المسجد للعبادة فيه »^(٢).
- ٣ - قال ابن حمزة في الوسيلة : « وفي الشريعة : خصّ باللبث في مكان مخصوص ، وعلى وجه مخصوص ، مدّة مخصوصة للعبادة »^(٣).
- ٤ - قال السيّد المرتضى : « الاعتكاف هو اللبث المتطاول للعبادة في مكان مخصوص ، فإذا كان مبتدئاً كان نفلاً ، وإن كان عن نذر كان فرضاً »^(٤). ومثله في الشرائع^(٥).
- ٥ - قال الشيخ في المبسوط : « وفي عرف الشرع هو طول اللبث للعبادة »^(٦).
- ٦ - قال المحقّق في المعتبر : « واختصّ في الشرع (باللبث المتطاول للعبادة) . ومنه قوله تعالى : ﴿ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ ﴾^(٧) وقوله : ﴿ ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاكِفًا ﴾^(٨) »^(٩).

(١) السرائر : ٢ : ٩٨ .

(٢) مجمع البيان : ٤ : ٣٦٤ .

(٣) الوسيلة : ١٥٢ .

(٤) رسائل المرتضى : ٣ : ٦٠ .

(٥) شرائع الإسلام : ١ : ١٥٨ .

(٦) المبسوط : ١ : ٢٨٩ .

(٧) الأعراف : ٧ : ١٣٨ .

(٨) طه : ٢٠ : ٩٧ .

(٩) المعتبر : ٣ : ٧٢٥ .

٧ - قال الشهيد الأول في الدروس : « وهو اللبث في مسجد جامع ثلاثة أيام فصاعداً صائماً للعبادة »^(١).

٨ - في الرسائل العشر لابن فهد : « وهو اللبث للعبادة صائماً في أحد المساجد الأربعة : مسجد مكة ، والمدينة ، وجامع الكوفة ، والبصرة ، ثلاثة أيام فصاعداً ، وكلما لم يصح الصوم ... »^(٢).

٩ - قال في المسالك : « الاعتكاف هو اللبث المتطاول للعبادة »^(٣).

١٠ - قال في الجواهر : « وشرعاً على وجه النقل أو المجاز الشرعي (هو اللبث المتطاول للعبادة) . وفي المنتهى : لبث مخصوص للعبادة » . وفي الدروس : لبث في مسجد جامع مشروط بالصوم ابتداءً »^(٤).

١١ - قال السيّد الخوئي رحمته الله في كتاب الصوم : « وشرعاً هو اللبث في المسجد للعبادة ، كما صرح به الفقهاء على اختلاف تعابيرهم »^(٥).

الجهة الثالثة

عبّر أغلب الفقهاء عن الاعتكاف بأنه اللبث للعبادة ، وقد وقفت قبل قليل على عبارات جملة من أكابرهم ، فما هو المراد بقيد (للعبادة) ؟ فيه احتمالان :

الأول : أن يكون المقصود التعبد بنفس المكوث بأن يوقعه مع قصد القرية .

(١) الدروس الشرعية : ١ : ٢٩٨ .

(٢) الرسائل العشر : ١٩٢ .

(٣) مسالك الأفهام : ٢ : ٩١ .

(٤) جواهر الكلام : ١٧ : ١٦٠ .

(٥) كتاب الصوم للسيّد الخوئي : ٢ : ٣٢٤ .

الثاني: أن يكون المقصود قصد المكوث لعبادة غيره ، كالدعاء والصلاة والصوم .
وقد فهم صاحب الجواهر الأوّل حيث قال : « كما أنّ المراد من قوله : (للعبادة)
كون اللبث على وجه التعبد به نفسه ، فلا يتوهم شموله اللبث لعبادة خارجية
كقراءة قرآن ونحوها ، بل لا يتوهم أنّ المعتبر في الاعتكاف قصد كون اللبث لعبادة
خارجة عنه بحيث لا يجزي الاقتصار على قصد التعبد به خاصّة ؛ ضرورة ظهور
النصوص والفتاوى في مشروعيّته لنفسه من غير اعتبار ضمّ قصد عبادة أخرى معه ،
ففي خبر السكوني بإسناده إلى الصادق ، عن آبائه عليهم السلام : عن رسول الله ﷺ : **اعْتِكَافُ
عَشْرِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّتَيْنِ وَعُمْرَتَيْنِ** ^(١) ، لكنّ ظاهر ما يأتي من التذكرة
اعتبار ذلك ، بل جزم به شيخنا الأكبر في رسالته وكشفه ^(٢) .

وإليك عبارة الشيخ الأكبر التي أشار إليها ، قال في كشف الغطاء : « وهو لبث
مخصوص للعبادة ، مُعتادة أو غير مُعتادة . ولو قصد اللبث مجرداً عن قصد العبادة ،
أو العبادة مجردة عن اللبث ، لم يكن مُعتكفاً على الأقوى ^(٣) .
وقد خالف سيّد المستمسك صاحب الجواهر في هذا الفهم فقال : « قد عرفت
ما هو ظاهر الفتاوى ، وحملها على ما ذكر بعيد جداً ^(٤) .

ثم أخذ يناقش ما استدللّ به على عدم الاعتبار فقال : « وأمّا ظاهر النصوص فلم
يتّضح أنّه كما ذكر عليه السلام . وخبر السكوني الذي ذكره إنّما ورد في مقام تشريع الاعتكاف
عشراً ، فلا مجال للتمسك بإطلاقه ، بل ظاهر صحيح الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام :
- في حديث - : **كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَانَ الْعَشْرُ الْأَوَّلُ اعْتَكَفَ فِي الْمَسْجِدِ ،**

(١) وسائل الشيعة : ١٠ : ٥٣٤ ، الباب ١ من أبواب الاعتكاف ، الحديث ٣ .

(٢) جواهر الكلام : ١٧ : ١٦٠ .

(٣) كشف الغطاء : ٤ : ٩٣ .

(٤) مستمسك العروة الوثقى : ٨ : ٥٣٧ .

وَضُرِبَتْ لَهُ قُبَّةٌ مِنْ شَعْرِ، وَشَمَّرَ الْمُنْزَرُ، وَطَوَى فِرَاشَهُ^(١) اعتبار ذلك . نعم ، في صحيح داود بن سرحان : كُنْتُ بِالْمَدِينَةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فَقُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْتَكِفَ ، فَمَاذَا أَقُولُ ؟ وَمَاذَا أَفْرِضُ عَلَى نَفْسِي ؟ فَقَالَ : لَا تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ إِلَّا لِحَاجَةٍ لَا بُدَّ مِنْهَا ، وَلَا تَقْعُدْ تَحْتَ ظِلَالٍ حَتَّى تَعُودَ إِلَى مَجْلِسِكَ^(٢) ، فَإِنَّهُ ظَاهِرٌ فِي بَيَانِ تَمَامِ مَا هِيَ بِهِ ، وَخَالَ عَنْ ذِكْرِ الْعِبَادَةِ^(٣) .

ويظهر من السيد الخوئي قابلية انطباق كل واحد من الاحتمالين على عبارتهم حيث قال : « إِنَّمَا الْكَلَامُ فِي أَنَّ اللَّبْثَ هَلْ هُوَ بِنَفْسِهِ عِبَادَةٌ بِحَيْثُ يَكْفِي قَصْدَ التَّعَبُّدِ بِنَفْسِ اللَّبْثِ ، أَوْ أَنَّهُ مَقْدَمَةٌ لِعِبَادَةٍ أُخْرَى خَارِجَةٌ عَنْهُ - مِنْ ذِكْرٍ ، أَوْ دَعَاءٍ ، أَوْ قِرَاءَةٍ ، وَنَحْوِهَا - فَلَا اعْتِكَافَ مِنْ دُونِ قَصْدِهَا ، فَإِنَّ الْعِبَادَةَ الْمَتَقَدِّمَةَ عَنِ الْفَقْهَاءِ قَابِلَةٌ لِلانْطِبَاقِ عَلَى كُلِّ مِنَ الْمَعْنِيَيْنِ كَمَا لَا يَخْفَى . وَتُظْهِرُ الثَّمَرَةَ فِيمَا لَوْ اعْتَكَفَ مُقْتَصِرًا عَلَى أَقَلِّ الْوَاجِبِ - أَعْنِي الْفَرَائِضَ الْيَوْمِيَّةَ - فَإِنَّهُ يَصِحُّ عَلَى الْأَوَّلِ دُونَ الثَّانِي . وَالْأَقْوَى هُوَ الْأَوَّلُ .

يَدُلُّنَا عَلَيْهِ :

أَوَّلًا : ظَاهِرُ الْكِتَابِ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾^(٤) ، فَإِنَّ جَعْلَ الْاعْتِكَافِ قَسِيمًا لِلطَّوَافِ وَلِلرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ - أَيِ الصَّلَاةِ - وَعَدَّهُ قِبَالًا لَهُمَا ، فِيهِ دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى أَنَّهُ بِنَفْسِهِ عِبَادَةٌ مُسْتَقَلَّةٌ ، وَأَنَّهُ مَشْرُوعٌ لِنَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارِ ضَمِّ قَصْدِ عِبَادَةٍ أُخْرَى مَعَهُ ، وَمَعَهُ لَا حَاجَةَ إِلَى التَّمَاسِ نَصِّ يَدُلُّ عَلَيْهِ .

(١) وسائل الشيعة : ١٠ : ٥٣٣ ، الباب ١ من أبواب الاعتكاف ، الحديث ١ .

(٢) وسائل الشيعة : ١٠ : ٥٥٠ ، الباب ٧ من أبواب الصوم المحرم والمكروه ، الحديث ٣ .

(٣) لاحظ مستمسك العروة الوثقى : ٨ : ٥٣٨ .

(٤) البقرة ٢ : ١٢٥ .

وثانياً: الاستشعار عن بعض الأخبار، وعمدتها صحيحة داود بن سرحان، قال: كُنْتُ بِالْمَدِينَةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فَقُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْتَكِفَ، فَمَاذَا أَقُولُ؟ وَمَاذَا أَفْرِضُ عَلَى نَفْسِي؟ فَقَالَ: لَا تَخْرُجْ مِنَ الْمَسْجِدِ إِلَّا لِحَاجَةٍ لَا بُدَّ مِنْهَا، وَلَا تَقْعُدْ تَحْتَ ظِلَالٍ حَتَّى تَعُودَ إِلَى مَجْلِسِكَ، فَإِنْ ظَاهَرَهَا السُّؤَالُ عَنْ حَقِيقَةِ الْإِعْتِكَافِ قَوْلًا وَفِعْلًا، فَلَمْ يَجِبْهُ عليه السلام بِأَكْثَرِ مِنَ الْعِزْمِ عَلَى اللَّبْثِ، وَأَنَّهُ مَتَى خَرَجَ لِحَاجَةٍ مَلَحَّةٍ يَعُودُ فَوْرًا بَعْدَ قَضَائِهَا، فَلَا يَعْتَبَرُ فِي حَقِيقَتِهِ شَيْءٌ آخَرَ وَرَاءَ ذَلِكَ»^(١).

الجهة الرابعة

في تحقيق الحكم

- ولا يخفى أَنَّ المتصوّر فيما يحتمل اعتباره ثبوتاً عدّة صيغ، منها:
- ١ - اعتبار قصد اللبث مقدّمة لعبادة مع إيقاع العبادة فيه، بحيث إذا اختل أحدهما لم يتحقّق الاعتكاف.
 - ٢ - اعتبار القصد وعدم إيقاع العبادة يترتّب عليه حرمة تكليفية.
 - ٣ - اعتبار القصد ولا يترتّب على عدم إيقاع العبادة شيء.
 - ٤ - اعتبار إيقاع العبادة والقصد واجب تكليفي.
 - ٥ - اعتبار إيقاع العبادة، ولا يترتّب على ترك القصد شيء، بحيث يكفي اتّفاق إيقاع العبادة.

واستدلّ السيّد الحكيم على عدم الاعتبار بصحيح داود بن سرحان المتقدّم، وقد يقال مثله ما عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لَا يَكُونُ الْإِعْتِكَافُ

(١) كتاب الصوم للسيّد الخوئي: ٢: ٣٢٤.

أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَمَنْ اعْتَكَفَ صَامَ ، وَيَنْبَغِي لِلْمُعْتَكِفِ إِذَا اعْتَكَفَ أَنْ يَشْتَرِطَ
كَمَا يَشْتَرِطُ الَّذِي يُحْرِمُ»^(١) ، فَإِنَّ ظَاهِرَهُ بَيَانُ تَمَامِ مَا يَفْعَلُهُ الْمُعْتَكِفُ حَتَّى أَنَّهُ عَلَيْهِ
بَيِّنٌ مَا لَا يَلْزَمُ وَهُوَ الْاِشْتِرَاطُ ، إِلَّا أَنْ يُقَالَ هُوَ كَسَائِرِ رَوَايَاتِ أَبْوَابِ الْاِعْتِكَافِ فِي
مَقَامِ بَيَانِ بَعْضِ مَا يُعْتَبَرُ أَوْ يَنْبَغِي ، وَلَيْسَتْ فِي مَقَامِ بَيَانِ الْحَقِيقَةِ ، أَوْ مَا يُعْتَبَرُ
مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ ، خِلَافٌ لِمَا عَلَيْهِ صَاحِبُ الْجَوَاهِرِ وَهُوَ مَا يَظْهَرُ مِنْ كَلَامِ الشَّيْخِ
الْفَيَّاضِ .

وَأَمَّا مَا اسْتَدَلَّ بِهِ السَّيِّدُ الْخَوْثِيُّ^(٢) وَالشَّيْخُ الْفَيَّاضُ^(٣) ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى :
﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ
السُّجُودِ﴾^(٤) . بِتَقْرِيبٍ : إِنَّ جَعْلَ الْاِعْتِكَافِ قَسِيمًا لِلطَّوَافِ وَالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ - أَيْ
الصَّلَاةِ - وَعَدَّهُ قِبَالًا لَهُمَا ، فِيهِ دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى أَنَّهُ بِنَفْسِهِ عِبَادَةٌ مُسْتَقْلَّةٌ ، وَأَنَّهُ
مَشْرُوعٌ لِنَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ اِعْتِبَارِ ضَمِّ قَصْدِ عِبَادَةٍ أُخْرَى مَعَهُ ، وَمَعَهُ لَا حَاجَةَ إِلَى التَّمَاسُ
نَصٌّ يَدُلُّ عَلَيْهِ .

ففيه : أَنَّهَا عَدَّتْ اِلْعَتِكَافَ قَسِيمًا لَا نَفْسَ الْمَكُوثِ ، وَلَا شَيْءَ فِي أَنَّ اِلْعَتِكَافَ
عِبَادَةٌ مُغَايِرَةٌ لِلطَّوَافِ وَالصَّلَاةِ لِأَخْذِ الْمَكُوثِ فِي حَقِيقَتِهِ ، وَإِنَّمَا الْكَلَامُ فِي أَنَّهُ
هَلِ الْمَكُوثُ عَنْ قَصْدِ قُرْبَةٍ فَقَطْ أَوْ مَعَ قَيْدِ قَصْدِ إِيقَاعِ عِبَادَةٍ أُخْرَى فِيهِ ، وَهَذَا
مَا لَا تَتَكَفَّلُ الْآيَةُ بَيَانَهُ ؛ إِذْ يَكْفِي فِي إِشْبَاعِ كَوْنِهِ قَسِيمًا وَجُودِ الْمَكُوثِ فِيهِ ، عَلَى
أَنَّ الْمُعْتَكِفَ لَا يُجِبُ عَلَيْهِ إِجْمَاعًا مِمَّا رَسَدَ الْعِبَادَةُ الْأُخْرَى طِيلَةً وَقَتِ الْمَكُوثِ ،
فَقَدْ يَكُونُ مُعْتَكِفًا فِي الْبَيْتِ وَلَيْسَ طَائِفًا وَمُصَلِّيًا ، وَيَكْفِي هَذَا لِتَخْصِيصِ الْمُعْتَكِفِ

(١) مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه : ٢ : ١٨٦ ، الْحَدِيث ٢٠٩٥ .

(٢) كِتَابُ الصَّوْمِ لِلْسَّيِّدِ الْخَوْثِيِّ : ٢ : ٣٢٣ .

(٣) تَعَالِيْقُ مَبْسُوطَةٌ : ٥ : ٢٤٨ .

(٤) الْبَقْرَةُ : ٢ : ١٢٥ .

بالذكر، فتأمل .

وقد تتبعت روايات الاعتكاف الواردة في الوسائل فلم أجد فيها ما يدل على اعتبار ذلك وتقييد الاعتكاف به ، ولا أريد أن أتمسك بالإطلاق أو نتيجته ليشكل علينا بما أورده السيد الحكيم على استدلال صاحب الجواهر بخبر السكوني ، وهذا الإشكال غير بعيد وروده ؛ إذ مفاد الروايات لا يزيد عن بيان المشروعية ، وفعل النبي ﷺ له ، واعتبار العدد والمكوث في المسجد ، وبيان بعض محرماته ، وفي مثل ذلك لا يحرز الإطلاق .

وعليه بدون صحيحة داود تصل النوبة إلى البراءة ، ولكن وقفت على عبارات أساطين العلم الظاهرة في كون المكوث للعبادة كما أفاد السيد الحكيم - خلافاً لصاحب الجواهر - بل هو تصريح بعضهم كما في الدروس وكشف الغطاء ، وهذا مبرر كافٍ لأن يحتاط الفقيه في الحكم ، والله المسدد .

مسألة ما إذا بقي من الوقت مقدار أربع ركعات

قال صاحب العروة رحمته الله: «مسألة ٢٩: إذا بقي من الوقت أربع ركعات وعليه الظهران، ففي جواز الإقامة إذا كان مسافراً وعدمه، من حيث استلزامه تفويت الظهر^(١) وصيرورتها قضاء إشكال^(٢)، فالأحوط^(٣) عدم نيّة الإقامة مع عدم الضرورة. نعم، لو كان حاضراً، وكان الحال كذلك، لا يجب عليه السفر لإدراك الصلاتين في الوقت»^(٤).

أقول: الكلام في هذا الفرع في جهات:

الجهة الأولى

في تجديد محلّ البحث، فهل هو ناظر إلى الحكم التكليفي، وأنه هل يجوز منه قصد الإقامة تكليفاً بعد مفروغيّة ترتّب وجوب التمام على القصد، أو هو ناظر إلى الحكم الوضعي، وهو حكم الشارع بتحقيق موضوع التمام مع القصد المزبور، بمعنى

(١) في كون المقام من باب تفويت الوقت نظر، بل هو من باب إدخال نفسه في موضوع من فات عنه الوقت قهراً (آقا ضياء).

(٢) جواز الإقامة لا يخلو عن قوّة (الجواهري). ضعيف (الحكيم).

(٣) وإن كان الجواز لا يخلو عن قوّة (كاشف الغطاء). الأولى (الفيروزآبادي). بل أظهر ذلك (الخوئي). لو لم يكن أظهر (الروحاني). ولم يعلق (السيستاني).

(٤) العروة الوثقى: ٣: ٤٩٩.

أنّ ما دلّ على أنّ قصد الإقامة موضوع للتأمّ شامل لقصد الإقامة في الفرض محلّ البحث؟

وقد ذكر السيّد الخوئي رحمته الله: أنّ محلّ البحث هو الأوّل، قال في المستند^(١): «لو كان مسافراً، وكان الحال كذلك بحيث يمكنه فعلاً إدراك الصلاتين في الوقت، فهل يجوز له قصد الإقامة من غير ضرورة، أو لا يجوز، نظراً إلى استلزامه تفويت الظهر وصيرورتها قضاء، ومحلّ الكلام إنّما هو في الجواز التكليفي، وأنّ هذا القصد هل هو سايع أو حرام؟ وإلا فلا إشكال في تأثير في الإتمام وإن ارتكب الحرام؛ لعدم الفرق في ذلك بين الإقامة المحلّة والحرمة كما تقدّم...».

الجهة الثانية

فرق بعض المحقّقين بين فرضين:

فرض كون التأخير إلى تضييق الوقت باختيار المكلف.

فرض كون التأخير بلا اختيار.

وذكر أنّه في الفرض الأوّل لا ينبغي البحث في عدم جواز الإقامة؛ لأنّها توجب تفويت جميع أفراد صلاة الظهر بالاختيار عرفاً مع القدرة وتوجّه التكليف، وأمّا في الفرض الثاني فينبغي طرح البحث عن الجواز، وسوف يأتي التعليق على كلامه.

الجهة الثالثة

في دليل عدم الجواز

فقد استدل السيّد الخوئي رحمته الله بما ذكره في قوله: «الظاهر أنّه لا ينبغي الاستشكال

(١) مستند العروة الوثقى: ٨: ٣٢٣.

في عدم الجواز ، ولا وجه لتوقّف الماتن عن الفتوى لفعليّة الأمر بالظهيرين قصراً بفعليّة موضوعه وهو السفر ، وتحقّق التكليف وتنجزه والتمكّن من الامتثال . ومعه كيف يسوغ له تفويت الغرض الملزم بإعدام الموضوع وإفناؤه ! وهل هذا إلا من التعجيز الاختياري عن امتثال التكليف الفعلي الذي لا ريب في قبحه بحكم العقل»^(١).

وهو يكون من ثلاث مقدمات :

المقدمة الأولى : التكليف بالظهر فعليّ منجز .

المقدمة الثانية : نيّة الإقامة تعجز عن امتثال الظهر الفعليّ المنجز .

المقدمة الثالثة : هذا التعجيز قبيح عقلاً .

وقد يلاحظ عليه : أنّ حكم العقل بقبح التعجيز فيما إذا لم يكن هناك ترخيص من الشارع ، وفي المقام يوجد ترخيص ، وهو ما دلّ على أنّ الواجب هو الصلاة ، وأنّ هذه الصلاة هي الرباعيّة في الحضر ، والثنائيّة في السفر ، وأنّ السفر والحضر أخذاً مفروضي الوجود وتحقيقهما بيد المكلف ، ولعلّ هذا هو نظر المحقّق العراقيّ بقوله : « في كون المقام من باب تفويت الوقت نظر ، بل هو من باب إدخال نفسه في موضوع من فات عنه الوقت قهراً »^(٢).

ومثله السيّد الحكيم في المستمسك^(٣) حيث قال - معلقاً على قول صاحب العروة - : « إشكال ، لكنّه ضعيف ؛ لأنّ التفويت المحرّم ترك الواجب في ظرف الفراغ عن وجوبه ، ولا يشمل ترك تبديل الواجب ، الذي لا يقدر عليه المكلف بواجب يقدر عليه ؛ لعدم الدليل على حرمة مثل ذلك ، والأصل البراءة . ولأجل ذلك

(١) كتاب الصلاة للسيّد الخوئي : ٨ : ٣٢٣ .

(٢) العروة الوثقى : ٣ : ٤٩٩ .

(٣) مستمسك العروة الوثقى : ٨ : ١٤٣ .

لم يجب السفر في الفرض الآتي؛ إذ لا فرق بين الفرضين في ذلك. وقد تقدّم في المسألة الثالثة من فصل القراءة ما له تعلّق بالمقام.

ولكن قد يقال: الكلام في المقام ليس بين فردين عرضيين - وهما التمام والقصر - وإنما بين الأداء والقضاء، فهنا يوجد تكليفان أحدهما مقيد بتفويت الآخر، والإقامة تحقّق هذا التفويت، وهو لا يجوز عقلاً، ولعلّ هذا هو مراد السيّد الخوئي رحمته الله بقوله: «وعلى الجملة: كم فرق بين التصدي لإحداث التكليف بإيجاد الموضوع الذي هو مورد الفرع الأول» إذا بقي من الوقت أربع ركعات، وعليه الظهران، وكان حاضراً، فهل يجب عليه السفر؟ «وبين التصدي لتفويته وتعجز نفسه بإعدام الموضوع الذي هو مورد الفرع الثاني» إذا بقي من الوقت أربع ركعات، وعليه الظهران، وكان مسافراً، فهل يجوز له الإقامة؟ «فلا يلزم الأول لعدم مقتضي له، فلا موجب للسفر، ولا يجوز الثاني لكونه من التفويت المحرّم، فلا تجوز الإقامة إلا للضرورة، وبذلك يظهر لك الفرق بين الفرعين»^(١).

ولا يخفى أنّه بناء على هذا الوجه لا فرق بين كون التأخير بالاختيار أولاً؛ لأنّه غير المختار ما دام مخاطباً فعلاً بالظهر، ويمكنه امتثال الأمر الأدائي منجّز في حقّه، فلا يسوغ له تفويته بالإقامة.

نعم، لو قيل الأداء والقضاء أمر واحد متعلّق بالطبيعة، ولها فردان: أحدهما في الوقت والآخر خارج الوقت، والوقت مأخوذ في الفرد المحقّق للطبيعة، أمكن القول بأنّ فوت الوقت لا يوجب فوت الملاك بعد تخيير الشارع المكلف في تطبيق المتعلّق على الرباعيّة في الوقت، أو الثنائيّة خارج الوقت.

وقد يقال: بأنّ هذه الإقامة لا يمكن أن يأخذها الشارع موضوعاً للتمام؛ وذلك لأنّ كون هذه الإقامة موضوعاً فرع ترتّب أثر عليها، وإلا يلزم اللغويّة، ولكنّ هذه

(١) كتاب الصلاة للسيّد الخوئي: ٨: ٣٢٣.

الإقامة لا يترتب عليه أثر ؛ لأن حكم العقل بقبح التفويت قرينة تحف بدليل أخذ الإقامة في موضوع التمام وتوجب تقيده بغير هذا الفرض ، وبهذا ينفتح المجال للحديث عن منع موضوعية هذه الإقامة ، وهو كما ترى .

الجهة الرابعة

في دفع النقض بسفر الحاضر قبل الزوال في شهر رمضان ؛ إذ قد يقال : لا فرق بينه وبين المقام . إذن التكليف فيهما فعليّ منجز ، والسفر يفوت التكليف ويوجب القضاء ، والقضاء ليس بدلاً في عرض الأداء .

والفرق بين الموردين من جهة النصوص الدالة على جواز سفر الحاضر في نهار شهر رمضان ، فإنّ الظاهر منها أنّ الحضر شرط الوجوب ، ويرتفع الوجوب بارتفاعه ، وأمّا الصلاة فهي مطلوبة على أي حال والسفر ليس شرطاً في الأداء . نعم ، الإقامة توجب تعجيل المكلف عن الامتثال الأدائي ؟

الفصل الرابع عشر

شؤون فكرية عامة

مَن هم دعاة الرجعية؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ،

والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين

لا يخفى على المتابع لمجريات الساحة الثقافية والاجتماعية في بلادنا ما يعصف بالمنطقة من سجال وجدال وخلاف واختلاف تتشظى فيه الكتل الاجتماعية تارة لتتحول إلى جسيمات دقيقة يصعب رصدها ، وتتلاحم جسيمات أخرى لتصبح كتلاً عملاقة ، كصفائح الأرض التي إذا تحركت واحدة منها اهتزت جميع الصفائح لتحث زلزالاً لا يبقى شيئاً ثابتاً ومستراحاً آمناً في ظلّ الفوضى العارمة .

وبين هذا وذاك يأتي التسطيحيون ليصوّروا المخاض الثقافي تقاطلاً على المساحات المشغولة ، وقد غاب عنهم الرصد الدقيق ، الأمر الذي جعلهم يتهمون جهة معينة بممارسة التسقيط في الوقت الذي يمارسون هم فيه التسقيط مع ألف جهة .

إنّ من الخطأ والتسطيح والميل إلى تبسيط الأمور القول : بأنّ الواقع المعاش بتجاذباته مجرد اختلاف عفويّ عابر يستند إلى تفاوت الذوق والميولات الشخصية ، كما أنّ من السذاجة قراءة الأحداث دون الأخذ بعين الاعتبار النظم الفكرية التي تحكم إيقاع الأطراف المختلفة .

وعلى هذا الأساس كان للإلهيين موقفهم المتدينّ تجاه بعض الأطروحات الخارجة عن إطار الدين والتدينّ التي يريد بعض الحداثيين الإنهزاميين صبغها

بصبغة الدين ، والإنسان مع عدم التقيد بالأسس النظامية في التفكير الديني .
ولا أقصد بالإنهيين الذين يعتقدون بوجود إله يمكن أن يُقسّم ويوزع على جميع التيارات المتصارعة أو المختلفة ، مع تناقضها واختلاف نظرتها ، إلى طبيعة العلاقة مع الإله والإنسان الآخر والكون بشكل عام كما يتصور البعض ، وإنما أقصد بهم من لم يتخذ إلهه هواه ، ولم يجعل ذاته هي الحكم ، ويعطيها الفصل ، ويتدين بما تسنه له من قوانين ، وتحدده من مواقف متعالية على حكم الله تعالى .

إنّ هذا الواقع المتعاكس في وجهات النظر ومشروع العمل نتيجة فكر متقابل ومنطلقات مختلفة يقف في أحد جانبيه مشروع الفضيلة والتعبّد لله والدعوة إلى توحيده تشريعاً وعبادة ، واتباع أوليائه الذين ألزم تعالى بالأخذ عنهم ، بينما يقع في الجانب الثاني مشروع البذاءة والتشويه ونوازع الأنا باسم حرية الفكر ، ونبذ الفرق ، ومحاربة التسقيط والرجعية ، في الوقت الذي يمارس فيه أصحاب هذا المشروع كلّ أشكال التسقيط والتشويه والرجعية والاصطفاف حول الشخصيات الجدلية المرفوضة في الوسط الإيماني الواعي بسبب نشاطاتها الفتنوية التي تثير نيران الفرق في المجتمع بين الفترة والأخرى باسم التنوير ، ومواجهة الخوارج التسقيطيين ، وطبعا المقصود بالخوارج التسقيطيين رجال الإيمان العاملون على تثبيت تعاليم وقواعد الشرع ، ودفع الشبهات عنها ، ومواجهة مشروع البذاءة والتهجّم على المراجع ، وطلاب العلوم الدينية ، والمخلصين العاملين ، في سبيل دعم موقف المرجعية الإلهية النزيهة .

يحاول دعاة التحلل تصوير التفلّت من أحكام الدين ، ومقتضيات التعبّد لله ، والخصوع لأوليائه ، على أنّها تحرّر وحدثة وتطوّر ورقيّ بالإنسان يخرجّه عن قيود الموروث المتخلّف وبرائن الرجعية ، وفي الحقيقة لا علاقة لكلام هؤلاء والتحرّر والتطوّر ، كما لا علاقة لمشروع خصومهم بالرجعية !

الرجعية ليست في التقيد بالشرع ، كما أنّ التحرّر ليس في الخروج عن رسم

عبودية الله ، وإنما الأمر على العكس من ذلك ، فإن الخروج عن رسم العبودية لله والخضوع لدينه وتعاليمه هو الرجعية التي يلونها دعاة التحلل بعنوان الحداثة والتطور ، وقد كان المنهج التحليلي موجوداً قبل أن يضع نبي الله آدم قدميه على سطح الأرض والدعوة إليه رجعية ورجوع إلى ذلك المنهج القديم جداً .

يقول تعالى حول قدم تاريخ هذا التيار التحليلي : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَلُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ * قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١) .

إن هذه الآيات الكريمة تبين بوضوح عدة أمور ترتبط بتيار التحلل باسم الكرامة والتنوير على حساب الشرع والتدين :

الأمر الأول : هو أن التكبر عن حكم الله تعالى ، وتقديم رغبات النفس ووساوسها على ما يقرره العقل في مراتب التوحيد المختلفة ، كان موجوداً - كما أسلفنا - قبل حياة الإنسان على وجه الأرض ، فإبليس كان سابقاً في ذلك ، والدعوة إلى التحلل دعوة إبليس وفيها رجعية ورجوع إلى المنهج الشيطاني القديم .

الأمر الثاني : منهج التحلل لا يدعو إلى التحلل بلا تعليل ، بل هو يحاول أن يعلل مواقف التحليلية ويعمل على تبريرها إنطلاقاً من الأنا ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ

(١) الأعراف ٧ : ١١ - ١٨ .

وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١﴾

وما يبدية هذا المنهج يمكن أن يكون فاعلاً في شريحة السذج البسطاء ، فالبسطاء يمكن أن يشوّه الدين في نظرهم بالشعارات البراقة الفارغة التي يرفعها دعاة التحلل ؛ لأنها تلامس الشهوة ونزعة الأنا ، والإنسان فطر على حبّ ذاته ويطلب حثيثاً إشباع شهواته ، فإذا قيل له : لا يلزمك اتباع العلماء المتخصّصين في الدين وما يبيّنون من تكاليف إلزامية ، و ما عليك إلا أن تتّبع ما يوحى إليك إله الهوى ، فأنت ذو الكرامة العليا ، ولا كرامة فوق كرامتك ، وحر بلا قيد ولا وصاية لأحد عليك ، فاعمل ما شئت ولست محاسباً على أفعالك ، لا أقلّ من بعض القضايا التي يتقاطع فيها الدين مع طرح تيار التحلل ، فلا شكّ في أنّه - أي الإنسان - إذا كان غير واع سوف ينخرط في مسلك التحلل استجابة لإلحاح الشهوة والنزوة .

الأمر الثالث : لجاج وتكبّر وتغطرس زعيم هذا التيار التحلليّ ، وقد سار ذلك في أتباعه إلى يوم الناس هذا ، ففي ظلّ وجود البراهين العلمية على حكمة الله تعالى ، وسعة علمه ، أصرّ إبليس على أنّه خير من آدم ، وأن حكم الله تعالى بالسجود في غير موضعه .

وهذا ما نجده ماثلاً أمامنا في كثير من ممارسات المنحرفين المسيّبة للفتنة على مستوى الثقافة ، أو العلاقات الاجتماعية ، فمنهم من يستهدف مقدّسات المجتمع بلا طرح علميّ متّزن مقبول ، ويقدم أعذاراً واهية ، ويستمرّ في تأزيم الموقف ، ومنهم من يشكّك في موقف عالم من العلماء مع وضوح ذلك الموقف ، ثمّ يحاول الالتفاف بطرح مترهل أقلّ ما يقال عنها : أنّه واضح الخلل ومفصوح ، كلّ هذا فراراً من الانصياع للحقّ ، ورجوعاً إلى منهج الشيطان في حوار مع الله تعالى .

إنّ الله تعالى لم يغلق باب التوبة في وجه المذنبين ، ولكن بعض العصاة بسبب

(١) الأعراف ٧ : ١٢ . سورة ص ٣٨ : ٧٦ .

طغيان النفس يغلقون الباب بيد التكبر والتعالي ، ويرفضون الاعتراف بالخطأ والاعتذار!!

إن الدعوة إلى مواجهة حملة تراث أهل البيت عليهم السلام ليست دعوة تحضرية حدائية ، وإنما هي دعوة رجعية فيها رجوع إلى موروث يتناقله أتباع إبليس إلى يوم الناس هذا ، وقد توعد الله المورث والوارث في هذا المنهج بقوله : ﴿لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١).

لقد خاض الشيطان في ممارساته الإضالية تجارب متعددة أكسبته الخبرة ، وهو ينقل خبراته إلى أتباعه ، ومن أساليبه تزيين الفساد وتغليف الباطل بغلاف جذاب ليُشبه الحق ، فيقع الناس في الشبهة .

كما أن من أساليبه تشويه صورة الإلهيين الداعين إلى سبيل الله ، فكل الأساليب عند الشيطان مشروعة ولا يقف في وجهه شرع أو عقل ، وحيث عجز في المنهج العلمي فهو يحاول أن يصل إلى مبتغاه بالافتراء والكذب وطمس الحقائق ، ولعل من ذلك ما يتخذ جماعة من التحليليين المدافعين عن المنحرفين بعد هزيمتهم فكرياً ، فإنهم يعمدون إلى تشويه سمعة مخالفيهم بأنهم تسقيطيون رجعيون يقاتلون على المناصب طلباً للمصالح ، وفي الحقيقة هم التسقيطيون الفتويون ، ولكن يتعاملون عن الفعل الذي صدر من تيارهم ، والذي ترتب عليه شق الصف وتقسيم المجتمع وإحداث الفتنة ، ويشجبون ردة الفعل التي ما كانت لتتحقق لولا فعل تيار التحلل نفسه .

من الواضح جداً أن تيار التحلل يرفع شعار حرية الرأي ليتكلم هو ويسكت غيره ، فهو من حقه أن يعرض بضاعته ، وليس من حق غيره أن يعرض انتقاده ، أو يطرح فكراً بديلاً!!

(١) الأعراف ٧ : ١٨ .

له أن يشجب وينتقد ويطعن ويُسَقِّط ، وليس من حقِّ غيره ذلك تجاهه ، فأَي حُرِّيَّة يطلبها هؤلاء؟!!

الفتنة في نظر هؤلاء في الردِّ على أفكارهم ، وأما إذا قام هؤلاء بنشر تهجِّمهم على غيرهم فليس في ذلك رجعيَّة ووصاية ، هم يريدوننا أن نتفق على باطلهم ولا يسمحون لنا بالخلاف فيه ، ففي الدين والشرع باب الخلاف مفتوح ، وأما في آيات هواهم فالخلاف جريمة لا تغتفر!!

من التلبس لبس العمامة والتبشير بدين الأنا ، وهذا التلبس له مفعول كبير جداً ، فالناس تثق كثيراً بالعمائم ؛ لأنَّ تاريخها كان حافلاً بالمصداقية والمواقف المشرفة ، ولهذا يبحث تيار التحلُّل عن مفردات حوزويَّة خضعت لتنشئة مهزوزة ، وتعيش التناقض والمشغبة ، وتبحث عن جغرافيا في خريطة المناصب الاجتماعية لتوظيفهم ، وهذه المفردات موجودة للأسف ، وهي تشكِّل القشرة الهشة التي يمكن أن تنفذ حمم التحلُّل من خلالها بسبب ضعف التحصيل العلميِّ والتهديب النفسيِّ استغلالاً لغريزة حبِّ الظهور والوجاهة ووجدان النفس في توهم التميِّز تحت بريق المدح والثناء الذي يخطف أبصار ضعاف النفوس ، من هنا ينبغي على المؤمن الواعي أن يكون على حذر من هؤلاء .

وفي الرواية المعتبرة وهي صحيحة داود بن سرحان عن الإمام الصادق عليه السلام ، قال : « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِذَا رَأَيْتُمْ أَهْلَ الرَّيْبِ وَالْبَدْعِ مِنْ بَعْدِي ، فَأَظْهِرُوا الْبَرَاءَةَ مِنْهُمْ ، وَأَكْثِرُوا مِنْ سَبِّهِمْ ، وَالْقَوْلِ فِيهِمْ ، وَالْوَقِيعَةَ ، وَبَاهْتُوهُمْ ، كَيْلًا يَطْمَعُوا فِي الْفَسَادِ فِي الْإِسْلَامِ ، وَيَحْذَرَهُمُ النَّاسُ ، وَلَا يَتَعَلَّمُوا مِنْ بَدْعِهِمْ ، يَكْتُبِ اللَّهُ لَكُمْ بِذَلِكَ الْحَسَنَاتِ ، وَيَرْفَعَ لَكُمْ بِهِ الدَّرَجَاتِ فِي الْآخِرَةِ »^(١).

ديننا دين الحضارة والتقدُّم ، ويندمج العلم في جميع مفاصلة ، وهو ينسجم تمام

(١) الكافي : ٢ : ٣٧٥ ، الحديث ٤ .

الانسجام مع تطوير الحياة في جميع شؤونها ، فلسنا بحاجة إلى استيراد تجربة تنويري الغرب لطمس الدين ، فالفرق كبير جداً بين ما تقدّمه الكنيسة وبين ما تقدّمه الحوزة ، ومن يتصوّر غير ذلك يفتقر إلى قراءة واعية ، أو عنده أهداف لا ترتبط بالتطوير ، ولا تمتّ إلى التنوير بصلة .

والحمد لله ربّ العالمين

علماء التنوير الديني وتقييمهم (العلم والأمانة)

روى ثقة الإسلام الكليني رحمه الله عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد البرقي ، عن إسماعيل بن مهران ، عن أبي سعيد القمّاط ، عن الحلبي ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : « قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالْفَقِيهِ حَقُّ الْفَقِيهِ ؟ مَنْ لَمْ يَقْنَطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَلَمْ يُؤْمِنْهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ، وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُمْ فِي مَعَاصِي اللَّهِ ، وَلَمْ يَتْرَكِ الْقُرْآنَ رَغْبَةً عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ . أَلَا لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَيْسَ فِيهِ تَفَهُّمٌ . أَلَا لَا خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَدَبُّرٌ . أَلَا لَا خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَفَكُّرٌ .

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : أَلَا لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَيْسَ فِيهِ تَفَهُّمٌ . أَلَا لَا خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَدَبُّرٌ . أَلَا لَا خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَا فِقْهَ فِيهَا . أَلَا لَا خَيْرَ فِي نُسْكِ لَا وَرَعَ فِيهِ » (١) .

وقال الصدوق في معاني الأخبار : عن أبي رحمه الله ، قال : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ الْكَوْفِيِّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ ، عَنْ بَعْضِ رِجَالِهِ ، عَنْ دَاوُدَ الرَّقِيِّ ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثَّمَالِيِّ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : « قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالْفَقِيهِ حَقًّا ؟ قَالُوا : بَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

قَالَ : مَنْ لَمْ يَقْنَطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَلَمْ يُؤْمِنْهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ، وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُمْ فِي مَعَاصِي اللَّهِ ، وَلَمْ يَتْرَكِ الْقُرْآنَ رَغْبَةً عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ . أَلَا لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَيْسَ فِيهِ تَفَهُّمٌ . أَلَا لَا خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَدَبُّرٌ . أَلَا لَا خَيْرَ

(١) الكافي : ١ : ٦ ، الحديث ٣ .

فِي عِبَادَةِ لَيْسَ فِيهَا تَفَقُّهُ»^(١).

إنّ التدبّر في هذه الرواية الشريفة يوقف المتدبّر على أنّ الفقيه - أي العالم العارف بمعالم الدين - هو من تتوفّر فيه الأمور التالية :

١ - من عنده قدرة على الموازنة بين صفات الله الرحيم الغفور الجواد الكريم ، وصفاته المعذب المهلك شديد الانتقام ، وما يترتب عليه جعل القلوب بين الرجاء والخوف ، والرغبة والرغبة ، وهذا ما تتكفّل به علوم العقيدة والمعارف الإسلامية .

٢ - من كان عنده وعي دقيق بالقانون الإسلامي ، ويدرك الأحكام الإلزامية ويحذر من مخالفتها ، فلا يبيح محرّم أو يرفع وجوب واجب بلا دليل مُعذر عند الله تعالى .

٣ - الملتزم بالقرآن وتعاليمه ، وليس من يرغب عن معارفه ، وحيث أنّ القرآن له عدل لا يعلم إلا به ، فالمعرفة القرآنيّة تحتمّ وعياً وتدبّراً في الكتاب وروايات العترة الطاهرة ، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) : « أَلَا لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَيْسَ فِيهِ تَفَهُّمٌ . أَلَا لَا خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَدَبُّرٌ . أَلَا لَا خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَفَقُّهُ » .

غير أنّه ليس كلّ مدّعي الوعي فعلاً هو واع ، فقد قيل يكفي العلم من فضل ، والشرف أن يدّعيه غير أهله ، فلا بدّ من التمحيص والتدقيق فيما إذا وجد من يدّعي العلم والوعي ، وينصبّ نفسه ميزاناً لتقييم العلماء والمرجع ، ففاقد العلم لا يميّز العالم ، ومن لا بصيرة له لا يحسن الإبصار في طريق التنوير ، وفي البيت المعروف :

وَضَدَّ كُلِّ امْرِئٍ مَا كَانَ يَجْهَلُهُ وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ^(٢)

وقد روى الشيخ الكليني (رضوان الله عليه) في الكافي الشريف عن المفضل بن

(١) معاني الأخبار : ٢٢٦ .

(٢) تفسير القرطبي : ١٦ : ٣٤٢ .

عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: يا مُفَضَّلُ، لَا يُفْلِحُ مَنْ لَا يَعْقِلُ، وَلَا يَعْقِلُ مَنْ لَا يَعْلَمُ، وَسَوْفَ يَنْجُبُ مَنْ يَفْهَمُ، وَيَظْفَرُ مَنْ يَحْلُمُ، وَالْعِلْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدْقُ عِزٌّ، وَالْجَهْلُ ذُلٌّ، وَالْفَهْمُ مَجْدٌ، وَالْجُودُ نَجْحٌ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ مَجْلَبَةٌ لِلْمُودَّةِ، وَالْعَالِمُ بِزَمَانِهِ لَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ اللَّوَابِسُ، وَالْحَزْمُ مَسَاءَةُ الظَّنِّ، وَبَيِّنَ الْمَرْءِ وَالْحِكْمَةَ نِعْمَةُ الْعَالِمِ، وَالْجَاهِلُ شَقِيٌّ بَيْنَهُمَا، وَاللَّهُ وَلِيُّ مَنْ عَرَفَهُ، وَعَدُوٌّ مَنْ تَكَلَّفَهُ، وَالْعَاقِلُ غَفُورٌ، وَالْجَاهِلُ خَتُورٌ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تُكْرِمَ فَلَنْ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تُهَانَ فَاخْشُنْ، وَمَنْ كَرُمَ أَصْلُهُ لَانَ قَلْبُهُ، وَمَنْ خَشِنَ عُنْصُرُهُ غُلِظَ كَبِدُهُ، وَمَنْ فَرَطَ تَوَرَّطَ، وَمَنْ خَافَ الْعَاقِبَةَ تَثَبَّتَ عَنِ التَّوَعُّلِ فِيمَا لَا يَعْلَمُ، وَمَنْ هَجَمَ عَلَى أَمْرٍ بَغَيْرِ عِلْمٍ جَدَعَ أَنْفَ نَفْسِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ لَمْ يَفْهَمْ، وَمَنْ لَمْ يَفْهَمْ لَمْ يَسْلَمْ، وَمَنْ لَمْ يَسْلَمْ لَمْ يُكْرَمْ، وَمَنْ لَمْ يُكْرَمْ يُهْضَمْ، وَمَنْ يُهْضَمْ كَانَ الْوَمَ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ كَانَ آخَرَى أَنْ يَنْدَمَ»^(١).

لقد بيّنت هذه الرواية حال الجاهل فقالت: «وَبَيِّنَ الْمَرْءِ وَالْحِكْمَةَ نِعْمَةُ الْعَالِمِ، وَالْجَاهِلُ شَقِيٌّ بَيْنَهُمَا» لا يظفر بالحكمة وهو محروم من النعمة لهذا يعيش شقوة التخبط، ويرتكس في الخطأ في قوله وسعيه، ولا يلتفت إلى الخلل في منهجه، وإنما تراه مصراً على باطله، مستمرّاً في تنزيه نفسه وتطهيرها من السوء، ورمي غيره بكل كبيرة وفجور وعظائم الأمور!

لهذا تقول الرواية: «وَالْجَاهِلُ خَتُورٌ» أي غادر لا يؤمن له جانب؛ لأن جعله يجعله متقلّباً لا يستقرّ على المبادئ والقيم، والصدق في القول والأمانة في النقل، والعدل في الخصومة.

إن من يريد أن ينصب نفسه ميزاناً للعلماء، ويمايّز بينهم على أساس من الوعي والمهنة المنضبطة، عليه أن يتّصف بصفيتين أساسيتين:

(١) الكافي: ١: ٢٦ و ٢٧، الحديث ٢٩.

الأولى : العلم ، فالعالم لا يقيّمه الجاهل ، والفاقد للبصر لا يمكن أن يحدّد أي الطرفين أقوى حدّة في بصره ، وبالتالي لا يمكن للشاعر أو المزارع أن يقيم علماء الدين ، ويحدّد من هو الجدير بلفظ العالم ومن هو الأجدر ، والجاهل بشكل عام « خُتُوْرٌ » لا يعوّل على حكمه في حقّ العلماء وغيرهم .

الأمانة ؛ إذ ينبغي على من يريد التقييم أن يتجرّد عن خصوماته الشخصية ، فإنّ تدخّل (الأنا) ونزاعاتها من مهالك الحكم على الآخرين ، فكم رأينا أشخاصاً كانوا يحترمون آخرين ، ولكن بسبب مواقف شخصية أو ترتبط بالمبدأ ، تغيّرت نظرتهم وصاروا أنصاراً لأعدائهم ومخالفينهم أضعافاً لمن كانوا محبوبين عندهم ، من غير ذنب كان منهم إليهم ، وعدل أفضاه الخصوم فيهم ، وإتّما لبغض نفسيّ جعل المحبّ يغيّر مساره ويتموضع في الموضع المقابل .

وقد نقل لنا التاريخ تجرّد بعض القادحين في الناس عن الأمانة ، واتّخاذهم مواقف سلبية بسبب خلافات شخصية ، فهذا الذهبيّ في سير أعلام النبلاء^(١) يتحدّث عن تضعيفات المخالفين لبعضهم البعض فيقول : « لسنا ندّعي في أئمة الجرح والتعديل العصمة من الغلط النادر ، ولا من الكلام بنفس حادّ فيمن بينهم وبينه شحنة وإحنة ... » .

وذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب^(٢) في ترجمة الزهريّ عن الساجي : « أنّ الزهريّ وثّقه جميع أهل العلم إلّا مالك ، ويقال : أنّ السبب في ذلك أنّ الزهريّ نصّح مالك فوجد عليه ، فلم يرو عنه » .

أنّ ما نشاهده في حياتنا من وجود أشخاص كانوا يمدحون أشخاصاً آخرين ويجعلونهم في الرفعة فوق الثريّ ، ولكن لما أن اختلفوا في موقف ما كانوا فيه على

(١) سير أعلام النبلاء : ٧ : ٤٠ .

(٢) تهذيب التهذيب : ٣ : ٤٠٢ .

غير الصواب ، ونصحهم المحبوبون بترك السلوك الخطأ تبدل الحب بغضاً والذم مدحاً في مدّة وجيزة جداً ، يثير الريب في منطلقات القدح ، والاصطفاف مع خصومه أو التيارات التي تنال منه ، وهذا أمر واضح للمتابع الواعي وهو لا يزيد التيارات المتقلّبة في المواقف إلا سقوطاً وانتكاساً .

وإذا رجعنا إلى رواية الأمير عليه السلام التي تتحدّث عن الفقيه حقّاً سوف نجد أنّها تنطبق على مراجعنا العظام ، وفي مقدّماتهم الشيخ الوحيد الخراساني (حفظه الله) ، والسيد السيستاني (حفظه الله) ، والسيد محمد سعيد الحكيم (حفظه الله) ، وأقرانهم من الأعاظم ، فهم في العلم والعمل يذكرون بالله تعالى واليوم الآخر ، تذكيراً يستند إلى تاريخ حافل بالجدّ والبحث والجهاد الجوانحيّ والجوارحيّ حتّى بلغوا مراتب العلم والتقوى العالية ، وصاروا نواب الإمام الحجّة عليه السلام بالنيابة العامة ، وفي الرواية : عن أحمد بن حاتم بن ماهويه ، قال : « كَتَبْتُ إِلَيْهِ - يَعْنِي أَبَا الْحَسَنِ الثَّالِثَ عليه السلام - أَسْأَلُهُ عَمَّنْ أَخَذَ مَعَالِمَ دِينِي ، وَكَتَبَ أَخُوهُ أَيْضاً بِذَلِكَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمَا : فَهَمْتُ مَا ذَكَرْتُمَا ، فَاصْمِدَا فِي دِينِكُمَا عَلَى كُلِّ مُسْنٍّ فِي حُبِّنَا ، وَكُلُّ كَثِيرِ الْقَدَمِ فِي أَمْرِنَا ، فَإِنَّهُمَا كَأَفْوَكَمَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى » ^(١) .

ومضمون هذه الرواية مضمون عقلائيّ ؛ إذ الخبرة لا تكتسب عادة دفعة ، وإنّما يتدرّج فيها الباحثون ، وكلّما طال التراكم الزمنيّ ازدادت الخبرة . نعم ، قد يتفوّق البعض سريعاً بسبب مواهبه الخاصّة وعبقريّته المبكّرة ، إلّا أنّ هذه حالات نادرة لا توجب رفع اليد عن الضابطة العقلانيّة العامّة ، لهذا نقول بقطع النظر عن سند الرواية ، فإنّ عبارة : « وَكُلُّ كَثِيرِ الْقَدَمِ فِي أَمْرِنَا » توافق المرتكز العقلائيّ .

إنّ جميع العلماء في معارف الدين يتفقون على حرمة حرف الناس عن الدين ورجاله ، وتشويه مكانة المراجع باسم التنوير ، ويدركون أنّ هذه المفردة مستورة

(١) وسائل الشيعة : ٢٧ : ١٥٢ ، الباب ١١ من أبواب صفات القاضي ، الحديث ٤٥ .

من ثقافة خاصة لا تنطبق على واقعنا المسلم ، ففي القرن الثامن عشر في أوروبا وجدت ردة فعل عنيفة اتّجاه الكنيسة والدين ورجاله ، أفرزت تياراً مناهضاً للدين الكنسيّ داعياً إلى استخدام العقل ، ورفض الخرافة والوهم ، والطواغية العمياء لرجال الدين ، فولّدت في هذه الظروف مفردة التنوير التي أجاب إيمانويل كانط عن السؤال عن مفهومها بقوله : «إنّه خروج الإنسان عن مرحلة القصور العقليّ وبلوغه سنّ النضج أو سنّ الرشد» .

وتحدّث عن القصور العقليّ بأنّه : « التبعية للآخرين ، وعدم القدرة على التفكير الشخصي ، أو السلوك في الحياة ، أو اتّخاذ أي قرار ، بدون استشارة الشخص الوصي علينا » .

وهكذا توالى من ذلك الزمان صرخات التنويريين قائلة : « اعملوا عقولكم أيّها البشر ! لتكن لكم الجرأة على استخدام عقولكم ! فلا تتواكلوا بعد اليوم ، ولا تستسلموا للكسل والمقدور والمكتوب ، تحرّكوا وانشطوا وانخرطوا في الحياة بشكل إيجابي متبصر ، فالله زودكم بعقول وينبغي أن تستخدموها » .

وهذه الدعوات بهذا المقدار لا تتنافى مع الدين الحقّ ما دامت تقتصر على الدعوة إلى النهوض بالعقل والوعي ليكون الفرد والمجتمع عقلياً في منطلقاته ، غير أنّ في وسط التنويريين من توهم أنّ الخروج من أغلال الكنيسة لمّا كان تنويراً فهذا يعني أنّ الخروج عن تعاليم أي دين هو التنوير ، ومواجهة كلّ الدعاة إلى التدين هو التحرّر الحسن المطلوب الذي فيه كرامة الإنسان ورفعته ، وهذا ما تكرّس جلياً في دولة بروسيا لاحقاً .

ولا يخفى أنّ جملة من دعاة التنوير اصطبغت دعواتهم بالنزعة الماديّة ، ومن هؤلاء فولتير ومونتسكيو وفونتانييلي كمبشرين ، ولوك ونيوتن وديفيد هيوم ، ولاننسي الأب الروحيّ للنزعة الحسيّة فرانسس بيكون ، وهكذا تحوّل الدين - خصوصاً عند التنويريين الشيوعيين - إلى خرافة بالمطلق مع الوقت ، فتصدّى لهم

التنويريون الحقيقيون وهم المتدينون الذين يرون أنَّ سلطنة العقلانية لا تعني الانفلات ورفض ما يحكم به العقل الصريح في مسألة المبدأ والمعاد، والنظرة إلى الكون واليوم الآخر، والوحي والنبوة، والعلاقة بين الإله المحيط بكل شيء في قدرته وعلمه وحكمته، وبين الإنسان المحتاج في محدوديته إلى مصباح شريعة علام الغيوب، وكان في مقدمة المتصدين للتنويريين المنحرفين علماء الدين الشيعة باعتبار أنهم ينهلون من مصادر الحقيقة، ويملكون فكراً متوازياً يحفظ حرّية الإنسان وكرامته، ولكن في طول حقّ الله تعالى.

والعلماء يختلفون في تخصّصاتهم، فبعضهم متخصّص في الفلسفة، وبعضهم في العقيدة والكلام، وبعضهم في التفسير، وبعضهم في القانون الشرعي، ولكنّ الكلّ من موقعه سعى جاهداً لحفظ تراث أهل البيت (عليه السلام)، وتوجيه الإنسان بنور الدين وتنويره بمعارفه، في مقابل الانحلال وتذويب الدين، وجعل الهوى والنزعات النفسانية مشرّعة ومقنّنة في عرض الحقّ تعالى أو بدلاً عنه.

نعم، كان دور بعض العلماء أكثر تأثيراً بسبب طبيعة التحدّيات المختلفة من حيث الكيف والكمّ، ولا ننسى في هذا المجال دور العلامة الطباطبائي (رحمته الله) فهو من رواد التجديد والتطوير، وعلى نهجه ومنواله سار الشهيدان السعيدان المطهريّ والصدر وجملة من الأكابر في حوزتي قم المقدّسة والنجف الأشرف.

ومسيرة التجديد ما زالت متطوّرة مستمرة، ولكن ضمن القواعد الشرعية التي أسّسها الشارع، أو أمضى مرتكز العقلاء فيها، وهي لا تكون بالادّعاء والهوى والانهازم للأطروحات الحديثة التي لا تمتّ إلى الشارع بصلة.

فالدين الإسلامي لم يكن خرافياً يستند إلى الجهل ومقابلاً للعلم والعقل لكي نكون بحاجة إلى استيراد التجربة العلمانية والليبرالية من التنويريين في الغرب، لنصل إلى مرحلة تحييد الدين وإقصائه عن جميع شؤون الحياة، ليكون مجرد تجربة روحية خاصّة فردية لا تُعنى بالأمة في جميع مفاصلها، وإنّما هو نظام الروح

والبدن للفرد والمجتمع ضمن فاعلية متحرّكة قابلة للانبساط على جميع الظروف ،
وتبقى طريّة مع تعاقب السنين والعقود والقرون ؛ لأنّها تتناغم مع العقل والفطرة ،
وتستند إلى تشريع الحكيم المطلق تعالى .

غير أنّ هذا الدين عميق متين ينبغي الوغول فيه برفق ، ولا يكون ذلك إلا ببصيرة
العقل والعلم ، ولهذا أمرنا المعصومون بالرجوع في زمن الغيبة إلى المتخصّصين
وكلّ كثير القدم في هذا الدين ، فإنّ الثقة المفرطة بالنفس والغفلة عن المؤهّلات غير
الكافية ، وعوامل أخرى - كحبّ الظهور والشهرة - قد تجعل غير الأهل يعتقد في
نفسه بالأهليّة فيزجّ بها في غير موضعه فتكون عواقب سعيه سيئة ، فيضلّ عن سبيل
الله ، ويضلّ معه البسطاء اغتراراً بدعواه في نفسه ، أو تزكية من كان في الجهل مثله ،
وقد قال الإمام الكاظم عليه السلام : « إِنَّ الْعَاقِلَ اللَّيِّبَ مَنْ تَرَكَ مَا لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ »^(١) .

(١) تحف العقول : ٣٩٩ .

الفصل الخامس عشر

اجتماعيات

ثقافة الاختلاف

(١) المحاضرة الأولى

ثقافة الاختلاف بين المؤمنين

روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال : « عَظُّمُوا أَصْحَابَكُمْ وَوَقَرُّوهُمْ ، وَلَا يَتَجَهَّمْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، وَلَا تَضَارُّوا ، وَلَا تَحَاسَدُوا ، وَإِيَّاكُمْ وَالْبُخْلَ ، كُونُوا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ » (٢) .

آمنّا بالله ، صدق مولانا الإمام الباقر (عليه صلوات الله وسلامه عليه) موضوعنا سوف يكون حول الموقف مع المخالف الذي يختلف معنا في بعض قضايا الدين ، وحيث إنّ هذا الموضوع فيه جهات كثيرة ، ولا يمكن أن نتطرق إليها جميعاً في محاضرة واحدة ، فسوف يقع حديثنا في ثلاث محاضرات :
المحاضرة الأولى : في ثقافة الاختلاف مع المؤمن ، أو الموقف من المؤمن ، إذا اختلف معنا في بعض المسائل .

المحاضرة الثانية : في الموقف من المخالف لنا في أصول الدين ، أو أصول الإسلام ، وهو الكافر .

المحاضرة الثالثة : في مصالح الإسلام العامة ، وعوامل التنسيق العملي بين

(١) محاضرة لسماحة الشيخ حيدر السندي (حفظه الله) أُلقيت بتاريخ ١٠ / ٥ / ١٤٣٥ هـ .

(٢) الكافي : ٢ : ١٧٣ ، الحديث ١٢ .

مذاهب الإسلام، أو في الموقف اتّجاه المسلم الذي لا يجتمع معنا في الإيمان بإمامة أهل البيت عليه السلام.

وفي هذه المحاضرة نتعرّض لثقافة الاختلاف بين المؤمنين، لنجيب على هذا السؤال:

ما هو الموقف الذي ينبغي أن نتّخذه اتّجاه المؤمن إذا اختلف معنا في بعض مسائل الدين؟

وكلامنا في جواب هذا السؤال الذي يمكن ان يعنون بعنوان (ثقافة الاختلاف بين المؤمنين) سوف يكون ضمن نقاط ثلاث:

النقطة الأولى: في تقسيم المخالف.

النقطة الثانية: في بيان موقف الليبرالي من هذا التقسيم وتقييمه.

وهاتان النقطتان بمثابة التمهيد لموضوع هذه المحاضرة والمحاضرتين الآتيتين إن شاء الله.

النقطة الثالثة: في بيان الموقف اتّجاه المؤمن عند الاختلاف معه.

النقطة الأولى

تقسيم المخالف

قسّم علماؤنا المخالف الذي يختلف معنا في بعض مسائل الدين إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: هو الذي يختلف معنا في أصول الإسلام، وهو الكافر.

فإنّ الكافر من ينكر أصول الإسلام، أو ينكر أصلاً من أصول الإسلام، والأعلام اختلفوا في تحديد أصول الإسلام، وقدّمت نظريّات نذكر ثلاث:

النظرية الأولى: هي التي تقول أصول الإسلام أربعة: التوحيد، النبوة، المعاد، وضرورات الإسلام، والمقصود بضرورات الإسلام تلك القضايا التي تعلم من الإسلام بالبداية، فكأنها لوضوح ثبوتها في الإسلام، وسهولة التعرف عليها، نزلت منزلة البديهيّات والضروريّات.

فإن أي شخص عنده ثقافة - ولو متواضعة - عن الدين الإسلامي يعلم بمثل وجوب الصلاة ووجوب الحج، فوجوب الصلاة من ضروريّات الدين، من المسائل الواضحة.

النظرية الثانية: هي التي تقول: أصول الإسلام ثلاثة فقط: التوحيد، النبوة، المعاد، ما عدا هذه الأصول الثلاثة إن كان إنكاره لشبهة لا يعود إلى إنكار أحد هذه الأصول الثلاثة، فهذا الإنكار لا يوجب الخروج من الدين، أمّا إذا كان الإنكار لا لشبهة، أنكر وجوب الصلاة لا لشبهة بل تكذيباً للنبي ﷺ، هنا يكون إنكاره للصلاة موجباً لكفره، لا لأنه أنكر الصلاة، بل لأن إنكاره للصلاة مستلزم لإنكار أصل من أصول الدين وهو النبوة، وهذا يجري في الضروريّات وغيرها.

النظرية الثالثة: هي النظرية التي تقول: أصول الإسلام منحصرة في أصليْن فقط: التوحيد، والنبوة، وأمّا المعاد فهو كسائر القضايا، إذا أنكره الإنسان لا لشبهة، وكان إنكاره يستلزم التكذيب بالتوحيد أو بالنبوة، يكون إنكاره مخرجاً عن الإسلام، أمّا إذا أنكره لشبهة، شخص الآن حديث العهد بإسلام عرض عليه التوحيد والنبوة فتشهد الشهادتين، فهو ليس كافراً خلافاً للنظرية السابقة.

وذهب إلى هذه النظرية المرحوم الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر رحمته الله.

هذا هو القسم الأول من المخالف الذي يخالفنا في أصول الإسلام.

القسم الثاني: هو الذي يوافقنا في أصول الإسلام ولكن يخالفنا في أصول الإيمان أصول الهداية، كإمامة أهل البيت عليهم السلام، فإن الذي يعتقد بأصول الإسلام

وينكر الإمامة عندنا مسلم؛ لأنه واجد لأصول الإسلام ولكن ليس مؤمناً مهتدياً، هذه عقيدة الشيعة، فالشيعة يعتقدون أن ولاية أهل البيت عليهم السلام من أصول الإيمان، «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْ إِمَامَ زَمَانِهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»^(١).

أصول الإيمان قد يطلق عليها اسم أصول الدين، لهذا جملة من علمائنا كتبوا كتباً في أصول الدين، وعدّوا الإمامة ضمن أصول الدين، فماذا يقصدون من كون الإمامة من أصول الدين؟

كلمة الدين إذا أطلقت لها معنيان:

المعنى الأول: الإسلام في مقابل الكفر، فإذا قيل: أصول الدين بمعنى أصول الإسلام فالمقصود منها التوحيد والنبوة والمعاد، أو التوحيد والنبوة فقط، على الاختلاف بين الأعلام.

المعنى الثاني: الجزاء، ومن ذلك المقولة المشهورة (كما تدين تدان)، أي كما تجازي تجازي، الباري تبارك وتعالى لا يجب عليه أن يثيب أحداً من العباد الذين يطيعون الله تبارك وتعالى لا يجب عليه أن يثيبهم، وفعلهم و ما يقدرهم كلفه ملك الله تبارك وتعالى، لا توجد معاوضة بين العبد وبين الله تبارك وتعالى، العبد لا يعطي الله شيئاً لكي يستحق منه تعالى مقابلاً، العبد وما يملك لمولاه.

فالثواب ليس واجباً على الله تعالى. نعم، أوجب على نفسه الثواب من خلال الوعد، والله تبارك وتعالى لا يخلف الميعاد، خلف الوعد قبيح، والباري تعالى لا يخلف الميعاد، من هنا في يوم القيامة يأتي عباد يستحقون على الله تبارك وتعالى الثواب، ولكن من باب الوعد الإلهي لأنه تعالى وعد بالثواب.

السؤال: من الذي وعده الله تبارك وتعالى بالثواب؟

هل وعد الله تبارك وتعالى كل إنسان حتى الكافر؟ هل وعد الله تبارك وتعالى

(١) كمال الدين: ٢: ٤٠٩.

كلّ مسلم حتّى الذي لا توجد عنده أركان الإيمان؟

القرآن الكريم يجيب على هذا السؤال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(١) الموعود هو المؤمن ، فالذي يستحقّ الجزاء المؤمن ، حيث إنّ الإيمان شرط من شروط الجزاء ، والجزاء في اللغة يطلق عليه الدين ، فيقال: شروط الإيمان شروط للدين ، أركان الإيمان أركان للدين ، أصول الدين ، ولكن أصول للدين بمعنى أصول للإيمان الذي هو شرط لقبول اعمال ، أو شرط لصحة الأعمال ، أو شرط لتحقيق وعد الله تبارك وتعالى بالثواب في يوم القيامة .

هذا هو القسم الثاني من المخالف .

القسم الثالث: هو الذي يتفق معنا في أصول الإسلام ، ويتفق معنا في أصول الإيمان ، ولكن يختلف معنا في بعض القضايا التي لا تعود إلى أصول الإسلام ولا إلى أصول الإيمان ، وموضوعنا في هذه المحاضرة حول الموقف اتّجاه هذا القسم من المخالف لنا .

النقطة الثانية

بيان موقف الليبراليّ من هذا التقسيم وتقييمه

الليبرالية توجّه ينطلق من الإنسان نفسه ، هناك جماعة يقولون نحن ينبغي أن نراعي الإنسان بما هو إنسان ، فنجد ما يناسب الإنسان بما هو إنسان نقبله ، والذي لا يناسب الإنسان بما هو إنسان ، وإنّما يناسب الإنسان إذا تلوّن بلون خاصّ - كأن يكون مثلاً من منطقة جغرافية معيّنة ، أو من عرق معيّن ، أو ينتمي إلى دين معيّن - فهذا لا نقبله ، ولذا وضعوا لأنفسهم قاعدة قالوا: أي قانون يشرّع ينبغي أن يكون

(١) المائدة ٥: ٩ .

ذلك القانون منطلق من الإنسان بما هو إنسان يلبي حاجة الإنسان بقطع النظر عن أي عنوان آخر، مثل قانون العدل والمساواة، وقانون الحرية، هذه قوانين تطلبها الطبيعة الإنسانية بما هي طبيعة، مثل هذا القانون قبله، أما إذا شرع قانون للإنسان بما هو - مثلاً - أوروبي يراعى فيه الجغرافيا، أو شرع قانون ولوحظ فيه العرق - كأن يكون من نسل إسرائيل - أو شرع قانون ولوحظ فيه الاعتقاد، وكون الإنسان مسلماً، فهذا القانون نرفضه لأن الاعتقاد والفكر والثقافة هذه حريات شخصية لا تندخل فيها، كل واحد يفكر كما يريد، ويعتقد بالطريقة التي يريد، وليس من حق أحد أن يتدخل في معتقد الإنسان ثم يصنف الناس على حسب معتقدهم، ويرتب أحكام على حسب توجههم ونظريتهم، ولهذا جماعة من الليبراليين لم يقبلوا هذا التقسيم الذي ذكرناه في النقطة الأولى، أي تقسيم علمائنا للناس إلى كافر ومسلم غير مؤمن، وإلى مسلم مؤمن.

في مقام التعليق على التوجه الليبرالي حول هذا التقسيم لا بد أن نلتفت إلى نقطة وهي: أن هناك خلافاً جوهرياً بين الفكر الإسلامي والفكر الليبرالي.

الفكر الإسلامي ينطلق من ثبوت توحيد التشريع لله تبارك وتعالى لهذا هو يقبل التقسيم؛ لأن هذا التقسيم لم يأت به العلماء جزافاً، بل هو من منشأين:

المنشأ الأول: القرآن الكريم، فالقرآن الكريم قسم الإنسان إلى مسلم وغير مسلم ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (١).

القرآن الكريم قسم الإنسان إلى مؤمن وغير مؤمن أيضاً، قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (٢).

(١) البينة ٩٨: ٦ و ٧.

(٢) الحجرات ٤٩: ١٤.

المنشأ الثاني: هو أنَّ المتخصّصين في القانون الشرعيّ الفقهاء وجدوا أنَّ في الشرع مجموعة من الأحكام تختلف باختلاف هذه العناوين ، عندنا أحكام تترتب على المسلم ، بمجرد أن يثبت عنوان الإسلام تترتب هذه الأحكام وإن لم يثبت عنوان الإيمان ، إذا ارتفع عنوان الإسلام تترفع هذه الأحكام ، في رواية الفضيل بن يسار يقول الإمام الرضا عليه السلام : « **وَالْإِسْلَامُ مَا عَلَيْهِ الْمَنَاحِحُ ، وَالْمَوَارِيثُ ، وَحَقُّ الدِّمَاءِ** »^(١).

هناك أحكام المناكح والمواريث وحقن الدماء ، أي كون الدماء محترمة ، هذه الأحكام تترتب على الإسلام .

وفي رواية أخرى يقول الإمام الصادق عليه السلام : « **الْإِسْلَامُ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَالتَّصْدِيقُ بِرُسُولِ اللَّهِ ﷺ ، بِهِ حُقِنَتِ الدِّمَاءُ ، وَعَلَيْهِ جَرَتِ الْمَنَاحِحُ وَالْمَوَارِيثُ ، وَعَلَى ظَاهِرِهِ جَمَاعَةُ النَّاسِ** »^(٢).

فهناك أحكام موضوعها الإسلام ، وهناك أحكام موضوعها الإيمان ، حتّى إذا كان الإنسان مسلماً لا تترتب عليه ، لا بدّ أن يكون مؤمناً ، مثلاً : منصب الإفتاء والقضاء يشترط في القاضي أن يكون مؤمناً ، وفي المرجع أن يكون مؤمناً ، ومسألة الاقتداء في الصلاة لا يجوز الاقتداء إلاّ بالمؤمن ، ومسألة مستحقّي الزكاة والخمس يشترط في الفقير الذي نعطيّه الزكاة أو الخمس أن يكون مؤمناً ، ومسألة النيابة النائب في الحجّ أو النائب في قضاء العبادات لا بدّ أن يكون مؤمناً .

مثلاً : في القضاء يقول الإمام الصادق عليه السلام في صحيحة أبي خديجة : « **إِيَّاكُمْ أَنْ يُحَاكِمَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً إِلَى أَهْلِ الْجَوْرِ ، وَلَكِنْ أَنْظَرُوا إِلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ - يَعْنِي إِلَى مُؤْمِنٍ شِيعِيٍّ يَنْتَمِي إِلَيْكُمْ - يَعْلَمُ شَيْئاً مِنْ قَضَايَانَا فَاجْعَلُوهُ بَيْنَكُمْ ، فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُهُ قَاضِياً ،**

(١) بحار الأنوار : ٦٥ : ٢٥٠ ، الحديث ١٠ .

(٢) الكافي : ٢ : ٢٥ ، الحديث ١ .

فَتَحَاكَمُوا إِلَيْهِ»^(١).

في مسألة الزكاة توجد رواية تسمى بصحيحة الفضلاء ، سئل فيها الصادقان عليهما السلام عن رجل كان من بعض هذه الأهواء - يعني لم يكن شيعياً - ثم تاب وعرف هذا الأمر وحسن رأيه ، فهل يجب عليه أن يعيد كل صلاة صلاها والحج والزكاة ؟ فأجابا عليهما السلام : لا يجب عليه إعادة شيء من ذلك «إِلَّا الزَّكَاةَ ، فَإِنَّهُ يُعِيدُهَا ؛ لِأَنَّهُ وَضَعَهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا ، وَإِنَّمَا مَوْضِعُهَا أَهْلُ الْوَلَايَةِ»^(٢).

الفقهاء لما وجدوا أنَّ الأحكام تختلف باختلاف هذه العناوين اهتموا ببيان هذه العناوين وبيان حدودها لكي يحددون لنا الحكم الشرعي من خلال تحديد موضوعه .

إذن هذا التقسيم لم يأت به العلماء من عندهم ، بل أتوه من قبل الله تعالى ، فالله تعالى هو الشرع ، مقتضى توحيد التشريع أن نقبل هذا التقسيم ، والليبرالي الذي لا يقبل أنما لا يقبل لأنه يختلف معنا في توحيد التشريع .

معنى توحيد التشريع :

وبيان توحيد التشريع يتوقف على ذكر أمور ثلاثة :

الأمر الأول : أن نعتقد أنَّ لهذا العالم خالقاً ، وأنه عالم حكيم ، وأنَّ هذا

الخالق إذا وضع قانوناً هو أفضل قانون من غيره ؛ لأنه حكيم ولأنَّه أعلم .

الأمر الثاني : أن نعتقد بأنَّ هذا الخالق له حق علينا ، وهو حق أن نخضع له

ونطيع ؛ لأنه أخرجنا من العدم إلى الوجود ، فلولا تفضله لكنا عدم ، فهو المالك علينا فله حق أن يطاع ، ويخضع له ، قال تبارك وتعالى : ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ

(١) وسائل الشيعة : ٢٧ : ١٣ ، الباب ١ من أبواب صفات القاضي ، الحديث ٥ .

(٢) وسائل الشيعة : ٩ : ٢١٧ ، الباب ٣ من أبواب المستحقين للزكاة ، الحديث ٣ .

الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ ﴿١﴾.

الأمر الثالث: هو الاعتقاد بأن هذا الإله الذي خلق الخلق، وأخرجهم من العدم، والذي له حق أن يُطاع، قد شرع للخلق شريعة، الله تبارك وتعالى لما خلقنا لم يتركنا لأنفسنا نضع لأنفسنا القوانين، ونحدد علاقاتنا كيف نشاء، بل الله سبحانه وتعالى تفضل علينا بإنزال القوانين والكتب، وإرسال الرسل، وبعثة الأنبياء، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (٢).

إذا اعتقدنا بهذه الأمور الثلاثة لا بد وأن نقبل هذا التقسيم الذي أخبر به القرآن لأنه جاء من الله تعالى الأعلم والأخبر، والله تبارك وتعالى يجب أن يخضع له ويُطاع. إذن لا بد وأن نقبل هذا التقسيم ونخضع لما يترتب عليه من أحكام، وهذا ما يقتضيه العقل الإنساني السليم.

الليبراليون يتمسكون بالعقلنة، والذي قلناه من وجوب الخضوع للمالك المطلق هو ما يقتضيه العقل، العقل الإنساني يقول: إذا وجد قانون وضعه أحكم الحاكمين، ودار الأمر بين أن نعمل به وأن نعمل بقانون وضعه غيره، نعمل بالقانون الذي وضعه أعلم العالمين وأحكم الحاكمين.

الليبرالي الذي لا يريد هذا التقسيم، أو يعترض على أحكام الإسلام الأخرى، إما أن يقبل هذه الأمور الثلاثة فيقر حينئذ بشريعة الإسلام، أو يخالف في هذه الأمور الثلاثة. مثلاً: يختلف معنا في الأمر الأول يقول: لا أقبل هذا التقسيم الثلاثي لأنني لا أعتقد بوجود خالق، فحينئذ نحن لا ينبغي أن نبعد المسافة معه، ونناقش في وجه حكمة هذا التقسيم، بل علينا أن نجعل الحوار حول وجوب خالق!!

(١) غافر ٤٠: ١٦.

(٢) الحديد ٥٧: ٢٥.

وإذا كان يقبل وجود خالق، ولكن لا يقبل الأمر الثاني يقول: هذا الخالق لا حق له، إذا شرع لا يجب علينا أن نلتزم بتشريعه، حينئذٍ ينبغي أن نناقش معه في أن الله تعالى حقاً أو لا؟ العقل يقول لا يمكن التفكيك بين أن تعتقد بوجود خالق أخرجك من العدم إلى الوجود، وبين أن تعتقد بأن لذلك الخالق حقاً ويجب أن يُطاع.

وإذا كان يعتقد بالأمر الأول والثاني ولكن ينكر الأمر الثالث، يقول: الله تبارك وتعالى له حق، ولو شرع وجب أن يُطاع، ولكنه هو أوكل الأمر إلينا ولم يشرع، فحينئذٍ يكون النقاش معه في أصل النبوة، هل الله تبارك وتعالى أرسل الأنبياء، أنزل الكتب، شرع لنا أحكاماً، أو لا؟

إذن الخلاف مع الفكر الليبرالي الذي في كل فترة يظهر لنا بإشكال حول تشريع إسلامي هنا أو تشريع إيماني هناك، ينبغي أن يكون في هذا المحور، وهو هل الله تبارك وتعالى حق التشريع فقط أم لا؟ أي النقاش في توحيد التشريع.

النقطة الثالثة

بيان الموقف اتّجاه المؤمن عند الاختلاف معه

ما هو الموقف فيما إذا تحقّق اختلاف فيما بيننا، إذا لم نتفق على فكرة ما هو الموقف الذي ينبغي أن يتّخذه بعضنا اتّجاه البعض الآخر؟
علماؤنا الأعلام يقسمون الذي يظهر الإيمان، ويختلف في بعض المسائل التي نراها حقاً، إلى قسمين:

القسم الأول: الذي يخالف عناداً طلباً للشهرة والمكانة وهو يعلم أن هذه المسألة التي يخالف فيها حق، فيثير مجموعة من الشبهات والإشكالات حتى يحصل على تلك المكانة، أو هو جاهل فيما يدّعي، ويعلم أنه مقصّر غير قاصر.
بعض الناس يدعون التحقيق والتدقيق، وأنهم يريدون أن يحركوا عجلة الفكر،

ويكسروا هذه الصنميّة والنمطيّة، ويطوّروا الفكر الشيعيّ، فيأتون بمجموعة من الأطروحات، لكن سبحان الله هم يرفعون شعار التجديد في الفكر الشيعيّ، ولكن عند تأمل هذا التجديد لا تجد تجديداً تدعيم مسلّمات المذهب، ليس تجديداً في أدلة إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، أو لا تجديداً في دفع شبهات تثار حول عصمة الأنبياء التي هي من مسلّمات الإماميّة، لا تجد عندهم تعميقاً وتأصيلاً في العقائد، وإنّما تجد عندهم مجموعة من الشبهات والإشكاليّات التي ترتبط بالمسلّمات، يأتون بمجموعة من شبهات السلفيّة ويطوّرونها ثمّ يعرضونها على المؤمنين، أو يأتون بإشكالات العلمانيّين والليبراليّين يعيدون إنتاجها أو تطویرها ويعرضونها تحت عنوان تطوير الفكر !!!

التجديد مطلوب ولكن إذا كان في عزة الدين، تثبيت ما هو ثابت قطعاً على نحو اليقين، كالإمامة والعصمة والرجعة، وغيرها من المسائل التي تسالم عليها الشيعة (أعزّهم الله) كابرّاً عن كابر.

والروايات تعرّضت لهذا القسم من الناس وأطلقت عليه اسم أهل الريب والأهواء، وبيّنت الموقف منه.

النبي صلّى الله عليه وآله في صحيحة داود بن سرحان، يقول: «إِذَا رَأَيْتُمْ أَهْلَ الرِّيبِ وَالْبِدْعِ مِنْ بَعْدِي فَأَظْهِرُوا الْبَرَاءَةَ مِنْهُمْ».

هذا هو الموقف الأوّل أن نظهر البراءة منهم، أن نظهر أنّنا لا ننتمي إليهم، وأنّهم في تشكيكاتهم في استهدافهم لمسلّمات الإماميّة لما اتّفق عليه المحقّقون من أهل العلم لا ينتمون إلينا، ثمّ يقول صلّى الله عليه وآله: «وَأَكْثَرُوا مِنْ سَبِّهِمْ، وَالْقَوْلُ فِيهِمْ، وَالْوَقِيعَةُ»^(١).

بعض الناس إذا سمع كلمة السبّ يتبادر إلى ذهنه الكلام الفاحش؛ لأنّه في زماننا

(١) وسائل الشيعة: ١٦: ٢٦٧، الباب ٣٩ من أبواب الأمر والنهي، الحديث ١.

صار السبّ عند البعض يرادف الكلام الفاحش !!

وليس المقصود هنا الكلام الفاحش ، المؤمن ليس فحاشاً ولا يتكلّم بالفحش ، السبّ - كما يقول علماء اللغة - مطلق التنقيص ، أي كلام تقوله بداعي التنقيص في اللغة يسمّى سبّاً .

النبى ﷺ يقول : أظهروا تنقيص هؤلاء ، وأنهم ليسوا من أهل التخصص والعلم ، لم يشهد شاهد لهم في الحوزات العلمية بالتخصص كبراء الحوزة ، ولم يعترف بهم كعلماء محققين من الطراز الأول ، أو إذا شهد لهم أحد فهناك من يعارض شهادته ويقدر به ، وبالتالي ينبغي الحذر منه .

بينوا للناس أنهم ليسوا على المنهج القويم . إنّ هذا من التنقيص الذي يشمل عنوان السبّ ، فان تقول : هذا المدّعي ليس له وزن علمي ، لا يوجد عنده أدوات التحقيق ، هذا ضرب من ضروب التنقيص الذي يقصده النبى ﷺ .

ثم يقول ﷺ : « وَبَاهِتُوهُمْ كَيْلًا يَطْمَعُوا فِي الْفُسَادِ فِي الْإِسْلَامِ ، وَيَحْذَرُهُمُ النَّاسُ ، وَلَا يَتَعَلَّمُونَ مِنْ بَدْعِهِمْ »^(١) .

باب الاجتهاد عندنا نحن الشيعة مفتوح ، والشيعة لا يخافون من الانتقاد ، ومن إثارة أيّ تساؤل يرتبط بأيّ مسألة من مسائل التشيع ، ولكن ينبغي أن تكون تلك الإثارة وفق الموازين العلمية ، ووفق الضوابط المقررة ، كم مسألة خالف فيها السيد الخميني الشيخ الأعظم الأنصاري ، وكم مسألة خالف فيها السيد الخوئي صاحب الكفاية ، ظاهرة الخلاف والنقاش (وإن قلت قلت) ، هذه ظاهرة أصيلة في الحوزة ، نحن أتباع الدليل حيث ما مال نميل ، ولكن نريد خلافاً علمياً وفق دليل علمي ومنهج مستقيم ، ولا نريد مجموعة شبهات وإشكالات تحت عنوان إثارة الفكر وتحريك الساكن ، وكسر النمطية ، وغيرها من الشعارات البراقة التي لا تجد تحتها

(١) وسائل الشيعة : ١٦ : ٢٦٧ ، الباب ٣٩ من أبواب الأمر والنهي ، الحديث ١ .

مضمونها معنى محصلاً.

القسم الثاني: هو الذي يختلف معنا اختلافاً علمياً أو لشبهة بلا عناد.

عنده ضوابط علمية يُشهد له بأنه من أهل التحقيق، اجتهاده أوصله إلى رأي يخالفنا فيه، أو يختلف اختلافاً غير علمي حيث أوقعه جهله في شبهة ولكنه غير مكابر ومعانَد ولا يوجد عنده منهج تشكيكي، ليس من الذين يرفعون شعار التجديد لضرب الدين والمذهب من داخله.

والروايات بيّنت في الموقف اتجاه هذا القسم مجموعة من الأمور:

الأمر الأول: هو وجوب حفظ حقوق المؤمنين.

المؤمن له حقوق، وله حرمة عند الله تبارك وتعالى، حرمة عند الله سبحانه أعظم من حرمة الكعبة، فلا ينبغي أن يكون الخلاف أو الاختلاف الفكري سبب لإسقاط هذه الحقوق، ينبغي أن يبقى الاختلاف الفكري في دائرة الاختلاف الفكري، ولا يتحوّل إلى خلاف شخصي، الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق، يقول: «وَحَقُّ أَهْلِ مِلَّتِكَ إِضْمَارُ السَّلَامَةِ لَهُمْ، وَالرَّحْمَةُ لَهُمْ، وَالرَّفْقُ بِمُسِيئِهِمْ»^(١): إذا أساء أحدهم تكون معه رفيقاً لا تعنّفه.

ثم يقول: «وَتَأْلَفُهُمْ وَاسْتِصْلَاحُهُمْ»: أن تسعى من أجل جمع مواقفهم على موقف واحد، أن تسعى لجمع قلوبهم على توجه واحد، أن تزرع فيما بينهم الأخوة والمحبة.

ثم يقول عليه السلام: «وَتُحِبُّ لَهُمْ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَتَكْرَهُ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ»: لا ينبغي أن نصير الاختلاف الفكري رمحاً نطعن به هذه الحقوق التي أصلها الأئمة عليهم السلام.

(١) بحار الأنوار: ٧١: ٩.

للأسف بعض الناس يختلف معك - مثلاً - في التقليد ، فيحوّل هذه القضية إلى أمّ القضايا ، فيصنّف بها الشيعة ، ويحاول أن يجمع العثرات والأخطاء على الذين يختلفون معه فيها ، إذا اختلفنا في التقليد فكلّ يعمل بتكليفه ، وعلمانا إذا اختلفوا في الفتوى اختلفوا في فعل - مثلاً - هل هو شعيرة أم لا ، هل هذا الفعل مستحب أم لا ؟

فلا ينبغي أن نحوّل هذا الخلاف إلى فُرقة اجتماعية ، من يأتي بهذا الفعل نعتبره محارباً للدين ، أو يريد أن يسقط المرجعية ، أو الذي لا يأتي به نجعله محارباً للدين ، أو يريد أن يسقط المرجعية ، كلّ يعمل بتكليفه ، أنت وثقت بفلان وقد أفتى لك اعمل بفتواه ، غيرك أيضاً له قناعة يعمل بقناعتك ، لا تكن غيرتك على الدين أعظم من غيره الإمام الحجة عليه السلام !!

الإمام هو من وضع الفقهاء حججاً وأمرنا بتقليدهم ، ينبغي أن نعمل وفق التقليد ، ما يقرّره الفقهاء نأخذه ، لماذا نصير الاختلاف الفكري إلى خلاف شخصي ، وندخل المجتمع في نزاعات ، وندخل بكلّ ثقلنا ، وبكلّ ما أوتينا من قوة في إسقاط بعضنا البعض !!

الإمام الباقر عليه السلام يعطينا المنهج الذي ينبغي أن نسير عليه فيما بيننا يقول : « عَظُّمُوا أَصْحَابَكُمْ » : عليكم أن تعظّموا بعضكم البعض ، إذا كان مؤمناً عليك أن تعظّمه لا أن تسقطه ؛ لأنّه يختلف معك في هذه المسألة أو تلك « وَوَقِّرُوهُمْ ، وَلَا يَتَجَهَّمْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، وَلَا تَضَارُّوا ، وَلَا تَحَاسَدُوا ، وَإِيَّاكُمْ وَالْبُخْلَ ، كُونُوا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ » ، فهذا هو الأمر الأول .

الأمر الثاني : هو أن نستثمر هذا الاختلاف في إعزاز المذهب وتقويته .

الاختلاف الفكري أمر طبيعي ، الناس تتفاوت في مستوى الوعي والإدراك ، في قوة العقل ، الناس تتفاوت في مصادر المعرفة ، فلان أخذ ثقافته من الأستاذ

الفلائيّ طبيعيّ أن يكون لأساتذته انطباع على نمط تفكيره، وفلان لم يدرس عند نفس الأستاذ درس عند أساتذة آخرين، ولأولئك الأساتذة أيضاً انطباع خاص على تفكيره، ظاهرة الاختلاف الفكريّ ظاهرة طبيعيّة، المطلوب منّا أن نستثمر هذه الظاهرة الطبيعيّة في تقوية المذهب لا أن نستثمرها في إضعاف المذهب، الاختلاف الفكريّ يكشف عن حيوية هذا المذهب وتطوّره، وأنّه ليس مذهباً جامداً؛ لأنّ باب الاجتهاد مفتوح، فقواعد البحث عندنا تتطوّر وتعمّق ببركة الجهود المتوالية والمتابعة.

هذا اختلاف يعكس وجهاً مشرقاً من وجوه مدرسة أهل البيت عليه السلام، فلماذا نحوله إلى أدوات طعن لتفريق المؤمنين!!

السيد السيستانيّ (حفظه الله) عنده بحث بعنوان أسباب اختلاف الحديث، تطرّق فيه إلى أسباب الحديث وتعرّض إلى أسباب اختلاف الشيعة، فذكر (حفظه الله) أنّ من أسباب اختلاف الشيعة الأئمة عليهم السلام أنفسهم.

الأئمة عليهم السلام قاموا بإيقاع الخلاف بين المؤمنين، ولهم في ذلك أهداف تعود إلى حفظ المذهب وحفظ الشيعة، وقد نقل هذه الرواية وهي موثّقة زرارة، يقول زرارة: سألت عراقيّان أبا جعفر عليه السلام في مسألة واحدة، فأجاب كلّ واحد منهما بجواب غير الآخر، فتعجّبت فقلت: يا بن رسول الله اثنان من شيعتك، لو كان أحدهما شيعيّ والآخر غير شيعيّ لاحتملنا أنّ السبب التقية ولكن كلاهما شيعيّ فلماذا اختلفت الجواب!!

فأجاب عليه السلام: إِنَّ هَذَا خَيْرٌ لَنَا، وَأَبْقَى لَنَا وَلَكُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعْتُمْ عَلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ لَصَدَقَكُمُ النَّاسُ عَلَيْنَا، وَلَكَانَ أَقَلَّ لِبَقَائِنَا وَبَقَائِكُمْ^(١).

وفي رواية أخرى مشابهة لها: عن أبي الحسن عليه السلام، قال: «اِخْتِلَافُ أَصْحَابِي لَكُمْ

(١) الكافي: ١: ٦٥، الحديث ٥.

رَحْمَةً» .

وسئل عن اختلاف أصحابنا ، فقال عليه السلام : «أَنَا فَعَلْتُ ذَلِكَ بِكُمْ ، لَوْ اجْتَمَعْتُمْ عَلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ لَأُخِذَ بِرِقَابِكُمْ»^(١) : لو رآكم الناس جماعة واحدة متآلفة ، وظهرتهم بمظهر الواحد ، سوف تبرزون كثيرين فيخاف منكم أعداؤكم ، ويقصدونكم ويأخذونكم . إذن الأئمة عليهم السلام أثاروا الاختلاف حتى يحافظوا على التشيع ، فنحن لماذا نستعمل هذا الاختلاف للقضاء على الشيعة وإضعافهم !!

الأمر الثالث : الأخلاق الحسنة .

إذا اختلفنا في الفكر لا ينبغي أن نختلف في القلب والموودة والمحبة فيما بيننا ، علينا دائماً أن نتعامل بالخلق الحسن ، نحمل بعضنا بعضاً على الأحسن ، نوجه أفعال بعضنا البعض ، لا نتهم بعضنا البعض في النية والمواقف ، نسد باب التهمة وندفع بالتي هي أحسن ، الأخلاق الحسنة هي الموقف الحقيقي الذي ينبغي أن تبني عليه ثقافة الاختلاف بين المؤمنين .

الإمام الباقر عليه السلام يقول : «إِنَّ أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»^(٢) ، ليس الذي يكون أكثر صلاة ومداومة على الذهاب إلى المسجد أكمل إيماناً ، بل من كان متقياً وأفضل أخلاقاً .

العبادات أفعال محبوبة ومقرّبة ، وتساهم في كمال الإيمان ، ولكن لا قيمة لها إذا كان الإنسان سيئ الخلق مع إخوانه المؤمنين ، قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٣) ، المتقي هو الذي يراعي الحقوق ، ويلتزم بالآداب مع إخوانه المؤمنين ، الرسول ﷺ ذكرت عنده امرأة وأحسن الثناء عليها ، فقال ﷺ : وكيف

(١) علل الشرائع : ٢ : ٣٩٥ ، الحديث ١٥ .

(٢) الكافي : ٢ : ٩٩ ، الحديث ١ .

(٣) المائدة ٥ : ٢٧ .

تعاملها مع جيرانها؟ قالوا: يا رسول الله، هي امرأة تسبّ وتشتّم، فقال ﷺ: لا حاجة لله في صيامها وقيامها.

علاقتنا مع الله تتأثر بعلاقتنا مع إخواننا المؤمنين، لهذا ينبغي أن نهتمّ بحسن الخلق مع الناس؛ لأنّ حسن المعاملة معراجنا نحو مرضاة الله عزّ وجلّ.

المحاضرة الثانية^(١)

الموقف من المخالف في أصول الدين

قال الله العلي العظيم في كتابه الكريم :

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٢)

آمنّا بالله ، صدق الله العلي العظيم

كان موضوعنا ولا يزال حول الموقف من المخالف الذي يختلف معنا في بعض مسائل الدين .

في الليلة الماضية تحدّثنا حول الموقف من الذي يتفق معنا في أصول الإسلام وأصول المذهب وهو المؤمن .

في هذه الليلة نتحدّث حول الموقف من الذي يختلف معنا في أصول الإسلام أيّ الموقف من الكافر ، وكلامنا حول الموقف من الكافر سيكون ضمن نقاط ثلاث :

النقطة الأولى

حكم الكافر في يوم القيامة

أحد المستشرقين كتب مقالاً قال فيه : الدين الإسلامي يحكم على كلّ كافر بأنّه من أهل النار ، واستدلّ على ذلك بمجموعة من الآيات كقوله تعالى : ﴿إِنَّ

(١) محاضرة لسماحة الشيخ حيدر السندي (حفظه الله) أُلقيت بتاريخ ٦ / ١ / ١٤٣٥ هـ .

(٢) العنكبوت ٢٩ : ٤٦ .

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿١﴾، ثم أخذ يشنّع على الدين الإسلامي بأنّ الدين الإسلامي يحتكر الرحمة لأتباعه، ويجعل المغفرة والجنة حكراً على المسلمين، ويقصي الآخر الذي لا ينتمي إلى الإسلام، يحكم عليه بالهلاك وأنه من أهل النار، فهذا الدين لا يريد الرحمة للجميع، ولا يريد النعيم للجميع، وإنما يريد النعيم للمتسبين إليه الذين يتسمون باسمه.

في مقام التعليق على ما ذكره المستشرق نذكر أموراً ثلاثة:

الأمر الأول: من الأمور الواضحة والبيّنة أنّ الأفعال تنقسم إلى قسمين:

هناك أفعال حسنة وهناك أفعال قبيحة، هناك أفعال لها قيمة حسنة يحكم الناس بحسنها بجمالها، كالعدل، ومقابلة المحسن بالإحسان، وردّ الأمانة، وغير ذلك من الأفعال التي يميل إليها الإنسان ويعتبرها أفعالاً حسنة، وفي المقابل توجد أفعال قبيحة، كالظلم، ومقابلة المحسن بالإساءة، وغيرها.

الباحثون واجهوا سؤالاً: ما السبب الذي قسّم هذه الأفعال إلى أفعال حسنة وأفعال قبيحة؟ لماذا هناك أفعال لها قيمة ذات جمال، وأفعال قبيحة ينفر منها الإنسان؟

للإجابة على هذا السؤال قدّمت ثلاث نظريات:

النظرية الأولى: نظرية الأشاعرة.

يقول الأشاعرة: الأفعال في ذاتها لا تتّصف بحسن ولا تتّصف بقبح، الأفعال ليست ملوّنة بلون الحسن والقبح، العدل في ذاته ليس حسناً والظلم في ذاته ليس قبيحاً؛ لأنّ الله تبارك وتعالى أمر بالعدل صار العدل حسناً، ولأنّ الله تبارك

وتعالى نهانا عن الظلم صار الظلم قبيحاً ، ولو أن الله تعالى عكس لانعكس الأمر ، لو أن الله تعالى أمرنا بالظلم صار الظلم حسناً ، ولو نهانا عن العدل لصار قبيحاً .

الأشاعرة يقولون قبل قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(١) ، لا يوجد قبح ولا ظلم ؛ لأن الله تعالى أمر صارت بعض الأفعال حسنة ، ولأنه تعالى نهى صارت بعض الأفعال قبيحة .

النظرية الثانية : هي النظرية القائلة بأن سبب القبح والحسن المصالح والمفاسد . العقلاء وجدوا أن بعض الأفعال تحقق مصالح فاعتبروها حسنة ، ووجدوا أن بعض الأفعال تحقق مفاسد اعتبروها قبيحة .

العدل يحقق مصالح ، بالعدل يتحقق التوازن الاجتماعي ، كل فرد يمكن أن يتكامل من دون أن يكون تكامله على حساب تكامل غيره لهذا اعتبروه حسناً .

الظلم بالعكس ، فهو يوجب تفهقر المجتمع لأنه يقتضي أن يعلو البعض على البعض الآخر ، ويكون التكامل حكراً على جماعة ، وهي الجماعة المستجبرة الظالمة ، ولا يطال التكامل شيء من الطبقة المسحوقة ، فرأوا أن الظلم يجر مفاسد فاعتبروه قبيحاً .

فالأساس في انصاف الأفعال بالحسن والقبح هو المصالح والمفاسد ، الفعل الذي يجلب مصلحة حسن ، والفعل الذي يجلب مفسدة قبيح .

النظرية الثالثة : نظرية القبح والحسن الذاتيين والمضموميين .

الأفعال في ذاتها تتصف بالحسن والقبح ، العدل في ذاته حسن بقطع النظر عن حكم الله تبارك وتعالى ، أمر بالعدل أو لم يأمر ، والظلم في ذاته قبيح بقطع

النظر عن المفسد والمصالح ، سواءً كان الظلم يجلب لك مفسدة أو مصلحة ، هو في ذاته قبيح ، وهذه النظرية ذهب إليها أكابر علمائنا كالعلامة الحلبي في نهج الحق ، والشهيد الصدر في بحوثه .

هناك أثر يختلف باختلاف هذه النظريات :

على النظرية الأولى التي تقول أنّ سبب الحسن والقبح الأمر والنهي ، نواجه السؤال التالي :

هل أفعال الله تعالى تتصف بالحسن والقبح أو لا تتصف ؟

الجواب : لا تتصف ؛ لأنّ النظرية الأولى تقول : العبد إذا أمر بفعل يكون الفعل بالنسبة إليه حسن ، إذا نهى عن فعل يكون الفعل بالنسبة إليه قبيح ، الباري تبارك وتعالى هل هو مأمور بفعل أو منهي عن فعل ؟ الباري تبارك وتعالى هو الذي شرّع الأحكام وأمر ونهى ولا يوجد من له صلاحية أن يأمر الله تبارك وتعالى أو ينهى الله عزّ وجلّ .

وكذلك على النظرية الثانية أفعال الله ليست خاضعة للحسن والقبح ؛ لأنّ النظرية الثانية تقول : إذا كان للفعل مصلحة فهو حسن ، إذا كنت تنفع من الفعل يكون حسناً وإلا إذا كان له مفسدة فهو قبيح ، الباري تعالى هل ينتفع بمصلحة أو يستفيد من فعل ؟ الباري تبارك وتعالى غني مطلق ، الباري تبارك وتعالى هل يتضرر بفعل أو هناك فعل يترتب عليه ضرر للذات المقدسة ؟ الباري تعالى هو القاهر فوق عباده ، هو القاهر عزّ وجلّ ولا يقهره شيء ، حيث لا مصالح ولا مفسد في ساحته تبارك وتعالى ، فبناءً على النظرية الثانية أفعال الله تعالى لا تتصف بالقبح والحسن .

أمّا بناءً على النظرية الثالثة العدل هو في ذاته حسن ، سواءً صدر من الله تعالى أو من المخلوق ، الظلم بالنسبة إلى ذاته قبيح ، لا يمكن أن نفكك بين الذات وبين ذاتياته ، الظلم سواءً صدر من العبد أو من الله - معاذ الله - سوف يكون قبيحاً .

أي النظريات هي الصحيحة ؟

اختلف الباحثون ، واختار المحققون النظرية الثالثة ، وذكروا أدلة معمقة نكتفي بذكر دليل واحد ، وهو يتكوّن من مقدمتين :

المقدمة الأولى : هي أنّ الله تبارك وتعالى مدح ذاته المقدّسة في القرآن لأنها تركت بعض الأفعال ، الباري تعالى يقول : ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(١) هذا مدح للذات أو ذم ؟ مدح على ترك الظلم ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٢) ، ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾^(٣).

المقدمة الثانية : مدح الله تبارك وتعالى لذاته على ترك بعض الأفعال يدلّ على أنّ بعض الأفعال في ساحته قبيحة ، ولذلك الباري تعالى مدح ذاته لترك تلك الأفعال ، فإنّه لو كانت الأفعال بالنسبة إلى الله تعالى لا تتّصف بالحسن والقبح ، ولا فرق بالنسبة إلى الله تعالى بين العدل والظلم ، لماذا الباري تعالى يمدح نفسه على ترك الظلم ؟ لماذا لا يمدح ذاته على فعل الظلم ؟ لماذا يمدح ذاته لأنها عادلة ؟ لماذا لا يمدح ذاته لأنها ظالمة ؟ الفاعل لا يمدح على فعل إلا إذا كان ذلك الفعل حسن ، ولا يذمّ على فعل إلا إذا كان ذلك الفعل قبيح ، ولا يمدح على ترك فعل إلا إذا كان ذلك الفعل قبيح ، فمدح الذات المقدّسية لأفعالها ولنفسها لأنها تركت الظلم ، وتركت اللهو والعبث ، دليل على أنّ أفعال الله تعالى مشمولة بقانون الحسن والقبح ، وهذا يدلّ على صحّة النظرية الثالثة .

الأمر الثاني : هو أنّ من الأفعال القبيحة معاقبة الجاهل إذا كان معذوراً في

(١) فصلت ٤١ : ٤٦ .

(٢) النحل ١٦ : ١١٨ .

(٣) سورة ص ٣٨ : ٢٧ .

جهله ، إذا خالف الإنسان قانوناً وكان جاهلاً ، لم يخالف القانون عمداً بل خالفه عن جهل ، وكان معذوراً في جهله ، هنا العقل يقول عقاب المخالف قبيح لأنه غير قادر على أن يمتثل ، هو لا يعلم بالقانون ، ولا يتمكن من معرفة القانون ، فهو غير قادر ، وعقاب غير القادر قبيح ، من هنا العلماء يقولون عندنا قاعدة تسمى بقاعدة قبح العقاب بلا بيان ، يقبح العقاب فيما إذا كنت المخالفة من دون إعلام ، والقرآن أرشد إلى هذه القاعدة ، قال تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾^(١) .

يقول المفسرون : هناك فرق بين تعبير نحن لا نعذب إلا إذا بعثنا رسولاً ، وبين قوله تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ ، فإن ﴿وَمَا كُنَّا﴾ يدل على نفي الشائبة واللياقة ، وأن الذات المقدسة لا يناسبها ولا يليق بعديلها بعظمتها أن تعاقب قبل إقامة الحجة ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ ، ويقول تبارك وتعالى : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا﴾^(٢) إذا آتاها العلم ، وأتاها القدرة ، عاقبها ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(٣) .

إذن من الأفعال القبيحة التي لا تصدر من الله تعالى معاقبة الجاهل المعذور في جهله .

الأمر الثالث : الكافر ينقسم إلى قسمين :

هناك كافر معاند ألقيت عليه الحجة ، قام عنده دليل على وجود الله وعلى نبوة النبي محمد ﷺ وعلى المعاد ، ولكنه معاند مكابر ، أو لم يقم عنده الدليل ، ولكن التفت إلى وجود دين وإسلام ، وأن هذا الإسلام يقرّر وجوب الإيمان والطاعة ، وإلا يكون العبد معاقباً ولكنه تساهل ، وقال لن أبحث هذا القسم من الكافر

(١) الإسراء ١٧ : ١٥ .

(٢) الطلاق ٦٥ : ٧ .

(٣) البقرة ٢ : ٢٨٦ .

الذي أُلقيت عليه الحجّة ولم يؤمن ، أو الذي كان بإمكانه أن يحصل المعرفة وقصر ، هو الذي يحكم الإسلام بعقابه يوم القيامة ، وهو المقصود بقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ .

القسم الثاني : الكافر المعذور في كفره .

وهو من لم يؤمن بأصل من أصول الدين ؛ لأنه جاهل لم تبلغه الحجّة ، وهو معذور في جهله .

يوجد مجموعة من الكفار لم يقم الدليل على وجود الله تعالى ، أو صدق دعوة النبي محمد ﷺ لديهم ، مثلاً : يقال : يوجد قوم في مجاهيل أمريكا اللاتينية في غابات الأمزون ، هؤلاء لا الذين خارج هذه الغابات كانوا يعلمون بمكانهم بالتحديد لأنهم يتنقلون ، ولا هم كانوا يعلمون بوحود من يعيش خارج الغابات ، هؤلاء لم يبلغهم الإسلام ولا اسم النبي ﷺ ، ولا الدليل الدال على نبوة النبي الأكرم ﷺ فهم كفار ولكن معذورين في كفرهم .

هؤلاء في عقيدتنا ليس فقط لا يعاقبون ، بل يقبح على الله تعالى أن يعاقبهم ، في توحيد الصدوق سأل عبدالله بن سلام النبي الأكرم ﷺ : أيعذب الله بدون حجّة ؟ يعاقب يوم القيمة من دون أن يلقي الحجّة ، فقال ﷺ :

معاذ الله فأولاد المشركين في الجنة أم النار ؟ قال : الله تبارك وتعالى أولى بهم^(١) .

أمرهم إلى الله تعالى إن شاء تبارك وتعالى أدخلهم الجنة تفضلاً ، أو أقام لهم امتحاناً واختبرهم في يوم القيامة ، وهو ما دلّت عليه مجموعة من الروايات .

في كتاب الخصال يقول الإمام الباقر عليه السلام : « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ احْتَجَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى خَمْسَةٍ : عَلَى الطِّفْلِ ، وَالَّذِي مَاتَ بَيْنَ النَّبِيِّينَ ، وَالَّذِي أَدْرَكَ النَّبِيَّ وَهُوَ لَا يَعْقِلُ ،

(١) التوحيد : ٣٩١ .

وَالْأَبْلَهَ ، وَالْمَجْنُونِ الَّذِي لَا يَعْقِلُ ، وَالْأَصَمَّ وَالْأَبْكَمَ ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَحْتَجُّ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

قَالَ: فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رَسُولًا فَيُوجِّعُ لَهُمْ نَارًا فَيَقُولُ لَهُمْ: رَبُّكُمْ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَثْبُتُوا فِيهَا ، فَمَنْ وَثَبَ فِيهَا كَانَتْ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا ، وَمَنْ عَصَى سِيقَ إِلَى النَّارِ^(١) .

إذن الدين الإسلامي لا يحكم بعقاب الكافر بمجرد أنه كافر ، وإنما يقول المدار مدار الحجة ، إذا ألقى الله تعالى الحجة على عبد ، وخالف ذلك العبد ، يعاقب ولو كان مسلماً ، وإذا لم يقم الباري تعالى الحجة على عبد لا يعاقب وإن كان كافراً ، فالقول بأن الإسلام يختزل الرحمة لخصوص المسلمين ولا يحب غير المنتسبين إليه ، ويجعل الجنة حكراً للمسلمين دون غيرهم ، في غير محله ، الإسلام عنده ضوابط عقلية يدور مدار الحجة ، يدور مدار الاستحقاق ، من كان مستحقاً للعقاب يعاقب وإن كان يتشهد الشهادتين ، ومن كان لا يستحق العقاب لا يعاقبه الله تبارك وتعالى وإن كان كافراً .

النقطة الثانية

موقفنا تجاه الكافر في الدنيا

ما هي وظيفتنا اتجاه من لا يؤمن بأصول الدين ؟ هل وظيفتنا أن نقتله ، أن نذبحه ، أن نفخخ سيارة ونفجره ، أن نمارس معه التصفية الجسدية ونقضي عليه ونبقى نحن فقط ؟ أم الوظيفة شيء آخر ؟

علمائنا يقولون الوظيفة الأولية تجاه الكافر أن تدعوه إلى الإسلام وإلى الحق ، الإسلام دين الرحمة ، دين الهداية ، الإسلام لا يريد الرحمة لجماعة دون جماعة ،

(١) الخصال : ١ : ٢٨٣ ، الحديث ٣١ .

بل يريد الهداية للجميع ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(١)، وظيفتنا أن ندعو إلى الإسلام بأفضل الأساليب، بالمنطق، بالبرهان، بلغة العقل والفؤاد التي يفهمها الإنسان بما هو إنسان، وليس بلغة الذبح، والتفجير، وهتك الأعراض، وإسالة الدماء، الإسلام إسلام حوار ومنطق، يقول تبارك وتعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٣).

الأئمة ؑ كانوا يمارسون الدعوة من خلال الدين والبرهان والمنطق الحسن والمجادلة بالتي هي أحسن، الأئمة ؑ لم يكن البرهان ينحدر من أسنتهم فحسب، وإنما كان ينحدر من خلال سلوكهم، فإن سلوكهم ؑ كان برهاناً عملياً يجسدون سماحة الإسلام رحابته ومحبته للإنسان بما هو إنسان، أمير المؤمنين ؑ في زمن عمر وقعت قضية بينه وبين يهودي، وصلت القضية إلى المحاكم، دخل أمير المؤمنين ؑ مع اليهودي على عمر، فقال عمر: قم يا أبا الحسن واجلس بجانب خصمك اليهودي، فقام أمير المؤمنين ؑ والتأثر ظاهر على وجهه، لما انتهت القضية التفت عمر إلى أمير المؤمنين قال: يا أبا الحسن، مالي أراك قد تأثرت وبان الأسى على وجهك، هل يضرُّك أن تجلس بجانب خصمك اليهودي؟ فقال علي ؑ: لا، ولكنك كنتي قلت: قم يا أبا الحسن، ولم تكن خصمي، لم تقل لليهودي: قم يا أبا فلان، وفي الكنية رفعة ومن آداب القضاء أن يساوي القاضي بين المتخاصمين، فخفت أن يقول اليهودي ضاعت الحقوق في دين محمد^(٤).

(١) التوبة ٩: ٣٣. الفتح ٤٨: ٢٨. الصف ٦١: ٩.

(٢) النحل ١٦: ١٢٥.

(٣) العنكبوت ٢٩: ٤٦.

(٤) شرح نهج البلاغة: ١٧: ٦٥.

في زمن حكم أمير المؤمنين عليه السلام، أيضاً وقعت قضية بين أمير المؤمنين عليه السلام ويهودي، أمير المؤمنين عليه السلام وجد درعه عند يهودي وهو لم يبع الدرع ولم يهبه، وأمير المؤمنين عليه السلام بإمكانه أن يصدر مرسوماً يصادر الدرع ورأس اليهودي معه، لكن دولة أمير المؤمنين عليه السلام حسب العبارات الدارجة في هذه الأيام كانت دولة مؤسسات، يوجد قضاء، وينبغي أن يحترم القضاء مراعاة للعدل والمساواة.

ذهب أمير المؤمنين عليه السلام إلى شريح القاضي فقال له: عندي دعوى: درعي وجدته عند يهودي وأنا لم أبعه ولم أهبه، القاضي استدعى اليهودي وقال له: إن علياً بن أبي طالب يدعي أن الدرع درعه، قال: فأنكر اليهودي أن تكون الدرع للإمام وفي هذا تكذيب للرجل الأول في الدولة.

قال شريح: يا أبا الحسن، هذا اليهودي عنده يد على الدرع، واليد أمانة على الملكية.

فالظاهر أن الدرع له، وعليه تكون أنت مدّع، فالمدّعي هو الذي يدّعي خلاف الظاهر، ما تقوله يا أمير المؤمنين عليه السلام خلاف الظاهر، فالبينة على من ادّعى، هل عندك بيّنة على أن الدرع لك: قال: لا. فحكم شريح لليهودي بالدرع.

اليهودي أخذ الدرع ومشى خطوات، ثم عاد وانكب على قدمي أمير المؤمنين عليه السلام يقبلهما^(١).

بهذا كانوا (صلوات الله وسلامه عليهم) يدعون الناس إلى الإسلام، وليس بالتفجير والقتل وحزّ الرقاب، أمير المؤمنين عليه السلام كان يمشي في أسواق الكوفة أيام حكمه، فرأى شيخاً كبيراً يستعطي ويطلب من الناس حاجاته، فالتفت إلى أبي رافع خازن بيت المال، وقال: ما هذا؟

سؤال عن الحالة التي يراها فكأنه قال: ما الذي أرى يا أبا رافع!

(١) راجع بحار الأنوار: ٤١: ٥٧، الحديث ٦.

أبو رافع لعله ظنَّ أنَّ الإمام ﷺ يقول من هذا؟ فأجاب: رجل نصرانيّ .
فقال أمير المؤمنين ﷺ: اسْتَعْمَلْتُمُوهُ حَتَّى إِذَا كَبِرَ وَعَجَزَ مَنَعْتُمُوهُ، أَنْفَقُوا عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ^(١)، بهذه الأخلاق الناس دخلوا في الإسلام .

المستشرق الانكليزيّ (توماس أرنولد *Thomas Walker Arnold*) عنده بحث بعنوان (الدعوة إلى الإسلام)، بعد أن يبحث تاريخ انتشار الدعوة الإسلامية يعطينا نتيجة، يقول: ويمكن أن نستخلص أنَّ القبائل المسيحيّة التي اعتنقت الإسلام إنّما فعلت ذلك بإرادة حرّة وقناعة مستقلّة، وأنّه ليس للسيف والقوّة تأثير ذلك .

إذا رأى الناس مثل هذا الخلق سوف يعتنقون الإسلام، أمّا إذا رأوا مثل أخلاق بني أميّة فسوف ينفرون من الإسلام .

لعلكم سمعتم قصّة الرجل الذي طلب الحجاج منه أن يقرأ القرآن فقرأ: إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يخرجون من دين الله أفواجا، فقال الحجاج: أنت تقرأ القرآن خطأ، ما هكذا أنزل على النبيّ، فقال الرجل: وأين الخطأ؟ قال: في القرآن يدخلون وأنت تقول يخرجون، قال الرجل: هذا في زمن رسول الله يدخلون، أمّا في زمن الحجاج وعبد الملك بن مروان يخرجون^(٢) .

إذن الوظيفة الأولى أن ندعو بالعقل والمنطق والأسلوب الحضاريّ .
إذا اقتنع الكافر بالدعوة الإسلامية وصار مسلماً، كفى الله المؤمنين القتال، أمّا إذا رفض الكافر الدعوة الإسلامية، فهنا الفقهاء يقسمون الكافر إلى ثلاثة أقسام:
القسم الأول: الكافر الذي لا يقبل الدعوة ويشنّ هجوماً على الإسلام، يقاتل الإسلام وأهله .

(١) راجع تهذيب الأحكام: ٦: ٢٩٣ .

(٢) زهر الربيع: ٩٠ .

هذا القسم يقول الفقهاء يجب أن يجاهد بما يسمّى الجهاد الدفعي .

القسم الثاني: الكافر الكتابي ، هو الذي لم يقتنع بالإسلام ، ولم يهاجم الإسلام ويحاربه .

هذا القسم يقول الفقهاء لا يقرّ على دينه إلا إذا دخل في معاهدة مع المسلمين ودفع الجزية ، فإن دفع الجزية ، والتزم بقوانين الإسلام ، يقرّ على دينه وإلا يقاتل .

القسم الثالث: هو الكافر الذي أُقيمت عليه الحجّة - نظير القسم الثاني - وعاند ولكن ليس كتابياً ، ولم يحارب الإسلام .

الموقف تجاه هذا القسم يقول الفقهاء يعود أمره إلى الحاكم الشرعي ، إذا شخص الحاكم الشرعي أنّ في قتاله مصلحة للإسلام يقاتله ، وإلا بإمكان الحاكم الشرعي أن يعامله معاملة مبنية على الاحترام المتبادل ، قال الله عزّ وجلّ: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (١) .

إلى هنا نكون انتهينا من الحديث عن الموقف اتّجاه الكافر إجمالاً ، ونكون انتهينا النقطة الثانية .

النقطة الثالثة

دفع شبهة ترتبط بعدالة الإسلام

هناك أحكام كثيرة ترتبط بالكافر في الإسلام منها حكمان :

الحكم الأول: ما بيّناه سابقاً ، وهو أنّ الكافر غير الكتابي لا يقرّ على دينه ، إمّا أن يقتنع بأدلة الإسلام أو يقنعنا بأدلّته ، أمّا أن يعاند ولا يقبل الحقّ هذا ممّا لا يقبل منه .

(١) الممتحنة ٦٠ : ٨ .

الحكم الثاني: الارتداد.

المسلم إذا ارتدَّ بأن أنكر أصلاً من أصول الإسلام ، أو فعل فعلاً يوجب الكفر ، أظهر النصب لأهل البيت عليهم السلام ، أو أظهر الاستهزاء بالذات المقدسة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله .

الإنسان الذي يرتدَّ بعد الإسلام الفقهاء يقسمونه إلى قسمين :

تارة أنثى فلا يقتل ، وإنما يحبس .

وتارة يكون ذكراً ، والذكر يقسم إلى : مرتد فطري ، وإلى مرتد ملّي .

تارة يكون المرتد مرتدّاً عن فطرة ، وهو الذي تولّد على الإسلام ثم ارتدّ ، وحكم هذا يقتل ولا يستتاب .

وأما الكافر الملّي ، فهو الذي كان كافراً ثم دخل الإسلام وارتدّ ، هذا حكمه يستتاب ، فإن تاب وإلا يقتل .

بعض المستشرقين تمسّك بهذين الحكمين وقال : القتل ظلم ، أن تأتي بالسيف وتذبح إنساناً هذا ظلم ، أن تطلق الرصاصة في رأسه فيخترّ صريعاً يخور في دمه هذا ظلم وتعدّ ، والظلم قبيح لا يمكن أن يصدر من الله تبارك وتعالى ، فالإسلام الذي يشرعن هذا الظلم قبيح ، فلا يمكن أن يصدر من الباري تعالى .

في مقام الجواب نقول : المستشكل يقول : قتل النفس ظلم ، ولذا حكم على الإسلام بأنّه يشرعن الظلم ، من حقنا أن نسأل المستشكل : ما هو تعريف الظلم ؟ الظلم هو التعدي على حق الغير ، أو التصرف في ملك الغير بدون إذنه .

لو تصرف في شيء من أملاكك بإذنك هل اعتبر ظالماً لك ؟ بالطبع لا ؛ لأنك أنت المالك وقمت بعملية الإذن .

هذا المرتد الذي حكم الإسلام بقتله ، ملك لمن ؟ هو مالك لنفسه ، أو هو ملك لله سبحانه ؟ ملك لله تعالى هو الذي خلقه وأوجده ، وأظهره من العدم إلى الوجود ،

﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^(١)، فقتل هذا المرتدّ إن كان يستند إلى إذن الله تعالى لا يكون ظلماً؛ لأنّه تصرف في الملك مع إذن المالك. نعم، إذا كان يستند إلى إذن الله تبارك وتعالى لا يكون ظلماً لأنّه تصرف في الملك مع إذن المالك.

ونحن نقول: الباري تعالى حكيم مالك، بمقتضى حكمته هنالك حكمة في تشريعه لقتل المرتدّ والكافر المعاند؛ لأنّ الله تبارك وتعالى حكيم بدليل العقل، عدم إدراكنا للمصلحة لا يعني عدم وجود المصلحة، عدم الوجدان لا يدلّ على عدم الوجود، من يستطيع أن ينفي وجود مصلحة ترتبط بالكون بالنظام الكونيّ الجمعيّ في تشريع الله في واقعة هنا، وفي تشريع الله في واقعة هناك، ففعل الله تبارك وتعالى ليس قبيحاً من باب العبث؛ لأنّ الله تعالى حكيم، وليس قبيحاً من باب الظلم؛ لأنّ الله تبارك وتعالى مالك يتصرّف في ملكه، وهو الذي أذن بالقتل.

نحن المسلمون نعتقد بأنّ الله تبارك وتعالى ليس فقط يقتل الكافر أو يقتل المرتدّ، بل نعتقد أنّ الله تعالى يقتل المسلم، المسلم إذا قتل ما هو حكمه؟ القتل، قتل بإذن من الله تعالى، الله تعالى أذن لنا بقتله، ولا تدرك عقولنا أنّ في ذلك ظلم لأنّه تصرف عن إذن المالك.

نحن نعتقد أنّ الله تبارك وتعالى يقتل الكافر أو المؤمن الذي يرتكب ما يستحقّ القتل. نحن نعتقد أنّ الله تبارك وتعالى يميّت جميع النفوس، الضرب بالسيف والطعن بالرمح هذه معدات، أمّا الذي يميّت حقيقة فهو الله تعالى ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾^(٢)، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾^(٣).

(١) غافر ٤٠: ١٦.

(٢) الزمر ٣٩: ٤٢.

(٣) الملك ٦٧: ١ و ٢.

ونحن نعتقد أن الله عز وجل في المستقبل سوف يميز جميع الناس في لحظة واحدة ، الكبير والصغير ، الذكر والأنثى ، الإنسان وغير الإنسان حتى الدواب ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾^(١) ، ولا يلزم من ذلك الظلم لأنه تصرف من مالك في ملكه .

أعظم من هذا ، لم يأمر الله تعالى بقتل الكافر أو قتل المؤمن الذي ارتكب ما يوجب القتل فحسب ، بل إنه تبارك وتعالى أمر بقتل الأولياء ، الأئمة عليهم السلام عندنا بساعة الوفاة ، يعلمون أنهم إذا شربوا هذا القدر أو أكلوا من ذاك الطعام سوف يموتون لأن فيه سمًا ، ومع ذلك أمرهم الله تبارك وتعالى أن يشربوا وليس في ذلك ظلم ؛ لأن نفوسهم ملك لله تعالى ، فإذا اقتضت إرادته لمصلحة أن يقدموا على شرب ما فيه الهلكة يقدمون ولا يقولون إنه ظلم !

سيد الشهداء عليه السلام ألم يكن يعلم بيوم استشهاده في كربلاء ؟

نعم ، كان يعلم ، الرسول صلى الله عليه وآله أخبر باستشهاده في أكثر من ٢١ مجلساً ، أمير المؤمنين عليه السلام أخبر أيضاً ، لما جاوز نينوى في طريقه إلى البصرة نادى بأعلى صوته : صَبْرًا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ثَلَاثًا^(٢) .

الإمام الحسن عليه السلام أخبر وقال : « لَا يَوْمَ كَيَوْمِكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ »^(٣) .

سيد الشهداء نفسه أخبر حيث قال : « كَأَنِّي وَأَوْصَالِي يَتَقَطَّعُهَا عُسْلَانُ الْفَلَوَاتِ بَيْنَ النَّوَاسِ وَكَرْبَلَاءَ »^(٤) ، وليس في إقدامه على الشهادة ظلم لأنه إقدام في مقام امتثال أمر الله تعالى .

(١) الزمر : ٣٩ : ٦٨ .

(٢) تاريخ مدينة دمشق : ١٤ : ١٨٧ .

(٣) أمالي الصدوق : ١١٦ .

(٤) مثير الأحرار : ٤١ .

المحاضرة الثالثة^(١)

أهداف الإسلام العامة،

وعوامل التنسيق العملي بين مذاهب الإسلام

قال سيدنا ومولانا الإمام الصادق (صلوات الله وسلامه عليه): «إِيَّاكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا عَمَلًا نُعَيِّرُ بِهِ، فَإِنَّ وَلَدَ السَّوِّءِ يُعَيَّرُ وَلَدُهُ بِعَمَلِهِ، كُونُوا لِمَنْ انْقَطَعَتْ إِلَيْهِ زِينًا، وَلَا تَكُونُوا عَلَيْهِ شَيْنًا»^(٢).

آمنّا بالله، صدق سيدنا ومولانا الصادق عليه السلام

كان موضوعنا ولا يزال حول الموقف من المخالف الذي يختلف معنا في بعض مسائل الإسلام.

موضوعنا في هذه الليلة سوف يكون حول الموقف من المخالف الذي يتفق معنا في أصول الإسلام، ويختلف معنا في أصول المذهب. وبعبارة أخرى: حول الموقف من أتباع المذاهب الإسلامية الأخرى، ويدور الكلام حول نقطتين:

النقطة الأولى

في حكم أبناء المذاهب الإسلامية من حيث الإسلام والكفر

ما هو رأي الإمامية في غير الشيعة من الذين يتشهدون الشهادتين؟

(١) محاضرة لسماحة الشيخ حيدر السندي (حفظه الله) أُلقيت بتاريخ ٤ / ١ / ١٤٣٦ هـ.

(٢) وسائل الشيعة: ١٦: ٢١٩، الباب ٢٦ من أبواب الأمر والنهي، الحديث ٢.

كتب بعض السلفية مقالاً تهجم فيه على الشيعة الإمامية ، قال فيه :
 الشيعة يحكمون بكفر من خالفهم في مسألة الإمامة ، ويحكمون بأن سائر
 المذاهب الإسلامية نواصب ، ولذا هم يبيحون دماءهم وأموالهم ، واستدل على
 ذلك برواية داود بن فرقد ، قال : « قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا تَقُولُ فِي قَتْلِ النَّاصِبِ ؟
 فَقَالَ : حَلَالُ الدِّمِّ ، وَلَكِنِّي أَتَّقِي عَلَيْكَ ، فَإِنْ قَدَرْتَ أَنْ تَقْلِبَ عَلَيْهِ حَائِطًا ، أَوْ تُغْرِقَهُ
 فِي مَاءٍ ، لِكَيْلَا يُشْهَدَ بِهِ عَلَيْكَ ، فَافْعَلْ » (١) .

يقول المستدل : الرواية صريحة في أنهم يحكمون بنصب من خالفهم ، ويبيحون
 دمه ؛ لأنهم يخرجونه عن الإسلام !
 وفي مقام الجواب على ما ذكره هذا الكاتب نذكر ثلاث تعليقات :

التعليق الأول

هو أن المذهب لا يحاكم إلا بالرأي المتفق عليه في ذلك المذهب ، أو
 الرأي الذي يطبق عليه المشهور ، بحيث يعدّ المخالف في ذلك المذهب شاذاً
 ولا يحاسب المذهب بوجود رواية .

وعليه لا يمكن أن يحاسب الشيعة بأخذ رواية من الكافي ، الشيعة عندهم علماء
 يمثلونهم ، ومشهورهم أطبقوا على آراء ، إذا أرد شخص أن يحاسب الشيعة فعليه
 أن يعتمد على المجمع عليه أو المشهور ، أمّا أن يأتي برواية لعلّها ضعيفة سنداً ،
 أو إذا كانت تامة سنداً ضعيفة دلالة ، ثمّ يحاسبهم بها ، فهذا غير منهجيّ البتّة .

المنهج العلميّ في المذاهب هو أن يأخذ بالآراء لا بالروايات ، فلا يصحّ أن
 يأتي شخص ويأخذ رواية يفهمها بطريقة ، ثمّ يحاسب مذهباً كاملاً وفق فهمه هو ،

(١) وسائل الشيعة : ٢٨ : ٢١٧ ، الباب ٢٧ من أبواب حدّ القذف ، الحديث ٥ .

فهذا الكاتب جانب المنهجية العلمية في تهجمه على الشيعة الإمامية بهذا الأسلوب .

التعليق الثاني

هو أنَّ الرأي الرسمي الذي يطبق عليه علماؤنا ومن خالفه يكون شاذاً ، هو أنَّ الاعتقاد بإمامة أهل البيت عليهم السلام من أصول الإيمان لا من أصول الإسلام المقابل للكفر ، فإنَّ أصول الإسلام عندهم التوحيد والنبوة الخاصة بالنبي الخاتم صلوات الله عليه وآله والمعاد ، فمن اعتقد بهذه الأصول مسلم يترتب عليه عنوان الإسلام ، وترتب أحكام عنوان الإسلام عليه ، وإن لم يعتقد بإمامة أهل البيت عليهم السلام . نعم ، هو ليس مؤمناً مهتدياً ، ومجرد عدم اعتقاد بالإمامة لشبهة لا يلزم منه الكفر . نعم ، إن كان يعود إنكاره إلى تكذيب النبي صلوات الله عليه وآله يلزم الكفر ، ونحن لا ندعي على المذاهب الإسلامية الأخرى أنهم يكذبون النبي صلوات الله عليه وآله ، بل نقول هم مشتبهون ، الأدلة على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام ثابتة ، ولكنهم مشتبهون في فهمه ، أو لم يبلغهم الدليل .

إذن الرأي الرسمي المعمول به الذي يعتبر مخالفه شاذاً هو أنَّ الإمامة ليست من أصول الإسلام ، بل من أصول المذهب ، في المعتبرة : «الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله ، والتَّصديقُ برَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله ، بِهِ حُقِّقَتِ الدِّمَاءُ ، وَعَلَيْهِ جَرَتِ الْمَنَاحِحُ وَالْمَوَارِيثُ ، وَعَلَى ظَاهِرِهِ جَمَاعَةُ النَّاسِ» ^(١) .

السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي صاحب العروة الوثقى في كتاب الطهارة تعرض إلى النجاسات وذكر من النجاسات الكافر ، ثم قال في تعريف الكافر : «والمراد بالكافر من كان منكراً للألوهية أو التوحيد ، أو الرسالة ، أو ضرورياً من ضروريات الدين مع الالتفات إلى كونه ضرورياً ، بحيث يرجع إنكاره إلى إنكار

(١) الكافي : ٢ : ٢٥ ، حديث ١ .

الرسالة»^(١)، ولم يقل: أو من أنكر إمامة الأئمة عليهم السلام.

وكبار علماء الطائفة عندهم تعليقات على العروة الوثقى: الشيخ النائيني، المحقق العراقي، السيد الخوئي، السيد الخميني، السيد السيستاني، ولما جاءوا لهذه العبارة لم يستدركوا عليها، بل أمضوها كما هي، فكبراء الطائفة يحكمون بإسلام من خالفهم في الاعتقاد بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام، فمن أين جاءت قضية أن الشيعة يكفرون المذاهب الإسلامية!

طبعاً، بين قوسين هذا الكاتب السلفي ليس غيرته على جميع المذاهب الإسلامية لأنه هو مكفر بامتياز هو يكفر المسلمين، ولا يبقى إلا جماعة خاصة، هو فقط يريد أن ينسب إلى الشيعة تهمة التكفير، يريد أن يلبس الشيعة ثوبه ليلبس على عامة المسلمين ويستهدف الوحدة الإسلامية.

التعليق الثالث

هو أن العلماء الأعلام فرّقوا بين الناصب والمخالف، والرواية التي استدلت بها تتحدث عن الناصب، قال: «قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا تَقُولُ فِي قَتْلِ النَّاصِبِ؟ فَقَالَ: حَلَالُ الدَّمِ، وَلَكِنِّي أَتَقِي عَلَيْكَ، فَإِنْ قَدَرْتَ أَنْ تَقْلِبَ عَلَيْهِ حَائِطًا، أَوْ تُغْرِقَهُ فِي مَاءٍ، لِكَيْلَا يُشْهَدَ بِهِ عَلَيْكَ، فَافْعَلْ»^(٢).

الناصب كما ذكر جملة من المحققين: هو الذي يتعبد الله تعالى ببغض أهل البيت عليهم السلام، فيرى أن الله أمره ببغض علي بن أبي طالب عليه السلام.

العلامة الحلي في كتاب التبصرة تعرض لأحكام الذبح وشروط الذابح، فقال رحمة الله عليه: «ويشترط في الذابح الإسلام، فلا تحل ذبيحة الذمي والناصب،

(١) العروة الوثقى لليزدي: ١: ١٤٤.

(٢) وسائل الشيعة: ٢٨: ٢١٧، الباب ٢٧ من أبواب حد القذف، الحديث ٥.

وتجوز ذبيحة المخالف»^(١).

إذا أفطر الإنسان في نهار شهر رمضان متعمداً تجب عليه الكفارة ، الكفارة عتق رقبة صيام شهرين متتابعين ، أو إطعام ستين مسكيناً ، هناك شروط في الرقبة معتبرة ، من شروط الرقبة الإيمان :

يقول العلامة في التحرير : « والمراد بالإيمان الإسلام ، فيجزي عتق المخالف ولا يجزي عتق الناصب والمغالي »^(٢).

إذا كان عندك عبدك مخالفاً ، ولكن لا يؤمن بولاية أمير المؤمنين عليه السلام ، فهو مسلم يجزي عتقه ، ولا يجزي عتق الناصب والمغالي .

إذن هناك فرق بين مفهوم الناصب ومفهوم المخالف .

السيد الخميني رحمته الله في كتاب الطهارة تعرض للناصب وقال : « الناصب كافر نجس بإجماع الشيعة » ، ثم أعطانا تعريفاً للناصب ، فقال : « المراد الفرقة المعروفة وهم النصاب الذين يتدينون بالناصب ، ولعلهم شعبة من الخوارج »^(٣).

إذن الشيعة لا يكفرون سائر المذاهب الإسلامية ، ولا يعتقدون بأنهم نواصب ، فما ذكره هذا الكاتب فرية وكذب على الشيعة .

النقطة الثانية

في الموقف العملي اتجاه المذاهب الإسلامية الأخرى

إذا كنّا نعتقد بإسلام أصحاب المذاهب الأخرى ، فما هي وظيفتنا اتجاههم ؟

(١) راجع تبصرة المتعلمين : ٢١٠ .

(٢) تحرير الأحكام : ٤ : ٣٧٤ .

(٣) كتاب الطهارة للسيد الخميني : ٣ : ٣٣٧ .

علمائنا الأعلام يجيبون عن هذا السؤال بجواب واحد، يقولون: وظيفتنا أن ننسق معهم عملاً من أجل الحفاظ على مصالح الإسلام العامة، وهذا ما يسمى بالوحدة الإسلامية العملية، ويقصد بها: أن هنالك نقاطاً نلتقي فيها مع سائر الطوائف الإسلامية، نحن نعتقد بالتوحيد هم يعتقدون بالتوحيد، نحن نعتقد بالنبوة هم يعتقدون بالنبوة، نحن نصلي هم يصلون، وهكذا، ينبغي أن تكون هذه المشتركات داعياً لتنسيق المواقف من أجل تحقيق مصالح الإسلام العامة، يجب أن نوحّد مواقفنا انطلاقاً من المشتركات في وجه أعداء الدين، أعداء الأمة، الذين لا يحاربون مذهباً بالخصوص، وإنما يحاربون الإسلام بما هو إسلام، هذا هو المقصود بالوحدة.

ليس المقصود بالوحدة أن نتنازل عن معتقداتنا، أو تنصهر المذاهب وتتحول إلى مذهب واحد، وليس الوحدة أن يقدم بعض المذاهب نفسه للبعض الآخر بصورة مهينة يظهر فيها التنازل عن الثوابت وعن الأساسيات، كما يفعل بعض الانهزاميين! لكل مذهب أن يحافظ على عقيدته ما دام يراها حقاً، والوحدة التي على حساب العقيدة، أو على حساب الثوابت، لا قيمة لها، ولا نريدها، ولا يدعو إليها علمائنا.

نريد وحدة لأجل تثبيت الإسلام، ولأجل تثبيت الحق، لأجل العمل من أجل مصالح الإسلام العليا، لا من أجل إضعاف الحق ورفع اليد عنه. كل مذهب له أن يحافظ على عقيدته، وينسق في مقام العمل، يضع يده في يد أخيه المسلم من أجل حفظ مصالح الإسلام، وتحقيق المصالح العامة التي يستفيد منها كل مسلم مهما كان مذهبه.

وهنا يأتي هذا السؤال العملي المهم: كيف يحقق التنسيق العملي بين المذاهب الإسلامية؟

وفي مقام الجواب أشير إلى أن هناك أموراً لا بد وأن نراعيها كمسلمين:

الأمر الأول: هو الوعي المرحلي، على العقلاء من كلّ مذهب من كلّ فرقة إسلاميّة أن يدركوا بوعي متطلّبات المراحل التي يعيشها المسلمون.

هناك ثلاثة عناوين يمكن أن يلتفت إليها:

العنوان الأول: هو الوعي بأهداف الإسلام العامّة، والآليات التي نحقق من خلالها تلك المصالح.

العنوان الثاني: معرفة الموانع والعوائق التي تحول بيننا وبين تحقيق الوحدة العمليّة وتحقيق مصالح الإسلام العامّة.

العنوان الثالث: تحديد الأوليّات. هناك أمور مهمّة، وهنا مأمور أهمّ، لا ينبغي أن يزاحم المهمّ الأهمّ، كما لا ينبغي أن يزاحم غير المهمّ المهمّ، فعلى العقلاء فيما بينهم أن ينسّقوا لكي يتحصّلوا على رؤية واضحة ترتبط بمسيرة الأمة الإسلاميّة وأهدافها، وكيف تعمل من أجل تحقيق أهدافها.

للأسف كثير من الذين يعملون في الإصلاح الإسلاميّ، أو التغيير الإسلاميّ، لا يوجد عندهم وضوح في الأهداف والأولويّات، خصوصاً التيارات الإسلاميّة المتطرّفة، بعض التيارات تصوّر أنّ بعض الفرق الإسلاميّة أخطر على الإسلام من إسرائيل.

كيف يمكن أن يكون مسلم يتّفق معك في التوحيد، وفي نبوّة النبيّ، يقول: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أن محمّداً رسول الله، أخطر من اليهوديّ الذي استباح البلاد، وهتك الأعراض، وقتل الأنفس، وما زال يستخفّ بمقدّسات الإسلام؟ ويجثو على بلاد المسلمين!

بأيّ عقل، ووفق أيّ منطق يفكّر هؤلاء؟

المطلوب هو أنّ يأخذ العقلاء زمان المبادرة، وينسّقوا فيما بينهم راسمين خريطة الطريق نحو السموّ بالواقع الإسلاميّ، وعدم إعطاء المجال للروبيضة والحمقى،

فما عاد الواقع الإسلامي يستوعب الجعل والنفس الطائفي البغيض .
الأمر الثاني : هو الإخلاص للأهداف العامة . إذا حدّدنا أهداف الإسلام العامة ، وما فيه صلاح عموم المسلمين ، وجميع الفرق الإسلامية ، ينبغي أن نخلص لهذه الأهداف .

بعض الناس يضع يده في يدك ، ولكن في منتصف الطريق إذا تعارضت المصلحة العامة مع المصلحة الخاصة يسحب يده ويضرب جميع الشعارات عرض الحائط .
 الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان إماماً مجعولاً من قبل الله تعالى في عقيدتنا ، وإمامة أمير المؤمنين عليه السلام في يوم الغدير لم تنزع في السقيفة ، هي حكم إلهي لا يمكن أن يؤخذ من أمير المؤمنين عليه السلام ، وهي منصب الإلهي ، الإمامة تترتب عليه آثار ، من تلك الآثار : أن له عليه السلام حق الحكومة ، هو الحاكم الشرعي بعد رسول الله ﷺ .

المسلمون في ذلك اليوم حالوا بين أمير المؤمنين عليه السلام وبين أن يحكم فلم أر مثل ذاك اليوم يوماً ولم أر مثله حقاً أضيعاً^(١)
 في ذلك اليوم أضيع حق الحكم ، أي لم يمكن أمير المؤمنين عليه السلام من الحكم ، فهو الحاكم الشرعي بحكم من الله تعالى ، ولكنه لم يتمكن من ممارسة الحكم فعلاً ، وبسبب منعه عليه السلام من ممارسة الحكم فعلاً وقع أمير المؤمنين عليه السلام في مزاحمة بين أن يطالب بحقه الشرعي من خلال السيف فيحدث معارضة مسلحة في وسط الدولة الإسلامية وبين أن يصبر مراعاة للمصالح العامة .

بعض الناس يتصور أن أمير المؤمنين عليه السلام إذا سكت عن حقه يكون جباناً ليس شجاعاً ، لهذا يقول أنتم الشيعة تقولون عليّ شجاع ، فلماذا لم يحمل السيف ويقاتل في تلك اللحظة إذا كان هو الإمام الشرعي !
 في تصوّري هؤلاء يفكرون بسطحية ، ويريدون أن يسطّحوا تفكيرنا .

(١) القصيدة للكميت ، وهذا البيت لأمير المؤمنين عليه السلام . بحار الأنوار : ٣٧ : ١٥٠ .

أمير المؤمنين عليه السلام لأنه شجاع لم يحمل السيف ويقاتل ، هكذا ينبغي أن نقرأ ما وقع .

أمير المؤمنين عليه السلام هو الذي شيد مع رسول الله صلى الله عليه وآله هذا الدين ، لقد قام الإسلام بجهاد وتضحياته ، بعرقه ودمائه عليه السلام ، ما قام الدين إلا بسيف علي ، ومال خديجة ، وحماية أبي طالب ، وقد كان هذا الدين الذي بناه أمير المؤمنين عليه السلام فتياً ، كان في أول أيامه ضعيفاً ، وفي المقابل كان يوجد في المدينة من المنافقين العدد الكثير وأهل القوة .

السيد شرف الدين رحمه الله يقول : « القرآن الكريم تحدّث في آيات كثيرة عن المنافقين ، بل أنزل سورة كاملة بعنوان المنافقين ، هذا يدلّ على أنّ المنافقين كانوا قوّة ، ويشكلون تياراً له وجود قويّ في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإذا تلاحظون التاريخ بمجرد أن توفي النبي صلى الله عليه وآله انقطعت أخبار المنافقين ، أين هؤلاء الكثرة الذين أنزل فيهم سورة ؟ التاريخ لا يتحدّث عنهم ، انقطعت أخبارهم وكأنهم غير موجودين »^(١).

إذن كان هناك خطر يهدّد الإسلام يسمّى بخطر المنافقين ، وأيضاً توجد دولة كسرى ودولة قيصر ، وهناك حرب مفتوحة بين المسلمين وبين الروم ، في هذا الظرف لا يمكن أن يُحدث أمير المؤمنين عليه السلام نزاعاً داخلياً لأنه سيقضى على الإسلام ، وهذا السبب الذي دعا أمير المؤمنين عليه السلام أن يصبر ، يقول عليه السلام : « لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي ، وَوَاللَّهِ لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ »^(٢).

تقديم المصالح العامة الأهم على المصالح التي دونها في الأهميّة هذا ما قام به أمير المؤمنين عليه السلام ، وهذا ما ينبغي أن يقتدي فيه جميع العقلاء من جميع الفرق والمذاهب الإسلامية .

(١) الرجاء ملاحظة المتن هو هو لشرف الدين فقد جاء ما يشابهه في محاضرات السبحاني .

(٢) نهج البلاغة : ١ : ١٢٤ .

الأمر الثالث: هو إشاعة روح التسامح والمحبة والمودة بين المسلمين .

هناك خلاف فكري بين المسلمين ، فنحن نختلف مع غيرنا في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام ، فنحن نرى الحق هو إمامة أمير المؤمنين عليه السلام ، غيرنا يخالفنا في ذلك ، المطلوب أن يبقى خلافا في دائرة الخلاف الفكري .

من حق كل مذهب أن يدعو إلى عقيدته ، أن يقدم الدليل على عقيدته ، ولكن بالأسلوب العلمي ، بالحوار المسؤول الذي يشتمل على آداب الإسلام .

القرآن الكريم يقول : ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (١) .

الخلق الحسن هو الخلق الذي يجمع المسلمون على موقف واحد إذا لم يتفقوا على رأي واحد .

للأسف بعض المنتمين إلى الإسلام يبدل الآية من ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ إلى بالتي هي أسوأ ، ثم يستخدم أسوأ الأساليب ، وأسوأ المعاملات ، مع الذين يختلفون معه في المذهب ، فلا تجد منه إلا وجهاً عابساً مكفهراً ، ولا تراه إلا صراخاً بالسب والطعن في الأعراض ، هل هذا خلق الإسلام ؟ وهل كان خلقه عليه السلام كذلك ؟ يقول تعالى : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (٢) .

لقد كان الرسول عليه السلام يستخدم الخلق الرفيع مع الكفار ، في فتح مكة ماذا قال للمشركين ؟ النبي بأي خلق قابلهم ؟ قال : ما تظنون أنني صانع بكم ؟ قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء (٣) .

(١) فصلت ٤١ : ٣٤ .

(٢) آل عمران ٣ : ١٥٩ .

(٣) راجع بحار الأنوار : ٢١ : ١٣٥ ، الحديث ٢٦ .

هم عذّبوه وعذّبوا وقتلوا أهل بيته وأصحابه ، واغتصبوا أموالهم ، وهو يقابلهم بالسماحة والخلق العظيم ، بمثل هذه الأخلاق الرفيعة ينبغي أن نتعامل فيما بيننا كمسلمين .

أئمتنا عليه السلام أمرونا بالأخلاق الحسنة مع المخالفين ، قال الإمام الصادق عليه السلام : « إِيَّاكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا عَمَلًا نُعَيَّرُ بِهِ »^(١) ، أنتم تنسبون إلى أهل البيت عليه السلام ، إذا صدر منكم فعل سيئ قيل هذا الفعل السيئ أخذ من الأئمة ، « إِيَّاكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا عَمَلًا نُعَيَّرُ بِهِ ، فَإِنَّ وَلَدَ السَّوِّءِ يُعَيَّرُ وَالِدُهُ بِعَمَلِهِ ، كُونُوا لِمَنْ انْقَطَعَتْ إِلَيْهِ زَيْنًا ، وَلَا تَكُونُوا عَلَيْهِ شَيْنًا » .

ثم يقول عليه السلام : « صَلُّوا فِي عَشَائِرِهِمْ ، وَعُودُوا مَرْضَاهُمْ ، وَاشْهَدُوا جَنَائِزَهُمْ ، وَلَا يَسْبِقُونَكُمْ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ » أولى به لأنكم شيعة أمير المؤمنين عليه السلام .

وفي رواية أخرى عن الإمام العسكري عليه السلام : « فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا وَرَعَ فِي دِينِهِ ، وَصَدَّقَ فِي حَدِيثِهِ ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ ، وَحَسَّنَ خُلُقَهُ مَعَ النَّاسِ ، قِيلَ هَذَا شِيعِيٌّ ، فَيَسْرُتَنِي ذَلِكَ »^(٢) .

إذا كانت أخلاقنا حسنة ، ومدحنا لحسن أخلاقنا ، يفرح بذلك الإمام المهدي عليه السلام ، فالخلق الحسن يدخل السرور في قلب إمامنا عليه السلام .

وفي رواية ثالثة : « أمرونا بأن نفعل ما يقال لأجله ، رحم الله جعفر بن محمد ما أحسن ما أدب به أصحابه »^(٣) .

الأمر الرابع : هو أنه ينبغي أن نتجنب الأمور التي تؤدي إلى إثارة المسلمين على بعضهم البعض ، لا ينبغي أن نرتكب الأفعال التي تؤدي إلى حقد المسلمين على

(١) وسائل الشيعة : ١٦ : ٢١٩ ، الباب ٢٦ من أبواب الأمر والنهي ، الحديث ٢ .

(٢) بحار الأنوار : ٧٥ : ٣٧٢ .

(٣) أعيان الشيعة : ١٠ : ٣٧٤ .

بعضهم البعض ، هناك بعض المسائل الحساسة إذا تعرّض لها الإنسان يؤدّي إلى فتنة وانقسام المسلمين ، وإلى أن يبغض بعض المسلمين البعض الآخر ، مثلاً مسألة التعرّض للرموز ، مسألة الرموز من أكثر المسائل حسّاسيّة ، نحن الشيعة نعتقد أنّ أبا طالب عليه السلام في إيمانه أفضل من جميع الصحابة إلّا المعصومين عليه السلام ، فإذا كنت لا تتفق معي في هذه العقيدة فاحتفظ برأيك بعقيدتك في نواديك ، لا تظهر الطعن في أبي طالب أمامي ؛ لأنّ هذا يثير الضغينة والبغضاء ، وروح الانتقام والمقابلة بالمثل ، فلا يفتح المسلمون على بعضهم البعض بأخلاق حسنة وتقع فتنة .

كذلك المذاهب الأخرى عندهم رموز ، عندهم أشخاص ، يقدّسونهم ، نحن نختلف معهم في تلك الرموز ، لا ينبغي أن نظهر الطعن في رموزهم أمامهم ؛ لأنّ هذا يظهر السلوك يخلق في قلوبهم البغض ، ويؤدّي إلى تناحر المجتمع ، وتمزّق المسلمين .

الشيخ الصدوق ينقل هذه الرواية عن الإمام الرضا عليه السلام : « يَا ابْنَ أَبِي مَحْمُودٍ ، إِنَّ مُخَالَفَتَنَا وَضَعُوا أَخْبَاراً فِي فُضَائِلِنَا ، وَجَعَلُوهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ :

أَحَدُهَا الْغُلُوُّ ، وَثَانِيهَا التَّقْصِيرُ فِي أَمْرِنَا ، وَثَالِثُهَا التَّضَرُّعُ بِمِثَالِبِ أَعْدَائِنَا .

فَإِذَا سَمِعَ النَّاسُ الْغُلُوَّ فِيْنَا كَفَرُوا شَيْعَتَنَا ، وَنَسَبُوهُمْ إِلَى الْقَوْلِ بِرُبُوبِيَّتِنَا ، وَإِذَا سَمِعُوا التَّقْصِيرَ اعْتَقَدُوهُ فِيْنَا ، وَإِذَا سَمِعُوا مِثَالِبَ أَعْدَائِنَا بِأَسْمَائِهِمْ ثَلَبُونَا بِأَسْمَائِنَا ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (١) .

يَا ابْنَ أَبِي مَحْمُودٍ ، إِذَا أَخَذَ النَّاسُ يَمِيناً وَشِمَالاً فَالْزَمْ طَرِيقَتَنَا ، فَإِنَّهُ مَنْ لَزِمَنَا لَزِمَنَا ، وَمَنْ فَارَقَنَا فَارَقَنَا . إِنَّ أَدْنَى مَا يَخْرُجُ بِهِ الرَّجُلُ مِنَ الْإِيمَانِ أَنْ يَقُولَ لِلْحَصَاةِ : هَذِهِ نَوَآةٌ ثُمَّ يَدِينُ بِذَلِكَ ، وَيَبْرَأَ مِمَّنْ خَالَفَهُ .

(١) الأنعام ٦ : ١٠٨ .

يَا بْنَ أَبِي مَحْمُودٍ ، احْفَظْ مَا حَدَّثْتُكَ بِهِ ، فَقَدْ جَمَعْتُ لَكَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ^(١) .
إذا تَهَجَّم على رموز الطوائف الأخرى هم أيضاً ستأخذهم الغيرة ويقابلون
بالمثل فيتهجَّمون على أئمتنا أو على الشيعة ، كل فعل ، أو قول مقال ، أو محاضرة ،
تؤدِّي إلى إثارة المسلمين بنحو يتضرَّر مؤمن بضرب بسلب مال ، بقتل ، محرَّم
عند علمائنا .

علمائنا الأعلام ينطلقون من هذه الرواية التي تبين أنَّ منهج أهل البيت عليهم السلام
ليس منهج التصريح بثلب أعدائهم أمام الذين يعتقدون بقدسيَّة هؤلاء الأشخاص .
الشيخ الصدوق ينقل عن الإمام الباقر عليه السلام : « يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ إِلَى رَجُلٍ
حَتَّى يُلَطِّخَهُ بِدَمٍ ، فَيَقُولُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، مَا لَكَ وَلِي ؟ فَيَقُولُ : أَعَنْتُ عَلَى يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا
بِكَلِمَةٍ كَذَا فَقُتِلْتُ » ^(٢) .

شخص يتكلَّم في المغرب فتنتقل كلمته إلى بلاد المشرق ، فيقتل بسببها مؤمن ،
يكون محاسباً على كلمته ، وإن كان في المغرب آمن على نفسه ، فأمنه الشخصي
ليس مبرراً لترك الثلب العلني ؛ وذلك لأنَّه ساهم في جعل القتل أمراً سائغاً في
المجتمعات الإسلاميَّة بسبب زرعه الحقد والضغينة في نفوس المسلمين على
بعضهم البعض .

ابقِ على عقيدتك على ثوابتك العقديَّة التاريخيَّة ، لا تتنازل عن ثابت أبداً ، ولكن
كن بصيراً في دينك ، عاملاً مساهماً في حفظ قوَّة المذهب والإسلام ، وحفظ
المجتمع الإسلامي ، خصوصاً الجماعة المؤمنة .

(١) عيون أخبار الرضا : ١ : ٣٠٤ ، الحديث ٦٣ .

(٢) ثواب الأعمال : ٢٧٧ .

تحديات الهوية في زمن العولمة

قال الله العليّ العظيم في كتابه الكريم :

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾

صدق الله العليّ العظيم

يقع البحث حول عنوان (تحديات الهوية في زمن العولمة) في نقاط ثلاث :

النقطة الأولى

تعريف العولمة

فقد قدّم مجموعة من الباحثين عدّة تعريفات للعولمة ، غير أنّه بإمكاننا أن نقسّم الذين عرّفوا العولمة إلى قسمين أساسيين :

القسم الأول : هم الذين عرّفوها تعريفاً تجريدياً ، فنظروا إلى العولمة كمفهوم مجرد عن الواقع ولم ينظروا إلى معطيات الواقع ، فعرّفوا العولمة كمفهوم لوحظ فيه ما ينبغي أن يتّصف به - ذلك المفهوم - فيما إذا تحقّق ، أي عرّفوا العولمة بما أنّها ممارسة قد تتحقّق في المستقبل ، وإذا تحقّقت ما الذي ينبغي أن تشتمل عليها من عناصر ؟

ومن الشخصيات التي عرّفت العولمة بهذا النحو :

ماك گرو : فقد عرف العولمة بأنّها نموّ العلاقات التبادليّة بين المجتمعات بحيث

يحدث نظام ثقافيّ موحد ، ويكون لحدوث أيّ حدث في أيّ مجتمع تأثير على سائر المجتمعات .

مارتن آل بيرو: فقد عرّف العولمة بأنها مجموعة عمليات تحوّل المجتمعات المختلفة إلى مجتمع واحد كبير ، وهو ما يسمّى بالقرية الكونية الكبيرة ، القرية المتوحّدة في ثقافتها ، وفي عاداتها ، وفي مقوماتها الحضارية .

عناصر تحقّق العولمة :

لكي تحقّق العولمة لا بدّ من توفرّ عناصر ثلاثة :

العنصر الأوّل: هو حرّيّة الإنتاج والتوزيع ، وحرّيّة الشراء والاقتناء والاستهلاك ، فلكلّ إنسان الحقّ أن ينتج أيّ منتج ، وله الحقّ في توزيع المنتج في أيّ مكان ، وأيّ حضارة ، ولدى أيّ شعب ، ومن حقّ كلّ إنسان أن يشتري ذلك المنتج مهما كان موقعه الجغرافيّ .

ويسمى هذا العنصر بالعولمة الاقتصادية بحيث يتحوّل العالم إلى سوق موحد تشترك فيه جميع المجتمعات .

العنصر الثاني: هو الحرّيّة الثقافية ، فمن حقّ أيّ إنسان مهما كان موقعه وامتأؤه أن يتبنّى أيّ نظريّة ، وأن يعتقد بأيّ فكرة ، ومن حقّه أن يروّج لما يعتقد به في أيّ مجتمع ، وفي أيّ بلد ، ولدى أيّ شعب ، ولا يجوز لأحد أن يحدّد للناس كيف يفكّرون ؟ أو يمنعهم من أن ينشروا أفكارهم ، ويروّجوا لمعتقداتهم .

ويسمى هذا العنصر بالعولمة الثقافية .

العنصر الثالث: هو تدويل القانون والنظام ، وتدويل السلطة الحاكمة ، فلكي تتحقّق العولمة لا بدّ أن يكون هناك قانون موحد يحكم كلّ البلاد وكلّ المجتمعات ، ولا بدّ أن يكون هناك دستور عالميّ بحيث تخضع له جميع الدول وجميع الأنظمة ،

ولا بدّ من وجود قوانين جزائية تضمن احترام القانون والدستور الدوليّ ، ولا بدّ من وجود قوة دولية مشتركة تقوم بتطبيق القوانين الجزائية ، تعاقب الدول أو الجماعات أو الأفراد ، الذين يخترقون القانون الدوليّ .

وهذا العنصر يسمّى بالعولمة القانونية والسياسية والعسكرية .

إذا تحقّقت هذه العناصر الثلاثة حينئذٍ يتحوّل العالم إلى قرية واحدة ، فتتحقّق القرية الكونية ، وتندكّ الحضارات والثقافات في ثقافة واحدة .

القسم الثاني : هم الذين عرّفوا العولمة تعريفاً واقعياً ، بحيث انطلقوا من الواقع ولم يلاحظوا مفهوماً ، بل لاحظوا مصداقاً ، ولم ينظروا إلى حقيقة من الحقائق إذا تحقّقت فما الذي ينبغي أن تشتمل عليه ؟ بل نظروا إلى المصداق الخارجي ففيما لو تحقّقت عولمة في المستقبل ، ما هو شكل تلك العولمة ؟ ما هو الفرد المصداق الذي يمكن أن يتحقّق للعولمة في المستقبل ؟

من الشخصيات التي عرّفت العولمة بهذا :

فوكوياما : وهو منظر أمريكيّ من أصل يابانيّ ، ومن أبرز المحافظين الجدد صاحب كتاب نهاية التاريخ والإنسان الأخير .

وقد عرّفها بأنها انتشار الثقافة الغربية ، وغلبة المدنية الأمريكية .

فالعولمة التي يدعو إليها ويروّج لها ليست إلّا أمركة العالم وغربنة العالم ، فأمريكا وأوروبا عندهم مبادئ :

منها : إيمانهم بالرأسمالية في الاقتصاد ، وبالعلمانية في إدارة الحكم والسياسة ، والليبرالية في العلاقات الاجتماعية ، والحرّيات الفردية ، والعولمة التي قد تتحقّق والتي يبشّر بها دعاة العولمة ليست إلّا نشر هذه المبادئ .

لماذا هذا القسم من الباحثين يعرّف العولمة بهذا التعريف (أمركة العالم) ؟

الجواب : باعتبار أنّ العولمة ليس إدغام الحضارات في حضارة واحدة ،

وأن تتحوّل الحضارات إلى حضارة جامعة لخصائص جميع الحضارات ، أو تندكّ الثقافات في ثقافة واحدة فتصبح ثقافة العالم ثقافة واحدة ، وهي في نفس الوقت جامعة لكلّ خصائص ومقوّمات الثقافات المختلفة ، العولمة لا تعني ذلك ، بل تعني غلبة الحضارة والثقافة الأقوى .

الأُمور التي يمكن أن تحدّد قوّة الحضارة وقوّة الثقافة أربعة :

القوّة الاقتصادية ، والقوّة العسكرية ، والقوّة العلميّة ، والقوّة العسكريّة ، وهذه العناصر الأربعة ليست موجودة إلّا في المدنيّة الأمريكيّة والمدنيّة الأوروبيّة ، فبالتالي الحضارة الأقوى هي الحضارة الغربيّة ، فإذا كان هناك عولمة في المستقبل فهي تعني تمدّد الحضارة الأمريكيّة ، أن تغزو المبادئ الأمريكيّة سائر البلاد ، وتحوّل إلى ولاية من الولايات الأمريكيّة يحكمها النظام الرأسماليّ والنظام العلمانيّ والنظام الليبراليّ .

ونحن فعلاً إذا تأملنا في إرهابات العولمة نجد أنّ الآثار التي نلمسها للعولمة التي يُبشّر بها تدلّ على أنّ العولمة ليست إلّا تمديدًا للفكر الغربيّ ، فهي غزو فكريّ ولكن جعل له عنوان ناعم ، فالعولمة ليست إلّا عنواناً ناعماً مخملياً لما يسمّى بصراع الحضارات ، أو الغزو الفكريّ ، فبدل أن يعبر بذلك عبّر بالعولمة !

الآن - للأسف - الواقع الإسلاميّ نجده يستجيب لدعوات العولمة لأنّه أخذ يتأثر بالطرح الغربيّ ، فنحن نجد للغرب تأثيراً علينا في أفكارنا ، فيوجد بيننا من يتبنّى الفكر الليبراليّ والعلمانيّ ويروج لذلك ، الغرب أثر على ميولاتنا النفسيّة ، الآن الموضة الغربيّة تتصرّف فينا كيفما تشاء ، الثقافة الغربيّة لها تأثير على شكلنا ، بعض الشباب له تسريحة خاصّة يجعل لحيته بكيفية خاصّة تماثل الكيفية الموجودة في البلاد الغربيّة ، وكذلك اللباس ، وأيضاً لها تأثير على لساننا ، أن يتعرّف الإنسان على لغة غير لغته هذا أمر حسن وحضاريّ ، فمن عرف لغة قوم أمن من شرّهم ، وتمكّن من تحصيل خبراتهم ، اللغة هي وسيلة تواصل بين الثقافات والحضارات ،

ولكن أن تجعل اللغة هي مناط التقدم فهذا يعني أن هناك هزيمة نفسية وخضوعاً وانصياعاً للثقافة التي تحملها تلك اللغة ، الثقافة الغربية أثرت علينا حتى في بعض تفاصيل حياتنا ، فالمطاعم المنتشرة والسريعة هذه أسست وفق مبادئ غربية ، وفصلت لمجتمعات غربية لها نمط حياة معين .

نحن الآن نتأثر في بعض سلوكياتنا ، نحن - مثلاً - عندنا يكره أن يأكل الإنسان وحده ، بينما هذه المطاعم تجعل الإنسان يأكل وحده عندما يشتري منها وجبة ويأكلها في الطريق . نعم ، هذا قد لا يكون أمراً جوهرياً ، ولكن انعكاس للغزو الفكري ، أحد دلالات العولمة المستقبلية .

نحن من أسس نظام الغذاء عندنا فيما إذا كان الطعام من اللحم أو مشتقاته ضرورة إحراز التذكية ، بينما مسألة إحراز التذكية تكاد تكون معدومة مع هذه الوجبات السريعة ، وهذه المسألة ربما ينظر إليها البعض على أنها مسألة شكلية ، ولكنها من دلالات تأثير العولمة الجديدة ، الغزو الفكري الجديد ، النظام العالمي الجديد الذي يراد أن يطبق علينا .

النقطة الثانية

مبررات العولمة

الذين يدعون إلى العولمة لهم مبررات تدعوهم إلى تبني العولمة ، وقد ذكر عدة من الباحثين المبررات التالية :

الأول: المبرر الحضاري .

كل حضارة تعتز بنفسها وبمبادئها وبالنظريات التي توصلت إليها ، فمن باب الاعتزاز بالحضارة تقوم الحضارات بنشر مبادئها وثقافتها ، فالغرب - مثلاً - يعتز بمبادئ الليبرالية ، يعتقد أنها الأفضل ، فيروج ويسعى لأن يجعل العالم مطبقاً

لهذه المبادئ ؛ لأنه يراه من نتاجه ، فاعتزازه بها جزء من نفس الاعتزاز بالحضارة .

الثاني: المبرر الاقتصادي .

بعض الأبحاث تقول أن الدعاة الحقيقيين للعولمة هم أصحاب الشركات العملاقة العابرة للقارات ، متعددة الجنسيات ، مثل شركة أبل ، وشركة مايكروسفت ، وشركة كوكا ، فإن هذه الشركات تسيطر على اقتصاد العالم ، حيث تملك ضعف احتياط الدول في مخزون الذهب والنقد ، وتستحوذ على ٨٠٪ من التبادلات التجارية التي تقع اليوم ومنتشرة في كل البلاد ، والدول المستضيفة لها لا تستفيد من ربحها إلا ١٥٪ ، وأما الدول الأم التي أسست هذه الشركات تستفيد ٨٥٪ ، وأغلب هذه الشركات شركات أمريكية وشركات أوروبا ٤٤٪ شركات أمريكية و ٣٢٪ أوروبية ، ثم العالم كله يشترك في ٢٤٪ ، هذه الشركات حتى تحافظ على السيطرة الاقتصادية لا بد وأن تحول العالم كله إلى سوق مستهلك ، وهذه العولمة الاقتصادية .

والعولمة الاقتصادية لا يمكن أن تتحقق إلا إذا تغيرت ثقافة البلاد بنحو يتحول الناس إلى أشخاص يتابعون منتجات هذه الشركات العالمية ، بل وآخر ما تنتجه هذه الشركات ، وهذا يحتاج إلى تغيير ثقافي وفكري ، هنا تأتي العولمة الثقافية .

هذه الدول كيف تضمن بقاء مصالحها في الدول المختلفة والدول الحاضنة المستقبلية لفروعها لا بد من وجود قانون دولي مشترك وقوة دولية عامة تحفظ مصالح هذه الشركات في الدول المختلفة ، وهنا تأتي العولمة القانونية والعسكرية . فالذين يدعون أساساً إلى العولمة أصحاب هذه الشركات ، يريدون أن يجعلوا لهم سوقاً ووظيفتنا الاستهلاك فقط ، الذين يدعون إلى العولمة لا يدعون في الواقع إلا إلى عنوان براق يخدعون به سائر الشعوب . نعم ، إذا كانوا هم يريدون أن يحولوا العالم إلى قرية عالمية كبيرة فلماذا لا يقدمون النقاط الإيجابية التي تحصلوا عليها

وجعلتهم في الصدارة؟ لماذا لا يعطوننا كيفية اختراع المخترعات؟ لماذا لا يعطونا خبراء يبنون لنا مصانع تناظر المصانع التي عندهم، حتى نكون في مصافهم فيما إذا أردنا أن ننتج؟

بدل ذلك - على النقيض - يشرعنون أنظمة احتماء العلم كقانون براءة الاختراع، ليحفظوا أسرار اكتشافاتهم، إذا اكتشف أحد في الغرب أي مكتشف واختراع أي اختراع لا يحقّ لغيره أن يمارس إنتاج ذلك المخترع ويضعون عقوبات دولية، والهدف من هذه الأنظمة أن تبقى سائر الدول سوقاً مستهلكاً.

الثالث: المبرر التطويري.

العالم كما نعلم فيه دول متطورة في الاقتصاد والعلم والمدنية، وفيه دول متخلفة نامية تسعى من أجل التطوير، فالدول النامية المتطورة لأنها تحبّ التطوير فإنها تحاول أن تكرر تجربة الدول المتقدمة، فتحاول أن تجعل نفسها نسخة أخرى للدول المتطورة، تأخذ ثقافتها ومبادئها لكي تتحوّل مثلها. نعم، حبّ التطور صفة حسنة وحضارية ينبغي أن يكون الإنسان محباً للتطور دائماً يسعى لتجديد نفسه لتغيير وضعه من السيئ إلى الحسن، ومن الحسن إلى الأحسن، ولكن ينبغي أن يكون هذا التطوير واعياً، التطوير لا يعني أن تتحوّل إلى نسخة أخرى للمجتمع المتطور بحيث تأخذ منها النقاط الإيجابية والسلبية!

التطوير معناه أن تحافظ على مكتسباتك، تحافظ على النقاط الإيجابية التي تملكها، وتضيف إليها النقاط الإيجابية الموجودة عند الحضارات الأخرى، حبّ التطوير إذا اقترن بعدم الوعي يوقع الإنسان في فكرة العولمة التي يروج لها دعاة العولمة، فتتحوّل جميع المجتمعات إلى نسخة أخرى للمجتمع الأمريكي أو الأوروبي، والقرآن الكريم يضرب لنا مثلاً لجماعة كانوا يحبّون التطوير ولكن لا يوجد عندهم وعي، تلك جماعة كانت في عهد موسى (على نبينا وآله

وعليه أفضل الصلاة والسلام)، رأوا قارون متطوراً في مجاله الاقتصادي فأرادوا أن يكونوا مثل قارون، ولكنهم أرادوا أن يكونوا نسخة أخرى من قارون يأخذونه بإيجابياته وسلبياته، قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ (١).

أن تحب التطوير يعني أن تأخذ إيجابيات قارون لا أن تتحول إلى شخصية أخرى كقارون مع ما فيه من سلبيات مهلكة، وتجعل ما فيك من إيجابيات لا قيمة لها. الذي يراد منا أن نتحول إلى نسخة أخرى كقارون العصر نأخذ منه حتى السلبيات، فنهلك ونتحول إلى مجتمع متمزق فيه النزعة الفردية تطفئ على النزعة الاجتماعية، نسعى إلى المصالح الضيقة الزائلة، تحقيق الشهوات، وتعمير الدنيا على حساب الآخرة.

النقطة الثالثة

تأثير العولمة على الهوية الإسلامية

العولمة لها تأثير سلبي جداً على هويتنا كمسلمين؛ لأن المدنية الإسلامية والهوية الإسلامية تنطلق من أسس تختلف اختلافاً جذرياً عن أسس العولمة التي يروج لها.

أسس المدنية الإسلامية:

تنطلق المدنية الإسلامية من أربعة أسس أساسية:

الأساس الأول: أن محاور الوجود ومن إليه ينتهي الوجود، وينبغي أن يخضع له

(١) القصص ٢٨: ٧٩ و ٨٠.

الوجود، هو الله تبارك وتعالى، الله تعالى هو الذي خلق الكون، وهو المالك الحقيقي، وما سواه عبد ينبغي أن يخضع لإرادته، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ (١)، ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (٢)، ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ﴾ (٣).

الأساس الثاني: أن الله تبارك وتعالى كما أنه محور في الوجود، كذلك هو محور في عالم التشريع، محور من الناحية القانونية، الذي له حق أن يجعل القانون، ويجب أن يخضع لقانونه ويطاع هو الله تبارك وتعالى، والله تعالى جعل القانون، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (٤).

لقد شرع الله لنا تشريعات لتنظيم حياتنا، ثم جعل الباري تعالى لنا مرجعية لأخذ تلك التشريعات، والمرجعية ليست هي العقل. نعم، العقل يستفاد منه في فهم تشريع الله وخلفيات تشريعه، أي المصالح التي لاحظها الباري تعالى في قوانينه، وليس هو المصدر، العقل يقول: إذا آمنّا بوجود الله تبارك وتعالى فلا بد أن نؤمن أن قانونه أفضل من قانون العقل البشري؛ لأن معنى وجود إله هو وجود المهيمن المطلق، والعالم المطلق، الذي يعلم الإنسان، ويعلم مصالح الإنسان في الآن والمستقبل، وهو الذي أعطاه العقل والعلم والقدرة على التفكير والاستنتاج، فإذا كان كل ما عند العقل من الله تعالى فلا يمكن أن يأتي العقل بقانون أفضل من قانون الله تبارك وتعالى، هذا ما يقرّ به العقل وفق عقيدة خاصة وهي عقيدة

(١) الملك ٦٧: ١.

(٢) يس ٣٦: ٨٣.

(٣) الجمعة ٦٢: ١.

(٤) الحديد ٥٧: ٢٥.

الإله ، الذي خلقنا ، وأعلم منا بمصالحنا ، في ظل هذه العقيدة لا بد وأن نجزم بأنه تبارك وتعالى الأولي بجعل القانون ، وإذا جعل القانون لا بد وأن يُتبع في قوانينه ، وقد جعل المولى تبارك وتعالى لنا أحكاماً ، وحدد مرجعية لهذه الأحكام ، قال تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ .

وقال رسول الله ﷺ : «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ وَعِترتي أَهْلَ بَيْتِي ، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ ، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا مَا اتَّبَعْتُمُوهُمَا وَاسْتَمْسَكْتُمْ بِهِمَا»^(١) .

الأساس الثالث: أن الإنسان يتكوّن من بعدين : البعد المادّي والبعد الروحيّ المجرّد ، فلإنسان جسد وله شهوات ورغبات ، وأيضاً للإنسان روح ، قال تعالى : ﴿إِنْ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢) ، هناك جنبه ترابيّة خلقت من تراب ، ولكن هناك جنبه أمريّة ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ .

وقال تعالى : ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾^(٣) ، هناك طين وهناك روح ، أي نظام لا يمكن أن يكون نافعاً وتترتب عليه قيمة إلا إذا كان ذلك النظام يحقق مصالح الإنسان الروحيّة كما يحقق مصالحه الجسديّة ، أما إذا كان النظام يحقق المصالح الجسديّة فقط ، أيّ الرغبات والشهوات الدنيويّة الضيقة ولكن على حساب الروح والحياة الأخرويّة ، فهذا لا ينفع الإنسان .

الأساس الرابع: وهو الانتماء للجماعة المؤمنة ، أنت كمسلم عندك رؤية وفلسفة من خلالها تنظر إلى الكون تعتقد أن في هذا الكون إلها ، وهو محور ،

(١) أمالي الطوسي : ٥٤٨ .

(٢) آل عمران ٣ : ٥٩ .

(٣) سورة ص ٣٨ : ٧١ و ٧٢ .

وسائر الموجودات ليست إلا فضل من نوره تبارك وتعالى ، هو الذي منَّ عليها بالوجود ، ومن له حق التشريع هو ، هذه المعتقدات تحتاج إلى بيئة حافظة ، والبيئة الحافظة هي الجماعة المؤمنة ، الإنسان الذي يعيش في بيئة ملؤها الشبهات فإن الأمراض الروحية كالأمرض الجسدية معدية ، قد يصيب الإنسان مرض روحي بسبب اتصاله بمرضى روحي فيتنازل عن عقيدته ورؤيته للكون والإله ومخلوقاته ، من هنا على الإنسان أن يجعل على نفسه حافظة يحفظ من خلالها عقيدته وثباته على مبادئه ، وتلك الحافظة هي البيئة الإيمانية ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(١) ، كونوا مع أصحاب العقيدة الصادقة ، وأصحاب السلوك الصادق ، الباري تعالى أوجب علينا أن نقول في الصلاة : ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ كحدِّ أقل عشر مرّات ندعو بهذا الدعاء في صلواتنا ، وهذا الدعاء يعني أن تطلب من الله تعالى أن تكون في صراط الذين آمنوا ، أن تكون مع الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ؛ لأن هذه البيئة هي التي تحفظ عقيدتك ، ليس مطلوب منك أن تعادي كلّ من يختلف معك ، بل المطلوب منك أن تكون رحيماً تدعوهم إلى الحق ، قال تعالى : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٢) ، ولكن لا تكن معهم ، لا تتأثر بأفكارهم ، وإنما تكون مع الجماعة الصالحة ومعادياً لأعداء الله والحق والخير .

أسس العولمة :

المبادئ التي تبنى عليها العولمة ذات النزعة المادية والليبرالية تختلف عن هذه الأسس الأربعة : فأول أساسها أنّ الإنسان هو محور الوجود ، وليس أيّ إنسان ،

(١) التوبة ٩ : ١١٩ .

(٢) النحل ١٦ : ١٢٥ .

بل الإنسان في نزعته الماديّة لا الروحيّة ، فكلّ قانون ينبغي أن يكون بوضع الإنسان وفي صالحه ، وصالح الإنسان أن يتحصّل على شهواته ورغباته ، ويطعم جسده من ذلك ، فإنّ ما يقدّمه الغرب من نتاجهم وإعلامهم ليس إلّا سلعاً تخاطب شهوة الإنسان والجنس والمأكل والملبس ، فهي أمور لا تنتج إلّا لأجل إعمار الدنيا ، ولو على حساب الآخرة ، فالأنموذج الذي يراد أن نحتذي به هو المجتمع الأمريكي ؛ إذ يعتبر هو أفضل من طبّق مبادئ العولمة الليبراليّة التي يروج بها ، ما هو حال المجتمع الأمريكي ؟ مجتمع متفتّت متمزّق ، الجرائم تأخذ من طوله إلى عرضه ، كلّ سنة في أمريكا تقع أحد عشر مليون وثمانمائة وسبع وسبعين جريمة ، الدول العربيّة والإسلاميّة كلّها مجتمعة جرائمها لا تصل إلى ربع هذا العدد .

في كتاب أمريكا تصلي أو لا تصلي ؟ توجد إحصائيّة تقول في كلّ أربع دقائق في أمريكا تقع خمس عمليّات اغتصاب ، ويقول أيضاً : عدد النساء اللّاتي تعرّضن لعمليّة اغتصاب أو تحرّش جنسيّ في فترة من فترات حياتهنّ يبلغن من مجموع المواطنين الأمريكيّات ٨٠٪ ، مدرسة واحدة ثانويّة نسبة اللّاتي حملن في سنة واحدة من سفاح ٤٥٪ ، هذا النموذج الذي يراد منّا أن نحتذي به ، هذه المبادئ التي تبشّر بها العولمة ، ويدعو إليها دعاة العولمة في البلاد الإسلاميّة الذين يتبنّون الفكر الليبراليّ أو النزعة الماديّة ، وينطلقون من مبادئ إلحادية وهم لا يشعرون ، يريدون أن يتحوّل واقعنا الاجتماعيّ إلى هذه الصورة المرعبة .

نحن في الواقع لسنا بحاجة إلى النموذج الغربيّ والشرقيّ ، فإنّا عندنا نماذج بيضاء مشرقة تنير لنا طريقنا نحو الكمال في الدنيا والآخرة ، تلك النماذج نتعرّف عليها في مدرسة محمّد وآل محمّد ، مسلم بن عقيل هذا الرجل العظيم أحد النماذج المشرقة التي نتعرّف عليها في مدرسة أهل البيت عليه السلام ، وفي مدرسة أمير المؤمنين عليه السلام ، وفي مدرسة الإمام الحسين عليه السلام ، هو النموذج الذي ينبغي أن نقنّدي به .

مسلم بن عقيل ضحى بكل ما عنده من أجل المبدأ ومن أجل الآخرة، بلغ مقاماً عظيماً عمّر به آخرته، ولم يهتم بشأن هذه الشهوة الملحة الفانية والزائلة، وإنما اهتم بتحقيق رضا خالقه، وعقله النير قاده إلى أعلى المراتب، إذا أردت أن تتعرف على مقام مسلم بن عقيل فاسأل الحسين عليه السلام، الإمام الحسين عليه السلام بايعه الناس في عدة أماكن، ولكن أهم منطقة بايعت الإمام الحسين هي الكوفة، فالكوفة أرادت سفيراً ونائباً يقوم مقام الحسين، وهو عليه السلام اختار من كل أهل بيته مسلماً ليقوم بهذا الدور الحساس والخطير جداً، ثم كتب عليه السلام: «وَأِنِّي بَاعْتُ إِلَيْكُمْ أَخِي، وَابْنِ عَمِّي، وَثِقْتِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِي»^(١)، فذهب (سلام الله عليه) إلى الكوفة نائباً خاصاً مختاراً بشخصه من سيد الشهداء.

(١) الإرشاد: : ٣٩.

الفصل السادس عشر

بحوث تاريخية

السقيفة بين كتاب البخاري وفتح الباري

تصدير:

الحمد لله رب العالمين ،
والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين

وبعد :

لا يخفى تأثير أحداث السقيفة الكبير على تاريخ الأمة الإسلامية وواقعها ،
فقد أدّى ما جرى يومئذٍ إلى وقوع اختلاف كبير بين المسلمين أنهارهم إلى مذاهب
وفرق في عقائدهم وعباداتهم ، ومختلف أفكارهم وسلوكياتهم ، ونظراً إلى أهمية
هذا الحدث التاريخي فقد قمنا بالقاء الضوء عليه دراسة وتحليلاً في هذه الرسالة
المختصرة التي تتميز في اقتصارها على الاعتماد على مصدرين لأنهما من أهم
المصادر عند العامة :

المصدر الأول: كتاب محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ، أبو عبد الله
البخاري المسمى بالصحيح .

قيمة كتاب البخاري عند القوم :

- ١ - قال ابن حجر الهيتمي المكي : « روى الشيخان البخاري ومسلم في
صحيحيهما ، اللذين هما أصح الكتب بعد القرآن بإجماع من يعتد به »^(١) .
- ٢ - وقال أبو عمرو بن الصلاح : « أول من صنّف في الصحيح البخاري ،

(١) الصواعق المحرقة : ١ : ٣١ .

أبو عبد الله محمد بن إسماعيل . وتلاه أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري .
ومسلم مع أنه أخذ عن البخاري واستفاد منه ، فإنه يشارك البخاري في كثير من
شيوخه . وكتابهما أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز»^(١) .

٣ - وقال النووي : « فصل : اتفق العلماء ﷺ على أن أصح الكتب - بعد القرآن
العزيز - الصحيحان البخاري ومسلم ، وتلقتهما الأمة بالقبول . وكتاب البخاري
أصحهما ، وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة . وقد صح أن مسلماً كان
ممن يستفيد من البخاري ، ويعترف بأنه ليس له نظير في علم الحديث »^(٢) .

وقال أيضاً : « وقد قال إمام الحرمين : لو حلف إنسان بطلاق امرأته أن ما في كتابي
البخاري ومسلم مما حكما بصحته من قول النبي لما ألزمته الطلاق ، ولا حنثته ؛
لإجماع علماء المسلمين على صحتها »^(٣) .

٤ - وقال السيوطي : « وذكر الشيخ - يعني : ابن الصلاح - أن ما رواه - أو أحدهما -
فهو مقطوع بصحته ، والعلم القطعي حاصل فيه . قال : خلافاً لمن نفى ذلك محتجاً
بأنه لا يفيد إلا الظن ، وإنما تلقته الأمة بالقبول لأنه يجب عليهم العمل بالظن ،
والظن قد يخطئ . قال : وقد كنت أميل إلى هذا وأحسبه قوياً ، ثم بان لي أن الذي
اخترناه أولاً هو الصحيح ؛ لأن ظن من هو معصوم عن الخطأ لا يخطئ ، والأمة في
إجماعها معصومة من الخطأ ... وقد قال إمام الحرمين : لو حلف إنسان بطلاق امرأته
أن ما في الصحيحين مما حكما بصحته من قول النبي لما ألزمته الطلاق ؛ لإجماع
علماء المسلمين على صحته ... قلت : وهو الذي اختاره ، ولا أعتقد سواه »^(٤) .

(١) مقدمة فتح الباري : ١ : ١٠ .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم : ١ : ١٤ .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم : ١ : ١٩ و ٢٠ .

(٤) تدريب الراوي : ١ : ١٣١ - ١٣٤ في الخامسة : الصحيح أقسام .

٥ - وقال الدهلوي : « أمّا الصحيحان ، فقد اتَّفَق المحدثون على أنَّ جميع ما فيهما من المتَّصل المرفوع صحيح بالقطع ، وأنَّهما متواتران إلى مصنَّفيهما ، وأنَّه كلٌّ من يهَوِّن أمرهما فهو مبتدع ، متَّبِع غير سبيل المؤمنين »^(١).

٦ - وقال أبو بكر بن خزيمة : « ما في هذه الكتب كلُّها أجودُّ من كتاب محمد بن إسماعيل »^(٢) ، يعني البخاري .

وكان علي بن المديني - وهو شيخ البخاري - إذا بلغه عن البخاري شيء يقول : ما رأى مثل نفسه »^(٣).

٧ - وقال شمس الدين محمد بن يوسف بن علي الكرماني (ت ٧٩٣هـ) في مقدِّمة الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري : « علِّم الحديث أفضل العلوم ، وكتاب البخاري أجَلُّ الكتب نقلاً ، وأكثرها تَعْدِيلاً وضبطاً »^(٤).

٨ - وقد اشتهر بينهم : « من روى له الشيخان فقد جاز القنطرة »^(٥).

المصدر الثاني : كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني .

مكانة ابن حجر :

١ - قال السخاوي : « شهد له شيخه العراقي بأنَّه أعلم أصحابه بالحديث »^(٦).

٢ - قال السيوطي : « إمام هذا الفن للمتقدِّمين ، ومقدِّم عساكر المحدثين ،

(١) حجة الله البالغة : ١ : ٢٨٢ ، باب طبقات كتب الحديث .

(٢) مقدِّمة فتح الباري : ٨ .

(٣) مقدِّمة فتح الباري : ٣٤٥ .

(٤) كشف الظنون : ١ : ٥٤٦ .

(٥) الكشف الحثيث : ١١٢ ، واللفظ له . فتح الباري : ١٣ : ٤٥٧ .

(٦) فتح الباري : ١ : ٢ .

وعمدة الوجود في التوهين والتصحيح ، وأعظم الشهود والحكام في بابي التعديل والتجريح»^(١).

٣ - قال عبد الحي العكبري : « انتهى إليه معرفة الرجال واستحضارهم ، ومعرفة العالي والنازل ، وعلل الأحاديث ، وغير ذلك ، وصار هو المعول عليه في هذا الشأن في سائر الأقطار»^(٢).

قيمة الروايات التي يستشهد بها:

لقد نصّ ابن حجر على أنّه لا يستخرج في كتابه إلا ما كان مستجمعاً لشرط الصحة والحسن .

قال في هدى الساري مقدّمة فتح الباري : « فإذا تحرّرت هذه الفصول ، وتقرّرت هذه الأصول ، افتتحت شرح الكتاب مستعيناً بالفتّاح الوهاب ، فأسوق إن شاء الله الباب وحديثه أولاً ، ثمّ أذكر وجه المناسبة بينهما إن كانت خفية ، ثمّ استخرج ثانياً ما يتعلق به غرض صحيح في ذلك الحديث من الفوائد المتنيّة والإسناديّة من تتمّات وزيادات ، وكشف غامض وتصريح مدلّس ، بسماع ومتابعة سامع من شيخ اختلط قبل ذلك منتزعا كلّ ذلك من أمّهات المسانيد والجوامع والمستخرجات والأجزاء والفوائد بشرط الصحة أو الحسن فيما أورده من ذلك»^(٣).

منهجية البحث:

وسوف يكون البحث متعرّضاً بالترتيب للنقاط التالية :

النقطة الأولى: في عرض روايات كتاب البخاري المتعرّضة لحادثة السقيفة .

(١) نفحات الأزهار: ٦ : ٣٠٠ .

(٢) نفحات الأزهار: ٤ : ١٨٢ .

(٣) مقدّمة فتح الباري : ٤ .

النقطة الثانية: في بيان تسلسل الأحداث من حيث الزمان .

النقطة الثالثة: في بيان الأطراف الذين كانوا في مجريات الأحداث في ذلك الزمان .

النقطة الرابعة: في عرض مجموعة من الدلالات .

روايات السقيفة:

تعرض البخاري في كتابه لحادثة السقيفة من خلال نقله لثلاث روايات :

الرواية الأولى: كتاب فضائل الصحابة - باب من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب - يعني الجنة - حديث ٣٤٦٧ : حدثنا إسماعيل ابن عبد الله ، حدثنا سليمان بن بلال ، عن هشام بن عروة ، قال : أخبرني عروة بن الزبير ، عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي : أن رسول الله مات وأبو بكر بالسنح - قال إسماعيل : يعني بالعالية - فقام عمر يقول : والله ما مات رسول الله .

قالت : وقال عمر : والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك ، وليبعثن الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم ، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله فقبله قال : بأبي أنت وأمي ، طبت حياً وميتاً . والذي نفسي بيده ، لا يذيقك الله الموتتين أبداً ، ثم خرج فقال : أيها الحالف ، على رسلك ، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر ، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال : ألا من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، وقال : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ (١) ، وقال : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٢) .

(١) الزمر ٣٩ : ٣٠ .

(٢) آل عمران ٣ : ١٤٤ .

قال : فنشج الناس ييكون .

قال : واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عباد في سقيفة بني ساعدة فقالوا : منّا أمير ومنكم أمير ، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح ، فذهب عمر يتكلم ، فأسكته أبو بكر - وكان عمر يقول : والله ما أردت بذلك إلّا أنّي قد هيأت كلاماً قد أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر - ثمّ تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس فقال في كلامه : نحن الأمراء وأنتم الوزراء ، فقال حباب بن المنذر : لا والله لا نفعل ، منّا أمير ومنكم أمير ، فقال أبو بكر : لا ، ولكنّا الأمراء وأنتم الوزراء ، هم أوسط العرب داراً ، وأعربهم أحساباً ، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح ، فقال عمر : بل نبايعك أنت ، فأنت سيّدنا وخيرنا وأحبّنا إلى رسول الله فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس ، فقال قائل : قتلتم سعد بن عباد ، فقال عمر : قتله الله .

وقال عبد الله بن سالم عن الزبيدي ، قال عبد الرحمن بن القاسم : أخبرني القاسم أنّ عائشة (رضي الله عنها) قالت : شخص بصر النبيّ ثمّ قال : في الرفيق الأعلى ثلاثاً ، وقصّ الحديث .

قالت : فما كانت من خطبتهما من خطبة إلّا نفع الله بها ، لقد خوّف عمر الناس ، وإنّ فيهم لنفاقاً ، فردّهم الله بذلك ، ثمّ لقد بصّر أبو بكر الناس الهدى ، وعرفهم الحقّ الذي عليهم ، وخرجوا به يتلون : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ... الشَّاكِرِينَ ﴾ (١) .

الرواية الثانية : كتاب الحدود - باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت حديث : ٦٨٣٠ : حدّثنا عبدالعزيز بن عبد الله ، حدّثني إبراهيم بن سعد ، عن صالح ، عن ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس ، قال : كنت أقرئ رجالاً من المهاجرين ، منهم عبد الرحمن بن عوف ، فبينما أنا في منزله بمنى ، وهو

(١) آل عمران ٣ : ١٤٤ .

عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجها ؛ إذ رجع إليّ عبد الرحمن فقال : لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم فقال : يا أمير المؤمنين ، هل لك في فلان ؟ يقول : لو قد مات عمر لقد بايعت فلاناً ، فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت ، فغضب عمر ثم قال : إني إن شاء الله لقائم العشيّة في الناس فمحذّرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغضبوهم أمورهم .

قال عبد الرحمن : فقلت : يا أمير المؤمنين ، لا تفعل ، فإنّ الموسم يجمع رعايا الناس وغوغاءهم ، فإنّهم هم الذين يغلبون على قريك حين تقوم في الناس ، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كلّ مطير ، وأن لا يعوها ، وأن لا يضعوها على مواضعها ، فأمهل حتّى تقدم المدينة ، فإنّها دار الهجرة والسنة فتخلص بأهل الفقه ، وأشراف الناس ، فتقول ما قلت متمكناً ، فيعي أهل العلم مقالاتك ويضعونها على مواضعها ، فقال عمر : أما والله إن شاء الله لأقومن بذلك أوّل مقام أقومه بالمدينة .

قال ابن عباس : فقدمنا المدينة في عقب ذي الحجة ، فلما كان يوم الجمعة عجلت الرواح حين زاغت الشمس حتّى أجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالساً إلى ركن المنبر ، فجلست حوله تمسّ ركبتي ركبته ، فلم أنشب أن خرج عمر بن الخطاب ، فلمّا رأيته مقبلاً قلت لسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل : ليقولن العشيّة مقالة لم يقلها منذ استخلف ، فأنكر عليّ وقال : ما عسيت أن يقول ما لم يقل قبله ، فجلس عمر على المنبر ، فلمّا سكّت المؤذنون قام فأثنى على الله بما هو أهله ، ثمّ قال :

أمّا بعد ، فإنّي قائل لكم مقالة قد قدّر لي أن أقولها ، لا أدري لعلّها بين يدي أجلي ، فمن عقلها ووعاها فليحدّث بها حيث انتهت به راحلته ، ومن خشي أن لا يعقلها فلا أحلّ لأحد أن يكذب عليّ . إن الله بعث محمّداً بالحقّ وأنزل عليه الكتاب ، فكان ممّا أنزل الله آية الرجم ، فقرأناها وعقلناها ووعيناها ، رجم

رسول الله ﷺ ورجمنا بعده ، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل : والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله ، فيضلّوا بترك فريضة أنزلها الله ، والرجم في كتاب الله حقّ على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة ، أو كان الحبل ، أو الاعتراف .

ثمّ إنّنا كنّا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنّه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم ، أو إن كفرأ بكم أن ترغبوا عن آبائكم ، ألا ثمّ إنّ رسول الله ﷺ قال : لا تطروني كما أطري عيسى بن مريم ، وقولوا عبد الله ورسوله .

ثمّ إنّّه بلغني أنّ قائلاً منكم يقول : والله لو قد مات عمر بايعت فلاناً ، فلا يغترّ امرؤ أن يقول إنّما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمّت ، ألا وإنّها قد كانت كذلك ، ولكن الله وقى شرّها ، وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر ، من بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ، ولا الذي بايعه ، تغرة أن يقتلا ، وإنّه قد كان من خبرنا حين توفّى الله نبيّه ﷺ أنّ الأنصار خالفونا ، واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة ، وخالف عناً عليّ والزبير ومن معهما ، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر ، فقلت لأبي بكر : يا أبا بكر ، انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، فانطلقنا نريدهم .

فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلين صالحين ، فذكرنا ما تمألاً عليه القوم ، فقالا : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ فقلنا : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار ، فقالا : لا عليكم ألاّ تقربوهم ، اقضوا أمركم ، فقلت : والله لنأتينهم ، فانطلقنا حتّى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة ، فإذا رجل مزمل بين ظهرائهم ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : هذا سعد بن عباد ، فقلت : ما له ؟ قالوا : يوعك .

فلما جلسنا قليلاً تشهّد خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله ، ثمّ قال : أمّا بعد ، فنحن أنصار الله ، وكتيبة الإسلام ، وأنتم معشر المهاجرين رهط ، وقد دفت دافّة من قومكم ، فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا ، وأن يحضنونا من الأمر ،

فلما سكت أردت أن أتكلّم - وكنت قد زوّرت مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الحدّ - فلما أردت أن أتكلّم قال أبو بكر: على رسلك، فكرهت أن أغضبه فتكلّم أبو بكر، فكان هو أحلم منّي وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلّا قال في بديهته مثلها، أو أفضل منها، حتّى سكت فقال: ما ذكرتكم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يعرف هذا الأمر إلّا لهذا الحيّ من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيّهما شئتم.

فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا، فلم أكره ممّا قال غيرها كان، والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك من إثم أحبّ إليّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر، اللهمّ إلّا أن تسوّل إليّ نفسي عند الموت شيئاً لا أجده الآن، فقال قائل من الأنصار: أنا جديها المحكّك، وعذيقها المرجّب، منّا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، فكثرت اللغط وارتفعت الأصوات حتّى فرقت من الاختلاف.

فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون، ثمّ بايعته الأنصار، ونزونا على سعد بن عبادَةَ فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادَةَ، فقلت: قتل الله سعد بن عبادَةَ.

قال عمر: وإنا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا، فإمّا يبايعناهم على ما لا نرضى، وإمّا نخالفهم فيكون فساد، فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا».

الرواية الثالثة: كتاب الأحكام - باب الاستخلاف حديث: ٦٧٠٨:

أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ خُطْبَةَ عُمَرَ الْآخِرَةَ حِينَ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَذَلِكَ الْغَدَ مِنْ يَوْمِ تُوْفِّي النَّبِيِّ، فَتَشَهَّدَ وَأَبُو بَكْرٍ صَامِتٌ لَا يَتَكَلَّمُ، قَالَ: كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَعِيشَ رَسُولُ اللَّهِ حَتَّى يَدْبُرْنَا، يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ آخِرَهُمْ،

فَإِنْ يَكُ مُحَمَّدٌ قَدْ مَاتَ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ جَعَلَ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ نُورًا تَهْتَدُونَ بِهِ ، هَدَى اللَّهُ مُحَمَّدًا ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ، ثَانِي اثْنَيْنِ ، فَإِنَّهُ أَوْلَى الْمُسْلِمِينَ بِأُمُورِكُمْ ، فَاقْبَلُوا فَبَايَعُوهُ ، وَكَانَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ قَدْ بَايَعُوهُ قَبْلَ ذَلِكَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ الْعَامَّةِ عَلَى الْمُنْبَرِ .

قَالَ الزُّهْرِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ : سَمِعْتُ عُمَرَ يَقُولُ لِأَبِي بَكْرٍ يَوْمَئِذٍ : اضْعُدِ الْمُنْبَرَ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى صَعِدَ الْمُنْبَرُ ، فَبَايَعَهُ النَّاسُ عَامَةً .

تسلسل الأحداث :

التدبر في روايات البخاري المتقدمة يفيد أن الخلاف في مسألة الإمامة كان قبل اجتماع الأنصار في السقيفة ، وأن بدايته كانت بوجود مؤامرة بين القرشيين دبّروا فيها كيفية وصولهم للحكم ، والسيطرة على الأمور بعد رسول الله ﷺ ، ويدل على ذلك عدة أمور :

١ - قول عمر : «إنه قد كان من خبرنا حين توفى الله نبيّه أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة ، وخالف عنا عليّ والزبير ومن معهما» .
فإن مخالفة الأنصار وعليّ والزبير ومن معه لمن قصدهم عمر بقوله : « خالفونا » يدل على وجود أمر مسبق تم الاتفاق عليه وخالف فيه هؤلاء .

٢ - قول عمر : « فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلين صالحين ، فذكرنا ما تملاً عليه القوم ، فقالا : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ فقلنا : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار ، فقالا : لا عليكم ألا تقربوهم اقضوا أمركم » ، فإنه يدل على وجود أمر عند المهاجرين يعلم به بعض الأنصار ، ولا يخشى عليه من اجتماع الأنصار في السقيفة .

٣ - قول خطيب الأنصار : « أمّا بعد ، فنحن أنصار الله ، وكتيبة الإسلام ، وأنتم معشر المهاجرين رهط ، وقد دفت دافة من قومكم ، فإذا هم يريدون أن يختزلونا

من أصلنا ، وأن يحضنونا من الأمر» ، فإنه يدلّ على علم الأنصار بوجود مؤامرة قرشيّة الهدف منها الحصول على السلطة ، ولهذا سارع الأنصار لقطع الطريق على المتآمرين القرشيين ، لخشيتهم ممّا سيترتب على السيطرة القرشيّة من استبداد سوف يصيبهم خاصّة بما لا يرضون به .

فقد ذكر ابن حجر أنّه وقع عند ابن سعد بسند صحيح من مرسل القاسم بن محمّد ، قال : « اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة ، فأتاهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ، فقام الحباب بن المنذر - وكان بدرياً - فقال : منّا أمير ومنكم أمير ، فإنّا والله ما نفس عليكم هذا الأمر ، ولكنّا نخاف أن يليها أقوام قتلنا آباءهم وإخوتهم . فقال عمر : إذا كان ذلك فمت إن استطعت ^(١) .

قال ابن حجر : قوله : « يختزلونا » - بخاء معجمة وزاي - أي يقتطعوننا عن الأمر وينفردوا به دوننا ، وقال أبو زيد : خزلته عن حاجته : عوّقه عنها ، والمراد هنا بالأصل ما يستحقّونه من الأمر .

قوله : « وأن يحضنونا » - بحاء مهملة وضاد معجمة - ووقع في رواية المستملي : « رأي يخرجونا » قاله أبو عبيد ، وهو كما يقال : حضنه واحتضنه عن الأمر : أخرجه في ناحية عنه واستبدّ به ، أو حبسه عنه ، ووقع في رواية أبي عليّ بن السكن : « يختصّونا » - بمثناة قبل الصاد المهملة وتشديد ها - ومثله للكشيميهني ، لكن بضمّ الخاء بغير تاء ، وهي بمعنى الاقتطاع والاستئصال ، وفي رواية سفيان عند البزار : « ويختصّون بالأمر ، أو يستأثرون بالأمر دوننا » ، وفي رواية أبي بكر الحنفّي عن مالك عند الدارقطني : « ويخطفون » بخاء معجمة ثمّ طاء مهملة ثمّ فاء .

والروايات كلّها متّفقة على أنّ قوله : « فإذا هم ... إلخ » بقية كلام خطيب الأنصار ، لكن وقع عند ابن ماجّة بعد قوله : « وقد دفتّ دافّة من قومكم » : « قال عمر : فإذا هم

(١) فتح الباري : ١٢ : ١٥٩ .

يريدون... إلخ»، وزيادة قوله هنا: «قال عمر» خطأ، والصواب أنه كلام الأنصار، ويدل له قول عمر: «فلما سكت»، وعلى ذلك شرحه الخطابي فقال: «قوله: (رهط) أي أن عددكم قليل بالإضافة للأنصار، وقوله: (دفت دافة من قومكم) يريد أنكم قوم طرأة غرباء، أقبلتم من مكة إلينا، ثم أنتم تريدون أن تستأثروا علينا»^(١).

٤ - إقرار القرشيين بذلك، وعدم اعتراضهم على خطيب الأنصار.

وبهذا يتضح أن أول الخلاف الواقع بين المسلمين في مسألة الخلافة كان تأمر بعض القرشيين، فقد اجتمعوا فيما بينهم لأخذ السلطة بعد رسول الله ﷺ وجعلها في أحدهم، فلما علم الأنصار بمؤامرة القرشيين من خلال العيون، اجتمعوا في السقيفة بعد وفاة رسول الله ﷺ، ثم توالى الأحداث، حيث نقلت عيون القرشيين^(٢) خبر اجتماع الأنصار، فبادروا بالذهاب إلى السقيفة، وانتهى الأمر ببيعة أبي بكر.

(١) فتح الباري: ١٢: ١٥٧.

(٢) قال ابن حجر في ١٢: ١٥٦: زاد في رواية جويرية عن مالك: «فبينما نحن في منزل رسول الله ﷺ إذا برجل ينادي من وراء الجدار: اخرج إلي يا ابن الخطاب، فقلت: إليك عني، فأني مشغول، قال: اخرج إلي، فإنه قد حدث أمر، إن الأنصار اجتمعوا فأدركوهم قبل أن يحدثوا أمراً يكون بينكم فيه حرب، فقلت لأبي بكر: انطلق». وهذه الرواية يستفاد منها عدة أمور:

١ - وجود عيون وجواسيس للقرشيين.

٢ - قوة شوكة القرشيين، وأنهم قادرون على أخذ الحكم وإزاحته عن الأنصار في نظر الرجل الذي جاء لإخبار عمر بخبر اجتماع الأنصار.

٣ - أن وقوع البيعة يوجب قوة الشوكة، وأن حال المبايع قبل البيعة يختلف عن حالة قبلها، فقبل البيعة يمكن أخذ الحكم منه بلا حرب وقتال، وأما بعد البيعة فالأمر يختلف.

والذي يظهر من الروايات السابقة أنَّ اجتماع الأنصار كان الأول بعد وفاة رسول الله ﷺ ، ولم ينقل البخاري في كتابه ، وكذلك ابن حجر في شرحه ، ما يبين طبيعة أحداث مؤامرة القرشيين ، فهل كانت بدايتها قبل وفاة رسول الله ﷺ أم كانت بعد وفاته ؟ وهل تمَّ اتِّفاقهم في اجتماع واحد أم في عدَّة اجتماعات ؟ وهل ينحصر الأعضاء الفاعلون فيمَن وردت أسماؤهم في هذه الروايات أم أنَّ وراء هؤلاء يقف أشخاص آخرون لهم تأثيرهم البالغ في صناعة الأحداث يومئذٍ ؟

ويمكن الوقوف على أجوبة هذه الأسئلة من خلال مراجعة المصادر الأخرى ، ولكننا لن نخوض في ذلك وفاءً بما التزمنا به في بداية هذا البحث وهو الاختصار على دراسة ما ورد في كتاب البخاري وشرح العسقلاني .

انقسام المسلمين بعد وفاة النبي الأعظم :

إنَّ ملاحظة مجموع الروايات الواردة في كتب الحديث والتاريخ تفيد القطع بانقسام المسلمين بعد وفاة النبي الأكرم ﷺ إلى أربعة أقسام :

١ - القرشيون المتآمرون من أجل جعل الخلافة في أحدهم ، والذين أنتج تخطيطهم وتدبيرهم بيعة أبي بكر .

٢ - الأنصار الذين اجتمعوا في السقيفة على جعل أمير منهم .

٣ - علي بن أبي طالب عليه السلام ومن كان معه ، وقد كان تخلفهم في بيت فاطمة عليها السلام .

قال ابن حجر : « قوله : وخالف عَنَّا علي والزبير ومن معهما » ، وفي رواية مالك ومعمر : « وأنَّ علياً والزبير ومن كان معهما تخلفوا في بيت فاطمة بنت رسول الله ، وكذا في رواية سفيان ، لكن قال : « العباس » بدل « الزبير »^(١) .

وهذا يدلُّ على أنَّ تخلف أمير المؤمنين عليه السلام ومن معه لم يكن بسبب اشتغاله

(١) فتح الباري : ١٢ : ١٥٦ .

بتجهيز رسول الله ﷺ .

٤ - الفرقة التي كانت في بعث أسامة .

والبخاري في كتابه لم يتعرض للقسم الرابع ، ولكنه تعرض للأقسام الثلاثة الأولى في الرواية الثانية التي نقلناها من خلال نقله لقول عمر : « أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة ، وخالف عنا علي والزبير ومن معهما » .

أهمية التعرف على من كان في بعث أسامة :

والقسم الرابع مهم جداً في معرفة سير الأحداث ، فإن رسول الله ﷺ اهتم بتجهيز جيش أسامة ، وحرص المسلمين على الخروج ، قال ابن حجر : « كان تجهيز أسامة يوم السبت قبل موت النبي بيومين ، وكان ابتداء ذلك قبل مرض النبي ، فندب الناس لغزو الروم في آخر صفر ، ودعا أسامة فقال : سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل ، فقد وليتك هذا الجيش ، وأغر صباحاً على أبنى ، وحرّق عليهم ، وأسرع المسير تسبق الخبر ، فإن ظفرك الله بهم فأقلّ اللبث فيهم . فبدأ برسول الله وجعه في اليوم الثالث ، فعقد لأسامة لواء بيده ، فأخذ أسامة فدفعه إلى بريدة وعسكر بالجرف ، وكان ممن ندب مع أسامة كبار المهاجرين والأنصار ، منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد وسعيد وقتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم ، فتكلم في ذلك قوم منهم عياش بن أبي ربيعة المخزومي ، فردّ عليه عمر ، وأخبر النبي فخطب بما ذكر في هذا الحديث .

ثم اشتد برسول الله وجعه فقال : أنفذوا بعث أسامة » (١) .

ومع وجود هذا التشديد النبوي على الالتحاق ، فإن كثيراً من المهاجرين والأنصار سوف يلتحقون بالبعث خارج المدينة ، وفيهم الكثير من رجال الدولة ،

(١) فتح الباري : ٧ : ٧٥٩ .

وأهل الحلّ والعقد ، والمقاتلون الأكفاء في حروب النبي ﷺ وغزواته ، وقد نصّ على ذلك ابن حجر في قوله : « وكان ممن ندب مع أسامة كبار المهاجرين والأنصار ، منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد وسعيد وقتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم » .

وهذا ينفع في جواب كثير من الأسئلة التي تتعلّق بالأحداث التي وقعت في ذلك الوقت منها :

- ١ - كيف تمكّنت قلة من قريش من الغلبة على الأنصار وهم كثيرون ؟
- ٢ - كيف يقال بعدم وجود إجماع أو اتفاق أغلبية أهل الحلّ والعقد علىبيعة أبي بكر وهم في يوم البيعة كانوا في المدينة ولم يدفعوها ؟
- ٣ - إذا كان عليّ عليه السلام الإمام الشرعيّ ، فماذا لم يستعن بالمؤمنين الخلص الذين كانوا يقاتلون مع رسول الله ، ويلقون بأنفسهم في مواطن الهلكة امتثالاً للواجب وتشبيهاً للدين ؟

والجواب : إنّ الطبقة المؤثرة من أهل الحلّ والعقد ، وأصحاب القتال والجهاد ، كانوا خارج المدينة في بعث أسامة .

فإن قلت : لماذا لم ينزع هؤلاء الحكم من أبي بكر ويرجعوا الحقّ إلى الخليفة الشرعيّ بعد رجوعهم إلى المدينة ؟

قلت : عدم قيامهم بذلك لا يعرف وجهه إلّا منهم ، ولعلّه من جهة أنّ قيامهم بذلك يؤدّي إلى الفساد والفتنة بين المسلمين ، فإنّ من كان ضعيفاً قبل تسلّمه للحكم ويمكن دفعه عن الحكم ، قد صار قوياً بعد الحكم ويصعب رفع الحكم عنه ، وقد ذكر البخاريّ أنّبيعة شخص للخلافة فضلاً عن عدم منازعته فيها لا تدلّ على شرعية الخلافة في نظر المبايع بالكسر . قال عمر : « وإنا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر ، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكنبيعة أن يبايعوا

رجلاً منهم بعدنا، فإما بايعناهم على ما لا نرضى، وإما نخالفهم فيكون فساد».

لماذا ذهب القرشيون إلى الأنصار؟

وهنا نواجه سؤالاً مهماً، وهو: لماذا ذهب القرشيون إلى الأنصار ولم يذهبوا إلى علي عليه السلام ومن معه؟

لا يظهر من نفس روايات البخاري سبب ذلك، ويحتمل في ذلك عدة احتمالات:

الاحتمال الأول: أن شوكة الأنصار كانت أقوى.

الاحتمال الثاني: عجلة الأنصار في تعيين الإمام ومبايعته.

الاحتمال الثالث: ما يظهر من كلام عيين القرشيين الذي قال لعمر: «اخرج إليّ فإنه قد حدث أمر، إن الأنصار اجتمعوا فأدركوهم قبل أن يحدثوا أمراً يكون بينكم فيه حرب»، وهو أن بيعة الأنصار لأحدهم تؤدي إلى حدوث حرب بخلاف بيعة علي عليه السلام. أما لماذا لن تقع حرب إذا بويع علي عليه السلام وطلبت منه قریش الحكم، فهذا ما لم تتكفل هذه الرواية ببيانه.

الدلالات المستفادة من هذه الروايات:

يستفاد من هذه الروايات مجموعة من النتائج تقدّم بعضها في العنوانين السابقين، ونضيف هنا ما يلي:

اختلاف الصحابة في أساس الحكم:

١ - عدم وجود ضابطة متفق عليها في ملاك التقديم في مسألة الإمامة، فإنّ أبا بكر ذكر في ملاك التقديم أن يكون الرجل من أوسط العرب داراً، وأعربهم أحساباً، ولكنّا الأمراء وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب داراً، وأعربهم أحساباً،

فبايعوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح . « ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش ، هم أوسط العرب نسباً وداراً » ، وهذا يدل على عدم اشتراط القرشية في الإمام ، وأن المطلوب فيه أن يكون من أوسط العرب داراً ، والأغرب في الأمر أن أبا بكر لم يعمل بهذا الملاك لأنه قدّم عمر مع أن بيوت قريش تتفاوت في عراقة الحسب والنسب ، ولم يكن عمر من أوسط بيوت قريش وأعربها .

ثم إن قوله : « فبايعوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح » يدل إما على عدم وضوح أفضلية عمر على غيره من الصحابة بعد أبي بكر ، وهذا ما ينفي مجموعة من الروايات التي أخرجها القوم لإثبات أن الفضل بعد أبي بكر لعمر ، وأن ذلك واضح لا خلاف فيه بين الصحابة^(١) . وإما على أن أبا بكر لا يشترط الأفضلية في الإمامة والخلافة .

(١) قال ابن حجر في : ٧ : ٢٠ : قوله : « كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ - أَيُّ نَقُولُ : فُلَانٌ خَيْرٌ مِنْ فُلَانٍ إلخ - .

وفي رواية عبيد الله بن عمر ، عن نافع الآتي في مناقب عثمان : « كُنَّا لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا ، ثُمَّ عُمَرُ ، ثُمَّ عُثْمَانُ ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ فَلَا نَفْضِلُ بَيْنَهُمْ » .
وقوله : « لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ » ، أي لَا نَجْعَلُ لَهُ مِثْلًا .

وقوله : « ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ » يأتي الكلام فيه .
ولأبي داود من طريق سالم ، عن ابن عمر : « كُنَّا نَقُولُ وَرَسُولُ اللَّهِ حَيٌّ : أَفْضَلُ أُمَّةٍ النَّبِيِّ بَعْدَهُ أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمَرُ ، ثُمَّ عُثْمَانُ » . زاد الطبراني في رواية : « فَيَسْمَعُ رَسُولُ اللَّهِ ذَلِكَ فَلَا يُنْكِرُهُ » .

وروى خزيمة بن سليمان في فضائل الصحابة من طريق سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن ابن عمر : « كُنَّا نَقُولُ : إِذَا ذَهَبَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ اسْتَوَى النَّاسُ ، فَيَسْمَعُ النَّبِيُّ ذَلِكَ فَلَا يُنْكِرُهُ » .

وهكذا أخرج الإسماعيلي من طريق ابن أبي أويس ، عن سليمان بن بلال - في حديث الباب دون آخره - . وفي الحديث تقديم عثمان بعد أبي بكر وعمر ، كما هو المشهور عند جمهور أهل السنة .

«

»

وَذَهَبَ بَعْضُ السَّلَفِ إِلَى تَقْدِيمِ عَلِيٍّ عَلَى عُثْمَانَ ، وَمِمَّنْ قَالَ بِهِ سُغَيَانُ الثَّوْرِيِّ .
وَيَقَالُ : إِنَّهُ رَجَعَ عَنْهُ ، وَقَالَ بِهِ ابْنُ خُزَيْمَةَ ، وَطَائِفَةٌ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ .
وَقِيلَ : لَا يُفْضَلُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ . قَالَهُ مَالِكٌ فِي (الْمُدَوَّنَةِ) ، وَتَبِعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ
بِحَبِي الْقَطَّانِ ، وَمِنْ الْمُتَأَخِّرِينَ ابْنُ حَزْمٍ .
وَحَدِيثُ الْبَابِ حُجَّةٌ لِلْجُمْهُورِ ، وَقَدْ طَعَنَ فِيهِ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ ، وَاسْتَدَّ إِلَى مَا حَكَاهُ عَنْ
هَارُونَ بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ مَعِينٍ يَقُولُ : مَنْ قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ
وَعَرَفَ لِعَلِيٍّ سَابِقِيَّتَهُ وَفَضْلَهُ فَهُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ .
قَالَ : فَذَكَرْتُ لَهُ مَنْ يَقُولُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَيَسْكُتُونَ ، فَتَكَلَّمَ فِيهِمْ بِكَلَامٍ غَلِيظٍ ،
وَتُعْتَبَرُ بِأَنَّ ابْنَ مَعِينٍ أَنْكَرَ رَأْيَ قَوْمٍ وَهُمْ الْعُثْمَانِيَّةُ الَّذِينَ يُعَالُونَ فِي حُبِّ عُثْمَانَ ،
وَيَنْتَقِصُونَ عَلِيًّا ، وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ مَنْ اقْتَصَرَ عَلَى ذَلِكَ وَلَمْ يَعْرِفْ لِعَلِيٍّ بِنَ أَبِي طَالِبٍ فَضْلَهُ
فَهُوَ مَذْمُومٌ ، وَادَّعَى ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ أَيْضًا أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ خِلَافُ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ ، أَنَّ عَلِيًّا
أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ الثَّلَاثَةِ ، فَإِنَّهُمْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ عَلِيًّا أَفْضَلُ الْخَلْقِ بَعْدَ الثَّلَاثَةِ ، وَذَلِكَ هَذَا
الْإِجْمَاعُ عَلَى أَنَّ حَدِيثَ ابْنِ عُمَرَ غَلَطٌ ، وَإِنْ كَانَ السَّنَدُ إِلَيْهِ صَحِيحًا .
وَتُعْتَبَرُ أَيْضًا بِأَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ سُكُوتِهِمْ إِذْ ذَاكَ عَنْ تَفْضِيلِهِ عَدَمَ تَفْضِيلِهِ عَلَى الدَّوَامِ ،
وَبِأَنَّ الْإِجْمَاعَ الْمَذْكُورَ إِنَّمَا حَدَثَ بَعْدَ الزَّمَنِ الَّذِي قَبْلَهُ ابْنُ عُمَرَ ، فَيُخْرِجُ حَدِيثَهُ عَنْ أَنَّ
يَكُونُ غَلَطًا ، وَالَّذِي أَظُنُّ أَنَّ ابْنَ عَبْدِ الْبَرِّ إِنَّمَا أَنْكَرَ الزِّيَادَةَ الَّتِي وَقَعَتْ فِي رِوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عُمَرَ وَهِيَ قَوْلُ ابْنِ عُمَرَ : ثُمَّ تَنَزَّلَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ « إِنْخ » ، لَكِنْ لَمْ يَنْفَرِدْ بِهَا نَافِعٌ ، فَقَدْ
تَابَعَهُ ابْنُ الْمَاجِشُونِ أَخْرَجَهُ حَيْثُمَةَ مِنْ طَرِيقِ يُوسُفَ بْنِ الْمَاجِشُونِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ
عُمَرَ : « كُنَّا نَقُولُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ ، ثُمَّ نَدَّعِ أَصْحَابُ رَسُولِ
اللَّهِ فَلَا تُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ » ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَا يَلْزَمُ مِنْ تَرْكِهِمُ التَّفَاضُلَ إِذْ ذَاكَ أَنَّ لَا يَكُونُوا
إِعْتَقَدُوا بَعْدَ ذَلِكَ تَفْضِيلَ عَلِيٍّ عَلَى مَنْ سِوَاهُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .
وَقَدْ اعْتَرَفَ ابْنُ عُمَرَ بِتَقْدِيمِ عَلِيٍّ عَلَى غَيْرِهِ ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِهِ الَّذِي أوردته فِي
الْبَابِ الَّذِي قَبْلَهُ ، وَقَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ الطُّرُقِ فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ تَقْيِيدُ الْخَيْرِيَّةِ الْمَذْكُورَةِ
وَالْأَفْضَلِيَّةِ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِالْخِلَافَةِ ، وَذَلِكَ فِيمَا أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَسَارٍ ، «

وكيف كان ، فإنَّ عمر قدَّم لنا ملاكاً آخر يختلف عن ملاك أبي بكر ، وهو ما بيَّنه بقوله : « وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ، ثَانِيِ اثْنَيْنِ ، فَإِنَّهُ أَوْلَى الْمُسْلِمِينَ بِأُمُورِكُمْ ، فَقومُوا فَبَايعُوهُ » ، وقوله لأبي بكر : « بل نبايعك أنت فأنت سيِّدنا وخيرنا وأحبُّنا إلى رسول الله » . وهذا الملاك أيضاً يدلُّ على عدم اعتبار القرشيَّة ، وهو رأي عمر المعروف عنه ، فإنَّه قال في آخر حياته في مسألة الاستخلاف تعريضاً بالسُّنة الذين عيَّنه « لو كان سالم حيّاً ما تخالجنى فيه شك »^(١) وسالم لم يكن عربياً ، وإنَّما كان من اصطنخر ، أو من كرمد على ما ذكروا .

ولم يرتض الأنصار كلا الملاكين اللذين ذكرهما الشيخان ، وذكروا ملاكاً ثالثاً ، وهو ما بيَّنه خطيبهم بقوله : « أمّا بعد ، فنحن أنصار الله ، وكتيبة الإسلام » ، وحاصله : أنَّ الجدير بالإمامة من كان لقومه فضل ، وقد أصرُّوا على هذا الملاك حتَّى بعد خطبة أبي بكر ، وذكر وجه مخالفته لما عليه الأنصار حتَّى اشتدَّ الخلاف واحتدم النقاش . قال عمر : « فقال قائل من الأنصار : أنا جديلهما المحكَّك ، وعذيقها المرجَّب ،

» عَنْ سَالِمٍ ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ : « إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَا كُنَّا نَقُولُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ : أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ ، يَعْنِي فِي الْخِلَافَةِ » ، كَذَا فِي أَصْلِ الْحَدِيثِ .

وَمِنْ طَرِيقِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ : « كُنَّا نَقُولُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ : مَنْ يَكُونُ أَوْلَى النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ ؟ فَتَقُولُ : أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمَرُ . وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ أَفْضَلَ الصَّحَابَةِ مَنْ أُسْتُشْهِدَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ، وَعَيَّنَ بَعْضُهُمْ مِنْهُمْ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ . وَمِنْهُمْ مَنْ ذَهَبَ إِلَى الْعَبَّاسِ ، وَهُوَ قَوْلُ مَرْغُوبٍ عَنْهُ لَيْسَ قَائِلُهُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ ، بَلْ وَلَا مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : أَفْضَلُهُمْ مُطْلَقاً عُمَرُ مُتَمَسِّكاً بِالْحَدِيثِ الْآتِي فِي تَرْجَمَتِهِ فِي الْمَنَامِ الَّذِي فِيهِ فِي حَقِّ أَبِي بَكْرٍ : « وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ » ، وَهُوَ تَمَسُّكٌ وَاهٍ .

وَنَقَلَ الْبَيْهَقِيُّ فِي (الاعتقاد) بِسَنَدِهِ إِلَى أَبِي ثَوْرٍ ، عَنْ الشَّافِعِيِّ ، أَنَّهُ قَالَ : « أَجْمَعَ الصَّحَابَةَ وَأَتْبَاعَهُمْ عَلَى أَفْضَلِيَّةِ أَبِي بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمَرُ ، ثُمَّ عُثْمَانُ ، ثُمَّ عَلِيٌّ » .

(١) تأويل مختلف الحديث : ١ : ١٢٣ .

منّا أمير ومنكم أمير. يا معشر قريش ، فكثّر اللغط ، وارتفعت الأصوات ، حتّى فرقت من الاختلاف ، فقلت : ابسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ، ثمّ بايعته الأنصار ، ونزونا على سعد بن عباد فقلّ قائل منهم : قتلتم سعد بن عباد ، فقلت : قتل الله سعد بن عباد . وزاد سفيان في روايته هنا : « وإلا أعدنا الحرب بيننا وبينكم خدعة ، فقلت : إنّه لا يصلح سيفان في غمد واحد »^(١) .

وبهذا يتّضح أنّ الأساس الذي يبنى عليه التقديم لم يتّفق عليه ، وقد ذكر أكثر من أساس :

الأوّل : يكون الرجل من أوسط العرب داراً وأعربهم أحساباً .

الثاني : الصحبة ، وكون أبي بكر ثاني اثنين .

الثالث : أن يكون خير الأُمّة والأحبّ إلى رسول الله .

الرابع : أنّ الجدير بالإمامة من كان لقومه فضل ، أو كان مضحياً مجاهداً له يد في عزّ الإسلام ، وقد ذكر الأنصار هذا الملاك تعريضاً بالقرشيين الذين كانوا في السقيفة .

بطلان وزيف روايات فضل أبي بكر :

٢ - لم يستند أبو بكر وعمر ولا غيرهما من المؤيدين لبيعة أبي بكر بوجود نصّ جليّ أو خفيّ ، أو بوجود إشارة من رسول الله ﷺ ، ظاهرة أو خفية ، على خلافة أبي بكر ، وهذا يدلّ على عدم وجود مثل ذلك ؛ إذ لو وجد لاقتضت الدواعي ذكره خصوصاً مع شدّة الخلاف واحتدام النقاش في السقيفة .

بل إنّ عمر يوم البيعة العامة في خطبته التي يظهر فيها تحمّسه الشديد لبيعة أبي بكر ، حتّى أنّ أبا بكر لم يرد صعود المنبر إلّا أنّه حمّله على ذلك بإصراره وإلحاحه لم يزد على قوله : « وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ثَانِي اثْنَيْنِ ، فَإِنَّهُ

(١) تأويل مختلف الحديث : ١٢ : ١٥٨ .

أَوَّلَى الْمُسْلِمِينَ بِأُمُورِكُمْ» ، وهذا يضع علامة استفهام كبيرة حول الآيات والروايات الكثيرة التي ادّعي بعد ذلك أنها في فضل أبي بكر .

ولا يخفى أن عمر صرح بعدم استخلاف (النبي ﷺ) خلافاً للمحاولات الخجولة التي تحاول إثبات ذلك ، ففي البخاري حديث رقم ٦٧٩٢ : « قِيلَ لِعُمَرَ : أَلَا تَسْتَخْلِفُ ؟ قَالَ : إِنْ أَسْتَخْلِفَ فَقَدْ اسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي ، أَبُو بَكْرٍ ، وَإِنْ أَتْرَكَ فَقَدْ تَرَكَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي رَسُولُ اللَّهِ » .

الاجتماع علىبيعة رجل لا يدل على أهليته وفضله ؟

٣ - إن البيعة لا تكشف عن الرضا بخلافة المبايع كما لا تكشف عن أفضليته ؛ إذ يحتمل أنها لدفع مفسدة أعظم من مفسدة البيعة ، ويدل على ذلك أمران :

الأول : ما تقدم من قول عمر « وإنا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر ، خشينا إن فارقنا القوم ، ولم تكنبيعة ، أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا ، فإما يبايعناهم على ما لا نرضى ، وإما نخالفهم فيكون فساد » .

فإن هذه العبارة تدل على جواز البيعة لغير الجامع للشرائط إذا كان في تركها فساد ، وهذا ما وقع فعلاً من الأنصار ، فهم بعد ذكر ضابطتهم في الإمامة التي لا تنطبق على أبي بكر بايعوه بعد أن هددهم القرشيون بالاصطفاف العربي .

قال ابن حجر : « قوله : (ولن يعرف) - بضم أوله على البناء للمجهول - وفي رواية مالك : (ولم تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش) ، وكذا في رواية سفيان ، وفي رواية ابن إسحاق : (قد عرفتم أن هذا الحي من قريش بمنزلة من العرب ليس بها غيرهم ، وأن العرب لا تجتمع إلا على رجل منهم ، فاتقوا الله لا تصدعوا الإسلام ، ولا تكونوا أول من أحدث في الإسلام » ^(١) .

(١) تأويل مختلف الحديث : ١٢ : ١٥٨ .

الثاني: قول عمر أيضاً في بيعة أبي بكر: «فلا يغترنَّ امرؤ أن يقول إنَّما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمَّت ، ألا وإنَّها قد كانت كذلك ، ولكن الله وقى شرَّها» ، فسمع أنَّها شرٌّ أقدم المسلمون عليها .

وهذا يوافق القاعدة الأصولية القائلة: (بأنَّ الفعل لا يعلم وجهه إلَّا من فاعله) . وبهذا يتضح فساد الاستدلال على أفضلية أبي بكر بالإجماع على بيعته .

عدم الإجماع على بيعة أبي بكر:

٤ - عدم وجود إجماع على بيعة وأفضلية أبي بكر ، لمخالفة سعد وأمير المؤمنين عليه السلام ومن كان معه . قال عمر: «ونزونا على سعد بن عباد ، فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عباد ، فقلت: قتل الله سعد بن عباد» .

بيعة أبي بكر فلتة:

٥ - أنَّ بيعة أبي بكر كانت فلتة عند القائل الذي لم يذكر اسمه ، وعند عمر الذي أضاف أنَّها شرٌّ . ويحتمل في معنى فلتة أنَّها وقعت فجأة بلا تدبير ، أو وقعت بلا شورى واختيار من أهل الحل والعقد ، ويبعد الأوَّل ما تقدَّم من وجود مؤامرة مسبقة ، ويقرب الثاني أنَّها تمَّت ببيعة عمر ، وأبي عبيدة ، بشير بن سعد ، وأسيد بن حضير ، وسالم مولى أبي حذيفة ، كما يقوله الماوردي ، الذي بنى على ذلك انعقاد الإمامة ببيعة خمسة أشخاص ، وقول عمر: «وإنَّها قد كانت كذلك ، ولكن الله وقى شرَّها ، وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر ، من بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا» ، ثمَّ قوله ذيل: «فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين فلا يتابع ، هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا» فإنَّ ذلك صريح في وقوع بيعة أبي بكر بلا مشورة من المسلمين .

دور عمر الفعّال في وقوع بيعة أبي بكر:

٦ - أنّ المدبّر الأوّل لبيعة أبي بكر هو عمر بن الخطّاب ، ويدل على ذلك عدّة أمور:

١ - قول عمر: « بل نبايعك أنت ، فأنت سيّدنا وخيرنا وأحبّنا إلى رسول الله ، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس ، فقال قائل : قتلتم سعد بن عباد ، فقال عمر : قتله الله » .

٢ - قول عمر أيضاً: « فكثر اللغط ، وارتفعت الأصوات ، حتّى فرقت من الاختلاف فقلت : ابسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثمّ بايعته الأنصار ، ونزونا على سعد بن عباد ، فقال قائل منهم : قتلتم سعد بن عباد ، فقلت : قتل الله سعد بن عباد » .

٣ - قول عائشة: « فما كانت من خطبتهما من خطبة إلّا نفع الله بها ، لقد خوّف عمر الناس وإنّ فيهم لنفاقاً فردّهم الله بذلك » .

٤ - قول عمر في رواية أنس: « وإنّ أبا بكرٍ صاحبُ رسولِ الله ثابتيّ اثنيّين ، فإنّه أوّلَى المُسلمينَ بِأُمُورِكُمْ ، فقومُوا بِبَايعُوهُ » .

٥ - قول أنس: « سَمِعْتُ عُمَرَ يَقُولُ لِأَبِي بَكْرٍ يَوْمَئِذٍ : اصْعِدِ الْمِنْبَرَ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى صَعِدَ الْمِنْبَرَ ، فَبَايَعَهُ النَّاسُ عَامَّةً » . والعجيب أنّ عمر بعد قيامه بهذا الفعل في تحقيق حكومة أبي بكر قال في آخر حياته: « لَا أَتَحَمَّلُهَا حَيًّا وَلَا مَيِّتًا »^(١)

(١) أخرج البخاري برقم ٦٧٩٢: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) ، قَالَ : « قِيلَ لِعُمَرَ : أَلَا تَسْتَخْلِفُ ؟ قَالَ : إِنْ أَسْتَخْلِفْتُ فَقَدْ اسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي ، أَبُو بَكْرٍ ، وَإِنْ أَتْرُكْتُ فَقَدْ تَرَكَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي ، رَسُولُ اللَّهِ ، فَأَتَيْنَا عَلَيْهِ ، فَقَالَ : رَاغِبٌ رَاهِبٌ ، وَدِدْتُ أَنِّي نَجَوْتُ مِنْهَا كَفَافًا لَا لِي وَلَا عَلَيَّ لَا أَتَحَمَّلُهَا حَيًّا ، وَلَا مَيِّتًا .

في الوقت الذي جعلها في سِتَّة وتمنّى وجود سالم لجعلها فيه .

عجز الأنصار عن دفع الخلافة من القرشيين :

٦ - ما تقتضيه الروايات المتقدمة أنّ الأنصار لم يكونوا طالبين للحكم ، وإنّما أرادوا إفشال مخطّط القرشيين الذين يخشى من وصولهم إلى السلطة « فإنّا والله ما نفس عليكم هذا الأمر ، ولكنّا نخاف أن يليها أقوام قتلنا آباءهم وإخوتهم » ، ومع ذلك لم يتمكّنوا من إفشال المخطّط القرشيّ ، ويحتمل سبب ذلك مجموع أمرين :
الأمر الأوّل : ضعف الأنصار أمام تهديدات القرشيين باستعداد العرب عليهم كما تقدّم .

الأمر الثاني : اجتماع الأنصار إلى سعد بن عباد بن دليم بن حارث ، وكان كبير الخزرج . وهذا ما جعل خيار بيعة قرشيّ أفضل عند الأوس الذين انحازوا إلى بيعة أبي بكر وسارع إليها منهم أسيد بن حضير في بني عبد الأشهل .
قال ابن حجر : « قوله : (واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عباد في سقيفة بني ساعدة) هو سعد بن عباد بن دليم بن حارثة الخزرجيّ ، ثمّ الساعديّ ، وكان كبير الخزرج في ذلك الوقت » .

وذكر ابن إسحاق في آخر السيرة : « أنّ أسيد بن حضير في بني عبد الأشهل انحازوا إلى أبي بكر ومن معه وهؤلاء من الأوس » .

وفي حديث ابن عباس ، عن عمر : « تخلّفت عنّا الأنصار بأجمعها في سقيفة بني ساعدة » ، فيجمع بأنّهم اجتمعوا أوّلًا ثمّ افترقوا ؛ وذلك أنّ الخزرج والأوس كانوا فريقين ، وكان بينهم في الجاهليّة من الحروب ما هو مشهور ، فزال ذلك بالإسلام وبقي من ذلك شيء في النفوس ، فكأنّهم اجتمعوا أوّلًا ، فلمّا رأى أسيد ومن معه من الأوس أبا بكر ومن معه ، افترقوا من الخزرج إثارةً لتأثير المهاجرين عليهم دون الخزرج .

مؤامرة العقبة (دراسة وتحليل)

المقدمة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ،

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ،

محَمَّد وآله الطيبين الطاهرين

هذه دراسة مختصرة للمحاولة التي قام بها المنافقون لفتك برسول الله ﷺ عند رجوعه من تبوك في السنة التاسعة للهجرة ، وسوف يتضح من خلال هذه الدراسة أهميّة البحث في هذه القضية ، لما يترتب عليها من فهم عميق للأحداث الواقعة في أواخر عهد رسول الله ﷺ وبعد تحاققه ﷺ بالرفيق الأعلى .
أسأل من الله التوفيق والسداد ، وأن يتقبل هذا الجهد المتواضع ، ويجعله مساهماً في بيان الحق ، ونافعاً لطلاب الحقيقة .

الروايات التي تعرّضت للمؤامرة في كتب الطرفين :

تعددت الروايات المتعرّضة لمؤامرة العقبة في كتب الطرفين ، وفي بداية هذا البحث نستعرض جملة منها :

بعض روايات العامة :

١ - ما نقله زيني دحلان في السيرة النبويّة بهامش السيرة الحلبيّة عن دلائل النبوة

للبيهقي: عن حذيفة رضي الله عنه، قال:

«كنت ليلة العقبة أخذاً بزمَامِ ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله أقودها وعمّار بن ياسر يسوقها، أو أنا أسوقها وعمّار يقودها - أي يتناوبان ذلك - فبينما رسول الله صلى الله عليه وآله يسير في العقبة إذ سمع حسّ القوم قد غشوه، فنفرت ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى سقط بعض متاعه، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وأمر حذيفة أن يردهم، فرجع حذيفة إليهم وقد رأى غضب رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه محجن، فجعل يضرب وجوه رواحلهم ويقول: إليكم إليكم يا أعداء الله، فإذا هو بقوم ملثمين - وفي رواية: أنه صلى الله عليه وآله صرخ بهم فولّوا مدبرين، فعلموا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله اطّلع على مكرهم به، فانحطّوا من العقبة مسرعين إلى بطن الوادي واختلطوا بالناس، فرجع حذيفة رضي الله عنه فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: هل عرفت أحداً من الركب الذين ردّتهم؟ قال: لا، كان القوم ملثمين واليلة مظلمة - وفي رواية: أنّ حذيفة رضي الله عنه قال: عرفت راحلة فلان وفلان -.

قال: هل علمت ما كان من شأنهم، وما أرادوه؟ قال: لا.

قال: إنهم مكروا وأرادوا أن يسيروا معي في العقبة فيزحموني ويطرحوني منها إلى الوادي، وإن الله أخبرني بهم وبمكرهم، وسأخبركم بهم فاكتماهم».

ونقل مثله الحلبي الشافعي في السيرة الحلبية (بها مشها السيرة النبوية) ^(١). ونقلها القاضي نور الله التستري في الصوارم المهرقة ^(٢) في نقد الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي، عن كتاب دلائل النبوة لأبي بكر البيهقي، إلا أنه زاد عن البيهقي قوله: «قالا - أي عمّار وحذيفة -: أفلا تأمرنا بهم يا رسول الله - إذ جاءك الناس - فنضرب أعناقهم؟ قال صلى الله عليه وآله: أكره أن يتحدّث الناس ويقولوا: إنّ محمداً قد وضع يده في أصحابه، فسمّاهم لهما، ثمّ قال: اكتماهم».

(١) السيرة الحلبية (بها مشها السيرة النبوية): ٣: ١٤٢ و ١٤٣.

(٢) الصوارم المهرقة: ٧.

٢ - ما أخرجه مسلم في صحيحه^(١) : عن أبي الطفيل ، قال : « كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس ، فقال : أنشدك بالله ، كم كان أصحاب العقبة ؟ قال : فقال له القوم : أخبره إذ سألك ! قال : كنا نخبر أنهم أربعة عشر ، فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر ، وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حربٌ لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ! وعذر ثلاثة قالوا : ما سمعناه منادي رسول الله ولا علمنا بما أراد القوم ! وقد كان في حرّة فمشى فقال : إن الماء قليل فلا يسبقني إليه أحد ، فوجد قوماً قد سبقوه فلعنهم يومئذ .

٣ - ما ذكره أبو الأسود في مغازيه عن عروة ، قال : ورجع رسول الله قافلاً من تبوك إلى المدينة ، حتى إذا كان ببعض الطريق ، مكر برسول الله ناس من المنافقين ، فتأمروا أن يطرحوه من رأس عقبة في الطريق ، فلما بلغوا العقبة أرادوا أن يسلكوها معه ، فلما غشيهم رسول الله ، أخبر خبرهم ، فقال : مَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَأْخُذَ بِبَطْنِ الْوَادِي فَإِنَّهُ أَوْسَعُ لَكُمْ ، وأخذ رسول الله العقبة ، وأخذ الناس ببطن الوادي إلا النفر الذين هموا بالمكر برسول الله لما سمعوا بذلك استعدوا وتلثموا ، وقد هموا بأمر عظيم ، وأمر رسول الله حذيفة بن اليمان ، وعمار بن ياسر ، فمشيا معه ، وأمر عماراً أن يأخذ بزمام الناقة ، وأمر حذيفة أن يسوقها ، فبينما هم يسيرون ، إذ سمعوا وكزة القوم من ورائهم قد غشوه ، فغضب رسول الله ، وأمر حذيفة أن يردّهم ، وأبصر حذيفة غضب رسول الله ، فرجع ومعه مِحْجَن ، واستقبل وجوه رواحلهم ، فضربها ضرباً بالمحجن ، وأبصر القوم وهم متلثمون ، ولا يشعر إلا أن ذلك فعل المسافر ، فأرعبهم الله سبحانه حين أبصروا حذيفة ، وظنوا أن مكرهم قد ظهر عليه ، فأسرعوا حتى خالطوا الناس ، وأقبل حذيفة حتى أدرك رسول الله ، فلما أدركه قال : اضربِ الرَّاحِلَةَ يَا حُذَيْفَةَ ،

(١) صحيح مسلم : ٨ : ١٢٣ .

وَأَمْسِ أَنْتَ يَا عَمَّارُ، فَاسْرِعُوا حَتَّى اسْتَوُوا بِأَعْلَاهَا، فَخَرَجُوا مِنَ الْعَقَبَةِ يَنْتَظِرُونَ النَّاسَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِحَذِيفَةَ: هَلْ عَرَفْتَ مِنْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطِ أَوْ الرَّكْبِ أَحَدًا؟

قَالَ حَذِيفَةُ: عَرَفْتُ رَاحِلَةَ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، وَقَالَ: كَانَتْ ظِلْمَةُ اللَّيْلِ، وَغَشِيَتْهُمْ، وَهُمْ مَتَلَثِّمُونَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَلْ عَلِمْتُمْ مَا كَانَ شَأْنُ الرَّكْبِ وَمَا أَرَادُوا؟ قَالُوا: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

قَالَ: فَإِنَّهُمْ مَكْرُؤٌ لِيَسِيرُوا مَعِيَ، حَتَّى إِذَا أَطْلَعْتُ فِي الْعَقَبَةِ طَرَحُونِي مِنْهَا. قَالُوا: أَوْ لَا تَأْمُرُ بِهِمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ.

قَالَ: أَكْرَهَ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ وَيَقُولُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ وَضَعَ يَدَهُ فِي أَصْحَابِهِ، فَسَمَّاهُمْ لِهَمَّا، وَقَالَ: اكْتَمَاهُمْ^(١). (نَقْلًا عَنْ زَادِ الْمَعَادِ لَابْنِ الْقَيْمِ).

٤ - حَدِيثُ أَبِي الطَّفِيلِ عَامِرِ بْنِ وَائِلَةَ الَّذِي نَقَلَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ، أَنَبَانَا الْوَلِيدُ - يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَمِيعٍ - عَنْ أَبِي الطَّفِيلِ، قَالَ: «لَمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَمَرَ مَنَادِيًّا فَنَادَى: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ الْعَقَبَةَ فَلَا يَأْخُذُهَا أَحَدٌ، فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ يَقُودُهُ حَذِيفَةُ، وَيَسُوقُ بِهِ عَمَّارٌ إِذْ أَقْبَلَ رَهْطٌ مَتَلَثِّمُونَ عَلَى الرُّوَاحِلِ غَشَوْا عَمَّارًا وَهُوَ يَسُوقُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَقْبَلَ عَمَّارٌ يَضْرِبُ وَجْهَ الرُّوَاحِلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَذِيفَةَ: قَدْ قُدَّ حَتَّى هَبِطَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا هَبِطَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَزَلَ وَرَجَعَ عَمَّارٌ، فَقَالَ: يَا عَمَّارُ هَلْ عَرَفْتَ الْقَوْمَ؟ فَقَالَ: قَدْ عَرَفْتُ عَامَّةَ الرُّوَاحِلِ وَالْقَوْمِ مَتَلَثِّمُونَ.

قَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا أَرَادُوا؟ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: أَرَادُوا أَنْ يَنْفَرُوا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَطْرَحُوهُ. قَالَ: فَسَأَلَ عَمَّارُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ

(١) سَبِيلُ الْهُدَى وَالرَّشَادِ: ١٠: ٢٦٢. الدَّرُّ الْمَشْهُورُ: ٣: ٢٥٩ - ٢٦٠. مَجْمَعُ الْبَيَانِ: ٥: ٥١.

رسول الله ﷺ فقال : نشدتك بالله ، كم تعلم كان أصحاب العقبة ؟ فقال : أربعة عشر ، فقال : إن كنت فيهم فقد كانوا خمسة عشر ، فعُدّ رسول الله ﷺ منهم ثلاثة . قالوا : والله ما سمعنا منادي رسول الله ﷺ ، وما علمنا ما أراد القوم ، فقال عمار : أشهد أنّ الاثني عشر الباقيين حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد .

قال الوليد : وذكر أبو الطفيل في تلك الغزوة أنّ رسول الله ﷺ قال للناس وذكر له : أنّ في الماء قلّة ، فأمر رسول الله ﷺ منادياً فنادى : أن لا يرد الماء أحد قبل رسول الله ، فورده رسول الله ﷺ فوجد رهطاً قد وردوه قبله ، فلعنهم رسول الله ﷺ يومئذٍ ^(١) .

٥ = وعن أبي الطفيل ، قال : « خرج رسول الله ﷺ إلى غزوة تبوك فانتهى إلى عقبة ، فأمر مناديه فنادى : لا يأخذن العقبة أحد فإنّ رسول الله ﷺ يسير يأخذها ، وكان رسول الله ﷺ يسير وحذيفة يقوده ، وعمار بن ياسر يسوقه ، فأقبل رهط متلثمين على الرواحل حتّى غشوا النبيّ ، فرجع عمار فضرب وجوه الرواحل ، فقال النبيّ لحذيفة : قد قُد ، فلحقه عمار فقال : سق سق ، حتّى أناخ .

فقال لعمار : هل تعرف القوم ؟ فقال : لا ، كانوا متلثمين ، وقد عرفت عامّة الرواحل .

قال : أتدري ما أرادوا برسول الله ﷺ ؟ قلت : الله ورسوله أعلم .

قال : أرادوا أن ينّفروا برسول الله ﷺ فيطرحوه من العقبة .

فلما كان بعد ذلك نزع بين عمار وبين رجل منهم شيء ما يكون بين الناس فقال : أنشدك بالله ، كم أصحاب العقبة الذين أرادوا أن يمكروا برسول الله ؟ قال : نرى أنّهم أربعة عشر . قال : فإن كنت فيهم فكانوا خمسة عشر ، ويشهد عمار أنّ اثني عشر حرباً لله ورسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ^(٢) .

(١) مسند أحمد بن حنبل : ٥ : ٤٥٤ .

(٢) مجمع الزوائد : ١ : ١١٠ .

٦ - وفيه^(١): خرج رسول الله ﷺ إلى غزوة تبوك فانتهى إلى عقبة ، فأمر مناديه فنادى : لا يأخذن العقبة أحد ، فإن رسول الله ﷺ يسير يأخذها ، وكان رسول الله ﷺ يسير وحذيفة يقوده وعمّار بن ياسر يسوقه ، فأقبل رهط متلثمين على الرواحل حتى غشوا النبي ﷺ ، فرجع عمّار فضرب وجوه الرواحل ، فقال النبي ﷺ لحذيفة : قد قد فالحقه عمّار ، فقال : سق سق حتى أناخ ، فقال لعمّار : هل تعرف القوم ؟ فقال : لا كانوا متلثمين وقد عرفت عامة الرواحل .

قال : أتدري ما أرادوا برسول الله ﷺ ؟ قلت : الله ورسوله أعلم .

قال : أرادوا أن ينفروا برسول الله ﷺ فيطرحوه من العقبة ، فلما كان بعد ذلك نزع بين عمّار وبين رجل منهم شيء ما يكون بين الناس ، فقال : أنشدك بالله ، كم أصحاب العقبة الذين أرادوا أن يمكروا برسول الله ﷺ ؟ قال : نرى أنهم أربعة عشر ، قال : فإن كنت فيهم فكانوا خمسة عشر ، ويشهد عمّار أنّ اثني عشر حزباً لله ورسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد . (رواه الطبراني في الكبير ، رجاله ثقات) .
ومن كتب العامة التي تعرّضت لهذه الواقعة :

١ - سبل الهدى والرشاد : ٥ : ٤٦٦ و : ١٠ : ٢٦٣ ، عن أحمد ، والبيهقي ، وابن سعد ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ ، ومحمّد بن إسحاق ، والواقدي .

٢ - المغازي للواقدي : ٣ : ١٠٤٢ و ١٠٤٣ .

٣ - الدر المنثور : عن ابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ ، والبيهقي في الدلائل .

٤ - ابن كثير في البداية : ٥ : ٢٦ .

٥ - إمتاع الأسماع : ٢ : ٧٤ و : ٥ : ٣٢٤ و : ٧ : ٢٤٠ و : ٩ : ٣٢٨ .

٦ - السيرة الحلبية - ط . دار المعرفة - : ٣ : ١١٩ .

(١) مجمع الزوائد : ١ : ١١٠ و : ٦ : ١٩٥ .

- ٧ - المعجم الأوسط : ٨ : ١٠٢ .
 - ٨ - تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي : ٢ : ٨٤ .
 - ٩ - تفسير البغوي : ٢ : ٣٠٧ .
 - ١٠ - الجامع لأحكام القرآن : ٨ : ٣٠٧ .
 - ١١ - الدر المنثور : ٣ : ٢٥٩ . (هل هناك تكرار)
 - ١٢ - تفسير الألوسي : ١٠ : ١٣٩ .
 - ١٣ - تاريخ الإسلام للذهبي : ٢ : ٦٤٨ .
 - ١٤ - السيرة النبوية لابن كثير : ٤ : ٣٦ .
 - ١٥ - السيرة الحلبية : ٣ : ١٢١ .
 - ١٦ - صحيح مسلم (تقدّم موضعها) .
 - ١٧ - الأحاد والمثاني : ٢ : ٤٦٥ .
 - ١٨ - الجامع الصغير : .
 - ١٩ - تقوية الإيمان لمحمد بن عجيل : .
 - ٢٠ - المحلى لابن حزم : ١١ : ٢٢١ .
- وذكر جملة منهم نزول قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ * يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١﴾ في مؤامرة العقبة ، وروي مثل ذلك في مصادرنا

(١) التوبة ٩ : ٧٤ .

كما سوف تقف عليه إن شاء الله .

قال البيضاوي في تفسيره^(١): ﴿وَهُمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ من الفتك بالرسول ، وهو أنَّ خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك أن يدفعوه عن راحلته إلى الوادي ؛ إذ تسنم العقبة بالليل ! فأخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها ، وحذيفة خلفها يسوقها ، فبينما هما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الإبل وقعقة السلاح فقال : إليكم إليكم يا أعداء الله ، فهربوا » .

وقال الزمخشري^(٢): « أقام رسول الله صلى الله عليه وآله [وآله] وسلم في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ، ويعيب المنافقين فيسمع من معه منهم ، منهم الجلاس بن سويد ... إلى أن قال : فتاب الجلاس وحسنت توبته .

﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ وأظهروا كفرهم بعد إظهارهم الإسلام .
﴿وَهُمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ وهو الفتك برسول الله صلى الله عليه وآله [وآله] وسلم ، وذلك عند مرجعه من تبوك ، تواتق خمسة عشر منهم على أن يدفعوه عن راحلته إلى الوادي إذا تسنم العقبة بالليل ، فأخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها ، وحذيفة خلفها يسوقها ، فبينما هما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الإبل وبقعقة السلاح ، فالتفت فإذا قوم متلثمون ، فقال : إليكم إليكم يا أعداء الله ، فهربوا » .

بعض روايات الخاصّة :

١ - في بحار الأنوار عن الخصال : عن العجلي ، عن ابن زكريّا القطّان ، عن ابن حبيب ، عن ابن بهلول ، عن أبيه ، عن عبدالله بن الفضل الهاشمي ، عن أبيه ،

(١) تفسير البيضاوي : ٣ : ١٥٨ .

(٢) راجع الكشف : ٢ : ٢٩١ .

عن زياد بن المنذر، قال: حدثني جماعة من المشيخة عن حذيفة بن اليمان، أنه قال:

«الَّذِينَ نَفَرُوا بِرَسُولِ اللَّهِ نَاقَتْهُ فِي مُنْصَرَفِهِ مِنْ تَبُوكَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ: أَبُو الشُّرُورِ، وَأَبُو الدَّوَاهِي، وَأَبُو الْمَعَارِيفِ وَأَبُوهُ، وَطَلْحَةُ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ، وَأَبُو الْأَعْوَرِ، وَالْمُغِيرَةُ، وَسَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حَذِيفَةَ، وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَأَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَهُمْ الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ ﴿وَهُمْوَا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ (١)» (٢).

٢- وفيه عن الاحتجاج بالإسناد إلى أبي محمد العسكري عليه السلام قال:

«لَقَدْ رَامَتِ الْفَجْرَةُ الْكَفَرَةَ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ قَتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْعَقَبَةِ، وَرَامَ مَنْ بَقِيَ مِنْ مَرَدَةِ الْمُتَافِقِينَ بِالْمَدِينَةِ قَتَلَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، فَمَا قَدَرُوا عَلَى مُغَالَبَةِ رَبِّهِمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ حَسَدُهُمْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي عَلِيٍّ عليه السلام لِمَا فَخَمَ مِنْ أَمْرِهِ، وَعَظَّمَ مِنْ شَأْنِهِ، مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ - وَقَدْ كَانَ خَلَفَهُ عَلَيْهَا - وَقَالَ لَهُ: إِنَّ جَبْرِئِيلَ أَتَانِي وَقَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ الْعَلِيَّ الْأَعْلَى يُقْرُوكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ: يَا مُحَمَّدُ، إِمَّا أَنْتَ تَخْرُجُ وَيُقِيمُ عَلِيٌّ، أَوْ تُقِيمُ أَنْتَ وَيَخْرُجُ عَلِيٌّ، لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّ عَلِيًّا قَدْ نَدَبْتُهُ لِأَحَدِي اثْنَتَيْنِ، لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ كُنْهَ جَلَالِ مَنْ أَطَاعَنِي فِيهِمَا، وَعَظِيمِ ثَوَابِهِ، غَيْرِي، فَلَمَّا خَلَفَهُ أَكْثَرَ الْمُتَافِقُونَ الْأَقْوَالَ فِيهِ، قَالُوا: مَلَهُ وَسَمَهُ وَكَرِهَ صُحْبَتَهُ، فَتَبِعَهُ عَلِيٌّ عليه السلام حَتَّى لَحِقَهُ وَقَدْ وَجَدَ بِمَا قَالُوا فِيهِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا أَشْخَصَكَ عَنْ مَرَكَزِكَ؟ قَالَ: بَلَّغَنِي عَنِ النَّاسِ كَذَا وَكَذَا.

(١) التوبة ٩: ٧٤.

(٢) بحار الأنوار: ٢١: ٢٢٢ و ٢٢٣، الحديث ٥.

فَقَالَ لَهُ: أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي،
فَانْصَرَفَ عَلَيَّ إِلَى مَوْضِعِهِ، فَدَبَّرُوا عَلَيْهِ أَنْ يَقْتُلُوهُ، وَتَقَدَّمُوا فِي أَنْ يَحْفَرُوا لَهُ
فِي طَرِيقِهِ حَفِيرَةً طَوِيلَةً بِقَدْرِ خَمْسِينَ ذِرَاعًا، ثُمَّ غَطَّوْهَا بِحُصْرِ دِقَاقٍ، وَنَثَرُوا فَوْقَهَا
يَسِيرًا مِنَ التُّرَابِ بِقَدْرِ مَا غَطَّوْا وَجْوهَ الْحُصْرِ، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى طَرِيقِ عَلِيِّ الَّذِي لَا بُدَّ
لَهُ مِنْ سُلُوكِهِ لِيَقَعَ هُوَ وَدَابَّتُهُ فِي الْحَفِيرَةِ الَّتِي قَدْ عَمَّقُوهَا، وَكَانَ مَا حَوْلَ الْمَحْفُورِ
أَرْضًا ذَاتَ حِجَارَةٍ دَبَّرُوا عَلَى أَنَّهُ إِذَا وَقَعَ مَعَ دَابَّتِهِ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ كَبَسُوهُ بِالْأَحْجَارِ
حَتَّى يَقْتُلُوهُ.

فَلَمَّا بَلَغَ عَلِيٌّ ﷺ قُرْبَ الْمَكَانِ لَوَى فَرَسُهُ عُنُقَهُ، وَأَطَالَهُ اللَّهُ فَبَلَغَتْ جَحْفَلَتُهُ
أُذُنُهُ، وَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ حَفَرَ هَاهُنَا، وَدَبَّرَ عَلَيْكَ الْحَتْفَ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ، لَا تَمُرَّ
فِيهِ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ ﷺ: جَزَاكَ اللَّهُ مِنْ نَاصِحٍ خَيْرًا كَمَا تُدَبِّرُ تَدْبِيرِي، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ
لَا يُخْلِكَ مِنْ صُنْعِهِ الْجَمِيلِ، وَسَارَ حَتَّى شَارَفَ الْمَكَانَ، فَتَوَقَّفَ الْفَرَسُ خَوْفًا
مِنَ الْمُرُورِ عَلَى الْمَكَانِ، فَقَالَ عَلِيٌّ ﷺ: سِرْ بِإِذْنِ اللَّهِ سَالِمًا سَوِيًّا، عَجِيبًا شَانُكَ، بِدِيْعًا
أَمْرُكَ، فَتَبَادَرَتِ الدَّابَّةُ فَإِذَا رُبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ مَتَّنَ الْأَرْضَ وَصَلَّبَهَا، وَلَمْ حُفَرِهَا،
وَجَعَلَهَا كَسَائِرِ الْأَرْضِ.

فَلَمَّا جَاوَزَهَا عَلِيٌّ ﷺ لَوَى الْفَرَسُ عُنُقَهُ، وَوَضَعَ جَحْفَلَتَهُ عَلَى أُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ:
مَا أَكْرَمَكَ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَجَازَكَ عَلَى هَذَا الْمَكَانِ الْخَاوِي، فَقَالَ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ ﷺ: جَازَاكَ اللَّهُ بِهَذِهِ السَّلَامَةِ عَنْ تِلْكَ النَّصِيحَةِ الَّتِي نَصَحْتَنِي، ثُمَّ قَلَبَ وَجْهَهُ
الدَّابَّةَ إِلَى مَا يَلِي كَفَلَهَا، وَالْقَوْمُ مَعَهُ بَعْضُهُمْ كَانَ أَمَامَهُ، وَبَعْضُهُمْ خَلْفَهُ، وَقَالَ: اكْشِفُوا
عَنْ هَذَا الْمَكَانِ فَكَشَفُوا عَنْهُ، فَإِذَا هُوَ خَاوٍ، وَلَا يَسِيرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا وَقَعَ فِي الْحُفْرَةِ،
فَأَظْهَرَ الْقَوْمُ الْفَزَعَ وَالتَّعَجُّبَ مِمَّا رَأَوْا.

فَقَالَ عَلِيٌّ ﷺ لِلْقَوْمِ: أَتَدْرُونَ مَنْ عَمِلَ هَذَا؟ قَالُوا: لَا نَدْرِي. قَالَ عَلِيٌّ ﷺ:

لَكِنْ فَرَسِي هَذَا يَدْرِي ، يَا أَيُّهَا الْفَرَسُ ، كَيْفَ هَذَا ؟ وَمَنْ دَبَّرَ هَذَا ؟ فَقَالَ الْفَرَسُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِذَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُبْرِئُ مَا يَرُومُ جُهَالِ الْخَلْقِ نَفْضَهُ ، أَوْ كَانَ يَنْقُضُ مَا يَرُومُ جُهَالِ الْخَلْقِ إِبْرَامَهُ ، فَاللَّهُ هُوَ الْغَالِبُ ، وَالْخَلْقُ هُمْ الْمَغْلُوبُونَ . فَعَلَ هَذَا - يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - فَلَانٌ وَفَلَانٌ وَفَلَانٌ ، إِلَى أَنْ ذَكَرَ الْعَشْرَةَ بِمَوَاطَاةٍ عَنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ هُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي طَرِيقِهِ ، ثُمَّ دَبَّرُوا هُمْ عَلَى أَنْ يَقْتُلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْعَقَبَةِ ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ وَرَاءِ حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلِيُّ اللَّهِ لَا يَغْلِبُهُ الْكَافِرُونَ .

فَأَشَارَ بَعْضُ أَصْحَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنْ يُكَاتِبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي ذَلِكَ ، وَيَبْعَثَ رَسُولًا مُسْرِعًا ، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنْ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى مُحَمَّدٍ أَسْرَعُ ، وَكِتَابُهُ إِلَيْهِ أَسْبَقُ ، فَلَا يَهْمَنَّكُمْ .

فَلَمَّا قَرَّبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْعَقَبَةِ الَّتِي بِإِزَائِهَا فَضَائِحُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ نَزَلَ دُونَ الْعَقَبَةِ ثُمَّ جَمَعَهُمْ ، فَقَالَ لَهُمْ : هَذَا جَبْرِئِيلُ الرُّوحِ الْأَمِينُ يُخْبِرُنِي أَنَّ عَلِيًّا دَبَّرَ عَلَيْهِ كَذَا وَكَذَا ، فَدَفَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ مِنَ الطَّافِهِ ، وَعَجَائِبِ مُعْجَزَاتِهِ ، بِكَذَا وَكَذَا ، أَنَّهُ صَلَبَ الْأَرْضِ تَحْتَ حَافِرِ دَابَّتِهِ وَأَرْجُلِ أَصْحَابِهِ ، ثُمَّ انْقَلَبَ عَلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَشَفَ عَنْهُ فَرْتِيتَ الْحَفِيرَةِ .

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَاءَمَهَا كَمَا كَانَتْ لِكِرَامَتِهِ عَلَيْهِ ، وَإِنَّهُ قِيلَ لَهُ كَاتِبُ بِهِذَا وَأَرْسِلْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ أَسْرَعُ ، وَكِتَابُهُ إِلَيْهِ أَسْبَقُ ، وَلَمْ يُخْبِرْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ : أَنَّ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُنَافِقِينَ سَيَكِيدُونَهُ ، وَيَدْفَعُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ .

فَلَمَّا سَمِعَ الْأَرْبَعَةُ وَالْعِشْرُونَ أَصْحَابُ الْعَقَبَةِ مَا قَالَهُ ﷺ فِي أَمْرِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : مَا أَمْهَرَ مُحَمَّدًا بِالْمُخْرِقَةِ . إِنَّ فَيْجًا مُسْرِعًا أَتَاهُ ، أَوْ طَيْرًا مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ بَعْضِ أَهْلِهِ وَقَعَ عَلَيْهِ ، أَنَّ عَلِيًّا قُتِلَ بِحِيلَةٍ كَذَا ، فَهُوَ الَّذِي وَاطْنَا عَلَيْهِ أَصْحَابُنَا ،

فَهُوَ الْآنَ لَمَّا بَلَغَهُ كَتَمَ الْخَبَرَ ، وَقَلَبَهُ إِلَى ضِدِّهِ يُرِيدُ أَنْ يُسَكِّنَ مَنْ مَعَهُ لئَلَّا يَمُدُّوا أَيْدِيَهُمْ عَلَيْهِ ، وَهَيَّاتَ وَاللَّهِ مَا لَبَّثَ عَلِيًّا بِالْمَدِينَةِ إِلَّا حِينُهُ ، وَلَا أَخْرَجَ مُحَمَّدًا إِلَى هَاهُنَا إِلَّا حِينُهُ ، وَقَدْ هَلَكَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ هَاهُنَا هَالِكٌ لَا مَحَالَةَ ، وَلَكِنْ تَعَالَوْا حَتَّى نَذْهَبَ إِلَيْهِ ، وَنُظْهِرَ لَهُ السُّرُورَ بِأَمْرِ عَلِيٍّ ، لِيَكُونَ أَسْكَنَ لِقَلْبِهِ إِلَيْنَا إِلَى أَنْ نُمْضِيَ فِيهِ تَدْبِيرَنَا ، فَحَضَرُوهُ وَهَنُّوهُ عَلَى سَلَامَةٍ عَلَى مِنَ الْوَرُطَةِ الَّتِي رَامَهَا أَعْدَاؤُهُ .

ثُمَّ قَالُوا لَهُ: أَخْبِرْنَا عَنْ عَلِيٍّ ، أَهُوَ أَفْضَلُ أَمْ مَلَائِكَةُ اللَّهِ الْمُقَرَّبُونَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَهَلْ شَرَّفَتِ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا بِحُبِّهَا لِمُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ ، وَقَبُولِهَا لَوْلَايَتِهِمَا ، إِنَّهُ لَا أَحَدَ مِنْ مُحِبِّي عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَظَّفَ قَلْبُهُ مِنْ قَذَرِ الْعُشِّ وَالِدَّغْلِ وَالْغُلِّ ، وَنَجَّاسَةِ الذُّنُوبِ ، إِلَّا كَانَ أَطْهَرَ وَأَفْضَلَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، وَهَلْ أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ إِلَّا لِمَا كَانُوا قَدْ وَضَعُوهُ فِي نُفُوسِهِمْ أَنَّهُ لَا يَصِيرُ فِي الدُّنْيَا خَلْقٌ بَعْدَهُمْ إِذَا رَفَعُوهُمْ عَنْهَا إِلَّا وَهُمْ يَعْتَوْنَ أَنْفُسَهُمْ أَفْضَلَ مِنْهُمْ فِي الدِّينِ فَضْلًا ، وَأَعْلَمَ بِاللَّهِ وَبِدِينِهِ عِلْمًا ، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُعَرِّفَهُمْ أَنَّهُمْ قَدْ أَخْطَئُوا فِي ظُنُونِهِمْ وَاعْتِقَادَاتِهِمْ ، فَخَلَقَ آدَمَ وَعَلَّمَهُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ، ثُمَّ عَرَضَهَا عَلَيْهِمْ فَعَجَزُوا عَنْ مَعْرِفَتِهَا ، فَأَمَرَ آدَمَ أَنْ يُنَبِّئَهُمْ بِهَا ، وَعَرَفَهُمْ فَضْلَهُ فِي الْعِلْمِ عَلَيْهِمْ .

ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْ صُلْبِ آدَمَ ذُرِّيَّةً مِنْهُمْ الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ وَالْخِيَارَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ، أَفْضَلُهُمْ مُحَمَّدٌ ، ثُمَّ آلُ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، وَمِنْ الْخِيَارِ الْفَاضِلِينَ مِنْهُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ، وَخِيَارُ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ، وَعَرَفَ الْمَلَائِكَةُ بِذَلِكَ أَنََّّهُمْ أَفْضَلُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِذَا اخْتَمَلُوا مَا حَمَلُوهُ مِنَ الْأَثْقَالِ ، وَقَاسُوا مَا هُمْ فِيهِ بِعَرَضٍ مِنْ أَعْوَانِ الشَّيَاطِينِ ، وَمُجَاهَدَةِ النُّفُوسِ ، وَاحْتِمَالِ أَذَى ثِقَلِ الْعِيَالِ ، وَالْاجْتِهَادِ فِي طَلَبِ الْحَلَالِ ، وَمُعَانَاةِ مُخَاطَرَةِ الْخَوْفِ مِنَ الْأَعْدَاءِ مِنْ لُصُوصِ مُخَوِّفِينَ ، وَمِنْ سَلَاطِينَ جَوَرَةِ قَاهِرِينَ ، وَصُعُوبَةِ فِي الْمَسَالِكِ فِي الْمَضَابِقِ وَالْمَخَاوِفِ ، وَالْأَجْزَاعِ وَالْجِبَالِ وَالتَّلَالِ ، لِتَحْصِيلِ أَقْوَاتِ

الْأَنْفُسِ وَالْعِيَالِ مِنَ الطَّيِّبِ الْحَلَالِ .

عَرَفَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ خِيَارَ الْمُؤْمِنِينَ سَيَحْتَمِلُونَ هَذِهِ الْبَلَايَا ، وَيَتَخَلَّصُونَ مِنْهَا ، وَيَحَارِبُونَ الشَّيَاطِينَ وَيَهْزِمُونَهُمْ ، وَيَجَاهِدُونَ أَنْفُسَهُمْ بِدَفْعِهَا عَنْ شَهَوَاتِهَا ، وَيَغْلِبُونَهَا مَعَ مَا رُكِّبَ فِيهِمْ مِنْ شَهْوَةِ الْفُحُولَةِ ، وَحُبِّ اللَّبَاسِ وَالطَّعَامِ ، وَالْعِزِّ وَالرَّئَاسَةِ ، وَالْفَخْرِ وَالْخِيَلِ ، وَمُقَاسَاةِ الْعَنَاءِ وَالْبَلَاءِ ، مِنْ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَفَارِيَّتِهِ ، وَخَوَاطِرِهِمْ وَإِغْوَائِهِمْ وَاسْتِهْوَائِهِمْ ، وَدَفَعَ مَا يُكَابِدُونَهُ مِنْ أَلَمِ الصَّبْرِ عَلَى سَمَاعِ الطَّعْنِ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ ، وَسَمَاعِ الْمَلَاهِي ، وَالشَّتْمِ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ ، وَمَعَ مَا يُقَاسُونَهُ فِي أَسْفَارِهِمْ لِطَلَبِ أَقْوَاتِهِمْ ، وَالْهَرَبِ مِنْ أَعْدَاءِ دِينِهِمْ ، وَالطَّلَبِ لِمَا يَأْمُلُونَ مُعَامَلَتَهُ مِنْ مُخَالَفِهِمْ فِي دِينِهِمْ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : يَا مَلَائِكَتِي ، وَأَنْتُمْ مِنْ جَمِيعِ ذَلِكَ بِمَعَزِلٍ ، لَا شَهَوَاتُ الْفُحُولَةِ تُزَعِّجُكُمْ ، وَلَا شَهْوَةُ الطَّعَامِ تَحْفِزُكُمْ ، وَلَا خَوْفٌ مِنْ أَعْدَاءِ دِينِكُمْ وَدُنْيَاكُمْ يَنْحُبُّ فِي قُلُوبِكُمْ ، وَلَا لِإِبْلِيسَ فِي مَلَكُوتِ سَمَاوَاتِي وَأَرْضِي شُغْلٌ ١٩٥ عَلَى إِغْوَاءِ مَلَائِكَتِي الَّذِينَ قَدْ عَصَمْتُهُمْ مِنْهُمْ .

يَا مَلَائِكَتِي ، فَمَنْ أَطَاعَنِي مِنْهُمْ ، وَسَلِّمْ دِينَهُ مِنْ هَذِهِ الْأَفَاتِ وَالنَّكَبَاتِ ، فَقَدْ احْتَمَلَ فِي جَنْبِ مَحَبَّتِي مَا لَمْ تَحْتَمِلُوا ، وَاکْتَسَبَ مِنَ الْقُرْبَاتِ إِلَى مَا لَمْ تَكْتَسِبُوا .

فَلَمَّا عَرَفَ اللَّهُ مَلَائِكَتَهُ فَضَّلَ خِيَارَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ وَشِيعَةَ عَلِيٍّ وَخُلَفَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَاحْتَمَلَهُمْ فِي جَنْبِ مَحَبَّةِ رَبِّهِمْ مَا لَا تَحْتَمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ، أَبَانَ بَنِي آدَمَ الْخِيَارَ الْمُتَّقِينَ بِالْفَضْلِ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ قَالَ : فَلِذَلِكَ فَاسْجُدُوا لِآدَمَ لِمَا كَانَ مُشْتَمِلًا عَلَى أَنْوَارِ هَذِهِ الْخَلَائِقِ الْأَفْضَلِينَ ، وَلَمْ يَكُنْ سُجُودُهُمْ لِآدَمَ ، إِنَّمَا كَانَ آدَمَ قِبْلَةً لَهُمْ يَسْجُدُونَ نَحْوَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَكَانَ بِذَلِكَ مُعْظَمًا لَهُ مُبَجَّلًا ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَخْضَعُ لَهُ خُضُوعَهُ لِلَّهِ ، وَيُعَظَّمُ بِهِ السُّجُودَ ، كَتَعْظِيمِهِ لِلَّهِ ، وَلَوْ أَمَرْتُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ هَكَذَا لِغَيْرِ اللَّهِ لَأَمَرْتُ ضَعْفَاءَ شِيعَتِنَا وَسَائِرَ الْمُكَلَّفِينَ أَنْ يَسْجُدُوا لِمَنْ تَوَسَّطَ فِي عُلُومِ

عَلَيْ وَصِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَمَحْضَ وَدَادَ خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ عَلَيَّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،
وَاحْتَمَلَ الْمَكَارَةَ وَالْبَلَايَا فِي التَّضَرُّيحِ بِإِظْهَارِ حُقُوقِ اللَّهِ ، وَلَمْ يُنْكَرْ عَلَيَّ حَقًّا أَرْقُبُهُ
عَلَيْهِ ، قَدْ كَانَ جَهْلَهُ أَوْ أَغْفَلَهُ .

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : عَصَى اللَّهُ إِبْلِيسَ فَهَلَكَ لِمَا كَانَتْ مَعْصِيَتُهُ بِالْكِبَرِ عَلَى آدَمَ ،
وَعَصَى اللَّهُ آدَمَ بِأَكْلِ الشَّجَرَةِ فَسَلِمَ وَلَمْ يَهْلِكْ لِمَا لَمْ يُقَارِنْ بِمَعْصِيَتِهِ التَّكَبُّرَ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَأَلِهِ الطَّيِّبِينَ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لَهُ : يَا آدَمَ ، عَصَانِي فِيكَ إِبْلِيسُ وَتَكَبَّرَ عَلَيْكَ
فَهَلَكَ ، وَلَوْ تَوَاضَعَ لَكَ بِأَمْرِي ، وَعَظَّمْتُ عِزَّ جَلَالِي ، لَأَفْلَحَ كُلُّ الْفَلَاحِ كَمَا أَفْلَحْتَ ،
وَأَنْتَ عَصَيْتَنِي بِأَكْلِ الشَّجَرَةِ ، وَبِالتَّوَاضُعِ لِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ تُفْلِحُ كُلُّ الْفَلَاحِ ، وَتَزُولُ
عَنْكَ وَصْمَةُ الزَّلَّةِ ، فَادْعُنِي بِمُحَمَّدٍ وَأَلِهِ الطَّيِّبِينَ ﷺ لِذَلِكَ ، فَدَعَا بِهِمْ فَأَفْلَحَ كُلُّ
الْفَلَاحِ لِمَا تَمَسَّكَ بِعُرْوَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ .

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ بِالرَّحِيلِ فِي أَوَّلِ نِصْفِ اللَّيْلِ الْآخِرِ ، وَأَمَرَ مُنَادِيَهُ فَنَادَى :
أَلَا لَا يَسْبِقَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَحَدٌ إِلَى الْعَقَبَةِ ، وَلَا يَطُؤُهَا حَتَّى يُجَاوِزَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ،
ثُمَّ أَمَرَ حُذَيْفَةَ أَنْ يَقْعُدَ فِي أَصْلِ الْعَقَبَةِ فَيَنْظُرَ مَنْ يَمُرُّ بِهِ وَيُخْبِرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَكَانَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرَهُ أَنْ يَتَشَبَّهَ بِحَجَرٍ ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، إِنِّي أَتَبَيَّنُ الشَّرَّ فِي
وُجُوهِ رُؤَسَاءِ عَسْكَرِكَ ، وَإِنِّي أَخَافُ أَنْ قَعَدْتُ فِي أَصْلِ الْجَبَلِ ، وَجَاءَ مِنْهُمْ مَنْ أَخَافُ
أَنْ يَتَقَدَّمَكَ إِلَيَّ هُنَاكَ لِلتَّدْبِيرِ عَلَيْكَ ، يُحَسُّ بِي فَيَكْشِفُ عَنِّي فَيَعْرِفُنِي ، وَمَوْضِعِي مِنْ
نَصِيحَتِكَ فَيَتَّهِمُنِي ، وَيَخَافُنِي فَيَقْتُلُنِي .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّكَ إِذَا بَلَغْتَ أَصْلَ الْعَقَبَةِ فَاقْصِدْ أَكْبَرَ صَخْرَةٍ هُنَاكَ إِلَى جَانِبِ
أَصْلِ الْعَقَبَةِ وَقُلْ لَهَا : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَنْفَرَجِي لِي حَتَّى أَدْخُلَ جَوْفَكَ ،
ثُمَّ يَأْمُرُكَ أَنْ يَنْتَقِبَ فِيكَ ثُقْبَةً أَبْصُرُ مِنْهَا الْمَارِّينَ ، وَيَدْخُلَ عَلَيَّ مِنْهَا الرُّوحُ لِئَلَّا أَكُونَ
مِنَ الْهَالِكِينَ ، فَإِنَّهَا تَصِيرُ إِلَيَّ مَا تَقُولُ لَهَا بِإِذْنِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

فَأَدَّى حُذَيْفَةُ الرِّسَالَةَ وَدَخَلَ جَوْفَ الصَّخْرَةِ ، وَجَاءَ الْأَزْبَعَةُ وَالْعِشْرُونَ عَلَى جِمالِهِمْ وَبَيْنَ أَيْدِيهِمْ رِجَالَتُهُمْ ، يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : مَنْ رَأَيْتُمُوهُ هَاهُنَا كَأَنَّ مَنْ كَانَ فَاقْتُلُوهُ لَنَلَّا يُخْبِرُوا مُحَمَّدًا أَنَّهُمْ قَدْ رَأَوْا هُنَا ، فَيَنْكُصَ مُحَمَّدٌ وَلَا يَصْعَدَ هَذِهِ الْعَقَبَةَ إِلَّا نَهَارًا ، فَيَبْطُلَ تَدْبِيرُنَا عَلَيْهِ ، فَسَمِعَهَا حُذَيْفَةُ ، وَاسْتَقْصَوْا فَلَمْ يَجِدُوا أَحَدًا ، وَكَانَ اللَّهُ قَدْ سَتَرَ حُذَيْفَةَ بِالْحَجَرِ عَنْهُمْ ، فَتَفَرَّقُوا ، فَبَعْضُهُمْ صَعِدَ عَلَى الْجَبَلِ وَعَدَلَ عَنِ الطَّرِيقِ الْمَسْلُوكِ ، وَبَعْضُهُمْ وَقَفَ عَلَى سَفْحِ الْجَبَلِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ، وَهُمْ يَقُولُونَ : أَلَا تَرَوْنَ حِينَ مُحَمَّدٍ كَيْفَ أَغْرَاهُ بِأَنْ يَمْنَعَ النَّاسَ مِنْ صُعُودِ الْعَقَبَةِ حَتَّى يَقْطَعَهَا هُوَ ، لِنَخْلُوهُ بِهِ هَاهُنَا فَيَمْضِيَ فِيهِ تَدْبِيرُنَا وَأَصْحَابُهُ عَنْهُ بِمَعْرَلٍ ، وَكُلُّ ذَلِكَ يُوصِلُهُ اللَّهُ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ إِلَى أُذُنِ حُذَيْفَةَ وَيَعْيِهِ حُذَيْفَةُ .

فَلَمَّا تَمَكَّنَ الْقَوْمُ عَلَى الْجَبَلِ حَيْثُ أَرَادُوا كَلِمَتِ الصَّخْرَةِ حُذَيْفَةَ وَقَالَتْ : انْطَلِقِ الْآنَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَأَخْبِرْهُ بِمَا رَأَيْتَ وَمَا سَمِعْتَ . قَالَ حُذَيْفَةُ : كَيْفَ أَخْرَجَ عَنْكَ وَإِنْ رَأَيْتُ الْقَوْمَ قَتَلُونِي مَخَافَةَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ نِمِيمَتِي عَلَيْهِمْ ؟ قَالَتْ الصَّخْرَةُ : إِنَّ الَّذِي مَكَنَكَ فِي جَوْفِي ، وَأَوْصَلَ إِلَيْكَ الرُّوحَ مِنَ الثُّقْبَةِ الَّتِي أَحَدَّثَهَا فِيَّ ، هُوَ الَّذِي يُوصِلُكَ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ، وَيُنْقِذُكَ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ ، فَهَضْ حُذَيْفَةُ لِيَخْرُجْ وَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ ، فَحَوَّلَهُ اللَّهُ طَائِرًا فَطَارَ فِي الْهَوَاءِ مُحَلِّقًا حَتَّى انْقَضَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ أُعِيدَ إِلَى صُورَتِهِ ، فَأَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا رَأَى وَسَمِعَ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَوْعَرَفْتُهُمْ بِوُجُوهِهِمْ ؟ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَانُوا مُتَلَثِّمِينَ ، وَكُنْتُ أَغْرِفُ أَكْثَرَهُمْ بِجِمالِهِمْ ، فَلَمَّا فَتَّشُوا الْمَوْضِعَ فَلَمْ يَجِدُوا أَحَدًا أَحْدَرُوا اللَّثَامَ ، فَرَأَيْتُ وَجُوهُهُمْ فَعَرَفْتُهُمْ بِأَعْيَانِهِمْ وَأَسْمَائِهِمْ فَلَانٍ وَفُلَانٍ ، حَتَّى عَدَّ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَا حُذَيْفَةُ ، إِذَا كَانَ اللَّهُ يُثَبِّتُ مُحَمَّدًا لَمْ يَقْدِرْ هَؤُلَاءِ وَلَا الْخَلْقُ أَجْمَعُونَ أَنْ يَزِيلُوهُ . إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَالِغٌ فِي مُحَمَّدٍ أَمْرَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ .

ثُمَّ قَالَ: يَا حَذِيفَةُ، فَأَنْهَضُ بِنَا أَنْتَ وَسَلْمَانُ وَعِمَارٌ وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ، فَإِذَا جُرْنَا
الثَّيِّبَةَ الصَّعْبَةَ فَأَذْنُوا لِلنَّاسِ أَنْ يَتَّبِعُونَا، فَصَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ، وَحَذِيفَةُ
وَسَلْمَانُ، أَحَدُهُمَا أَخَذَ بِخَطَامِ نَاقَتِهِ يَقُودُهَا، وَالْآخَرُ خَلْفَهَا يَسُوقُهَا، وَعِمَارٌ إِلَى
جَانِبِهَا، وَالْقَوْمُ عَلَى جِمالِهِمْ، وَرَجَالَتُهُمْ مُنْبَثُونَ حَوَالِي الثَّيِّبَةِ عَلَى تِلْكَ الْعَقَبَاتِ، وَقَدْ
جَعَلَ الَّذِينَ فَوْقَ الطَّرِيقِ حِجَارَةً فِي دَبَابٍ فَدَحْرَجُوهَا مِنْ فَوْقٍ لِيَنْفَرُوا النَّاقَةَ بِرَسُولِ
اللَّهِ ﷺ لِقَعَفٍ فِي الْمَهْوَى الَّذِي يَهْوِلُ النَّاطِرُ النَّظَرُ إِلَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ.

فَلَمَّا قَرَبَتِ الدَّبَابُ مِنْ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَذِنَ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا فَارْتَفَعَتْ ارْتِفَاعاً
عَظِيماً، فَجَاوَزَتِ نَاقَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ سَقَطَتْ فِي جَانِبِ الْمَهْوَى، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا
شَيْءٌ إِلَّا صَارَ كَذَلِكَ، وَنَاقَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَتْهَا لَا تُحِسُّ بِشَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْقَعَقَاتِ
الَّتِي كَانَتْ لِلدَّبَابِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعِمَارٍ: اصْعَدِ الْجَبَلَ فَاضْرِبْ بِعَصَاكَ
هَذِهِ وُجُوهَ رَوَاحِلِهِمْ فَارْمِ بِهَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ عِمَارٌ، فَانْفَرَتْ بِهِمْ وَسَقَطَ بَعْضُهُمْ فَانْكَسَرَ
عِضْدُهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ انْكَسَرَتْ رِجْلُهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ انْكَسَرَ جَنْبُهُ، وَاشْتَدَّتْ لِذَلِكَ
أَوْجَاعُهُمْ، فَلَمَّا جَبَرَتْ وَانْدَمَلَتْ بَقِيَتْ عَلَيْهِمْ آثَارُ الْكَسْرِ إِلَى أَنْ مَاتُوا، وَلِذَلِكَ قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَذِيفَةَ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام): إِنَّهُمَا أَعْلَمُ النَّاسِ بِالْمُنَافِقِينَ لِقَعُودِهِ فِي
أَصْلِ الْجَبَلِ، وَمُشَاهَدَتِهِ مِنْ مَرٍّ سَابِقاً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَفَى اللَّهُ رَسُولَهُ أَمْرَ مَنْ قَصَدَ
لَهُ، وَعَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَكَسَى اللَّهُ الذَّلَّ وَالْعَارَ مَنْ كَانَ قَعَدَ عَنْهُ، وَالْبَسَ
الْخِزْيَ مَنْ كَانَ دَبَّرَ عَلَى عَلِيٍّ (عليه السلام) مَا دَفَعَ اللَّهُ عَنْهُ» (١).

٣ - وفيه عن قصص الأنبياء (٢): عن الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن إبراهيم
ابن مهزيار، عن أخيه علي، عن النضر، عن موسى بن بكر، قال: «قَالَ بَعْضُ

(١) بحار الأنوار: ٢١: ٢٢٣ - ٣٢٣.

(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ٣٠٨ و ٣٠٩.

أَصْحَابِنَا لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَسْمَاءَ الْمُنافِقِينَ ؟ فَقَالَ : لَا ، وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا كَانَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ كَانَ يَسِيرُ عَلَى نَاقَتِهِ وَالنَّاسِ أَمَامَهُ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْعَقَبَةِ ، وَقَدْ جَلَسَ عَلَيْهَا أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا ، سِتَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَثَمَانِيَةَ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ ، أَوْ عَلَى عَكْسِ هَذَا ، فَأَتَاهُ جَبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : إِنَّ فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا قَدْ قَعَدُوا لَكَ عَلَى الْعَقَبَةِ لِيَنْفِرُوا نَاقَتَكَ ، فَنَادَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَا فُلَانُ وَيَا فُلَانُ وَيَا فُلَانُ ، أَنْتُمْ الْقُعُودُ لَتَنْفِرُوا نَاقَتِي ، وَكَانَ حُذَيْفَةُ خَلْفَهُ فَاحْتَقَ بِهِمْ ، فَقَالَ : يَا حُذَيْفَةُ ، سَمِعْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : اكْتُمُ ^(١) .

٤ - وفيه عن تفسير العياشي : عن جابر الجعفي ، قال : « قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ - إِلَى قَوْلِهِ : - نُعَذِّبُ طَائِفَةً ﴾ » .

قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : تَفْسِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ ؟ قَالَ : تَفْسِيرُهَا وَاللَّهِ مَا نَزَلَتْ آيَةٌ قَطُّ إِلَّا وَلَهَا تَفْسِيرٌ .

ثُمَّ قَالَ : نَعَمْ ، نَزَلَتْ فِي عَدَدِ بَنِي أُمَيَّةَ وَالْعَشْرَةِ مَعَهُمْ ، إِنَّهُمْ اجْتَمَعُوا اثْنَا عَشَرَ فَكَمَنُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْعَقَبَةِ ، وَاتَّصَرُّوا بِبَنِيهِمْ لِيَقْتُلُوهُ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنْ فَطَنَ نَقُولُ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ وَإِنْ لَمْ يَفْطَنْ لَنَقْتُلَنَّهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ : (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ) ، فَقَالَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ : ﴿ قُلْ أَلَا بِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ ﷺ ﴾ يَعْنِي مُحَمَّدًا ﷺ ﴿ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤْنَ ﴾ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ ﴿ يَعْنِي عَلِيًّا إِنْ يَعْفُ عَنْهُمَا فِي أَنْ يَلْعَنَهُمَا عَلَى الْمَنَابِرِ ، وَيَلْعَنَ غَيْرُهُمَا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبُ طَائِفَةً ﴾ ^(٢) .

(١) بحار الأنوار : ٢١ : ٢٣٤ .

(٢) بحار الأنوار : ٢١ : ٢٣٦ ، الحديث ١٨ .

ثبوت الواقعة:

والملاحظ للروايات السابقة وغيرها من الروايات التي سوف نتعرض لها، ولمصادرها المختلفة في كتب الطرفين، يحصل له القطع بثبوتها، فهي مشهورة معروفة، نقلت في الكتب المعتبرة، ولها طرق ومصادر مختلفة تفيد الباحث القطع بأصل الوقوع بقطع النظر عن التفاصيل، وعدم معاقبة النبي ﷺ لهم وأمره ﷺ بكتمان أسمائهم. نعم، هنالك جملة من التفاصيل التي لم تتكرر في جميع المصادر منها:

١ - عدد المتآمرين، فهل كانوا اثني عشر، كما روي عن الإمام الباقر عليه السلام^(١)، أو أربعة عشر^(٢)، أو خمسة عشر^(٣)، أو أربعة وعشرين كما في الرواية المتقدمة عن البحار؟

٢ - هل كان حذيفة لوحده يصحب رسول الله ﷺ، أو كان معه عمّار وسلمان (رضوان الله عليهما) كما جاء في بعض الروايات؟

٣ - هل كان تدبيرهم إلقاء دباب هيئوها من جلد حمار، ووضعوا فيها الحصى، لتنفيذ ناقة رسول الله ﷺ، أو دحرجة الحجارة، أو قطع أنساع ناقته ثم نخسها لكي تلقيه؟

٤ - هل تمكّن المنافقون من الفرار جميعهم، أم هلك بعضهم في محاولة الفرار؟ وحيث لا يترتب أثر مهم يرتبط بتحقيق الحال في هذه التفاصيل، فلن نتعرض للحديث عنها، وسوف نقصر الكلام على تحقيق النقاط التالية:

(١) راجع مجمع البيان: ٥ : ٥١.

(٢) راجع دلائل النبوة: ٥ : ٢٥٨. الدرجات الرفيعة: ٢٩٩.

(٣) راجع سبل الهدى والرشاد: ٥ : ٤٦٨.

النقطة الأولى

هل كان هؤلاء من كبار الصحابة وأصحاب الشوكة في جيش رسول الله ﷺ؟

الظاهر من روايات الطرفين ذلك لعدة قرائن :

١ - عدم معاقبتهم بعد ذلك المعلن في بعض الروايات بقول رسول الله ﷺ : « أكره أن يتحدث الناس ويقولوا : إنَّ محمداً قد وضع يده في أصحابه ». وفي رواية : « إنني أكره أن تحدث العرب بينها أن محمداً قاتل بقوم حتى إذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم . ثم قال : اللهم ارمهم بالديلة . قلنا : يا رسول الله ! وما الديلة ؟ قال : شهاب من نار يوضع على نياط قلب أحدهم فيهلك »^(١).

إذ لا يحتمل أن يكون الناس من الكفار فحسب ، فإنهم كانوا ضعفاء في السنة التاسعة ، وموتورين من رسول الله ﷺ ، وما كان رسول الله ﷺ يخشى جانبهم إلى الحد الذي يجعله يغض الطرف عن أعضاء مؤامرة تستهدف الدولة من الداخل ، وتريد الإطاحة بركنه الركين وأساسه المتين . وإذا كانوا مسلمين ، أو أعم كما هو الموافق للفظ (العرب) الوارد في الرواية الثانية ، ينكشف جلياً أن المنافقين كانوا أصحاب شوكة ، ولهم مكانة ، وعندهم أتباع يفزعون لهم ، أو يعملون على الانتقام بعد قتلهم ، وفي ذلك مفسدة عظيمة رجح رسول الله ﷺ دفعها ولو ترتب على ذلك مفسدة إبقاء المنافقين .

٢ - أمره ﷺ حذيفة وعمار (رضوان الله عليهما) بإخفاء هوية المنافقين مطلقاً ، وتأكيده على عدم البوح بأسمائهم جميعاً ، ثم تصريح حذيفة وعمار باسم بعضهم ممن لا يعد من أهل الشوكة ، أو باسم من هو من أصحاب الشوكة ، ولكن في بعض الأزمنة دون البعض الآخر ، فإنه لا وجه له إلا فهم الصحابييين بأن النهي كان خاصاً

(١) الدر المنثور : ٣ : ٢٥٩ و ٢٦٠ .

بالمورد الذي يلزم منه مفسدة عظيمة ، وليس هذه المفسدة مترتبة على البوح بأسماء الجميع ، وفي كل زمان .

ومن الروايات التي دلت على أنهما صرّحا باسم بعض المنافقين ما نقله النووي ، قال : « وسأله عمر بن الخطّاب : هل في عمّالي أحد منهم ؟ قال : نعم ، واحد ، قال : من هو ؟ قال : لا أذكره ، فعزله عمر »^(١) .

وفي كتاب المعرفة والتاريخ للبسوي (ت ٢٧٧) ، قال : « مات رجل من المنافقين فلم يصلّ عليه حذيفة ، فقال له عمر : من القوم هو ؟ قال : نعم . قال : بالله أنا منهم ، قال : لا ، ولن أخبر أحداً بعدك »^(٢) .

وفي صحيح مسلم^(٣) بسنده عن أبي الطفيل ، قال : « كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس ، فقال : أنشدك بالله ، كم كان أصحاب العقبة ؟ قال : وقال القوم : أخبره إذ سألك ، قال : كنّا نخبر أنهم أربعة عشر ، فقال حذيفة : فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر ، وأشهد بالله إنّ اثني عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » .

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب (في ترجمة أبي موسى الأشعري) : « فقد روى حذيفة فيه كلاماً كرهت ذكره ... »^(٤) .

وقال ابن أبي الحديد معقّباً عليه في شرح النهج : « الكلام الذي أشار إليه ... ولم يذكره - قوله فيه - وقد ذكر عنده بالدين - : أما أنتم فتقولون ذلك ، وأما أنا فأشهد أنّه عدوّ لله ولرسوله وحرب لهما في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ

(١) تهذيب الأسماء واللغات : ١ : ١٥٤ .

(٢) المعرفة والتاريخ : ٢ : ١٦٨ .

(٣) صحيح مسلم : ٨ : ١٢٣ .

(٤) الاستيعاب : ٣ : ٩٧٩ .

الظَّالِمِينَ مَعَذِّرْتَهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿١﴾» .

وقال أيضاً: «وروي أن عمّاراً سئل عن أبي موسى فقال: لقد سمعت فيه قولاً عظيماً، سمعته يقول: صاحب البرنس الأسود، ثمّ كلح كلوحاً علمت أنه كان ليلة العقبة بين ذلك الرهط» (٢).

وأخرج ابن عدي (٣)، وابن عساكر (٤)، كما في منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد (٥) بإسناده عن أبي نجاء حكيم، قال: «كنت جالساً مع عمّار فجاء أبو موسى فقال: مالي ولك؟ ألسأ أخاك؟ قال: ما أدري، ولكن سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يلعنك ليلة الجبل، قال: إنه استغفر لي؟ قال عمّار: قد شهدت اللعن، ولم أشهد الاستغفار».

ونقل الذهبي في سير أعلام النبلاء (٦)، عن شقيق: «كنا مع حذيفة جلوساً فدخل عبدالله وأبو موسى المسجد، فقال: أحدهما منافق. ثمّ قال: إن أشبه الناس هدياً ودلاً وسمتاً برسول الله ﷺ عبد الله».

٣ - تجاسر المنافقين وتظاهروا بمخالفة أمر النبي ﷺ، فإنه يدلّ على قوتهم وأمنهم من سخط المسلمين عليهم في ذلك، وهذا لا يكون للضعيف الذي لا منعة له أمام سلطان رسول الله ﷺ وغيره المسلمين عليه، وعلى أوامره، ويدلّ على جسارتهم هذه فقرتان:

(١) غافر ٤٠: ٥٢.

(٢) راجع شرح نهج البلاغة: ٣: ٢٩٢.

(٣) الكامل: ٢: ٢٦٢.

(٤) تاريخ مدينة دمشق: ٣٢: ٩٣.

(٥) مسند أحمد بن حنبل: ٥: ٢٣٤.

(٦) سير أعلام النبلاء: ٢: ٣٩٣، رقم ٨٢. تاريخ دمشق: ٣٢: ٩٣.

الأولى: ما رواه مسلم في مخالفتهم أمر النبي ﷺ بعدم سبق أحد عليه إلى الماء: عن أبي الطفيل، قال: «كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس، فقال: أنشدك بالله، كم كان أصحاب العقبة؟ قال: فقال له القوم: أخبره إذ سألك. قال: كنّا نخبر أنّهم أربعة عشر، فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر، وأشهد بالله أنّ اثني عشر منهم حربٌ لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد! وعذّر ثلاثة قالوا: ما سمعنا منادي رسول الله ﷺ، ولا علمنا بما أراد القوم! وقد كان في حرّة فمشى فقال: إنّ الماء قليل فلا يسبقني إليه أحد، فوجد قوماً قد سبقوه، فلعنهم يومئذٍ»^(١).

وفي المسند ذكر أبو الطفيل: «أنّ رسول الله قال للناس - وذكر له أنّ في الماء قلة - فأمر رسول الله منادياً فنادى: ألا يرد الماء أحد قبل رسول الله، فورده رسول الله فوجد رهطاً قد وردوه قبله، فلعنهم رسول الله يومئذٍ»^(٢).

الثانية: ما عن أبي الطفيل، قال: «لما أقبل رسول الله من غزوة تبوك أمر منادياً فنادى: إنّ رسول الله أخذ العقبة فلا يأخذها أحد، فبينما رسول الله يقوده حذيفة، ويسوق به عمّار إذ أقبل رهط متلثمون على الرواحل غشوا عمّاراً وهو يسوق برسول الله، وأقبل عمّار يضرب وجوه الرواحل»، فإنّها تدل على مخالفتهم أمر النبي ﷺ الجيش بسلك الوادي وعدم اتّباعه نحو العقبة.

فإن قلت: ولكن روي أنّه ﷺ قال: «مَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَأْخُذَ بِبَطْنِ الْوَادِي، فَإِنَّهُ أَوْسَعُ لَكُمْ، وَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ الْعَقَبَةَ، وَأَخَذَ النَّاسُ بِبَطْنِ الْوَادِي، إِلَّا النَّفَرَ الَّذِينَ هَمُّوا بِالْمَكْرِ بِرَسُولِ اللَّهِ».

قلت: أولاً: هذه الرواية لو سلّم دلالتها على التخيير فهي تنافي ما رواه الثقات

(١) صحيح مسلم: ٨: ١٢٣.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ٥: ٤٥٤.

عن أبي الطفيل ، قال : « خرج رسول الله إلى غزوة تبوك فانتهى إلى عقبة ، فأمر مناديه فنادى : لا يأخذن العقبة أحد ، فإن رسول الله يسير يأخذها ، وكان رسول الله يسير وحذيفة يقوده ، وعمّار بن ياسر يسوقه »^(١).

وثانياً: إنّ الظاهر منها الإلزام بقريظة التزام جميع المسلمين « وأخذ الناس ببطن الوادي » مع حبّ كثير منهم لرسول الله ورغبتهم الشديدة في مصاحبته .

وبقريظة ما ورد في ذيلها من أنّ رسول الله ﷺ غضب بمجرّد أن شعر بهم وعلم باتّباعهم له « فبينما هم يسرون إذ سمعوا وكزة القوم من ورائهم قد غشوه ، فغضب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمر حذيفة أن يردّهم ، وأبصر حذيفة ﷺ غضب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه [وآله] وسلم) فرجع ومعه محجن فاستقبل وجوه رواحلهم فضربها ضرباً بالمحجن »^(٢).

وأما مصاحبة عمّار وحذيفة فأمر منه ﷺ كما في رواية « وأمر رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان وعمّار بن ياسر فمشيا معه ، وأمر عمّاراً أن يأخذ بزمام الناقة ، وأمر حذيفة أن يسوقها ، فبينما هم يسرون ، إذ سمعوا وكزة القوم من ورائهم قد غشوه ، فغضب رسول الله ﷺ وأمر حذيفة أن يردّهم ، وأبصر حذيفة غضب رسول الله ﷺ ، فرجع ومعه محجن واستقبل وجوه رواحلهم ، فضربها ضرباً بالمحجن ».

وثالثاً: لو سلّمنا عدم دلالتها على الإلزام ، فلا شك في أنّ مخالفة ما فيها من إرشاد جسارة على رسول الله ﷺ لم يقدم عليها أحد من الناس .

فإن قلت: إقدامهم كان في الليل ، ولم يكن بإمكان الناس رؤيتهم ، فهو لا يدلّ على قوّة شوكتهم ، وعدم خشيتهم من الناس .

قلت: لم تكن الليلة مظلمة بالنحو الذي يمنع من معرفة اتّباع عدّة رجال على

(١) رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله ثقات . والهيثم في مجمع الزوائد : ١ : ١١٠ .

(٢) سبل الهدى والرشاد : ١٠ : ٢٦٢ . الدرّ المنثور : ٣ : ٢٥٩ - ٢٦٠ . مجمع البيان : ٥ : ٥١ .

رحالهم لرسول الله ﷺ؛ وذلك لأنّ حذيفة في عدّة روايات -وقد تقدم بعضها- استطاع أن يميّز عددهم ورواحلهم، ورؤيتهم متلّمين.

٤ - ترتّب الاتّهام بقتل الأصحاب على قتلهم، فإنّه دليل على كون هؤلاء من وجوه الصحابة، وليسوا من المغمورين الذين لا يفتح بقتلهم باب التعميم في التّهمة، أو لا يمكن دحض التّهمة بسهولة على تقدير انتشارها.

٥ - جواب حذيفة عندما سأله النبي ﷺ عن معرفة الرهط الذين همّوا بذلك الأمر العظيم بأنّه رأى راحلة فلان وفلان؛ فإنّه يدلّ على أنّهم من وجوه القوم ومن القرييين، وليسوا من سواد الناس الذين لا يمكن لحذيفة أن يميّز رواحلهم.

٦ - قول ابن كيسان وروايته عن حذيفة أنّه ﷺ قال: إنّي أكره أن تتحدّث العرب بينها أنّ محمّداً قاتل بقوم حتّى إذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم؛ فإنّه ﷺ وصف هؤلاء الرهط بأنّهم؟؟؟ فإنّه كالصريح في المطلوب.

النقطة الثانية

لماذا لم يعاقبهم رسول الله ﷺ؟

عدم العقاب فعل لا يعلم وجهه إلّا النبي ﷺ، وقد تقدّم منّا في القرينة الأولى من النقطة السابقة أنّ التعليل الوارد عن رسول الله ﷺ في وجه ذلك يستفاد منه أنّ المانع هو ترتّب مفسدة أكبر من المفسدة المترتبة على إبقائهم، وقلنا فيما سبق أنّ هذه المفسدة ما كانت لتترتب لو لم يكن لهؤلاء الصحابة المنافقين قوّة وشوكة. وهذا هو السبب الأرجح لعدم عقابهم، وليس ما ذكره في الصحيح من سيرة النبي ﷺ من أنّ الله تعالى هو الذي أعلم النبي ﷺ بأسماء أولئك المجرمين... وهذا معناه أنّه علم غير ميسور للبشر... فليس للنبي ﷺ أن يؤاخذهم ولأجل ذلك لم يستجب لطلب حذيفة حينما طلب منه ذلك؛ إذ لم يعلم الوجه لنفي أن يكون

لرسول الله ﷺ مؤاخذتهم إذا كان علمه يستند إلى إخبار الله عز وجل بغير الطرق الميسورة ، في صورة عدم ترتب مفسدة على مؤاخذتهم ، وترتب مفسدة على إبقائهم كما هو واضح .

النقطة الثالثة

من هؤلاء المنافقون ؟

حاول علماء العامة تبرئة القرشيين من محاولة الفتك برسول الله ﷺ ، فقد أخرج في الدر المنثور عن ابن سعد^(١) ، والمنار^(٢) : أنه ليس فيهم قرشي ، وكلهم من الأنصار^(٣) .

ولست أدري كيف عرف هؤلاء بأن المنافقين ما كانوا من قريش ، ولا يعلم بهم جميعاً إلا عمّار وحذيفة ، وقد أمرهم رسول الله ﷺ بالكتمان ، فهل كتم حذيفة أسماءهم عن عمر بن الخطاب وغيره ، وصرح بها لهؤلاء المبرئين للقرشيين !
وقد ذكر علماء العامة قائمتين بأسماء المنافقين ، نقلهما السيد جعفر مرتضى العاملي (حفظه الله) في كتابه النافع جداً الصحيح من سيرة النبي ﷺ عن الطبراني ، وابن القيم ، والسيوطي ، والصالح الشامي .
أمّا ما ذكره الطبراني :

١ - معتب بن قشير بن مليل ، من بني عمرو بن عوف .

٢ - وديعة بن ثابت بن عمرو بن عوف .

(١) الدر المنثور : ٣ : ٢٦٠ .

(٢) تفسير المنار : ١٠ : ٥٥٣ .

(٣) راجع أيضاً : مكاتيب الرسول : ١ : ٥٩٩ ، وتفسير الألوسي : ١٠ : ١٣٩ ، وتاريخ مدينة دمشق : ١٢ : ٢٧٧ ، وتهذيب الكمال : ٥ : ٥٠٥ ، وإمتاع الأسماع : ٩ : ٣٢٨ .

- ٣ - جدّ بن عبدالله بن نبيل [نبتل] بن الحارث من بني عمرو بن عوف .
- ٤ - الحارث بن يزيد الطائي .
- ٥ - أوس بن قيطي ، من بني حارثة .
- ٦ - الحارث بن سويد .
- ٧ - سعد بن زرارة من بني مالك بن ماتت .
- ٨ - قيس بن قهد من بني مالك بن ماتت .
- ٩ - سويد من بني بلحبل .
- ١٠ - داعس من بني بلحبل .
- ١١ - قيس بن عمرو بن سهل .
- ١٢ - زيد بن اللصيت .
- ١٣ - سلامة بن الحمام (وهما من بني قينقاع) .

وأما ما ذكره ابن القيم ، والسيوطي ، والصالحي الشامي :

- ١ - عبدالله بن أبي [سعد] .
- ٢ - سعد بن أبي سرح .
- ٣ - أبو خاطر [حاضر] الأعرابي .
- ٤ - عامر .
- ٥ - أبو عامر [أبو عمر] .
- ٦ - الجلاس بن سويد بن الصامت .
- ٧ - مجمع بن حارثة [جارية] .
- ٨ - فليح [مليح] التيمي .
- ٩ - طعمة بن أبيرق .

١٠ - عبدالله بن عيينة .

١١ - مرة بن الربيع .

١٢ - حصين بن النمير .

ثم قال السيد (حفظه الله) : « واللائت هنا : أن ابن قيم الجوزية نفسه لا يرتضي صحة هذه القائمة الثانية ، بل أورد عليها بما يلي :

أولاً : إن (سعد بن أبي سرح) لم يعرف له إسلام ..

ونقول : إن الصالحى الشامى ذكر (عبدالله بن سعد بن أبي سرح) .

ثانياً : إن عبدالله بن أبي ، وكذلك الجلاس بن سويد ، كانا قد تخلفا عن غزوة تبوك ، فما معنى ذكرهما في جملة المشاركين في قضية العقبة ؟ !

كما أن أبا عامر لم يحضر غزوة تبوك أيضاً ، لأنه خرج إلى مكة ، ثم إلى الطائف ، ثم إلى الشام ، فمات طريداً .

ثالثاً : إن النبي ﷺ أسر أسماء المنقرين به إلى حذيفة ، وكانوا لا يعرفون . وكان عمر لا يصلى على من لم يصلى عليه حذيفة .

كما أن ثمة إشكالات على القائمة الأولى ، أعني قائمة الطبراني :

فأولاً : إن هذه القائمة كانت سرّاً عند حذيفة .

ثانياً : إن أوس بن قيطى ، كان من المتخلفين عن تبوك .

ثالثاً : إن الذين أرادوا قتل النبي ﷺ كانوا يطمعون بالحصول على الدنيا ، وكانت لهم مكانة تؤهلهم بنظر الناس إلى طلب هذا الأمر . وكانوا مرهوبي الجانب حتى لقد أخفى حذيفة أسماءهم خوفاً منهم ، ورهبة منه لجانبهم . والذين وردت أسماءهم في القائمة لا يملكون أية موقعية تخولهم ترشيح أنفسهم لهذا الأمر .

أقول : تقدم أن أمر رسول الله ﷺ بالكتمان وعدم إظهار الأسماء إنما كان خشية من المفسدة المترتبة على الإعلان ، وهو لا ينافي جواز التصريح إذا لم تترتب عليه

هذه المفسدة، وهذا ما فهمه الصحابيَّان الجليلان، فورود رواية عن حذيفة في ذكر أسماء المنافقين، أو تحديد واحد منهم، لا ينافي الكتمان الذي أمر به النبي ﷺ. نعم، لا يمكن التعويل على ما ورد في كتب العامة من تبرئة للقرشيين، أو ذكر أسماء تبعد التهمة عن وجوه الصحابة الذين يتوقّف استمرار مذهب العامة على حفظ القداسة لهم، وذلك لعدّة أمور:

إخفاء العامة للمثالب:

الأمر الأوّل: هو اهتمام العامة الشديد بتقنية الكتب من مثالب الصحابة. قال الذهبي في سير أعلام النبلاء^(١): «قلت: كلام الأقران إذا تبرهن لنا أنّه بهوى وعصبية لا يلتفت إليه، بل يطوى ولا يروى، كما تقرّر عن الكفّ عن كثير ممّا شجر بين الصحابة وقتالهم (رضي الله عنهم أجمعين)، وما زال يمرّ بنا ذلك في الدواوين والكتب والأجزاء، ولكن أكثر ذلك منقطع وضعيف، وبعضه كذب، وهذا فيما بأيدينا وبين علمائنا فينبغي طيّه وإخفاؤه، بل إعدامه لتصفو القلوب، وتتوفّر على حبّ الصحابة، والترضي عنهم، وكتمان ذلك متعيّن عن العامة وآحاد العلماء، وقد يرخص في مطالعة ذلك خلوة للعالم المنصف العربي من الهوى بشرط أن يستغفر لهم كما علّمنا الله تعالى».

وهذا هو السرّ وراء إخفاء مثالب معاوية وأمثاله، فقد قال أبو توبة الربيع بن نافع الحلبيّ - كما ذكر ابن كثير في تاريخه^(٢)، والخطيب البغداديّ في تاريخ بغداد^(٣) -: «معاوية ستر لأصحاب محمّد، فإذا كشف الرجل السترا جترئ على ما ورائه».

(١) سير أعلام النبلاء: ١٠: ٩٢.

(٢) البداية والنهاية: ٨: ١٤٨.

(٣) تاريخ بغداد: ١: ٢٠٩.

محاربة العامة لرواة المثالب :

الأمر الثاني : محاربة العامة للرواة الذين يروون المطاعن ، ونبذهم ، وتحريم النقل عنهم ، حتّى لو كانوا من ثقات . ونكتفي بنقل بعض ما جاء في كتاب السنّة للخلال^(١) : « فصل : التغليظ على من كتب الأحاديث التي فيها طعن على أصحاب رسول الله : أخبرنا أبو بكر المروزيّ ، قال : سمعت أبا عبد الله يقول : إنّ قوماً يكتبون هذه الأحاديث الرديئة في أصحاب رسول الله وقد حكوا عنك أنّك قلت : أنا لا أنكر أن يكون صاحب حديث يكتب هذه الأحاديث يعرفها ، فغضب وأنكره إنكاراً شديداً وقال : باطل ، معاذ الله أنا لا أنكر هذا لو كان هذا في أفناء الناس لأنكرته ، فكيف في أصحاب محمّد ، وقال : أنا لم أكتب هذه الأحاديث .

قلت لأبي عبد الله : فمن عرفته يكتب هذه الأحاديث الرديئة ويجمعها أيهجر ؟ قال : نعم ، يستأهل صاحب هذه الأحاديث الرديئة الرجم .

وقال أبو عبد الله : جاءني عبد الرحمن بن صالح فقلت له : تحدّث بهذه الأحاديث ، فجعل يقول : قد حدّث بها فلان ، وحدّث بها فلان ، وأنا أرفق به ، وهو يحتجّ ، فرأيتُه بعد فأعرضت عنه ولم أكلّمه . إسناده صحيح .

وكتب إلّيّ أحمد بن الحسين ، قال : ثنا بكر بن محمّد ، عن أبيه ، عن أبي عبد الله ، وسأله عن الرجل يروي الحديث فيه على أصحاب رسول الله شيء يقول أرويه كما سمعته . قال : ما يعجبني أن يروي الرجل حديثاً فيه على أصحاب رسول الله شيء .

قال : وإنّي لأضرب على غير حديث ممّا فيه على أصحاب رسول الله شيء . أخبرني العباس بن محمّد الدوريّ ، قال : ثنا إبراهيم أخو أبان بن صالح ، قال :

(١) كتاب السنّة للخلال : ٣ : ٥٠١ .

«كنت رفيق أحمد بن حنبل عند عبدالرزاق ، قال : فجعلنا نسمع ، فلمّا جاءت تلك الأحاديث التي فيها بعض ما فيها قام أحمد بن حنبل فاعتزل ناحية وقال : ما أصنع بهذه ، فلمّا انقطعت تلك الأحاديث فجاء فجعل يسمع في إسناده إبراهيم لم أجد ترجمته.

وأخبرنا مقاتل بن صالح الأنماطي ، قال: سمعت عباس الدوري يقول: كنّا إذا اجتمعنا مع أحمد بن حنبل نسمع الحديث ، فجاءت هذه الأحاديث في المثالب اعتزل أحمد بن حنبل حتّى تفرغ ، فإذا فرغ المحدث رجع فسمع.

قال مقاتل : وسمعت غير شيخ يحكي عن أحمد بن حنبل هذا في إسناده مقاتل ابن صالح مجهول الحال .

وأخبرني العباس بن محمّد بن إبراهيم ، قال: سمعت جعفر الطيالسي يقول : سمعت يحيى بن معين يقول: كانوا عند عبدالرزاق أحمد وخلف ورجل آخر ، فلمّا مرّت أحاديث المثالب وضع أحمد بن حنبل إصبعيه في أذنيه طويلاً حتّى مرّ بعض الأحاديث ، ثمّ أخرجهما ثمّ ردهما حتّى مضت الأحاديث كلّها .

أو كما قال في إسناده العباس بن محمّد : سمعت محمّد بن عبيد الله بن يزيد المنادي يحكي عن أحمد بن حنبل فلم أحفظه ، ولم أكتبه ، فأخبرني محمّد بن أبي هارون ، قال : سمعت ابن المنادي قال : كنت عند أحمد بن حنبل فجاء أحمد بن إبراهيم الموصلي الذي كان يحدث ومعه ابن له ، فأخرج الموصلي من كمّ ابنه دفتراً فدفعه إلى أبي عبد الله ، فنظر أحمد في الكتاب وجعل يتغيّر لونه كأنّه ينتقص ، فلمّا فرغ أحمد من النظر في الدفتر قال: قال عزّ وجلّ : ﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ ﴾ الآية^(١) ، أما يخاف الذي حدّث بهذه أن يحبط عمله وهو لا يشعر ، ثم قال أحمد بعد أن مضى الموصلي: تدري من يحدث بهذه ؟

قلت : لا . قال : هذا جارك ، يعني خلف . إسناده حسن .

وأخبرنا أبو بكر المروزي ، قال : « سألت أبا عبد الله عن خلف المخرمي فقال : خرج معي إلى طرسوس وكتبه على عنقه ، خرجنا مشاة ، فما بلغنا رحبة طوق حتى أزحف بي . قال : وخرجنا في اللقاط - يعني بطرسوس - وما كنت أعرفه إلا عفيف البطن والفرج .

قال أبو عبد الله : فلما كان بعد ذهبت إلى منزل عمي بالمخرم فرأيته فأعرضت عنه ، ثم قال : وأيش أنكر الناس على خلف إلا هذه الأحاديث الرديئة ، لقد كان عند غندر ورقة - أو قال : رقعة - فخلا به خلف ويحيى فسمعوها ، فبلغ يحيى القطان فتكلم بكلام شديد . إسناده صحيح .

أخبرنا محمد بن علي ، قال : ثنا مهني ، قال : « سألت أحمد عن خلف بن سالم فلم يحمد ولم ير أن يكتب عنه » إسناده صحيح .

وأخبرني محمد بن علي ، قال : ثنا مهني ، قال : « سألت أحمد عن عبيد الله بن موسى العباسي فقال : كوفي ، فقلت : فكيف هو ؟ قال : كما شاء الله . قلت : كيف هو يا أبا عبد الله ؟ قال : لا يعجبني أن يحدث عنه . قلت : لم ؟ قال : يحدث بأحاديث فيها تنقص لأصحاب رسول الله » . إسناده صحيح .

سمعت محمد بن عبيد الله بن يزيد المنادي يقول : « كنا بمكة في سنة تسع ، وكان معنا عبيد الله بن موسى ، فحدث في الطريق فمر حديث لمعاوية ، فلعن معاوية ولعن من لا يلعه . قال ابن المنادي : فأخبرت أحمد بن حنبل فقال : متعدي يا أبا جعفر ، فأخبرني محمد بن أبي هارون أن حبيش بن سندي حدثهم أن أبا عبد الله ذكر له حديث عبيد الله بن موسى فقال : ما أحسب هو بأهل أن يحدث عنه وضع الطعن على أصحاب رسول الله ، ولقد حدثني منذ أيام رجل من أصحابنا أرجو أن يكون صدوقاً أنه كان معه في طريق مكة فحدث بحديث لعن فيه معاوية ، فقال : نعم ، لعنه الله ، ولعن من لا يلعه ، فهذا أهل يحدث عنه علي الإنكار من

أبي عبدالله، أي إنّه ليس بأهل يحدث عنه». إسناده حسن.

أخبرني محمد بن عليّ، قال: ثنا الأثرم، قال: سمعت أبا عبدالله، وذكر له حديث عقيل عن الزهريّ، عن عروة، عن عائشة، عن النبيّ في عليّ والعبّاس وعقيل عن الزهريّ: أنّ أبا بكر أمر خالدًا في عليّ فقال أبو عبدالله: كيف؟ فلمّا عرفها فقال: ما يعجبني أن تكتب هذه الأحاديث إسناده كلام أحمد صحيح.

وأخبرنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، قال: سمعت هارون بن سفيان، قال: سمعت أبا عبدالله يقول، وذكر هذه الأحاديث التي فيها ذكر أصحاب رسول الله فقال: هذه أحاديث الموتى في إسناده سفيان مجهول الحال.

أخبرني حمزة بن القاسم، قال: ثنا حنبل، قال: سمعت أبا عبدالله يقول: أخرج إلينا غندر محمد بن جعفر كتبه عن شعبة، فكتبنا منها: كنت أنا وخلف بن سالم، وكان فيها تلك الأحاديث، فأما أنا فلم أكتبها، وأما خلف فكتبها على الوجه كلّها. قال أبو عبدالله: كنت أكتب الأسانيد وأدع الكلام. قلت لأبي عبدالله: لم؟ قال: لأعرف ما روى شعبة. قال أبو عبدالله: لا أحب لأحد أن يكتب هذه الأحاديث التي فيها ذكر أصحاب النبيّ لا حلال ولا حرام ولا سنن. قلت: اكتبها؟ قال: لا تنظر فيها، وأي شيء في تلك من العلم، عليكم بالسنن والفقه وما ينفعكم. إسناده صحيح.

أخبرنا أبو بكر المروزيّ، قال: قال لي أبو عبدالله: تعرف أبو سيّار سماه بلغني أنّه ردّ على أبي همام حديثاً حدّث به. قال أبو بكر: وحدّث أبو همام بحديث فيه شيء على أصحاب رسول الله وظنّ أبو همام أنّه فضيلة، فلمّا كان المجلس الثاني ونحن حضور فوثب جماعة وقالوا: يا أبا همام، حدثت بحديث رديّ، فقال: قد أخطأت، اضربوا عليه ولا تحكوه عني.

قال أبو بكر: فدخلت على أبي عبدالله وقد انصرفت من عند أبي همام فقال: أيش حدّثكم اليوم؟ فأخرجت إليه الكتاب فنظر فإذا فيه أحاديث رخصة من

كان يركب الأرجوان فغضب وقال : هذا زمان يحدث بمثل هذه الرخص .

قال أبو بكر : وجاءوا بأحاديث كتبت عن إبراهيم بن سعيد الجوهري ، فذهبوا إليه فقال : منها ما لم أُحَدِّث به ، وإنما كان هذا الرجل يشتري لي حوائج ، فكتب من كتابي ما لم أقرأ عليه ، ولكن أضرب عليها من كتابي ، ولا أُحَدِّث منها بشيء ، وأنا أستغفر الله فأقول في هذا المجلس ، فقام في مجلسه فقال : مثل هذا الكلام ثم تكلم ابن الكردية في أن يأخذ الأحاديث التي عندي ولا يحدث منها بشيء ، فجاء ابن الكردية مرتين فقال : الله الله ، هات الأحاديث حتى نقطعها ولا نحدث منها بشيء ، ونضرب عليها بحضرتك ، فأخرجت الكتاب فجعل ابن الكردية يضرب عليها حديثاً حديثاً .

قال أبو بكر : فما علمت إبراهيم حدث منها بشيء حتى مات . إسناده صحيح . سمعت علي بن إسماعيل البندنجي ، قال : جمعنا أحاديث فيما كان بين أصحاب رسول الله ، فقلت لعلي بن إسماعيل : المثالب ؟ قال : نعم . قال : وأتينا بها سويد بن سعيد قال : فأبى أن يقرأها علينا ، فقال : كتب إلي أبو عبد الله أحمد بن حنبل : يا أبا محمد ، لا تحدث بهذه الأحاديث .

قال علي : فكان إذ مر منها بشيء لم أُحَدِّث به . في إسناده علي بن إسماعيل . أخبرنا أبو بكر المروزي ، قال : سمعت ابن نمير يقول : سمعت أبي يقول : سمعت الأعمش يقول ، وذكر حديثه الذي ينكرونه ، فقال : كنت أحدثهم بأحاديث يقولها الرجل لأخيه في الغضب فاتخذوها ديناً ، لا جرم لا أعود لها . إسناده صحيح .

أخبرني عبد الملك الميموني ، قال : تذاكرنا حديث الأعمش ، وما يغلط فيه ، وما يرى من تلك الأشياء المظلمة . قلت : يا أبا عبد الله ، مع هذا ؟ فقال لي : ها أي يثبت . وقال لي أبو عبد الله : ما ينبغي لك أن تسمعها ، لقد بلغ يحيى بن سعيد أن غندر حدث بشيء عن شعبة من هذه القصة ، فذهب إليه أصحابنا ولم أذهب أنا ،

فقال يحيى : ما حمّله على أن يحدث بها ، لعل رجلاً قد غلط في شيء فحدث به يحدث به عنه . إسناده صحيح .

وأخبرني محمد بن عليّ ، قال : ثنا محمد بن سعد الزهريّ ، قال : سمعت أحمد بن حنبل ، وسئل عن أبي عبد الرزاق ، قال : كان صالح الحديث فيما حدث عن وهب بن منبه . قيل : حديث مينا . قال : من مينا ما فحصت حديث عبد الرزاق في عيب أصحاب النبيّ ترى مالك بن أنس سلّم على الناس إلا بتركه هذه الأحاديث تورث الغلّ في القلب في . إسناده محمد بن سعد الزهريّ .

أخبرني محمد بن جعفر : أنّ أبا الحارث حدثهم قال : سألت أبا عبد الله قلت : هذه الأحاديث التي رويت في أصحاب النبيّ ترى لأحد أن يكتبها ؟ قال : لا أرى لأحد أن يكتب منها شيئاً . قلت : فإذا رأينا الرجل يطلبها ويسأل عنها فيها ذكر عثمان وعليّ ومعاوية وغيرهم من أصحاب النبيّ ؟ قال : إذا رأيت الرجل يطلب هذه ويجمعها فأخاف أن يكون له خبيثة سوء . في إسناده محمد بن جعفر .

أخبرني موسى بن حمدون ، قال : ثنا حنبل ، قال : سمعت أبا عبد الله يقول : كان سلام بن أبي مطيع أخذ كتاب أبي عوانة الذي فيه ذكر أصحاب النبيّ فأحرق أحاديث الأعمش تلك . إسناده صحيح .

أُسْلُوبُ سِتْرِ الْأَشْخَاصِ وَإِخْفَاءِ أَسْمَائِهِمْ :

الأمر الثالث : هو ستر أسماء منافقي العقبة في العديد من الروايات وعنونتهم بعنوان (فلان وفلان) كما في رواية ، والهيثمي^(١) نقلاً عن الطبراني في معجمه الكبير^(٢) ، عن أبي مسعود ، قال : خطبنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

(١) مجمع الزوائد : ١ : ١١٢ .

(٢) المعجم الكبير : ١٧ : ٢٤٦ .

خطبة ، فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال : « إِنَّ فيكم منافقين ، فمن سميت فليقم » ، ثم قال : « قم يا فلان ، قم يا فلان ، حتّى سمى ستّة وثلاثين رجلاً ، قال : إِنَّ فيكم أو منكم ، فاتّقوا الله » .

أو بعنوان (رجل) كما في رواية مسلم عن أبي الطفيل ، قال : كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس ، فقال : أنشدك بالله ، كم كان أصحاب العقبة ؟ قال : فقال له القوم : أخبره إذ سألك ! قال : كنا نُخبر أنهم أربعة عشر ، فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر ، وأشهد بالله أنّ اثني عشر منهم حربٌ لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ! وعذَرَ ثلاثة قالوا : ما سمعناه منادي رسول الله ، ولا علمنا بما أراد القوم ! وقد كان في حرّة فمشى فقال : إِنَّ الماء قليل فلا يسبقني إليه أحد ، فوجد قوماً قد سبقوه فلعنهم يومئذٍ^(١) .

فإنّه لا معنى له إذا كان المراد بالمنافقين نفس الأسماء التي ذكرها الطبراني أو ابن القيم ، خصوصاً وأنّ عادة العامّة على إخفاء الأسماء في روايات مثالب الصحابة المقدّسين عنهم ، وإليك بعض الأمثلة :

المثال الأوّل : ما أخرجه البخاري ، قال : حدّثنا الحميدي ، حدّثنا سفيان ، حدّثنا عمرو بن دينار ، قال : « أخبرني طاووس أنّه سمع ابن عبّاس (رضي الله عنهما) يقول : بَلَغَ عمر أنّ فلاناً باع خمرًا ، فقال : قاتل الله فلاناً ، ألم يعلم أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسلّم قال : قتل الله اليهود ، حُرِّمَتْ عليهم الشحوم فجَمَلَوْهَا فباعوها »^(٢) ؟

والرواية في صحيح مسلم : حدّثنا أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَإِسْحَاقُ

(١) صحيح مسلم : ٨ : ١٢٣ .

(٢) صحيح البخاري : ٣ : ٤٠ كتاب البيوع - باب لا يذاب شحم الميتة ، فإنّه لم يصرح باسم الصحابيّ بياع الخمر .

بْنُ إِبْرَاهِيمَ - وَاللَّفْظُ لِأَبِي بَكْرٍ - قَالُوا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو، عَنْ طَاوُسٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «بَلَغَ عُمَرُ أَنَّ سَمُرَةَ بَاعَ خَمْرًا، فَقَالَ: قَاتَلَ اللَّهُ سَمُرَةَ، أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ، حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ فَجَمَلُوهَا فَبَاعُوهَا؟»^(١).

المثال الثاني: ما أخرج البخاري في صحيحه^(٢)، قال: عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: لا تنكح البكر حتى تستأذن، ولا الثيب حتى تستأمر.

ف قيل: يا رسول الله، كيف إذن؟ قال: إذا سكنت، وقال بعض الناس: إن لم تستأذن البكر ولم تزوج فاحتال رجل فأقام شاهدي زور أنه تزوجها برضاها، فأثبت القاضي نكاحها، والزوج يعلم أن الشهادة باطلة، فلا بأس أن يطأها وهو تزويج صحيح. فإنه لم يصرح باسم البعض المخالف لرَسُولِ اللَّهِ ﷺ والقائل برأيه، وذلك لكونه مقبولا عند البخاري، ولهذا نقل رأيه في عرض حديث رسول الله ﷺ.

المثال الثالث: ما أخرج البخاري في صحيحه^(٣): «كان مروان على الحجاز، استعمله معاوية، فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يُبايع له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئا، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِي﴾^(٤). فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئا من القرآن إلا أن الله أنزل عذري».

(١) صحيح مسلم: ٥: ٤١ و: ٨: ٢٤٨، باب تحريم بيع الخمر.

(٢) صحيح البخاري: ٨: ٦٢، كتاب الحيل.

(٣) صحيح البخاري: ٦: ٤٢.

(٤) الأحقاف ٤٦: ١٧.

والرواية في تاريخ ابن الأثير^(١) بالنحو التالي : « خطب مروان في مسجد الرسول ﷺ - وكان والياً على الحجاز من قبل معاوية - فقال : إن أمير المؤمنين قد اختار لكم ، فلم يأل ، وقد استخلف لابنه يزيد بعده . فقام عبدالرحمن بن أبي بكر ، فقال : كذبت والله يا مروان ! وكذب معاوية ، ما الخيار أردتما لأمة محمد ، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية ، كلما مات هرقل قام هرقل . فقال مروان : هذا الذي أنزل الله فيه : ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا ﴾ .

فسمعت عائشة مقالته من وراء الحجاب ، فقامت من وراء الحجاب ، وقالت : يا مروان ، يا مروان ، فأنصت الناس ، وأقبل مروان بوجهه ، فقالت : أنت القائل لعبد الرحمن : أنه نزل فيه القرآن ؟ كذبت والله ما هو به ، ولكنك فلان بن فلان ، ولكنك فضض من لعنة الله . - وفي رواية : فقالت : كذب والله ما هو به ، ولكن رسول الله ﷺ لعن أبا مروان ، ومروان في صلبه ، فمروان فضض من لعنة الله عز وجل .

فقد حذف البخاري قول عبد الرحمن : « تريدون أن تجعلوها هرقلية ... » وأبدله بقوله : « قال شيئاً » ، وحذف رواية أم المؤمنين عائشة في حق مروان . بينا أوردها ابن حجر في شرحه لصحيح البخاري المسمى بفتح الباري مفصلاً ، وفي لفظ بعضها : « ولكن رسول الله ﷺ لعن أبا مروان ومروان في صلبه »^(٢) .

المثال الرابع : ما في الطبقات^(٣) : « قالت عائشة : فخرج - أي الرسول - بين رجلين تخط رجلاه في الأرض بين ابن عباس - تعني الفضل - وبين رجل آخر . قال عبيد الله : فأخبرت ابن عباس بما قالت . قال : فهل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة . قال : قلت : لا . قال ابن عباس : هو علي ! إن عائشة لا تطيب له نفساً

(١) الكامل في التاريخ : ٣ : ١٩٩ .

(٢) فتح الباري : ١٠ : ١٩٧ .

(٣) الطبقات الكبرى : ٢ : ٢٣٢ .

بخير. فقد أخرج البخاري هذه الرواية مع حذف «لا تطيب له نفساً بخير»^(١).

المثال الخامس: ما روى البخاري^(٢) برقم ٧٢٩٣: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ: نُهِنَا عَنْ التَّكْلِيفِ»، فقد حذف منها ما يدل على عدم معرفة عمر بالتفسير، ولكن ابن حجر نقلها عن شيخ البخاري سليمان بن حرب كاملة: فقد جاء في فتح الباري^(٣): «قَوْلُهُ عَنْ أَنَسٍ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ: نُهِنَا عَنْ التَّكْلِيفِ. هَكَذَا أوردَهُ مُخْتَصَرًا.

وَذَكَرَ الْحَمِيدِيُّ أَنَّهُ جَاءَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ عُمَرَ قَرَأَ: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾^(٤)، فَقَالَ: مَا الْأَبُّ؟ ثُمَّ قَالَ: مَا كُلفْنَا - أَوْ قَالَ: مَا أُمِرْنَا - بِهِذَا.

قُلْتُ: هُوَ عِنْدَ الْإِسْمَاعِيلِيِّ مِنْ رِوَايَةِ هِشَامٍ عَنْ ثَابِتٍ، وَأَخْرَجَهُ مِنْ طَرِيقِ يُونُسَ ابْنِ عُبَيْدٍ عَنْ ثَابِتٍ بِلَفْظٍ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ مَا الْأَبُّ؟ فَقَالَ عُمَرُ: نُهِنَا عَنِ التَّعَمُّقِ وَالتَّكْلِيفِ، وَهَذَا أَوْلَى أَنْ يُكْمَلَ بِهِ الْحَدِيثُ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

وَأَوْلَى مِنْهُ مَا أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْمُسْتَخْرَجِ مِنْ طَرِيقِ أَبِي مُسْلِمٍ الْكَلْبِيِّ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ حَرْبٍ شَيْخِ الْبُخَارِيِّ فِيهِ، وَلَفْظُهُ عَنْ أَنَسٍ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ فِي ظَهْرِهِ أَرْبَعُ رِقَاعٍ، فَقَرَأَ: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾، فَقَالَ: هَذِهِ الْفَاكِهَةُ قَدْ عَرَفْنَاهَا، فَمَا الْأَبُّ؟ ثُمَّ قَالَ: مَهْ، نُهِنَا عَنِ التَّكْلِيفِ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ فِي تَفْسِيرِهِ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ حَرْبٍ بِهَذَا السَّنَدِ مِثْلَهُ سَوَاءً. وهذا حال أكثرهم ضبطاً وأمانة عندهم وهو البخاري، فما بالك بمن هو دونه، والله المستعان.

(١) صحيح البخاري: ٣: ٦٢.

(٢) صحيح البخاري: ٩: ٩٥.

(٣) فتح الباري: ١٣: ٢٧٠ و ٢٧١.

(٤) عبس: ٨٠: ٣١.

دلالة بعض الروايات على أن بعض الكبراء منهم ورأي ابن حزم.

الأمر الرابع: دلالة بعض الروايات على أن أبا موسى ، وجملة من المبرزين عند القوم ، كانوا من الذين أرادوا قتل النبي ﷺ ، وهذا ما التزم به النظام من العامة في الثاني ، وأما ما دلّ على دخول الأشعري فقد تقدّم .

وأما ما دلّ على دخول غيرهما ، فعدة روايات باعتراف ابن حزم.

قال في المحلّي^(١) : « وأما حديث حذيفة فساقت ؛ لأنه من طريق الوليد ابن جميع ، وهو هالك ، ولا نراه يعلم من وضع الحديث ، فإنه قد روى أخباراً فيها أن أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم أرادوا قتل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وإلقاءه من العقبة في تبوك ، وهذا هو الكذب الموضوع الذي يطعن الله تعالى واضعه ، فسقط التعلّق به ، والحمد لله ربّ العالمين » .

إلى أن قال : « وأما الموقوفة على حذيفة فلا تصحّ ، ولو صحّت لكانت بلا شكّ على ما بيّنّا من أنّهم صحّ نفاقهم ، وعادوا بالتوبة ولم يقطع حذيفة ولا غيره على باطن أمرهم فتورّع عن الصلاة عليهم .

وقد أخذ بهذه الأخبار النظام المعتزلي ، فقد ذكر عبد القاهر بن طاهر البغدادي في اعتقادات فرق المسلمين : « أنه طعن في عمر وزعم ... وأنه شكّ في يوم الحديبية في دينه ، وشكّ في وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأنه كان في من نفر بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ليلة العقبة ، وأنه ضرب فاطمة ومنع ميراث العترة »^(٢) .

(١) المحلّي : ١١ : ٢٢٥ .

(٢) الفرق بين الفرق : ١٤٧ و ١٤٨ .

وأما ما ذكره ابن حزم من أنَّ حديث حذيفة فساقط ؛ لأنه من طريق الوليد بن جُميع ، وهو هالك ، ففيه : أنَّ علماء الجرح والتعديل نصّوا على وثاقته ، فليس الغمز فيه إلّا لروايته ما لا يتناسب على مذهب العامة ، ولا يتفق مع مزاج ابن حزم .

ففي تهذيب الكمال^(١) في ترجمة الوليد بن جُميع عن أحمد بن حنبل وأبي داود قولهما فيه : لا بأس . وعن يحيى بن معين : ثقة ، وزاد مصحح الكتاب حكاية الدارمي عن يحيى بن معين ذلك عن ابن محرز ، وزاد : مأمون مرضي ، وكذلك عن العجلي . وقال أبو زرعة : لا بأس به . وقال أبو حاتم : صالح الحديث . وقال عمرو بن علي : كان يحيى بن سعيد لا يحدثنا عن الوليد بن جُميع ، فلمّا كان قبل موته بقليل حدّثنا عنه . وذكره ابن حبان في كتاب الثقات ، روى له البخاري في الأدب ، والباقون سوى ابن ماجه .

ونقل الذهبي^(٢) أنَّ عمر قال لحذيفة : وقد ناشده : أنا من المنافقين ؟ فقال : لا ، ولا أركي أحداً بعدك .

وروى ابن عساكر في تاريخ دمشق^(٣) بسنده عن زيد بن وهب الجهني يحدث عن حذيفة ، قال : « مرّ بي عمر بن الخطّاب وأنا جالس في المسجد فقال : يا حذيفة ، إن فلاناً قد مات فاشهده .

قال : ثمّ مضى حتّى إذا كاد أن يخرج من المسجد التفت إليّ فرأني وأنا جالس فعرف ، فرجع إليّ فقال : يا حذيفة ، أنشدك الله ، أمن القوم أنا ؟ قال : قلت : اللهم لا ، ولن أبرئ أحداً بعدك ، قال : فرأيت عيني عمر جاءتا » .

(١) تهذيب الكمال : ٣١ : ٢٦ .

(٢) سير أعلام النبلاء : ٢ : ٣٦٤ .

(٣) تاريخ مدينة دمشق : ١٢ : ٢٧٦ .

الخلاصة والنتائج :

لقد قمنا بجمع جملة من أخبار المؤامرة على النبي ﷺ ، وبحثناها في عدة نقاط ، وأوصلت البحث إلى عدة نتائج :

النتيجة الأولى : وقوع هذه القضية ، وأن رواياتها في كتب الطرفين المعتبرة تمنع الخبير المنصف من التشكيك في وقوعها .

النتيجة الثانية : هي أن المنافقين كانوا من وجهاء الصحابة ، وكانت لهم شوكة وقوة منعت عنهم عقاب رسول الله ﷺ مع وضوح ترتب المفسدة على وجودهم في المجتمع الإسلامي آنذاك .

النتيجة الثالثة : من الملفت أن يختفي هؤلاء مع قوة شوكتهم من تاريخ الإسلام بعد ارتحال النبي ﷺ ، فأين ذهبوا وهم يتربصون بالإسلام ، ويدبرون له المكائد !! وبهذه النتائج اتضح الجواب على عدة من الأسئلة التي يطرحها المخالفون على مجريات الأحداث التي وقعت بعد التحاق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى :

السؤال الأول : كيف استطاع المتآمرون من أجل السيطرة على الحكم بعد وفاة رسول الله ﷺ من تحقيق ما أرادوا وهم قلة ، مقارنة بعدد الأنصار والمسلمين الذين سمعوا من رسول الله ﷺ النص على إمامة أمير المؤمنين كما تدعي الإمامية ؟

الجواب : لقد كان من حاول قتل النبي صاحب شوكة ، وعنده من القوة والمنعة ما حال بين النبي وأن يقوم بعقابه ، بل وبفضحه ، والإعلان عن اسمه ، مع أنه أقدم على قتله ﷺ ، فيمكن أن يكون هناك كم هو قادر على منع الإمام علي من حقه ، فعلي ليس أقوى من النبي . مضافاً إلى أن أغلب قادة جيش رسول الله ﷺ وأهل الحل والعقد كانوا في جيش أسامة ، وما كانوا متواجدين في مكان الحدث ، وما رجعوا إلا بعد أن تم الأمر للمتآمرين ، وصار إرجاع الحق إلى أهله أكثر صعوبة ، وقد نقل البخاري عن عمر أنه قال : « وإنا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى

من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا، فإمّا بايعناهم على ما لا نرضى، وإمّا نخالفهم فيكون فساد»^(١)، وقد فصلنا ذلك في رسالة (السقيفة بين صحيح البخاري وفتح الباري)، فراجع.

السؤال الثاني: لماذا سكّت أمير المؤمنين ﷺ عنهم ولم يطالب بحقه وهم قد غصبوا الخلافة، وهتكوا ستر بيته، وقتلوا زوجته، مع أنه من أشجع العرب، وأثبتهم قلباً وإقداماً؟

الجواب: كان سكوته ﷺ كسكوت رسول الله ﷺ ليس فقط عن عقابهم، بل وعن التصريح بأسمائهم أيضاً، ولم يكن أمير المؤمنين ﷺ أشجع من رسول الله ﷺ ولا أكثر عدّة وعدداً منه.

السؤال الثالث: لماذا لم يفضح أمير المؤمنين ﷺ المتآمرين على غصب الخلافة أيام سلطته، وقد كان قادراً على ذلك لأنه حاكم الدولة، ومن بيده السلطنة؟

الجواب: من جهتين:

الأولى: لا نسلم أنه ﷺ لم يتحدّث عن ظلم القوم له وغصبهم لحقه، وتفصيل هذه الجهة خارج عن غرض هذه الدراسة.

الثانية: لو سلّمنا فالمانع هو نفس ما منع رسول الله ﷺ من فضحهم وجعله ﷺ يوصي عمّاراً وحذيفة بكنم أمرهم، بل إنّ دواعي عدم الحديث عن ظلم القوم في زمن أمير المؤمنين ﷺ أكثر وأشدّ، فأمر المؤمنين ﷺ لم يكن بقوة رسول الله ﷺ، ولم يكن شأنه في المسلمين كشأن رسول الله ﷺ، خصوصاً إذا لاحظنا انشقاق قسم من المتآمرين على حكومة الإسلام وإعلانهم ودخولهم الحرب معها.

والحمد لله ربّ العالمين

الفصل السابع عشر

بحوث عقلية وفلسفية

أقسام المفاهيم الكلية

(بحث فلسفي معرفي تخصصي)

من الضروري جداً أن يتعرف طالب الفلسفة - ولو بصورة مجملة - على أقسام المفاهيم الكلية لتوقف فهم كثير من المطالب الفلسفية على ذلك ، وهنا نتعرض بشكل موجز لهذا المبحث .

فقد قسم الفلاسفة الإسلاميون المفاهيم الكلية إلى معقولات (أولية ماهوية) ومعقولات (ثانية منطقيّة) ومعقولات (ثانية فلسفية) . ولعلهم في بداية الأمر لاحظوا اختلاف وصول الذهن إلى المفاهيم الكلية ، ثم انطلقوا نحو معرفة أقسامها ، وتحديد خصوصيات كل قسم منها .

فإن بعض المفاهيم يصل إليها الذهن من خلال الاتصال المباشر بواسطة الحواس أو الشهود الباطني بعالم الخارج ، والبعض الآخر يدركها العقل بملاحظة خواص نفس تلك المفاهيم التي ظفر بها من خلال الاتصال المباشر بعالم الخارج .

وهذه المفاهيم الأخيرة هي التي عبر عنها بـ (المفاهيم الثانية المنطقية) ، والمقصود منها أن المعقولات التي يتوصل إليها الذهن من خلال الاتصال المباشر بعد أن ترد إلى الذهن وتصبح موجودة بالوجود الذهني تصير من حيث أنها في الذهن ذات معانٍ ومفاهيم وصفات مختلفة ، كالكليّة والجزئية والجنسية والفصلية ... إلخ .

فمفهوم الإنسان - مثلاً - إذا أدركه العقل ، ولاحظ خصوصية انطباقه على أكثر من فرد ، عرضت عليه الكلية واتّصف بها في عالم الذهن ؛ إذ لا كليّة في عالم الخارج . وإذا لاحظ أنه غير خارج عن حقيقة أفرادها عرضت عليه الذاتية واتّصف بها

في الذهن لا في الخارج ؛ لأنّ الذاتيّ أحد قسمي الكلّي ، ولا كلّيّ في الخارج .
فالكلّيّة والذاتيّة إذن من المعقولات الثانية المنطقية .

وأما تلك المفاهيم التي يصل إليها الذهن من خلال الاتّصال المباشر بعالم الخارج ، فتارة يظفر بها الذهن بصورة آليّة وبمجرد حصوله على إدراك واحد أو عدّة إدراكات شخصيّة ، وهذه هي المعبر عنها بـ (المعقولات الأوليّة الماهويّة) مثل : المفهوم الكلّي للبياض الذي ينتزع بعد رؤية شيء أو عدّة أشياء تتميز بالبياض .
وتارة يظفر بها بعد مقارنة شيئين أو حالتين مختلفتين ، كمفهوم العلة والمعلول المنتزع من مقارنة شيئين متعاقبين على نحو يكون أحدهما منبثق عن الآخر ، وهذه هي (المعقولات الثانية الفلسفيّة) .

خصائص المعقولات :

وقد ذكرنا فوارق متعدّدة بين المفاهيم الأوليّة الماهويّة والمفاهيم الثانية الفلسفيّة منها :

١ - أنّ المفاهيم الماهويّة تحكي الحدود الوجوديّة للأشياء . ولذلك هي تحمل في ذاتها خصائص المحكيّات ، وهذا بخلاف المفاهيم الفلسفيّة التي تحكي أنحاء الوجود ، وجهة واقعيّة لاحظها الذهن في عمليّة المقارنة .

ومن هنا قالوا : إنّ المفاهيم الماهويّة تقع في جواب ما هو ؟ دون غيرها .

٢ - أنّ صدق مفهوم ماهويّ على مورد يمنع صدق مقابله ، فإذا صدقت الإنسانيّة على شيء - مثلاً - امتنع صدق الحجرية عليه ، وهذا بخلاف المفاهيم الفلسفيّة وحتّى المنطقية ، فإنّ صدق مفهوم منها على مورد لا يمنع صدق مقابله ، فقد يكون الشيء علّة لشيء وفي نفس الوقت معلولاً لغيره ، وقد يكون كليّاً بالنسبة إلى ما تحته وجزئياً بالنسبة إلى ما فوقه .

ومن هنا قالوا : إنّ المفاهيم الماهويّة خاصّة لا تصدق على أكثر من مقولة ،

بخلاف المفاهيم الفلسفية والمنطقية .

٣ - المفاهيم الماهوية والفلسفية إذا جعلت محمولاً في قضية يكون اتّصاف الموضوع بهما خارجياً ، إلا أن عروض المفهوم الماهوي يكون في عالم الخارج ، ويكون عروض المفهوم الفلسفي في عالم الذهن . وقد تبين ممّا تقدّم أن الفاهيم المنطقية تمتاز بأنّ الاتّصاف والعروض فيها لا يكون إلا في عالم الذهن .

قال سماحة المحقّق الشيخ حسن زاده الأمليّ (حفظه الله) : « اعلم أنّ المعقول الثاني عند الحكيم أعمّ منه عند المنطقيّ »^(١) .

بيان ذلك : أنّ ما يعرض لشيء فهناك ينتزع أمران : عروض واتّصاف ، أمّا العروض فمن العارض ، وأمّا الاتّصاف فمن الموضوع . مثلاً : إذا عرض بياض جسماً عرض ذلك البياض الجسم واتّصف الجسم به بأن صار أبيض . وعروض الشيء في بادي الرأي يتصوّر بأحد الوجوه الأربعة :

الأوّل : أن يكون العروض والاتّصاف كلاهما في الخارج ، كعروض بياض لجسم ، واتّصاف الجسم بذلك .

الثاني : أن يكون كلاهما في الذهن كالكلية والجزئية والذاتية والعرضية والجنسية والفصلية والموضوعية والمحمولية والقياس والقضية والمعرف ، وغيرها من المعاني التي جعلت موضوعاً للمنطق على أحد القولين .

الثالث : أن يكون الاتّصاف في الخارج والعروض في الذهن ، كالشيئية والإمكان والجوهرية والعرضية .

الرابع عكس الثالث ، بأن يكون الاتّصاف في الذهن والعروض في الخارج .
والأوّل عند كلا الفريقين ليس من المعقولات الثانية بلا خلاف . والثاني عندهما

(١) كشف المراد : هامش الصفحة ٦٢ .

من المعقولات الثانية كذلك . والثالث عند الحكيم منها وعند المنطقي ليس منها . والرابع لا تحقق له ^(١) .

٤ - أن المفاهيم الماهوية تنقسم إلى كلية وجزئية ، بخلاف المفاهيم الفلسفية .

٥ - أن المفاهيم الماهوية الكلية تحمل على أفرادها بنحو يختلف عن صدق المفاهيم الفلسفية على مصاديقها ؛ لأن المفهوم الماهوي عندما يحمل على فرد فإنه يكون داخلاً في ماهيته وأجزائه الذاتية ، فمثلاً : عندما نقول : (زيد إنسان) فالإنسانية داخلة في ماهية زيد ، ومقومة له ، وحاكية عن حده الوجودي . وهذا بخلاف المفاهيم الفلسفية ، فإن صدق المفاهيم الفلسفية على مصاديقها بنحو اللازم والملزوم ، فتكون المصاديق الخارجية هي الملزوم ، والمفاهيم الفلسفية هي اللازم .

ولكي يتمييز المفهوم الفلسفي عن المفهوم الماهوي ، نؤعو التعبير فعبّروا عن مصاديق المفهوم الماهوي بـ (الأفراد) ، وعمّا ينطبق عليه المفهوم الفلسفي بـ (المصاديق) .

تنبيهات:

وهنا ينبغي التنبيه على عدة أمور:

الأول: اعتبر المنطقيون جميع المعقولات الثانية من قبيل التصورات والتصديقات الضرورية والبديهية (الأولية) التي يدركها العقل ويصدق بها من دون سبب خارج عن ذاتها . بمعنى أن العقل بعد الاتصال بعالم الخارج يدرك مجموعة من التصورات الحسية ، ومن خلال هذه التصورات تكون النفس الإنسانية قابلةً ومستعدةً لإدراك تلك المفاهيم العامة ، كمفهوم الوجود ، الشيئية ، الكلية ، الجزئية

(١) كشف المراد (تعليقة الأملّي): ٤٥١ .

من دون حاجة إلى أمر زائد .

الثاني : أنَّ المفاهيم الثانية حاصلة من خلال عملية الانتزاع ، فإنَّ بعض التصورات تحصل من خلال الاتصال الحسي والمباشر بعالم الخارج ، وهي المفاهيم الماهوية ، وبحصولها تكون النفس الإنسانية مستعدة لإدراك مجموعة من التصورات ليس لها ما بإزاء في عالم لخارج ، ولا توجد بجانبها صور حسية باعتبار تطورها وحركتها الجوهرية .

الثالث : قيل : (إنَّ المعقولات الثانية باعتبار أنَّها متأخرة من حيث الظهور في عالم الذهن عن المفاهيم - المفاهيم الماهوية - تعتبر في الدرجة الثانية (معقولات ثانية) بحسب الترتيب الفلسفي ، وباعتبار أنَّ الذهن يصل إليها من دون سبب خارج عن ذاتها تعتبر في الدرجة الأولى (بديهية أولية) بحسب الترتيب المنطقي ، وهو حسن بناء على أصالة الماهية لا الوجود ، وأما بناء على أصالة الوجود فلن تكون المفاهيم الماهوية متقدمة من حيث الظهور في عالم الذهن على المفاهيم الفلسفية .

الرابع : التفريق بين المفاهيم الفلسفية والمفاهيم الماهوية على أساس أنَّ الأولى تحكي نحو الوجود ، والثانية تحكي حدَّ الوجود ، مبني على القول بأنَّ الماهيات منتزعة من حدَّ الوجود ، وبناء على كونها منتزعة من نحو الوجود لا بدَّ من البحث عن ضابطة أخرى . وقد ذكر الشيخ غلام رضا فياض في تعليقه على نهاية الحكمة : أنَّ المفاهيم الفلسفية تعكس نحو الوجود المشترك ، والمفاهيم الماهوية تعكس نحو الوجود المختص .

الخامس : أورد بعض المحققين على القول بأنَّ العروض في المفاهيم الفلسفية ذهني والاتصاف خارجي : بأنَّ فرض تحقق الاتصاف في الخارج دون العروض مستحيل ، فهل يمكن أن يتَّصف الشيء بما لا وجود له ولا تحقق له إلا في عالم الذهن !

والجواب : معنى الاتصاف في عالم الخارج أن يكون الموصوف في الخارج

بحيث يفهم منه تلك الصفة ، ولا يشترط في ذلك كون الصفة أمراً ثابتاً بحيث يكون لها وجود في عالم الخارج مغاير لوجود موصوفها ، فإن ثبوت شيء لشيء فرع ثبوت المثبت له لا الثابت ، ولذلك كانت الأعدام ثابتة للأشياء في الخارج ، وكان ثبوتها مورداً لقاعدة الفرعية بلا إشكال ، كما في ثبوت العمى لزيد ، والجهل البسيط لعمر ، وعدم الكتابة لخالد .

قال بعض الأجلة : « إن معنى الاتصاف في نفس الأمر أو في الخارج هو أن يكون الموصوف بحسب وجوده في أحدهما بحيث يكون مطابق حمل تلك الصفة عليه وهو مصداقه ، ولا شك أن هذا المعنى يقتضي وجود ذلك الموصوف في ظرف الاتصاف ؛ إذ لو لم يوجد فيه لم يكن هو من حيث ذلك الوجود مطابق الحكم ، ولا يقتضي وجود الصفة فيه ، بل يكفي كون الموصوف في ذلك النحو من الوجود بحيث لو لاحظته العقل صح له انتزاع تلك الصفة عنه ، وقس على ما ذكرناه الحال في الاتصاف الذهني ، فإن مصداق الحكم بكليّة الإنسان هو وجوده في الذهن على وجه خاص يصير مبدءاً لانتزاع العقل الكليّة منه ثم الحمل عليه اشتقاقاً ، فمعنى كون الخارج أو الذهن ظرفاً للاتصاف هو أن يكون وجود الموصوف في أحدهما منشأً لصحة انتزاع العقل للاتصاف عنه »^(١) .

ومن هنا يتضح جواب إشكال آخر حاصله : أن القول بتحقيق الاتصاف في الخارج دون العروض مبني على التفكيك بين العروض والاتصاف ، بأن نقول : هنالك شيان مختلفان : أحدهما العروض والآخر الاتصاف .

وهذا التفكيك باطل ؛ إذ لا يوجد في القضية إلا الرابطة الاتحادية ، وهذه الرابطة إن نسبناها إلى الموضوع سمّيناها اتصافاً ، وإن نسبناها إلى المحمول سمّيناها عروضاً .

(١) الأسفار الأربعة : ١ : ٣٣٦ .

أقول: وأجاب الملاً صدرا عن إشكال اختلاف العروض والاتصاف من خلال إثبات وجود رابط للصفة في علم الخارج ، فقد ذكره رحمته أن الإضافات والصفات العدمية لها حظوظ ضعيفة من الوجود والتحصيل لا يمكن الاتصاف بها إلا عند وجودها لموصوفاتها. وذكر أيضاً أن الممتنع الحصول في نفسه في الخارج ممكن الوجود بالوجود الرابط . وقد ناقشه المحقق السبزواري رحمته في حاشيته على الأسفار بعدة مناقشات من أهمها :

١ - انهدام قاعدة الفرعية التي مفادها ثبوت شيء لشيء فرع ثبوت المثبت له لا الثابت .

٢ - كون تقابل العدم والملكة من تقابل التضاد .

وأما الشهيد الصدر رحمته فحيث أن تحقق المعقولات الثانية في عالم الوجود مستحيل ، وفي نفس الوقت لا يمكن نفيها خارجاً ؛ لأن الموجودات تنصف بها في عالم الخارج ، ذهب إلى أنها ثابتة في الواقع ، وأن لوح الواقع أعم من لوح الوجود . ولا يخفى ما في كلام الشهيد رحمته خصوصاً على القول بأصالة الوجود التي تحتّم إلا الثبوت أو تحقق إلا للوجود .

فالحق ما ذكر أهل التحقيق من وجود هذه المعاني الانتزاعية بعين وجود منشأ انتزاعها ، ومعنى انتزاعيتها هو وجودها بوجود منشأ انتزاعها لا بوجود آخر ، بمعنى أن هنالك وجود واحد - كوجود الإنسان مثلاً - يحلله الذهن إلى أصل الوجود وهو وجود الإنسان ونحو الوجود وهو الإمكان ، وبعد حصول الاثنيينية العقلية يحكم بكون أحدهما للآخر ويتحقق العروض . وليس معنى انتزاعيتها أن لها وجوداً رابطاً يحوله الذهن إلى مستقل ، كما هو المناسب لمذهب صدر المتألهين رحمته ، كيف والوجوب عين الواجب في عالم الخارج ، فلو كان اتصاف الواجب بالوجوب في عالم الخارج نسبة بين شيئين متغايرين بحسب الوجود في ظرف الاتصاف ، وكان الحكم بوجود أحد الطرفين دون الآخر في الطرف الذي يكون الاتصاف فيه

تحكم ، للزم أن يكون تحقق الوجوب غير تحقق الواجب ، وهذا ما لا يلتزم به من كان دون صدر المتألهين عليه السلام فضلاً عنه .

المفاهيم الحقيقية والاعتبارية

الحمد لله رب العالمين والصلاة
والسلام على محمد وآله الطاهرين

أهمية التعرف على خواص المفاهيم الذهنية:

لا يتعامل الذهن مع الحقائق الخارجية إلا من خلال المفاهيم ، فهور أولاً ينتزع مفهوماً ثم يستخدمه في عملية التفكير والاستدلال ، ولكن استخدام الذهن للمفاهيم في عملية التفكير يختلف من مفهوم إلى آخر ، والسر في ذلك - كما ذكر بعض المحققين - يعود إلى :

١ - الاختلاف في كيفية استخدام الذهن للمفهوم ، كالاختلاف الموجود بين مفهوم (الكلّي) و (الجزئي) ، فإنّ الذهن يستخدم المفاهيم الكلّية باعتبار أنّها تعكس أفراداً متعدّدين ، ويستخدم المفاهيم الجزئية باعتبار أنّها لا تعكس إلا فرداً واحداً .

٢ - الاختلاف في كيفية توصّل الذهن إلى المفهوم ، كالاختلاف الموجود بين المفاهيم (الصحيحة) وبين تلك المفاهيم التي اضطرّ الذهن إلى اعتبارها بتبع الوجود ، فإنّ المفاهيم الصحيحة ينتزعها الذهن من عالم الخارج بعد تجريد الآثار عنها ، بخلاف المفاهيم غير الصحيحة ، كمفهوم العدم - مثلاً - فإنّ العدم باعتبار محض هلاكه وبطلانه في عالم نفس الأمر لا يصل إليه الذهن من خلال تجريد الآثار ، ومن هنا لا يمكن أن يكون المفهوم حاكياً عن كنه حقيقة المصداق أو داخلاً في حدّه .

وقد قال الحكماء : إنّ المحالات الذاتية لا صورة صحيحة لها في الأذهان .
ومن هنا اعتبر الفلاسفة الإسلاميون تمييز المفاهيم حاجة لا يمكن الاستغناء عنها ، وذلك بضرورة الالتفات إلى ملاحظتين مهمتين :
الملاحظة الأولى : ملاحظة خواص نفس المفاهيم العقلية حتى لا يقع الباحث في إشكالية الخلط بين المفاهيم ، تلك الإشكالية التي لم يسلم منها كثير من الباحثين والمتخصصين .

الملاحظة الثانية : ملاحظة خواص كلّ من المفهوم والمصداق ، حتى لا يقع الخلط بينهما بترتيب آثار كلّ منهما على الآخر .
فكثير ما نقرأ في مناقشة الفلاسفة مثل هذا التعبير (خلط بين المصداق والمفهوم) سببه الجهل بخواص المفهوم وتعديتها إلى المصداق ، أو العكس .
وكمثال لضرورة التفريق بين نفس المفاهيم وبين خواص المفهوم والمصداق نذكر ما وقع فيه بعض المتكلمين في مسألة من أهمّ المسائل العقلية هي مسألة (اشتراك مفهوم الوجود) ، ففي هذه المسألة وقع المتكلمون في خلط بين المفاهيم في نفسها تارة ، وفي خلط بين المفهوم والمصداق تارة أخرى ، أمّا الخلط الأول فلتصورهم لزوم كون الواجب والممكن متّحدين في ماهية واحدة على القول بالإشتراك المعنوي ، وأمّا الخلط الثاني فلتصورهم عدم تنزيه الواجب على القول بالإشتراك المعنوي ، والحال أنّ التنزيه لحقيقة الواجب الخارجية ، والإشتراك في مفهوم الوجود الذي هو عرض عام كـ (الشيئية) لا يلزم منه التشبيه .

المفاهيم الحقيقية والاعتبارية :

حول المفاهيم الذهنية وأقسامها وخواصّها طرح الحكماء المسلمون مجموعة من المسائل والمباحث ، ولعلّ من أهمّ المسائل الجديرة بالبحث والدراسة مسألة (تقسيم المفاهيم الذهنية إلى حقيقية واعتبارية) .

ما المراد بالمفاهيم الاعتبارية ؟

لفظة (الاعتبار) من الألفاظ المشتركة التي استخدمها الفلاسفة في أكثر من معنى ، ما يهمنا هنا هو استخدامها في تلك المفاهيم التي تصوغها قوة الوهم (القوة الفعالة) كفروض من أجل التكيف مع متطلبات الحياة ، فإن الكائن الحي في تعامله مع الظروف المحيطة يخضع لأصلين مهمين :

الأصل الأول : أصل بذل الجهد من أجل البقاء ، ويتحرك هذا الجهد الحيوي نحو جلب المنافع ودفع الضرر من أجل الاستمرار في الحياة .

الأصل الثاني : أصل التكيف والانسجام ، والمراد بهذا الأصل أن الكائن الحي يتفاعل مع الظروف المحيطة به وينسجم معها من خلال تغير يقع في تركيبته جسده ونمط حياته . وقد توصل علماء النفس من خلال دراسة اختلاف النشاطات الحيوانية تبعاً لاختلاف البيئة والعوامل المحيطة إلى هذه النتيجة ، وهي : أن الإنسان يتأثر بعوامل الطبيعة في نشاطاته العقلية كما يتأثر بها في شكله وسلوكه .

ونظراً إلى اختلاف العوامل الطبيعية مكاناً وزماناً ، فإن النشاطات العقلية تختلف من مجتمع إلى آخر ، فقد يكون شيء ما قبيحاً عند مجتمع وحسناً عند مجتمع آخر ، وقد يرى مجتمع ما وجود علاقة سببية بين شيئين ولا يرى مجتمع آخر أي لون من ألوان الارتباط بينهما .

يقول العلامة السبحاني في مقام بيان حقيقة المفاهيم الاعتبارية : « المعرفة الاعتبارية عبارة عن العلم بما ليس له في الخارج وجود ولا منشأ انتزاع ؛ بل مآله إلى استعارة المفاهيم النفس الأمرية الحقيقية بحدودها لأنواع الأعمال ، التي هي الحركات المختلفة ومتعلقاتها للحصول على غايات حيوية ، كاعتبار الرئاسة لرئيس القوم ، ليكون من الجماعة بمنزلة الرأس من البدن في تدبير أموره وهداية أعضائه إلى واجب العمل . واعتبار الملكية لزيد - مثلاً - بنسبة إلى ما حازه من المال ليكون له

الاختصاص بالتصرف كيف شاء ، كما هو شأن المالك الحقيقي في ملكه ، كالنفس الإنسانية المالكة لقواها ، واعتبار الزوجية بين الرجل والمرأة ، ليشترك الزوجان فيما يترتب على المجموع ، كما هو الشأن في الزوج العددي^(١) .

ويقابل هذه المفاهيم الاعتبارية التي لا واقع لها وراء فرض الفراض واعتبار المعتبر ، أقسام متعددة من المفاهيم يطلق عليها اصطلاح (المفاهيم الحقيقية) ، وهي المفاهيم التي لها واقعية ، وتكشف عن الحقيقة ، ولا تتوقف في ثبوتها ونفيها على فرض الفرض واعتبار المعتبر ، من قبيل مفهوم الإنسان الحجر مفهوم وجوب الوجود الإمكان والكلية الجزئية والفوقية والتحتية .

فمفهوم الإنسان - مثلاً - يحكي حقيقة خارجية غير خاضعة ثبوتاً ونفياً للاعتبار معتبر أو فرض فراض ، وتلك الحقيقة هي اتّصاف ما يصدق عليه هذا المفهوم بالناطقة . فإنّ ناطقة الموجود المستكشفة بقولنا : (هذا الموجود إنسان) لا تثبت بالاعتبار ولا تنتفي بالاعتبار ، وبهذا يتضح :

أولاً: اختلاف المفاهيم الحقيقية عن الاعتبارية في ثباتها وديمومتها وكشفها عن الواقع الخارجي .

ثانياً: عدم وجود حدّ وتعريف للمفاهيم الاعتبارية ، لعدم وجود حقيقة ثابتة لها وراء فرض الفراض واعتبار المعتبر . من هنا لا ينبغي صرف الوقت في تعريف بعض مصطلحات العلوم الاعتبارية ، كالنحو والفقه والأصول ؛ لعدم انطباق شرط التعريف المنطقية عليها .

لا ينبغي أن نتوقع قيام البرهان في مجال الاعتباريات :

يقول العلامة الطباطبائي رحمته الله : « لا ينبغي أن نتوقع قيام البرهان في مجال

(١) راجع كتاب نظرية المعرفة : ٥٢ .

الاعتباريات ؛ وذلك لأنّ مورد قيام البرهان هو الحقائق فحسب»^(١).

لماذا لا ينبغي أن نتوقع قيام البرهان في مجال الاعتباريات ؟

حتّى يتّضح لنا الجواب على هذا السؤال لا بدّ من دراسة النشاط الذي يقوم به الذهن في عملية التفكير ، فإنّ الذهن في عملية التفكير يقوم بمقارنة بين مفهومين باحثاً عن رابطة تقع وسطاً بينهما ، ومن خلال الظفر بهذه الرابطة يقوم بعملية الاستنتاج .

فإذا أراد الذهن - مثلاً - أن يتعرّف على تناهي المجموعة (أ) يقوم بعملية المقارنة بينها وبين المجموعة المتناهية (ب) وبمعرفة عدد الوحدات التي تتفوق بها المجموعة الأولى يرجع الذهن إلى معلوماته السابقة ، فيظفر بهذه القاعدة (الرائد على المتناهي بمقدار متناهٍ متناهٍ) ، ويجعلها وسطاً يحكم من خلالها بسبب علاقة قائمة بين هذه الرابطة ، والنتيجة تسمّى بـ (علاقة الارتباط التولدي) .

ومن الطبيعي ألا توجد هذه العلاقة التولدية بين المفاهيم الوضعية والاعتبارية التي كما اتّضح افترضتها (القوة الفعّالة) لغرض الانسجام مع متطلّبات الحياة ، لعدم وجود روابط حقيقية وثابتة تجعل بعضها منشأ لإدراك البعض الآخر والحكم عليه بالسلب أو الإيجاب .

يقول الشهيد المطهري رحمته الله : «إنّ أساس النشاط الفكري والعقلي للذهن - كما عرفنا - هو الروابط الواقعية لمحتويات الذهن ، ولمّا كانت المفاهيم الحقيقية بالذات مرتبطة فيما بينها ، فقد توفّرت الأرضية الصالحة للنشاط الذهني فيما بينها ، ومن هنا فإنّ الذهن يستطيع بواسطة تشكيل القياسات والبراهين المنطقية أن ينجح في معرفة بعض الحقائق من حقائق أخرى .

أمّا في الاعتباريات ، فإنّ الروابط بين الموضوعات والمحمولات تكون دائماً

(١) راجع أسس الفلسفة والمذهب الواقعي : ٢ : ٢٥٠ .

وضعية وفرضية يتفق عليها ، ولا توجد رابطة واقعية بين أي مفهوم اعتباري ومفهوم حقيقي ، ولا بين أي مفهوم اعتباري ومفهوم اعتباري آخر ، ولهذا لم تتوفر في الاعتباريات أرضية صالحة للنشاط العقلي^(١).

من هنا ينبغي ألا يخلط الإنسان بين المفاهيم الحقيقية والاعتبارية ؛ لأنه إن خلط بينها قد يحسب ما هو كاشف عن حقيقة ثابتة ليس كذلك ، أو قد يحسب ما هو كاشف عن اعتبار متغير لا واقعية له كاشفاً عن حقيقة ثابتة. وهذا الأمر كما هو واضح قد يسبب سلوك منهج معين في تحقيق مسألة ما ينبغي أن يسلك فيها منهجاً آخر.

الغرض من الاعتبار:

للاعتبار القانوني أغراض متعددة تختلف باختلاف نوعه ، فالفرض القانوني يهدف إلى تحقيق مصالح عامة يتوقف عليها حفظ النظام العام ، فالعقلاء - مثلاً - يعتبرون الإلزام بقانون المرور ونظامه واجباً مع أن الوجوب مفهوم حقيقي إما بمعنى الضرورة واللزوم وإما بمعنى الثبوت ، وهما متحققان في ضرورة وجود الشيء حال اتصافه بالوجود وثبوته ، ولكن يتوسع العقلاء في ذلك فيعطون حدود الضرورة الواقية للوقوف عندما يكون لون الإشارة المرورية أحمر ، فيحكمون بثبوته في العهدة ليلتزم المعني بالنظام بالفعل ، فتترتب الغايات التي ترتبط بالفعل ارتباطاً المعلول بالمعدات .

وأما الاعتبار الأدبي - كاعتبار المحبوب قلباً ، والشجاع أسداً ، أو الضالّ المضلّ حماراً أو كلباً ، كما في قوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَارًا ﴾^(٢) و : ﴿ فَمَثَلُهُ

(١) راجع أسس الفلسفة والمذهب الواقعي : ٢ : ٢١٢ و ٢١٣ .

(٢) الجمعة ٦٢ : ٥ .

كَمَثَلِ الْكَلْبِ ﴿١﴾ ، فَإِنَّ الغَايَةَ مِنْهُ إِحْدَاثُ تَهْيِيجِ نَفْسِي خَاصَّ يَعْدُ النَفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ لِأَعْمَالِ قَوَاهِمِ الْعَمَلِيَّةِ ، كَالشَّهْوَةِ وَالْغَضَبِ ، وَالْمَحَبَّةِ وَالْبَغْضِ ، وَالشَّوْقِ وَالصَّدُودِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ ، فَإِنْ كَانَ هَذَا التَّهْيِيجُ فِي طَرِيقِ الْحَقِّ ، وَمَا هُوَ غَرَضٌ عَقْلَانِيٌّ بِالْإِعْتِبَارِ حَقٌّ وَإِلَّا بَاطِلٌ ، وَهَذَا مَا يَبْرُزُ وَجُودَ السَّبِّ وَالتَّوَصِيفَاتِ الْقَاسِيَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ لِلْكَفَّارِ وَأَهْلِ الْغِيِّ وَالْبَاطِلِ وَالضَّلَالِ .

الحمد لله رب العالمين

(١) الأعراف ٧ : ١٧٦ .

ملاك صدق القضايا

(بحث منطقي فلسفي معرفي تخصصي)

القضية بلحاظ مطابقتها للواقع توصف بالصدق تارة والكذب أخرى ، وقد اهتمت المناطق والفلاسفة بتحديد ملاك الحكم بالصدق والكذب ، ونظراً لأهمية هذه المسألة من الناحية المنطقية والفلسفية فإن الحديث حولها سوف يتم ضمن عدة نقاط :

النقطة الأولى

البحث حول صدق القضايا وكذبها على نحوين ؛ وذلك لأن البحث هنا تارة يكون منصباً على تعريف كل من القضية الصادقة والكاذبة ، وتارة يكون منصباً على تحديد المعيار الذي على أساسه يتم التمييز بين القضية الصادقة والقضية الكاذبة .

النقطة الثانية

ذكر علماء المنطق أن القضايا الحملية المحصورة الكلية تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

١ - القضية الخارجية .

٢ - القضية الذهنية .

٣ - القضية الحقيقية .

وذلك لأن كل قضية موجبة لا بدّ فيها من وجود موضوع ، ولا يمكن أن يثبت

المحمول لموضوع لا وجود له على الإطلاق ، فإن ثبت شيء لشيء فرع ثبوت المثبت له ، وعليه فإن موضوع القضية الموجبة إما أن يكون موجوداً في الخارج أو في الذهن ، فإن كان موجوداً في الذهن فالقضية ذهنية كـ (الإنسان كلّي) ، وإن كان موجوداً في الخارج - حسب تعبير قدمائنا - فإما أن يثبت الحكم للأفراد الموجودة المحققة الوجود ، فالقضية خارجية كـ (كل شكل في الخارج إما مربع أو مثلث أو كذا ، أو كذا ، أو ...) ، وإما أن يثبت الحكم للطبيعة حيثما تحققت ، أي سواء تحققت في الأفراد أو الأنواع الموجودة بالفعل أو لا ، فالقضية حقيقية كـ (كل شكل عارض للكم) ^(١) .

وهنا لا بدّ من التنبيه على أمرين مهمين :

الأول : ذكر كثير من المحققين أنّ الفرق بين القضية الخارجية والحقيقية من جهة أنّ الحكم في الأولى منصب على الأفراد المتحققة ، والحكم في الثانية منصب على الأعم من المتحققة والمقدرة ، ولذلك أرجع بعض أهل الفضل القضية الحقيقية إلى قضية شرطية ، ولكن أنت خبير بأنّ الحقيقية من أقسام الحملية وهي تقابل الشرطية ، وأنّ الخارجية لا يقتصر فيها على الأفراد المتحققة ، وأنّ الحقيقية لا يكون الحكم فيها منصباً على الأفراد ، بل على نفس الطبيعة .

الثاني : ليس الملاك في القضية الخارجية تحقق الموضوع بالفعل في الخارج وإنما كون الحكم ناظراً إلى المصادق في الخارج ، ومن هنا كانت قضية (شريك الباري ممتنع الوجود) قضية خارجية .

وليس الملاك في كون القضية ذهنية استحالة تحقق الموضوع في غير عالم الذهن ، وإنما كون الحكم ناظراً إلى المصادق الذهني ، ومن هنا لم تكن قضية (اجتماع النقيضين مستحيل) قضية ذهنية مع استحالة تحقق موضوعها في الخارج ؛

(١) دروس فلسفية في شرح المنظومة : ٢ : ١٩٨ (بتصرف) .

وذلك لأن الحكم فيها غير ناظر إلى المصداق الذهني .

إذا تبين هذا فاعلم : أن ملاك صدق أي قضية - سواء كانت تلك القضية خارجية أو حقيقية أو ذهنية - هو مطابقتها لمحكيتها الثابت في الواقع ونفس الأمر ، فكل قضية مطابقة لنفس الأمر فهي صادقة ، وكل قضية غير مطابقة لنفس الأمر فهي كاذبة ، لكن نفس الأمر يختلف من قضية إلى أخرى ، أي إن نفس الأمر في كل قضية بحسبها ، ففي القضية الخارجية يعتبر ملاك صدق القضية مطابقتها للوجود الخارجي ، وهو - أي الوجود الخارجي - عالم نفس الأمر بالنسبة إليها ، ولذا قال العلامة الطباطبائي في النهاية : « إن من التصديقات الحقّة وهي القضايا المطابقة للواقع ونفس الأمر ما له مطابق في الخارج ، نحو الإنسان موجود ، والإنسان كاتب »^(١) .

فلكي تكون قضية (الإنسان موجود) قضية صادقة وحقّة لا بدّ وأن يكون محكيها - وهو الإنسان - ثابتاً ومتحقّقاً في عالم الخارج ، ولكي تكون قضية (الإنسان كاتب) قضية صادقة لا بدّ وأن يكون محكيها - وهو ثبوت الكتابة للإنسان - ثابتاً ومتحقّقاً في عالم الخارج .

وإذا لم يكن ثابتاً فالقضية كاذبة لعدم مطابقتها لنفس أمرها كما في قضية (العنقاء موجودة) .

وأما القضية الحقيقية ، فإن كان الحكم فيها منصباً على الأفراد المحقّقة والمقدّرة فهي كالخارجية ، ملاك صدقها مطابقتها لعالم الخارج ، وهو عالم نفس الأمر بالنسبة إليها ، ولعلّه لهذا السبب لم يتعرّض المصنّف رحمه الله هنا صراحة لملاك صدق القضية الحقيقية .

قال الحكيم السبزواري رحمه الله : « الحكم إن في خارجية صدق مثل الحقيقية للعين

(١) نهاية الحكمة : ٢٠ .

انطبق ، وإن كان الحكم فيه منصباً على نفس الطبيعة ، سواء تحققت خارجاً ضمن الأنواع والأفراد المتحققة أم لا ، فلا بد وأن يكون ملاك صدقها مطابقتها لمقتضى ذات الموضوع ، والذي هو الطبيعة المحكوم عليها ، فقضية (الأربعة زوج) صادقة لأن الأربعة في ذاتها ومن دون ضمّ ضميمة إذا حللها العقل تقتضي الزوجية ، بخلاف قضية (الأربعة فرد) ، ولعل هذا هو المراد من قولهم : (نفس الأمر هو كون الشيء في نفسه مع قطع النظر عن فرض الفارض واعتبار المعبر ، سواء كان ذلك الشيء في الذهن أو الخارج)^(١) . ولا يمكن أن نعتبر ملاك صدق القضية الحقيقية بهذا المعنى عالم الذهن والخارج لأن الحكم فيها ناظر إلى نفس الطبيعة ، وليس ناظراً إلى الأفراد المتحققة في الذهن أو الخارج .

وأما القضية الذهنية : فملاك صدقها مطابقتها لمحكيها المتحقق في عالم الذهن ، وقد أشار العلامة الطباطبائي في النهاية إلى ذلك عندما ذكر أن من القضايا (ما له مطابق في الذهن نحو : الإنسان نوع والحيوان جنس) ، فإن قضية (الإنسان نوع) حكم فيها على الإنسان المتحقق في الذهن بأمر لا تحقق له إلا في الذهن ؛ وذلك لأن الإنسان في الخارج لا يتصف بالكلية ، وعليه يستحيل أن يكون نوعاً تدرج تحته عدة أفراد تشترك في حقيقة واحدة ، فلكي تكون هذه القضية صادقة لا بد وأن تكون مطابقة للإنسان المتحقق في عالم الذهن ، وعالم الذهن هو عالم نفس الأمر بالنسبة إليها .

وليس المراد من مطابقتها لما في الذهن مطابقتها لنفسها ليقال : أن كل قضية مطابقة لنفسها ، وعليه تكون كل قضية صادقة ، وإنما المراد مطابقتها لمحكيها الذهني الذي هو مرتبة من مراتب الذهن وعيناً بالنسبة إلى مرتبة ذهنية أخرى ، كـ (كون الحيوان تمام الحقيقة المشتركة بين الأفراد المختلفة في النوع) الذي

(١) الحكمة المتعالية : هامش الصفحة ٢٦١ .

هو مرتبة من مراتب الذهن وعيناً بالنسبة إلى قضية (الحيوان جنس).

النقطة الثالثة

هنالك قضايا صادقة ولها مطابق يطابقها (لكنه غير موجود في الخارج ولا في الذهن) وهي القضايا التي يحكم فيها على عدم أو على أحكامه كما في قولنا: (عدم العلة علة لعدم المعلول، والعدم باطل الذات)، وكما في قولنا: (إعادة المعدوم مستحيلة، ولا تمايز في الأعدام)، وهذا النوع من القضايا تعتبر مطابقته أيضاً لنفس الأمر.

وهنا نواجه هذا السؤال المهم: ما هو عالم نفس الأمر في مورد هذا النوع من القضايا؟

الجواب: ذكر العلامة الطباطبائي رحمته أن هذه القضايا يضطرّ العقل إلى تصديقها تبعاً لتصديقه بالوجود وأحكامه، ومثل لذلك بتصديق الذهن بقضية (عدم العلة علة لعدم المعلول) تبعاً لتصديقه بقضية (وجود العلة علة لوجود المعلول).

ثم عمّق رحمته هذا المعنى من خلال بيان سبب الاضطرار إلى التصديق بهذا النوع من القضايا، وهو الاضطرار إلى توسعة الثبوت والتحقّق ليشمل كلّ مفهوم يضطرّ العقل إلى اعتباره بتبع الوجود أو الماهية، كمفهوم عدم ومفهوم الماهية والقوة والفعل، وسائر المفاهيم الفلسفية.

بيان ذلك: ثبت في الأبحاث السابقة أن الأصل المتحقّق حقيقةً، ومن له الواقعية، وكلّ حكم حقيقيّ هو الوجود، فالثبوت الحقيقي والواقعيّ ليس إلا للوجود. لكنّ العقل يضطرّ إلى توسعة الثبوت ليشمل الماهية وأحكامها باعتبارها عاكسة الموجودات الخارجيّة لدى الذهن، فإنّ الماهيات وإن لم يكن لها ثبوت وتحقّق في عالم العين إلا أن الموجودات الخارجيّة لا تنعكس في الذهن إلا ضمن

لباسها الخاص ، وهذا معنى : (أن الماهيات ظهورات الوجود للأذهان) .

وبعد هذه التوسعة الاضطرارية يضطرّ العقل إلى التصديق بالماهية وأحكامها ؛ لأنّ لها ثبوتاً خارجياً ولو على نحو الثبوت التبعية يطرد العدم عنها .

وبعد ذلك يضطرّ الذهن ثانياً إلى توسعة الثبوت ليشمل كلّ مفهوم يضطرّ الذهن إلى اعتباره بتبع الوجود والماهية ، وبذلك يكون للمفاهيم الاعتبارية - كمفهوم العدم والماهية والقوة والفعل - نحو من الثبوت يضطرّ الذهن إلى التصديق بها .

وهذا الثبوت العامّ الشامل لثبوت الوجود والماهية والمفاهيم الاعتبارية هو المراد من نفس الأمر في مورد القضية الخارجية ؛ لأنّه شامل للوجود الخارجي ، وفي مورد القضية الذهنية ؛ لأنّه شامل للوجود الذهني ، وفي مورد القضية التي يحكم فيها على العدم ؛ لأنّ العدم وإن لم يكن له ثبوت في ذاته إلا أنّ النفس تعتبر له ثبوتاً بتبع ثبوت الوجود .

قال العلامة الطباطبائي رحمته الله في تعليقه على الأسفار في مقام دفع إشكال أن القول بأصالة الوجود يوجب بطلان جميع القضايا التي لا هي ذات مطابق في الوجود الخارجي ، ولا هي من القضايا الذهنية التي تطابق الأذهان بما هي أذهان ، وذلك كقضية (عدم المعلول يستند إلى عدم العلة) : « الذي ينبغي أن يقال أنّ الأصل في الواقع هو الوجود الحقيقي وهو الموجود ، وله كلّ حكم حقيقي ، والماهيات لما كانت ظهورات الوجود لأذهاننا العاقلة توسّع العقل توسّع اضطراريّ إلى حمل الوجود على الماهية ، تمّ التصديق بلحوق أحكامها بها ، وصار بذلك مفهوم الوجود والثبوت أعمّ محمولاً على حقيقة الوجود والماهية .

ثمّ توسّع العقل توسّعاً اضطراريّاً ثانياً لحمل مطلق الثبوت والتحقّق على كلّ مفهوم اعتباري اضطرّ إلى اعتباره العقل كالعدم والوحدة والفعل والقوة ونحوها ، والتصديق بما يضطرّ إلى تصديقه من أحكامهما . والظرف الذي يفرضه العقل

لمطلق الثبوت والتحقق بالمعنى الأخير هو الذي نسمّيه بنفس الأمر»^(١).

النقطة الرابعة

اتّضحت في النقطة السابقة نظرية العلامة الطباطبائيّ رحمته الله في تفسير المراد من نفس الأمر، حيث ذكر رحمته الله أنّ المراد منه: (ذلك الظرف الذي يفرضه العقل لمطلق الثبوت والتحقق)، وفي مقابل هذه النظرية توجد عدّة نظريات منها:

١ - أنّ المراد منه (العقل الفعّال)، فكلّ قضية لها مطابق في العقل الفعّال فهي صادقة وإلاّ فهي كاذبة، والمراد به: العقل العاشر من العقول الطولية، ويسمّى (فعّال) لأنّه في ذاته بالفعل من جميع الجهات، أو لأنّه يفيض الصور على النفس ويخرج كلّ متحرك من القوّة إلى الفعل، ويسمّى أيضاً عقل العالم الأرضي؛ لأنّه آخر العقول، وعلة إيجاد عالم الطبيعة.

قال الشيخ ابن سينا في الفصل الثالث من المقالة التاسعة من إلهيات الشفاء: «وكان عددها - أي عدد المفارقات - عشرة بعد الأوّل أولها المحرّك الذي لا يتحرّك... إلى أن قال: وكذلك حتّى ينتهي إلى العقل الفائنض على أنفسنا، وهو عقل العالم الأرضي، ونحن نسمّيه العقل الفعّال»^(٢).

وقال في الفصل الخامس من المقالة الثالثة من كتاب المبدأ والمعاد: «كلّ واحد من العقول المفارقة عقل فعّال، لكنّ الأقرب منّا عقل فعّال بالقياس إلينا. ومعنى كونه فعّالاً أنّه في نفسه عقل بالفعل لا أنّ فيه شيئاً هو قابل للصور المعقولة، كما هو عندنا، ولا أنّ فيه شيئاً هو كمال، بل ذاته صورة عقلية قائمة بنفسها،

(١) الأسفار الأربعة: ١: ٢١٥.

(٢) الشفاء: ٢: ٢٦٤.

وليس فيها شيء مما هو بالقوة، ومما هو مادة البتة»^(١).

قال الحكيم السبزواري في بيان سبب تسمية العقل الفعّال بنفس الأمر: «والتعبير بالعبارتين للإشارة إلى الاصطلاحين: أحدهما: اصطلاح أهل الله، حيث يعبرون عن عالم العقل بعالم الأمر مقتبس من الكتاب الإلهي ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾^(٢)، وهذا التعبير أنسب لنفس الأمر. وإثما عبّر تعالى عنه بالأمر لوجهين:

أحدهما: من جهة اندكالك إنّيته واستهلاكها في نور الأحديّة؛ إذ العقول مطلقاً من صقع الربوبية، بل الأنوار الاسفهبديّة لا ماهيّة لها على التحقيق. فمناط البينونة الذي هو المادة، سواء كانت خارجيّة أو عقلية، مفقود فيها، فهي مجرد الوجود الذي هو أمر الله وكلمة (كن) الوجوديّة.

وثانيها: أنّه وإن كان ذا ماهيّة يوجد بمجرد أمر الله، وتوجّه كلمة (كن) إليه من دون مؤنة زائدة من مادة وتخصّص واستعداد، فيكفيه مجرد إمكانه الذاتيّ»^(٣)، انتهى.

وفي اعتقاد أصحاب هذه النظرية أنّ صور جميع الحقائق مرتسمة في العقل الفعّال، وكلّ قضية صادقة لا بدّ وأن يكون لها مطابق في تلك الصور المرتسمة.

قال المحقّق الطوسي رحمته الله: «المراد بنفس الأمر هو العقل الفعّال، فكلّ صورة أو حكم ثابت في الذهن مطابق للصورة المنتقشة في العقل الفعّال فهو صادق، وإلاّ فهو كاذب»^(٤).

ويرد على هذه النظرية عدّة إشكالات منها:

(١) المبدأ والمعاد: ٩٨.

(٢) الأعراف ٧: ٥٤.

(٣) شرح المنظومة - قسم الحكمة: ٢: ٢١٦ و ٢١٧.

(٤) كشف المراد: ٥٤.

الأول: أن علوم المجردات التامة حضورية ، وليس حصوليةً حاصلّةً من خلال ارتسام الصور .

الثاني: ما أورده الطباطبائي رحمته الله ، وحاصله : لو سلّمنا كون علم المجرد حصولياً ، فإنّ البحث عن ملاك صدق القضايا سوف يكون شاملاً لتلك الصور المرتسمة في العقل الفعّال ، فهل هي صادقة أو لا ؟

على الثاني : كيف تكون مطابقتها ملاك صدق القضايا ؟

وعلى الأول : ما هو ملاك صدقها ؟

الثالث: تعذّر معرفة القضية الصادقة لعدم إمكانية الإحاطة بالصور المرتسمة في العقل ومعرفة ما إذا كانت القضية تطابقها أم لا .

٢ - أن نفس الأمر في كلّ شيء عبارة عن نفس ذلك الشيء مع قطع النظر عن فرض الفارض ، فإذا كان للشيء شيئية وواقعية مع قطع النظر عن فرض الفارض ، فتلك الشيئية والواقعية نفس الأمر لذلك الشيء بخلاف ما كان له الشيئية والواقعية بفرض الفارض ، فثبوت الزوجية للأربعة ثبوت نفس أمرّي ؛ لأنّ لزوجية الأربعة شيئية وواقعية بحسب نفسها ، أي مع قطع النظر عن فرض الفارض ، وهذا بخلاف ثبوت الفردية للأربعة ^(١) .

قال الحكيم السبزواري رحمته الله ^(٢) : « وأما نفس الأمر فقد أشرنا إلى تعريفه بقولنا :

بحدّ ذات الشيء نفس الأمر حدّ

أي حدّ وعرف نفس الأمر بحدّ ذات الشيء . والمراد بالذات هنا مقابل فرض الفارض . ويشمل مرتبة الماهية والوجودين : الخارجي والذهني . فكون الإنسان

(١) وعاية الحكمة في شرح نهاية الحكمة : ١٢ (بتصرف) .

(٢) شرح المنظومة (قسم الحكمة) : ٤٩ .

حيواناً في المرتبة وموجوداً في الخارج ، أو الكلّي موجوداً في الذهن ، كلّها من الأمور النفس الأمرية ؛ إذ ليست بمجرد فرض الفارض ، كالإنسان جماد .

فالمراد بالأمر هو الشيء نفسه ، فإذا قيل : (الأربعة في نفس الأمر كذا) معناه أنّ الأربعة في حدّ ذاتها كذا ، فلفظ الأمر هنا من باب وضع المظهر موضع المضمّر^(١) .

ويرد على هذه النظرية ما ذكره المصنّف رحمه الله ، وحاصله : عدم جامعية هذا التفسير لنفس الأمر لكلّ القضايا الصادقة ، فإنّ لدينا قضايا صادقة ومع ذلك لا واقعية لها وراء فرض الفارض ، أي لا يوجد لها نفس الأمر بناء على تفسير هذه النظرية ، مثلاً : للعدم أحكام صادقة قطعاً - كقولنا : (العدم يناقض الوجود) ، وقولنا : (عدم العلة علة لعدم المعلول) ، فيجب أن تكون لها نفس الأمر - ومع ذلك لا يوجد لمثل هذه القضايا نفس الأمر بناء على هذه النظرية ؛ وذلك لأنّ مفهوم العدم لا مطابق له حقيقة لا في الخارج ولا في الذهن ، وإلا لم يكن عدماً . فإذن لا شيءية لنفس العدم بقطع النظر عن فرض الفارض ، وإذا لم تكن للعدم شيءية لم تكن لأحكامه شيءية ؛ لأنّ ثبوت شيء لشيء فرع لثبوت المثبت له ، فلا شيءية لأحكام العدم أيضاً .

ولا ينحصر إشكال عدم الجامعية في مفهوم العدم ، بل هنالك مفاهيم أخرى وزانها وزان مفهوم العدم ، منها المفاهيم الماهوية بناء على أصالة الوجود ، فإنّ الماهية بناء على أصالة الوجود بطلت الذات لا تحقّق لها وراء فرض الفارض واعتبار المعتبر .

ومنها المفاهيم التي حيثية مصداقها المفروض حيثية أنّه في الخارج ، كمفهوم الوجود ، وقد تقدّم في مباحث مفهوم الوجود أنّ مفهوم الوجود عنوان عامّ يخترعه الذهن ويجعله صورة ومرآة تعكس الوجود الخارجي .

(١) شرح المنظومة - قسم الحكمة : ج ص ٢١٤ ٢١٥ .

والحاصل: إنّ تفسير نفس الأمر بنفس الشيء في حدّ ذاته بقطع النظر عن فرض الفارض غير تامّ في كلّ القضايا الصادقة ؛ لأنّ بعض القضايا الصادقة يحكم فيها على (ما لا مطابق له في الخارج ولا في الذهن) وما لا مطابق له في الخارج ، ولا في الذهن ، كفهوم العدم والماهية وسائر المفاهيم الاعتبارية (لا نفسية له وراء فرض الفارض حتّى يطابقها هو وأحكامه) .

هل يمكن أن يقترب العلم من إمكان المستحيل ؟

أُرسِل إليّ مقال بعنوان : (أشياء مستحيلة أصبحت ممكنة بفضل العلم) ، وفيه كثير من النقاط التي في نظري لا ينبغي أن تترك بلا تعليق ، لهذا أذكر نقطتين جوهريتين ذاتي صلة بالمقال :

النقطة الأولى

هل العلم استطاع حقيقة

أن يثبت إمكان وقوع ما هو مستحيل ؟

من العنوان يصوّر لنا الكاتب أنّ هنالك شيئاً مستحيلاً استطاع العلم بعد التطوّر أن يكتشف لنا أنّه ممكن ، وهذه العبارة فيها احتمالان :

الاحتمال الأول : أن يكون المقصود بها أنّ هناك شيئاً كان يعتقد أنّه مستحيل بالاستحالة العادية ، أي هو في ذاته ممكن ، ولكن بحسب القوانين المتعارفة والحاكمة على نظام الكون لا يمكن أن يقع ، وهو ما يسمّى في اصطلاح المنطق بالاستحالة الغيريّة ، ويمكن أن نمثّل لها بطيران الإنسان في الهواء حال وجود قانون الجاذبيّة ، فإنّه مستحيل ولكن ليس بالاستحالة الذاتيّة ، وإنّما لفقد القانون الذي ينتج هذه الظاهرة ، ولو جعل الكون بكيفيّة أخرى لا جاذبيّة فيه ، أو أمكن تعطيل الجاذبيّة وإحداث فضاء خاصّ غير موجودة فيه ، فإنّ ما كان مستحيلاً سوف يكون ممكناً ، بل ضرورياً بالضرورة الغيريّة .

فإن كان مقصود صاحب المقالة من عنوانه هذا المعنى ، وأنّ هنالك أموراً

مستحيلة عادة لا ذاتاً، ويعتقد بعض البسطاء أنها في ذاتها مستحيلة بسبب عدم وقوعها ومشاهدة عامة الناس لها، وأثبت العلم الحديث مؤخراً أنها ممكنة الوقوع وفق شروط خاصة، فمقصوده صحيح، ولا يوجد لنا تحفظ عليه؛ لأنه في الحقيقة حديث عن أمور ممكنة، بل لازمة التحقق فيما إذا توفرت شروطها الموضوعية، فإن طيران الإنسان في الهواء لازم فيما إذا عدت جاذبية الأرض، وبقيت جاذبية سائر الكواكب التي تسبح فوقنا فقط.

الاحتمال الثاني: أن يكون مقصوده أن ما هو مستحيل ذاتاً أثبت العلم إمكانه، وهذا تعبير آخر عن نفي وجود مستحيل ذاتي، فإن المستحيل الذاتي في نظر الفلاسفة ينحصر في شيء واحد وهو (اجتماع النقيضين: السلب والإيجاب) إذا توفرت شروط التناقض، وهي الوحدات المعروفة في كتب المنطق والفلسفة، ومنها وحدة الموضوع والزمان والمكان، والجهة والحمل، وأما سائر المستحيلات فهي مستحيلة لاستلزامها التناقض.

فإن كان مقصوده ذلك فهو غير صحيح؛ إذ من المستحيل أن يصل العلم إلى إمكان المستحيل وهو اجتماع النقيضين، واليوم الذي سيصل فيه العلم إلى هذه النتيجة هو يوم انهيار جميع المعارف البشرية؛ لأن جميع المعارف البشرية مهما كان لونها تعتمد على قواعد علمية يقينية الإثبات، فلو كان الثابت في عين كونه ثابتاً منفياً، وهذا أمر صعب التصور؛ إذ يكون الثبوت هو عين النفي، ولا تحقق شيئاً آخر يجتمع معه لما أمكن إثبات شيء البتة، فعلى سبيل المثال لكي نستعين بقواعد الاحتمال فنصل إلى نتيجة جزمية من خلال تراكم القيم الاحتمالية على مركز لا بد من وجود الاحتمال والمحتمل والحالات المتعددة ذات القيم الاحتمالية وصحة قانون الاحتمال الرياضي نفسه، ولو جزم الإنسان بعدمها، أو احتمل أنه لا فرق بين ثبوتها ونفيها، لم تترتب أي نتيجة.

إن العقل السوي لا يقبل أن يكون الشيء من جميع الجهات موجوداً ومعدوماً،

وإنَّ أيَّ نظريةٍ تطرح مهما كانت مبرراتها لا يمكن أن تكون أوضح عند العقل من استحالة اجتماع النقيضين .

النقطة الثانية

لوفرشنا أنَّ تجربة أفنعت أحد الباحثين بالظاهرتين التاليتين :

١ - وجود الأجسام الذرية في أكثر من مكان في آن واحد ، وهي أرضية نشوء نظرية تعدد الأكوان (Multiverses) يقول (ميچو كاكو) : بمجرّد السماح لإمكانية نشوء عالم واحد نفتح الباب أمام احتمال نشوء عوالم ممكنة لا متناهية بالنسبة إلى ميكانيكا الكمّ ، الإلكترون لا يوجد في مكان محدّد ، بل يوجد في كلّ الأمكنة حول نواة الذرة .

٢ - تحرّك الجسيم الذريّ وعدم تحرّكه في آن واحد ، وهو ما يقال بأنَّ علماء جامعة كاليفورنيا من (سانتا باربرا UC Santa Barbara) قد توصّلوا إليه ، وعدّ في مجلة ساينس (Science) أهمّ تقدّم علميٍّ في العامّ ٢٠١٠ .

فهل هذا دليل كافٍ لإثبات إمكان اجتماع النقيضين ؟

الجواب :كلّا ؛ وذلك لأنَّ اجتماع النقيضين المستحيل - كما ذكرنا سابقاً - ما تتوفّر فيه عدّة وحدات ، ومنها وحدة الزمان ، فإنّ الوجود والعدم مع تعدّد الزمان يمكن أن يثبتان في موضوع واحد ، فيقال : زيد موجود بالأمس ومعدوم اليوم ، ومتحرّك قبل الأمس وساكن بالأمس ، وفي الظاهرتين السابقتين لا دليل على وحدة الزمان ؛ إذ يجيز العقل أن يمرّ الجسيم الذريّ في جزء من الزمن بتحوّلات لم تدرك طبيعتها إلى اليوم ثمّ يعود ، وهي ذات سرعة تفوق سرعة الضوء والقياسات المعاصرة ، فيظهر بحسب قياسات الزمن المتاحة في أكثر من مكان أو متحرّكاً وساكناً في آن واحد مع أنّه ليس كذلك في الواقع ، واستبعاد ذلك استناداً

إلى معطيات العلم في الوقت الراهن ليس بأولى من استبعاد اجتماع النقيضين ؛ لأنّ أي قانون علمي ليس بأوضح في حقيته من قانون استحالة اجتماع النقيضين . ولو كانت هاتان الظاهرتان تثبتان إمكان اجتماع النقيضين لأمكن القول بأنّهما لا تثبتان إمكان الاجتماع ، وإنّما تثبان الاستحالة ؛ وذلك لأنّه إذا جاز أن يكون الشيء عين نقيضه فيجوز في آن واحد أن نقول : هذا يثبت ذاك ، وهو في نفس الوقت ينفيه ؛ لأنّه معنى كونه يثبت هو عين معنى كونه ينفي ، والسلب هو الإيجاب ، والإيجاب هو السلب ! فهل يا ترى يمكن الظفر بعقل يتفوّه بهذا الكلام !!

معنى : (وَلَيْسَ يُقَالُ لَهُ أَكْثَرُ مِنْ فِعْلٍ وَعَمَلٍ وَصُنْعٍ) وقاعدة الواحد

ورد في مناظرة الإمام الرضا عليه السلام مع عمران الصابي العبارة التالية : « وَلَيْسَ يُقَالُ لَهُ أَكْثَرُ مِنْ فِعْلٍ وَعَمَلٍ وَصُنْعٍ »^(١) ، فهل معناها استحالة أن يصدر منه تعالى الكثير ؟
الجواب : فيه احتمالات :

- ١ - نفي إمكان تعدّد الفعل في عرض واحد .
 - ٢ - نفي وقوع تعدّد الفعل في عرض واحد .
 - ٣ - الحديث عن وحدة الفعل والصنع بمعنى التناسب والانسجام والانتظام وعدم مدافعة بعض الفعل لبعضه الآخر ، كما يقال في العرف : (ليس له أكثر من كلمة أو كلامه واحد) ، ويقصد به عدم التعارض والتنافي .
- فإنّ العبارة المستشهد بها لم تقل : (ليس له أكثر من فعل في عرض واحد) ، وإنّما نفت أن يكون فعله وصنعه أكثر من فعل وصنع ، وهناك آيات وروايات متعدّدة بيّنت أنّ المخلوقات المتعدّدة فعله ، والمصنوعات المختلفة صنعه ، حتّى التي مع الوساطة ، كما قال تعالى : ﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾^(٢) ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾^(٣) ، وفي دعاء الجوشن : « يَا صَانِعَ كُلِّ مَصْنُوعٍ » ، فإنّ أمثال هذه النصوص تثبت أنّ له تعالى أكثر من فعل وصنع ، فإنّ كون ما يتحقّق بالوساطة

(١) عيون أخبار الرضا : ١ : ١٧٠ .

(٢) الأنعام : ٦ : ١٠٢ . الرعد : ١٣ : ١٦ . الزمر : ٣٩ : ٦٢ . غافر : ٤٠ : ٦٢ .

(٣) الصافات : ٣٧ : ٩٦ .

فعله وصنعه تعبير آخر عن أن له أكثر من فعل .

فنكون بين ثلاث خيارات :

الأول : أن نقيّد ما ينفي التعدّد بكون الفعل في عرض واحد .

الثاني : أن نحمله على الاحتمال الثالث .

الثالث : أن نحمل نسبة الخلق إلى الله في غير المباشر على المجاز ، ونقول
علّة العلة ليست علّة .

ولا يصحّ الترجيح جزافاً بلا شواهد مقبولة عقلاً ، والذي يظهر من سياق
الرواية وتعبير : « وَلَيْسَ يُقَالُ لَهُ أَكْثَرُ... » بيان تنزّه ذاته وعدم لياقتها لا مجرد
نفي الوقوع ، ولكن يبقى احتمال أن يكون المراد نفي عدم الانتظام ، فإنّه لا يليق به
تعالى ، أو نفي أمر آخر كما سوف يأتي بيانه .

ولا شاهد على ترجيح الخيار الأول بناء على عدم شمول قاعدة الواجب للواحد
بل يوجد ما يبعده ، وهو أنّه ورد في المناظرة ما يدلّ على تعدّد المصادر الأول
في عرض واحد ، فقد جاء فيها أنّ الإمام عليه السلام قال : « أَمَّا الْوَاحِدُ ، فَلَمْ يَزَلْ وَاحِداً
كَأَنَّا لَا شَيْءَ مَعَهُ بِأَحْدُودٍ ، وَلَا أَعْرَاضٍ ، وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ ، ثُمَّ خَلَقَ خَلْقاً مُبْتَدِعاً
مُخْتَلِفاً بِأَعْرَاضٍ وَحُدُودٍ مُخْتَلِفَةٍ » ، فإنّ هذه الفقرة تدلّ على صدور شيء مختلف
الأعراض والحدود ، وبعد هذا المصادر المختلف في الأعراض ، والمتعدّد في
حدوده ، خلق خلقاً كثيراً .

فقد جاء في المناظرة أيضاً : « وَكَانَ أَوَّلُ إِبْدَاعِهِ وَإِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ الْحُرُوفَ الَّتِي
جَعَلَهَا أَضْلاً لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَدَلِيلاً عَلَى كُلِّ مُدْرِكٍ ، وَفَاصِلاً لِكُلِّ مُشْكِلٍ ، وَبِتِلْكَ الْحُرُوفِ
تَفْرِيقُ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ اسْمٍ حَقٍّ وَبَاطِلٍ ، أَوْ فِعْلٍ أَوْ مَفْعُولٍ ، أَوْ مَعْنَى أَوْ غَيْرِ مَعْنَى ،
وَعَلَيْهَا اجْتَمَعَتِ الْأُمُورُ كُلُّهَا » ، والحروف جمع وليس واحداً .

أن لا تكون العبارة في مقام الحديث عن وحدة الفعل وتعدّده في نفسه ، وإنّما

في مقام بيان أن الله تعالى لا يوجد عنده فعلاً أحدهما حادث في ذاته ،
والآخر صادر عنه ، ويعلم الثاني بالأول ، ويقرب هذا الاحتمال أن عمران سأل
الإمام عليه السلام السؤال التالي : « فَأَخْبِرْنِي بِأَيِّ شَيْءٍ عَلِمَ مَا عَلِمَ ، أَمْ بِضَمِيرٍ أَمْ بِغَيْرِ
ذَلِكَ ؟ » ، ففرض عمران أن علم الله يرجع إلى شيء يحدث في ذاته ، وهو الضمير ،
ولعله يقصد تصورات سابقة تحل في الذات كما في الفاعل من البشر .

فقال الرضا عليه السلام : أَرَأَيْتَ إِذَا عَلِمَ بِضَمِيرٍ ، هَلْ يَجِدُ بُدًّا مِنْ أَنْ يَجْعَلَ لِذَلِكَ الضَّمِيرِ
حَدًّا تَنْتَهِي إِلَيْهِ الْمَعْرِفَةُ ؟ قال عمران : لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ .

قال الرضا عليه السلام : فَمَا ذَلِكَ الضَّمِيرُ ؟ فَأَنْقَطَعَ وَلَمْ يُجِرْ جَوَابًا .

قال الرضا عليه السلام : لَا بَأْسَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنِ الضَّمِيرِ نَفْسِهِ تَعْرِفُهُ بِضَمِيرٍ آخَرَ ؟

وبهذا بين الإمام أن الالتزام بوجود أمر زائد أشبه بفعل ذهني ضميري وراء
نفس الذات يكون سبباً لعلمها يلزم منه التسلسل .

ثم بين عليه السلام لازماً آخر ، وهو لزوم التركب فقال : أَفَسَدَتْ عَلَيْكَ قَوْلُكَ وَدَعَوَاكَ .

يَا عِمْرَانُ ، أَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْوَاحِدَ لَيْسَ يُوصَفُ بِضَمِيرٍ ، وَلَيْسَ يُقَالُ لَهُ
أَكْثَرُ مِنْ فِعْلٍ وَعَمَلٍ وَصُنْعٍ ، وَلَيْسَ يُتَوَهَّمُ مِنْهُ مَذَاهِبٌ وَتَجْزِئَةٌ كَمَذَاهِبِ الْمَخْلُوقِينَ
وَتَجْزِئَتِهِمْ ، فَأَعْقِلْ ذَلِكَ ، وَابْنِ عَلَيْهِ مَا عَلِمْتَ صَوَابًا .

والذي يظهر من هذه العبارة أن القول بوجود فعل ضميري داخلي ، وهو
(وصف الله بالضمير) هو إثبات أكثر من فعل لله :

١ - فعل داخلي .

٢ - فعل خارجي صدوري .

وهذا لا يناسب الذات ، ويلزم منه التركب ، وأن تكون للذات أجزاء ، فالرواية
ليست في صدد الحديث عن الفعل الصادر في نفسه ، هل هو واحد أو كثير ، فحملها
على قاعدة الواحد من إسقاط النتائج على النصوص ، والله العالم .

قيمة الأسلوب المنطقيّ

السؤال:

لقد دلت التجارب الكثيرة أنّ الجدل المنطقيّ الذي يستخدمه رجال الدين عبث ضائع ، لا طائل وراءه ولا جدوى فيه .
فلم نجد إنساناً اقتنع برأي خصمه نتيجة الجدل المنطقيّ وحده .
إنّ هذا الجدل قد يسكت الإنسان ، وقد يفحمه أحياناً ، ولكنه لا يقنعه ، ويضلّ الإنسان مؤمناً بصحّة رأيه حتّى النفس الأخير .
أمّا إذا رأيناه يبدّل رأيه فعلاً فلنبحث عن العوامل النفسيّة والاجتماعيّة التي دفعته إلى ذلك » . د . عليّ الورديّ

ردّكم شيخنا ؟

الجواب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين ،

والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين

وبعد : يوجد عدّة تعليقات على ما يظهر لي من هذا الكلام :

التعليق الأوّل

في تصوّري وقع الكاتب في مفارقة صيّرت بعض منعطفات كلامه في أشدّ مراتب الضعف :

فقد اعتمد على عدم وجدانه إنساناً اقتنع برأي خصمه من خلال الأسلوب المنطقي وحده للحكم على الجدل المنطقي الذي يستخدمه رجال الدين بالعقم والعبيثة!!

وسوف يتضح أن هذا النحو من الاستدلال هو العبيثي والعقيم ، ويدل على عدم قدرة صاحبه . على ترتيب المقدمات المناسبة وتنظيم أفكاره بالنحو المناسب ، وعدم اتقانه لفن الانتقال منها إلى النتيجة!

التعليق الثاني

هو أن بعض الكتاب يتخذون موقفاً متصلباً اتجاه علم خاص أو منهج معين بسبب عدم تصوّرهم التام ، وكأنهم يريدون أن يريحوا أنفسهم من عناء البحث ووعناء التحقيق بسد الباب الذي يأت منه الريح بإصدار أحكام شمولية تستند إلى ادّعاءات غير مبرهنة . يراد من القارئ أن يحسن الظن بها ، ويمررها كما هي مثل عبارة (لقد دلت التجارب الكثيرة) ، ولكن أين هذه التجارب ! وكيف استنتج منها المجرب نتيجته ؟ فهذا ليس بالأمر المهم ما دام هنالك بسطاء يمكن أن يصدّقوا من دون وقفة تأمل .

إن الأسلوب المنطقي هو المنهج الذي يعتمد الدليل المستقيم في عملية التفكير والانتقال إلى المجهول وتحصيل العلم به ، والتفكير الإنساني ينقسم في حركته نحو المطلوب العلمي إلى قسمين :

القسم الأول : حركة من الكلّي إلى الجزئي كالانتقال من (كل حادث يحتاج إلى محدث) والتي هي قضية كلية إلى أن (زيد يحتاج إلى محدث) ، وهذه نتيجة جزئية .

والذي يعنى بهذا القسم ، ويبين ضوابط الاستدلال فيه وشروطه ، هو المنطق

الصوريّ، وقد ذكر علماء المنطق أنّ هذا القسم من التفكير يعتمد على روابط واقعية بين المعلومات لا بدّ وأن تنتهي إلى مقدّمات بديهية لا تحتاج إلى استدلال، كقاعدة استحالة اجتماع النقيضين التي يستنتج منها جميع المعارف النظرية.

ولا يمكن لباحث يحترم نفسه أن ينكر الروابط الواقعية بين الأشياء، أو ينكر قيمة الاستدلال المعتمد على هذه الروابط، والذي ينتهي إلى بديهيات غير قابلة الإنكار ويصفه بالعقيم والعبثي!!

القسم الثاني: حركة من الجزئيّ إلى الكلّي، كالانتقال من ملاحظة زوال الصداع عند تناول المركّب الكيميائيّ للأسبرين في عدّة ملاحظات لاستنتاج أنّه كلّما استعمل هذا المركّب الخاصّ زال الصداع ولو في المستقبل.

والمتكفّل ببيان كيفية الاستدلال في هذا القسم، وبيان مصادراته، منطق الاستقراء، وهو المنطق المعني بدراسة الأسلوب العلميّ المعتمد عليه في جملة من العلوم الإنسانيّة والطبيعيّة، ولا يقبل العقلاء أن يوصف أحد هذا الأسلوب بالعقيم والعبثي، كما هو واضح.

وجدالات رجال الدين المنطقية لا تخرج عن أحد هذين الاستدلاليين، فلست أدري لما وصفها بالعقيمة والعبثية؟

قد يقال: سبب وصفها بالعقيمة عدم إفادتها للاستنتاج ما لم تتوفر ظروف خاصّة، وهذا ما سوف يأت التعليق عليه قريباً.

التعليق الثالث

لم يقل أحد من الباحثين الإسلاميين - فيما أعلم - أنّ الدليل والبرهان مهما كان مقنعاً علّة تامّة الإقناع، ولا يحتاج إلى توفر شروط وظروف خاصّة، كيف! والقرآن يحدثنا عن تكذيب الأمم للأنبياء ﷺ مع ما قدّمه الأنبياء من براهين قطعية

وجدالات منطقية ، ولو كان عدم كون البراهين العلمية التي يقدمها رجال الدين علة تامة للاقناع دليلاً على أن الجدل المنطقي الذي يقدمونه عقيم وعبث ، فإنه سيلزم نسبه العبث والعقم إلى أسلوب الأنبياء وطريقتهم في الاحتجاج ، ولا أظن بمسلم يتفوه بمثل ذلك !

فالأسلوب المنطقي والبرهاني مقتض للهداية ، كالمطر الذي يحيي الأرض إذا توفرت شروط وانتفت موانع ، فهو يوجد الإيمان والقناعة في القلب إذا وجدت قابلية الاستجابة وانتفت موانع التأثير ، فكما لا يوصف المطر بالعبثية والعقم لأن الأرض السبخة لم تنتفع به ، فكذلك لا يوصف البرهان المنطقي بالعقم والعبث لأن القلوب المختوم عليها لا تستجيب له .

والباحثون الإسلاميون من زمن المتقدمين - كالشيخ المفيد - وإلى يوم الناس هذا قد بينوا أن الدليل مجرد مقتضي للهداية ، وقد تعرض القرآن قبل ذلك لشروط وموانع تأثير البراهين ، وصار ما بينه الكتاب العزيز بحثاً خصباً ومادة حيوية في علم الفلسفة والعرفان والأخلاق والتفسير ، ولعل مطالعة ما ذكره العلامة رحمته الله في الميزان ، والشيخ الجوادى (حفظه الله) في نظرية المعرفة في القرآن ، توقفت المتابع على عمق ما قدمه رجال الدين من الفلاسفة في هذا الصدد .

فتوقفت تأثير البرهان والأسلوب المنطقي على شروط وانتقاء موانع لا بد وأن يحققها المتلقي لا يوجب الحكم على نفس الأسلوب المنطقي ، سواء صدر من رجل دين أو من غيره ، بالعقم والبعثية ، وإلا ينبغي الحكم على كل أسلوب ومنهج علمي بالعقم ، حتى المنهج التجريبي والاستقرائي ؛ لأنه بدوره لكي يفيد قناعة لا بد من شروط ، ولو كون الملاحظ له سليم العقل والحواس !

والحاصل : إن كانت التوصية التي يقدمها صاحب المقالة هي أن البرهان العلمي لوحدة لا يكفي لتشكيل القناعة فلا بد من الاهتمام بالشروط ونفي الموانع .

فهذا مطلب حق ، ولكنه ليس لصاحب المقال ، وإنما هو مسبوق فيه بما بيّنه

رجال الدين تبعاً للكتاب والروايات، ولكن هذا لا يوجب إصدار حكم شمولي بأن الجدل المنطقي الذي يقدمه رجال الدين عقيم وعبثي لا طائل وراءه ولا جدوى بحسب تعبير الكاتب!!

فإن استعمال هذا الأسلوب كإرسال السحاب الثقال ما فيها من غيث يصيب به الله برحمته من توفرت فيه شروط المطاوعة، فيحيي به الأرض الميتة، وعدم ترتب الأثر في بعض الحالات بسبب متلقي البرهان، وهو المسؤول والمحاسب عن عدم تأثره وليس رجال الدين.

وبعبارة علمية: العبثية والعقم ليست في الفاعل، وإنما القابل لم يعد العدة للاستجابة.

التعليق الرابع

أعتقد أن صاحب هذه المقالة استعمل ما يصفه هو بالأسلوب العبثي والعقيم والذي لا طائل وراءه ولا جدوى فيه، لأنه أراد أن يقنعنا بفكرته وهي (لقد دلت التجارب الكثيرة أن الجدل المنطقي الذي يستخدمه رجال الدين عبث ضائع، لا طائل وراءه ولا جدوى فيه. فلم نجد إنساناً اقتنع برأي خصمه نتيجة الجدل المنطقي وحده...).

ومن حقنا أن نقول له: كلامك هذا لو حده لا يقنع، ولا يوجب تبدل رأينا فيما يقدمه رجال الدين بدون العوامل النفسية والاجتماعية التي تدفع إلى تبديل الرأي، فكلامك عبثي وعقيم؛ إذ ما قدمت فيه من تجارب كثيرة، وعدم وجدان من اقتنع بالجدل المنطقي وحده، قد يسكت الإنسان وقد يفحمه أحياناً ولكنه لا يقنعه، ويظل الإنسان مؤمناً بصحة رأيه حتى النفس الأخير.

وهكذا يكون صاحب المقالة نفسه قد حكم سلباً على مقالته وأجهز عليها.

الفصل الثامن عشر

الروح التّفاتّة وتربية

جهد النفس معراج الإنسانية^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين

قال الله العلي العظيم في كتابه الكريم:

﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَاهَا * وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (٢)

صدق الله العلي العظيم

أهمية جهد النفس:

اهتمت آيات القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام، واهتم علماءنا الكرام تبعاً للكتاب والسنة، ورعاية لحكم العقل، اهتماماً بالغاً بتزكية النفس وجهادها، فقد بين القرآن الكريم توقف سعادة الإنسان وفلاحه على جهد نفسه وتزكيتها، وأن شقاءه وخيبته بمعنى فوات مطلوبه في إهمال النفس، ودسها في عالم الإهمال وبالتالي في الصفات الذميمة وأمراض القلب والأفعال السيئة، وقد عرض ذلك بنحو فريد جداً حيث أقسم تعالى على ذلك أحد عشر قسمًا.

(١) محاضرة لسماحة الشيخ حيدر السندي (حفظه الله) أُلقيت بتاريخ ٤ / ١ / ١٤٣٤ هـ.

(٢) الشمس ٩١: ١ - ١٠.

ويقول بعض علماء التفسير: «لم يقسم الله تعالى في القرآن الكريم على حقيقة بهذا العدد من هذه الأقسام كما أقسم على هذه الحقيقة، يقول تبارك وتعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَاها * وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾».

فلجهد النفس وتزكيتها هذه الأهمية الكبيرة في القرآن الكريم، وقد تسأل عن الرابطة بين جهاد النفس وتزكيتها، والجواب هو أنَّ الجهاد يشتمل على بعدين: بُعد التخلية، وذلك بتنظيف وتطهير الباطن من الصفات السيئة.

بُعد التحلية، وذلك بتكميل الباطن بالصفات الحسنة والتزكية، حيث أنَّها النمو والارتفاع عن النقص والشين، فهي لا تكون إلاَّ بهذين البعدين اللذين يشكلان جناح السالك إلى الله في تحليقه نحو مبتغاه.

وأما في السنة المطهرة، فقد ورد في الرواية المشهورة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ سَرِيَّةً، فَلَمَّا رَجَعُوا قَالَ: مَرْحَبًا بِقَوْمٍ قَضَوْا الْجِهَادَ الْأَصْغَرَ وَبَقِيَ عَلَيْهِمُ الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ».

قيل: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ؟ قَالَ: جِهَادُ النَّفْسِ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: أَفْضَلُ الْجِهَادِ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ»^(١).

وفي رواية أخرى يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «اعْلَمُوا أَنَّ الْجِهَادَ الْأَكْبَرَ جِهَادُ النَّفْسِ فَاشْتَغِلُوا بِجِهَادِ أَنْفُسِكُمْ»^(٢).

الشيخ الحر العاملي رحمه الله في كتاب الوسائل جعل أبواباً في جهاد النفس، عنون

(١) أمالي الصدوق: ٤٦٦ و ٤٦٧.

(٢) عيون الحكم والمواعظ: ٥٥٢، الرقم ١٠١٨٣.

الباب الأول منها بعنوان (باب في وجوبه) ، ويستفاد من هذا العنوان أنّ الشيخ (رحمة الله عليه) يرى جهاد النفس واجباً شرعاً علاوة على وجوبه العقليّ .

حكم جهاد النفس :

ذكر جملة من العلماء أنّ جهاد النفس واجب عقليّ ، فإنّ العقل الإنسانيّ السليم يحكم بوجوبه ؛ لأنّ نجاة الإنسان ، وبلوغ غايته ومبتغاه ، مرهون بتزكية الإنسان نفسه وجهادها ، ونجاة الإنسان وسعادته واجبة يحكم العقل بلزوم تحصيلهما ، وما يتوقّف عليه الواجب واجب عند العقل ، فيكون جهاد النفس واجباً بما يسمّى بالوجوب المقدّم .

وتقدم أنّ الحرّ العامليّ (رحمة الله تعالى عليه) يقول : « جهاد النفس علاوة على وجوبه العقليّ هو واجب شرعاً ، والله عزّ وجلّ أوجبه كما أوجب الصلاة والحجّ » ، ولعلّه (رحمة الله عليه) استفاد هذا الوجوب من اعتبار جهاد النفس الجهاد الأكبر ، أكبر حتّى من جهاد العدو ، مع أنّ جهاد العدو واجب شرعاً ، فيكون الأكبر منه كذلك ، أو لعلّه استفاده من قول رسول الله ﷺ : « وَيَقِيْ عَلَيْهِمُ الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ » ، فإنّ التعبير بكلمة « عَلَيْهِمُ » يستفاد منه الوجوب والإلزام .

على كلّ حال ، موضوعنا سوف يكون حول جهاد النفس ، وهو ضمن نقطتين :

النقطة الأولى

أهمية جهاد النفس

وبيان الوجه من كونه أعظم من جهاد العدو

ذكر علماء الأخلاق والعرفان أسباباً متعدّدة لاعتبار جهاد النفس أعظم من جهاد العدو ، ونكتفي بذكر سبب واحد ، وهو أنّ الإنسان في جهاد النفس يجاهد

عدوًّا داخليًّا ملازمًا له ، إذا انتصر أصبح إنساناً ، بلغ مقام الإنسانيّة ، أمّا إذا لم ينتصر ، إذا هزمت شهوات النفس ، بقي حيواناً أو انحدر دون رتبة الحيوان ، يقول عزّ وجلّ واصفاً المنهزمين في هذا الجهاد : ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (١) .

حتّى يتّضح هذا السبب أذكر مجموعة من الأمور :

الأمر الأوّل : نحن ندرك بالوجدان أنّ هناك بعدين : بُعد خلقيّ ظاهر ، وهو الجسد ، وهناك بُعد أمريّ باطنيّ ، وهو النفس ، يقول تبارك وتعالى : ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ (٢) ، وهذا الشطر من الآية يتحدث عن البعد الخلقيّ الظاهر ، وهناك بُعد مجرد منزّه عن المادّة فوق رتبة الطين تحدّث عنه القرآن الكريم في الشطر الثاني من الآية ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (٣) ، الروح هي باطن الإنسان ، ونفس الإنسان عي حقيقته وواقعه خلقت من نشأة أخرى ، هي من نشأة الأمر لا من نشأة الخلق ، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ (٤) .

الأمر الثاني : هو أنّ كلّ واحد منّا يدرك أيضاً بالوجدان جانبه المعنويّ له قوتان : قوّة مدركة وقوّة عمّالة ، نحن عندنا قوّة ندرك بها القضايا ، عندنا قوّة ندرك بها استحالة اجتماع النقيضين ، أنّ الكلّ أعظم من الجزء ، أنّ الله تبارك وتعالى موجود ، أنّ الله عزّ وجلّ واحد ، هذه قوّة مدركة ، جهاز إدراك ندرك بها القضايا ، هذه القوّة تسمّى بالعقل النظريّ ؛ لأنّها تدرك القضايا النظرية ، تدرك ما ينبغي

(١) الفرقان ٢٥ : ٤٤ .

(٢) سورة ص ٣٨ : ٧١ .

(٣) سورة ص ٣٨ : ٧٢ .

(٤) الإسراء ١٧ : ٨٥ .

أن يُدرك حقانيّته وما ينبغي أن يدرك بطلانه ، وما ينبغي أن يعمل ، وما ينبغي ألا يعمل كقبح الظلم وحسن العدل .

وأما قوتنا الثانية فهي قوّة عمليّة ، نحن عندنا جهاز يحرك عضلاتنا ، بهذا الجهاز العمليّ التحريكّي نتحرك نحو جلب المنافع ودفع المضارّ ، هذا الجهاز العمّال مسبوق بقوتين عمليّتين هما : الشهوة والغضب ، الشهوة تحرك الإنسان نحو جلب المنافع ، والغضب تحرك الإنسان نحو دفع المضارّ ، بهاتين القوتين العمليّتين يحافظ الإنسان على وجوده ، ويجلب الأمور الضروريّة التي يتقوّم بها وجوده في الدنيا ويدفع الأمور الضارّة التي تهدّده .

هتان القوتان العمّالتان يشتركان فيهما الإنسان مع الحيوان ، الحيوان أيضاً عنده شهوة وغضب ، لهذا علماء الأخلاق يطلقون على الشهوة والغضب على القوّة العمّالة في الإنسان بالقوى المدون ؛ لأنها في رتبة الحيوان التي هي دون رتبة الإنسان .

رتبة الإنسان رتبة أعلى من الشهوة والغضب ، والهدف من هاتين القوتين أن يحافظ الإنسان بهما على وجوده ويتحرك نحو تحقيق كمالاته ، وليس إشباع رغبة القوتين مطلوب في نفسه ، فجعلهما محوراً للسعي يوجب انحطاط الإنسان وتسافله .

الأمر الثالث : جهل الإنسان يُحدث تدافع وتصادم بين القوّة النظرية (العقل النظريّ) والقوّة العمّالة ، وإذا كان عند الإنسان علم تامّ بالمبدأ والمعاد ، إذا كان يعرف الله تبارك وتعالى معرفة تامّة ، إذا كان يعرف النشأة الأخرى معرفة تامّة ، على يقين بأنّ كماله الحقيقيّ ليس في ملذّات هذه الدار الفانية ، وإنّما في ملذّات الدار الباقية ، إذا كان الإنسان على يقين من معاده يصبح عقله سيّداً ، ويتحوّل عقله النظريّ إلى أمير المسيطر على القوى المادون ، وتصبح الشهوة ويتحوّل

الغضب إلى خادمين ينفذان مقتضيات العقل ، أمّا إذا جهل الإنسان المبدأ أو المعاد لم يكن عنده يقين بالله ، ولا يوجد عنده اعتقاد بيوم القيامة ، ويتصوّر أنّ كماله الحقيقيّ في هذه النشأة الزائلة الفانية ، فسوف يصبح عقله أسيراً عند شهوته وغضبه ، فبدل أن يصبح العقل أميراً يفكر ويخطط من أجل السعادة الأبدية ، ويسخر الشهوة والغضب للظفر بالكمالات الأخروية يصبح عبداً ذليلاً يخطط للشهوة والغضب كيفية الانغماس في شهوات الدنيا ، والابتعاد عن كمالات الآخرة .

الأمر الرابع : يوجد عند العرفاء وعلماء الأخلاق اصطلاحان في القوى العمالة - الشهوة والغضب - فهم يقولون : إذا سيطرت الشهوة على العقل نسميهما (هوى) . يقول أمير المؤمنين عليه السلام : « كَمْ مِنْ عَقْلٍ أُسِيرَ تَحْتَ هَوَى أَمِيرٍ »^(١) .

ويقول الإمام الصادق عليه السلام : « احذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم ، فإنّه ليس شيء أعدي على الرجال من اتباع أهوائهم »^(٢) .

وأما إذا سيطر العقل فيصطلحون على الشهوة والغضب اصطلاح العقل العمليّ ، على غرار العقل النظريّ ، فهما عقل ولكن في رتبة العمل ، وفي وجه إطلاق لفظ العقل على القوى العملية كلام عند الباحثين ، ومن الاحتمالات التي ذكرت في ذلك :

١ - أنّ القوى العملية مجردة عن المادّة ، وكل مجرد يصطلح عليه عقل عند الفلاسفة .

٢ - أنّه ورد في الشرع أنّ العقل ما كسبت به الجنان ، وهذه القوّة إذا خضعت للعقل النظريّ تكون سبب اكتساب الجنان .

(١) نهج البلاغة : ٤ : ٤٨ .

(٢) تفسير نور الثقلين : ٥ : ٥٠٨ .

٣ - أنْ لخضوعها للعقل والتصاقها به أصبحت ترجمة عمليّة لمدرّكاته ، فكأنّها هي هو ، فأطلق عليها اسمه .

وفي جملة من روايات أهل البيت عليهم السلام ما يدلّ على أنّ مقام الإنسانية وحقيقته يقوم ببلوغ الإنسان مقام العقل العمليّ ، فمن تكون شهوته خاضعة لعقله ، ويكون غضبه تابعاً لعقله ، فهو إنسان حقيقة ، أمّا الذي يكون عقله خاضعاً لشهوته وغضبه ، فظاهره ظاهر إنسان ، ولكن في الواقع ليس بإنسان .

في رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام : « دِعَامَةُ الْإِنْسَانِ الْعَقْلُ » ^(١) ، ليس دعامة الإنسان أنّ له شكل كشكل الإنسان ، حقيقة الإنسان أن يكون له قلب ولبّ الإنسان ، أن يكون واقعه واقعاً إنسانياً ، أن يكون باطنه إنساناً ، دعامة الإنسان العقل ، فالعقل هو ركن الإنسانية ، وهنا نواجه هذا السؤال : ما هو هذا العقل الذي يشكّل دعامة الإنسان ؟ الإمام الصادق عليه السلام يجيب عن هذا السؤال ، ويفسّر العقل المقوم للإنسان ، ولكن ليس بالعقل النظريّ الذي يدرك به الإنسان قواعد الرياضيات والفيزياء ، وحتى العلوم الشرعيّة ، وإنّما بالعقل العمليّ ، يقول عليه السلام : « [الْعُقْلُ] مَا عُبِدَ بِهِ الرَّحْمَنُ ، وَاتَّكَسَبَ بِهِ الْجَنَانُ » ^(٢) ، العقل الذي يحرك الإنسان نحو طاعة الله تعالى ، العقل الذي يكون خاضعاً في سلوكه وفي عمله لما يريده الباري تعالى ، هو دعامة الإنسان .

السيد الخميني رحمته الله هذا العارف الكبير عنده تعليق جدّاً لطيف يرتبط بما نحن في صدد تبيينه ، حاصل هذه الكلمة هو : « أنّ الإنسان عندما يولد فهو يولد حيوان بالفعل ، إنسان بالقوّة » ، ما هو المقصود من هذه العبارة ؟

المقصود أنّ نفوس الإنسان متعدّدة كما في رواية كميل بن زياد مع أمير

(١) علل الشرائع : ١ : ١٠٣ .

(٢) الكافي : ١ : ١١ ، الحديث ٣ .

المؤمنين ﷺ ، فقد قال كميل : « سَأَلْتُ مَوْلَانَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا ﷺ فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أُرِيدُ أَنْ تُعَرِّفَنِي نَفْسِي ؟

قَالَ : يَا كَمِيلُ ، وَأَيُّ الْأَنْفُسِ تُرِيدُ أَنْ أُعَرِّفَكَ ؟

قُلْتُ : يَا مَوْلَايَ ، هَلْ هِيَ إِلَّا نَفْسٌ وَاحِدَةٌ ؟ قَالَ : يَا كَمِيلُ ، إِنَّمَا هِيَ أَرْبَعَةٌ : النَّامِيَّةُ النَّبَاتِيَّةُ ، وَالْحِسِّيَّةُ الْحَيَوَانِيَّةُ ، وَالنَّاطِقَةُ الْقُدْسِيَّةُ ، وَالْكَلِّيَّةُ الْإِلَهِيَّةُ ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ خَمْسُ قُوَى وَخَاصِيَّتَانِ .

فَالنَّامِيَّةُ النَّبَاتِيَّةُ لَهَا خَمْسُ قُوَى : مَاسِكَةٌ وَجَادِبَةٌ وَهَاضِمَةٌ وَدَافِعَةٌ وَمُرِّيَّةٌ ، وَلَهَا خَاصِيَّتَانِ : الرِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ ، وَانْبِعَاتُهَا مِنَ الْكِبَدِ .

وَالْحِسِّيَّةُ الْحَيَوَانِيَّةُ لَهَا خَمْسُ قُوَى : سَمْعٌ وَبَصَرٌ وَشَمٌّ وَذَوْقٌ وَلَمْسٌ ، وَلَهَا خَاصِيَّتَانِ : الرِّضَا وَالْغَضَبُ ، وَانْبِعَاتُهَا مِنَ الْقَلْبِ .

وَالنَّاطِقَةُ الْقُدْسِيَّةُ لَهَا خَمْسُ قُوَى : فَكْرٌ وَذِكْرٌ وَعِلْمٌ وَحِلْمٌ وَنَبَاهَةٌ ، وَلَيْسَ لَهَا انْبِعَاتٌ ، وَهِيَ أَشْبَهُ الْأَشْيَاءِ بِالنُّفُوسِ الْفَلَكيَّةِ ، وَلَهَا خَاصِيَّتَانِ : النَّزَاهَةُ وَالْحِكْمَةُ .

وَالْكَلِّيَّةُ الْإِلَهِيَّةُ لَهَا خَمْسُ قُوَى : بَهَاءٌ فِي فَنَاءٍ ، وَنَعِيمٌ فِي شَقَاءٍ ، وَعِزٌّ فِي ذُلٍّ ، وَفَقْرٌ فِي غِنَاءٍ ، وَصَبْرٌ فِي بَلَاءٍ ، وَلَهَا خَاصِيَّتَانِ : الرِّضَا وَالتَّسْلِيمُ ، وَهَذِهِ الَّتِي مَبْدُوءُهَا مِنَ اللَّهِ ، وَإِلَيْهِ تَعُودُ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ (١) ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴾ (٢) ، وَالْعَقْلُ فِي وَسْطِ الْكُلِّ (٣) .

والإنسان أول ما يوجد يكون واجداً للنفس النباتية والحيوانية بالفعل ، فعنده قوة شهوة والغضب بالفعل ، ولذلك المولود من أول يوم يتحرك نحو التقام الثدي ، وإذا

(١) الحجر ١٥ : ٢٩ . سورة ص ٣٨ : ٧٢ .

(٢) الفجر ٨٩ : ٢٧ و ٢٨ .

(٣) بحار الأنوار : ٥٨ : ٨٥ .

جاع يبكي ، فهو حيوان بالفعل ، أي هو واجد لقوى الحيوان فعلاً ، لكنّه ليس إنساناً بالفعل ، بل عنده استعداد أن يتحوّل إلى إنسان ، ما الفرق بين مولود الإنسان والحيوان ؟ كلاهما يشتركان في الشهوة والغضب ، كلاهما حيوان بالفعل ، لكنّ مولود الحيوان لا يوجد عنده قابليّة أن يكون إنساناً ، بينما مولود الإنسان فيه هذه القابليّة ، فيه قابليّة أن يصل إلى مقام العقل العمليّ مقام النفس الناطقة القدسيّة والكلمة الإلهيّة ، ويحوّل الشهوة والغضب إلى أسيرين تابعين للعقل النظريّ ، فإذا بلغ هذا المقام تطابق ظاهره مع باطنه ، وأصبح إنساناً في الظاهر والباطن ، أمّا إذا لم يخرج نفسه من قوّة الإنسانيّة إلى فعليّتها ، فإنّه سوف يتكامل ولكن في حيوانيّته ، فلا يكون حيواناً عادياً بل مرتبة أكثر إمعاناً وولوجاً في الحيوانيّة من سائر أصناف الحيوان لأنّه يمتاز عليها بإمكانيّة القدرة على الانغماس في وحل الحيوانيّة ، وهنا لا يتطابق ظاهره مع باطنه (الظاهر ظاهر إنسان والواقع واقع حيوان) إذا نظر اليه الناس يحسبونه إنساناً ، ولكن في حقيقته ليس كذلك . نعم ، في يوم ظهور الحقائق وبروزها يظهر الباطن . وقد روي عن الصادق عليه السلام : « إِنَّ اللَّهَ يَحْشُرُ النَّاسَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »^(١).

وفي خبر آخر : «ويحشر بعض الناس على صورة يحسن عندها القردة والخنازير»^(٢).

أهميّة جهاد النفس تكمن في أنّ الإنسان بهذا الجهاد يمكن أن يجعل ظاهره موافقاً لباطنه ، يمكن أن يصل إلى مقام الإنسان الخالد الدائم في إنسانيّته ، يمكن أن يصطبغ ذاته بصبغة النفس الناطقة القدسيّة أو الكلمة الإلهيّة ، ثمّ يصطبغ عمله بعد ذلك بصبغة تتناسب مع باطنه ، إذا صار الإنسان في واقعه إنساناً تكون صلاته صلاة

(١) المحاسن : ١ : ٢٦٢ ، الحديث ٣٢٥ .

(٢) الحكمة المتعالية : ٥ : ٥ .

إنسانية لا صلاة شيطانية، إذا كان في واقعه إنساناً يكون جهاده جهاداً إنسانياً، المدار ليس ظاهر العمل، وأن يحمل الإنسان سيفاً ويقاتل به العدو، المدار مدار كون هذا العمل من نفس مقبلة على المبدأ والمعاد، وهذا هو السر وراء تفوق أو مساواة عمل واحد لأمر المؤمنين ﷺ لأعمال الثقلين، قال رسول الله ﷺ: «لَضُرْبَةُ عَلِيٍّ لِعَمْرٍو يَوْمَ الْخَنْدَقِ تَعْدِلُ عِبَادَةَ الثَّقَلَيْنِ»^(١).

فإن التفاوت الموجود بين إنسانية أمير المؤمنين ﷺ وبين إنسانية سائر الناس كبير جداً إلى درجة أن عمل واحد مصطبغ بهذه الإنسانية يساوي أو يفوق جميع الأعمال الصادرة من جميع الناس.

من هنا صار جهاد النفس أكبر من جهاد العدو، فإن إنسانية الإنسان مرهونة بجهاد نفسه، وقيمة العمل بما في ذلك جهاد العدو مرهون بحالة النفس، «أَمَّا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»^(٢) قيمة العمل بالنية، ليس في ظاهره من صلاة أو صوم أو فتح للبلاد وتوسيع لرقعة الدولة الإسلامية، حل المعادلة الوجودية في ملحمة التكامل البشري يكمن في قلب الإنسان وباطنه، فإذا ظهرت نفسه فقط تعبد طريق سيره في مدارج السالكين.

النقطة الثانية

في بيان كيفية جهاد النفس

كيف يجاهد الإنسان نفسه؟ كيف يخرج الإنسان نفسه من الإنسانية بالقوة إلى الإنسانية بالفعل؟
الأئمة ﷺ جعلوا لنا طريقة تتكوّن من عدّة خطوات:

(١) عوالي اللئالي: ٤: ٨٦، الحديث ١٠٢.

(٢) صحيح البخاري: ١: ٢.

الخطوة الأولى : أن يتسلّح الإنسان بسلاح علم المبدأ والمعاد .

الإنسان حتّى يقهر نفسه يحتاج أن يخاف من ربّه ، ومتى يخاف الإنسان من ربّه ؟ إذا تعرف على الله عزّ وجلّ ، « مَنْ كَانَ بِاللّهِ أَعْرَفَ كَانَ مِنَ اللَّهِ أَخَوْفَ »^(١) ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾^(٢) ، يحتاج الإنسان أن يتعرّف على عظمة الله تعالى حتّى يرجو الله تعالى وقاراً ، وتشتعل في قلبه نار شوق اللقاء .

إنّ جهاد النفس والسير في طريق العروج إلى الله تعالى يحتاج إلى إرادة وعزم ، الإنسان يحتاج إلى أن يصمّم على جهاد نفسه على أن يسلك طريق الله تعالى ، على أن يتخلّص من طريق الشهوة ، طريق الغضب ، وإرادة الإنسان لكي تنوجد وتشتدّ لا بدّ من التصديق الراسخ ، فإن الإنسان إذا صدق بمصلحة أراد تحقيقها ، وهذا يملي بطبيعة الحال على الإنسان أن يتفكّر في دنياه ، وأن يتفكّر في أخره ، يقول أمير المؤمنين عليه السلام : « إِنَّ التَّفَكُّرَ يَدْعُو إِلَى الْبِرِّ وَالْعَمَلِ بِهِ »^(٣) ، على الإنسان أن يتفكّر في فناء هذه الدنيا ، أن يتدبّر في نعيم الله تعالى وفي عقابه في النشأة الأخرى ، وأن يصل إلى مرحلة اليقين بثواب الله تعالى وبعقابه تبارك وتعالى ، إذا تيقّن بالثواب الأخرويّ سوف تتحرّك شهوته نحو تحقيق الثواب الأخرويّ ، فالإنسان بالتفكّر يمكن أن يخلق الإرادة في نفسه ، ويسلك هذا الطريق الصعب ، وهو طريق تهذيب النفس وتربيتها .

الخطوة الثانية : هي المشاركة والمراقبة والمحاسبة .

السيد الخميني رحمه الله في كتاب الأربعين حديثاً يقول : « هناك أمور ضروريّة للمجاهد في جهاده لنفسه » ، ثمّ يذكر المشاركة والمراقبة والمحاسبة ويبين

(١) بحار الأنوار : ٦٧ : ٣٩٣ ، الحديث ٦٤ .

(٢) فاطر ٣٥ : ٢٨ .

(٣) الكافي : ٢ : ٥٥ ، الحديث ٥ .

المراد منها :

« في المشاركة : ينبغي على الإنسان أن يشترط لله على نفسه أن يلتزم بالأخلاق الفاضلة ، ترك الذنوب والمعاصي ، ولتكن البداية في مدة قصيرة ، كنهار » .

من المهم أن يخاطب كل واحد منّا ربّه تعالى ويقول له : «إنهي سوف ألتزم لك في هذا اليوم بالأخلاق الحميدة ، وبعد اتّباع الشهوة والغضب ، وألا أفكر إلا في مرضاتك ، وأنت أعني بلطفك ورحمتك ، واكفني شرّ أعدائي » .

ثمّ بعد أن يراقب الإنسان نفسه في تلك المدة المحددة ، وهذا ليس من الأمور الصعبة ، خصوصاً إذا كانت المدة المحددة قصيرة . وبعد انقضاء المدة يحاسب نفسه ، هل التزم فعلاً بما اشترطه الله تعالى أم لا ؟ إن كان التزم يحمد الله تعالى ، ويسأل لنفسه الزيادة ، ثمّ يعيد مرّة أخرى ، وبالتدريج يزيد من مدة المشاركة حتّى تستوعب تمام حياته .

أما إذا وجد في نفسه تقصيراً فعليه أن يحاسب نفسه ، هنا تأتي مهمّة المحاسبة ، فيخاطب نفسه قائلاً : « الله تعالى صاحب الفضل عليك ، هو الذي أخرجك من العدم ، وتلطّف عليك بنعمائه ، ومقتضى عبوديتك لله تعالى أن تلتزمي بما اشترطت له ، فلماذا قصّرت في ذلك ! » .

عنهم ﷺ : « حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا ، وَزِنُوا أَعْمَالَكُمْ بِمِيزَانِ الْحَيَاءِ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا »^(١) .

من يهمل نفسه في هذه الدنيا سوف يواجه حساباً دقيقاً ، وسوف يوزن هو وأعماله في ميزان دقيق في يوم القيامة ، فإذا وجد الإنسان عنده جوانب تقصيرية يعاتب نفسه ثمّ يعزم على أن يكرّر هذا العمل المشاركة والمراقبة والمحاسبة بإرادة أكد وبعزيمة أقوى ، ثمّ تأتي خطوة التذكير وهي :

(١) بحار الأنوار : ٦٨ : ٢٦٥ .

الخطوة الثالثة: الإنسان في سيره لله تبارك وتعالى قد يغفل، قد تفتت إرادته، تموت عزمته، فيحتاج إلى تذكير، يحتاج إلى ما يحيي إرادته ويخلق فيه العزم من جديد، ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ * سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَىٰ﴾^(١)، ولعل أفضل أمر إذا تذكره الإنسان تتولد فيه إرادة السير إلى الله تعالى، أمر الموت والمنازل التي يمر بها الإنسان بعد موته، الرسول ﷺ يقول: «كَفَى بِالْمَوْتِ وَاعِظًا»^(٢).

هل ترى نفسك خالداً في هذه النشأة؟ هل تعتقد أنك ستظفر بجميع نعيم الدنيا؟ هل تحسب أنك مالك في هذه النشأة الفانية؟ هل تعتقد أنك ستصبح سعيداً إذا ظفرت بملذات هذه الدنيا الزائلة؟

أَنسَاكَ مَحْيَاكَ الْمَمَاتَا	فَطَلَبْتَ فِي الدُّنْيَا الثَّبَاتَا
أَوْتَشَقْتَ بِالدُّنْيَا وَأَنْدَ	مَتَ تَرَى جَمَاعَتَهَا شَتَا
يَا مَنْ رَأَى أَبْوِيهِ فِيهِ	مَنْ قَدْ رَأَى كَانَا فَمَاتَا
هَلْ فِيهِمَا لَكَ عِبْرَةٌ	أَمْ خَلَّتْ أَنْ لَكَ انْفِلَاتَا
وَمَنْ الَّذِي طَلَبَ التَّفَلُّ	مَتَ مِنْ نَيْتِهِ فَفَاتَا
كُلَّ تَصَبُّحِهِ الْمُنِيَّةَ	أَوْ تَسْبِيحَتِهِ بَيَاتَا ^(٣)

ما هي نهايتنا؟ كلنا يعلم أنها القبر، بيت الغربة والوحشة، فلماذا إذن هذه الغطرسة؟ لماذا هذا التعالي على إرادة الله؟ لماذا هذا التجبر؟ لماذا تسيطر علينا شهواتنا وتحركنا الغرائز نحو المحرمات؟

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ قَاعِدٌ إِذْ نَزَلَ جِبْرِيلُ عليه السلام

(١) الأعلى ٨٧: ٩ و ١٠.

(٢) تحف العقول: ٣٥.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٣: ٢٤٧، والأبيات لأبي العتاهية.

وَهُوَ كَيْبٌ حَزِينٌ ، مُتَغَيِّرُ اللَّوْنِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا لِي أَرَاكَ كَيْبًا حَزِينًا ؟ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، وَكَيْفَ لَا أَكُونُ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا وَضِعَتْ مَنَافِخُ جَهَنَّمَ الْيَوْمَ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَمَا مَنَافِخُ جَهَنَّمَ يَا جَبْرِئِيلُ ؟ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَمَرَ بِالنَّارِ فَأَوْقَدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ حَتَّى احْمَرَّتْ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَأُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ ، ثُمَّ أَمَرَ فَأُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ ، وَهِيَ سَوْدَاءٌ مُظْلِمَةٌ ، فَلَوْ أَنَّ حَلَقَةً مِنَ السَّلْسِلَةِ الَّتِي طُولُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا وَضِعَتْ عَلَى الدُّنْيَا لَذَابَتْ الدُّنْيَا مِنْ حَرِّهَا ، وَلَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الرِّقُومِ وَالضَّرِيعِ قَطَرَتْ فِي شَرَابِ أَهْلِ الدُّنْيَا لَمَاتَ أَهْلُ الدُّنْيَا مِنْ نَتْنِهَا ^(١) .

«فَمَا لِي لَا أَبْكِي ؟ أَبْكِي لِخُرُوجِ نَفْسِي ، أَبْكِي لِظُلْمَةِ قَبْرِي ، أَبْكِي لِضِيقِ لَحْدِي ، أَبْكِي لِسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ إِيَّايَ ، أَبْكِي لِخُرُوجِي مِنْ قَبْرِي عُزْبَانًا ذَلِيلًا حَامِلًا نَفْلِي عَلَى ظَهْرِي ، أَنْظُرُ مَرَّةً عَنْ يَمِينِي وَأُخْرَى عَنْ شِمَالِي ، إِذِ الْخَلَائِقُ فِي شَأْنٍ غَيْرِ شَأْنِي ، ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ * وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ ^(٢) وَذَلَّةٌ ^(٣) .

الخطوة الرابعة: وهي أن يجعل الإنسان له القدوة والأسوة ، يقول الإمام زين العابدين عليه السلام : « هَلَكَ مَنْ لَيْسَ لَهُ حَكِيمٌ يُرْشِدُهُ » ^(٤) .

في سيرنا وسلوكنا إلى الله تعالى علينا أن نختار لنا الأنموذج الصالح ، القدوة التي نقتدي بهديها ، ونسير بسيرها .

(١) روضة الواعظين : ٢ : ٥٠٦ و ٥٠٧ .

(٢) عبس ٨٠ : ٣٧ - ٤١ .

(٣) دعاء أبي حمزة الثمالي .

(٤) بحار الأنوار : ٧٥ : ١٥٩ .

قدوتنا أئمتنا، وفي مقدمتهم رسول الله ﷺ، ونفسه أمير المؤمنين عليه السلام، الذي يقول: «أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَامًا يَقْتَدِي بِهِ، وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ، أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدْ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطَمَرِيهِ، وَمِنْ طَعْمِهِ بِقُرْصِيهِ، أَلَا وَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ، وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ»^(١).

القدوة اختصار للمسافة لأنها توفر على الإنسان سلسلة تجارب يتعقبها إخفاقات ونجاحات، لهذا ينبغي الاهتمام بالحد الأعلى بسيرة المعصومين عليه السلام والعارفين الكُملين الذين خبروا تراث المعصومين وساروا على هديهم.

(١) نهج البلاغة: ٣: ٧٠.

تسليّة الفؤاد

بيان إمكانيّة التواصل مع الموتي

من الأحبة والأولاد

لا تنقطع علاقة الأموات بالأحياء بعد الموت ، وإنما تبقى العلاقة وإن كان الأحياء لا يشعرون بها غالباً ، وهنا أستعرض بعض الروايات الدالة على ذلك مع شيء من التعليق : فقد روى ثقة الإسلام في الكافي بإسناده عن الصادق عليه السلام ، قال : « إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُزُورُ أَهْلُهُ فَيَرَى مَا يُحِبُّ ، وَيُسْتَرُّ عَنْهُ مَا يَكْرَهُ ، وَإِنَّ الْكَافِرَ لَيُزُورُ أَهْلُهُ فَيَرَى مَا يَكْرَهُ ، وَيُسْتَرُّ عَنْهُ مَا يُحِبُّ . قَالَ : وَمِنْهُمْ مَنْ يَزُورُ كُلَّ جُمُعَةٍ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزُورُ عَلَى قَدْرِ عَمَلِهِ »^(١) ، فإنّ هذه الرواية تدلّ على أمور :

الأول : أنّ المؤمن يزور أهله .

الثاني : أنّه يرى ما يحبّ ، ويُحجب عنه ما يكره من حالهم ، وهذا يبيّن شدّة عناية الله تعالى بالمؤمنين في تلك الدار .

وفي بعض الروايات يأتي المؤمن في صورة طائر لطيف يسقط على دارهم ، ويشرف عليهم ، فإن رآهم بخير فرح ، وإن رآهم بشرّ وحاجة وحزن اغتم^(٢) .

ولعل اختلاف الروايات من جهة أنّ بعض المؤمنين لتقصير في بعض أعمالهم لا يحجب عنهم ما يُحزنهم من أحوال أحبائهم في الدنيا .

(١) الكافي : ٣ : ٢٣٠ ، الحديث ١ .

(٢) راجع المصدر المتقدم ، الحديث ٣ .

الثالث: أن من عذاب الكافر أن يزور أهله ، ويحجب عنه ما يسره من حالهم ، ويكشف له عما يكره .

الرابع: أن إمكانية زيارة الأموات للأحياء تختلف باختلاف أعمالهم ، فبعضهم يزور أهله الأحياء كل جمعة ، وبعضهم يزور في فاصل زمني أقل بحسب اختلاف العمل .

ففي الكافي : عن إسحاق بن عمار ، عن أبي الحسن الأول عليه السلام ، قال : « سَأَلْتُهُ عَنْ الْمَيِّتِ ، يَزُورُ أَهْلَهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ .

فَقُلْتُ : فِي كَمْ يَزُورُ ؟ قَالَ : فِي الْجُمُعَةِ ، وَفِي الشَّهْرِ ، وَفِي السَّنَةِ ، عَلَى قَدْرِ مَنْزِلَتِهِ » ^(١) .

وفي بعض الروايات تتحقق الزيارة كل يوم ، ففي الكافي : عن أبي بصير ، عن الصادق عليه السلام ، قال : « مَا مِنْ مُؤْمِنٍ وَلَا كَافِرٍ إِلَّا وَهُوَ يَأْتِي أَهْلَهُ عِنْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ ، فَإِذَا رَأَى أَهْلَهُ يَعْمَلُونَ بِالصَّالِحَاتِ حَمْدَ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ ، وَإِذَا رَأَى الْكَافِرَ أَهْلَهُ يَعْمَلُونَ بِالصَّالِحَاتِ كَانَتْ عَلَيْهِ حَسْرَةٌ » ^(٢) .

وقد بينت هذه الرواية شيئاً من الحال الذي يسر المؤمن ويحزن الكافر ، ويكون حسرة عليه ، وهو عمل الصالحات ، وفي ذلك حث للمؤمنين على أن يكونوا سبباً لسرور أحبائهم ، فيحاولون دائماً أن يستقبلوهم في حال الطاعة ، خصوصاً في الجمععات وعند الزوال .

وفي بعض الروايات ورد تفصيل أوقات الزيارة ، فعن إسحاق بن عمار ، قال : « قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ الْأَوَّلِ عليه السلام : يَزُورُ الْمُؤْمِنُ أَهْلَهُ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ .

(١) الكافي : ٣ : ٢٣٠ ، الحديث ٣ .

(٢) الكافي : ٣ : ٢٣٠ ، الحديث ٢ .

فَقُلْتُ: فِي كَمْ؟ قَالَ: عَلَى قَدَرِ فَضَائِلِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَزُورُ فِي كُلِّ يَوْمٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزُورُ فِي كُلِّ يَوْمَيْنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزُورُ فِي كُلِّ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ.
 قَالَ: ثُمَّ رَأَيْتُ فِي مَجْرَى كَلَامِهِ أَنَّهُ يَقُولُ أَدْنَاهُمْ مَنْزِلَةً يَزُورُ كُلَّ جُمُعَةٍ.
 قَالَ: قُلْتُ: فِي أَيِّ سَاعَةٍ؟ قَالَ: عِنْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ، وَمِثْلَ ذَلِكَ.
 قَالَ: قُلْتُ: فِي أَيِّ صُورَةٍ؟ قَالَ: فِي صُورَةِ الْعُصْفُورِ، أَوْ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ،
 فَيَبْعَثُ اللَّهُ تَعَالَى مَعَهُ مَلَكًا فَيُرِيهِ مَا يَسْرُهُ، وَيَسْتُرُ عَنْهُ مَا يَكْرَهُ، فَيَرَى مَا يَسْرُهُ وَيَرْجِعُ
 إِلَى قُرَّةِ عَيْنٍ^(١).

ولعل المقصود من صورة العصفور وأصغر من ذلك بيان لطافة الروح وإمكان تنقلها بالطيران، وهبوطها على البيوت، وحطها كما يحط الطائر المخلوق.
 وفي بعض الروايات بيان سماع الميت لصوت أحبته، وهذا ما يزيد في فرحته وسروره، فعن عبدالرحيم القصير: «قُلْتُ لَهُ: الْمُؤْمِنُ يَزُورُ أَهْلَهُ؟ فَقَالَ: نَعَمْ،
 يَسْتَأْذِنُ رَبَّهُ فَيَأْذَنُ لَهُ، فَيَبْعَثُ مَعَهُ مَلَكَيْنِ فَيَأْتِيَهُمْ فِي بَعْضِ صُورِ الطَّيْرِ يَقَعُ فِي دَارِهِ،
 يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَيَسْمَعُ كَلَامَهُمْ»^(٢).

إن هذه الروايات تبين لنا ببيان واضح أنَّ الأموات لم يعدموا بالموت، وليس التواصل معهم مقطوعاً بالكلية، فهناك تواصل وتزاور ولقاء لا نشعر به، وهم يتأثرون بنا، ويمكن أن نرسل إليهم الهدايا والمنح، فيدخل في قلبهم السرور والفرح كما ندخله في الدنيا عليهم بحسن المعاملة والعشرة، وقد نقل عن الإمام الصادق عليه السلام بسند معتبر أنه سئل: يُصَلِّي عَنِ الْمَيِّتِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَكُونُ فِي ضَيْقٍ فَيُوسِّعُ اللَّهُ عَلَيْهِ ذَلِكَ الضَّيْقَ، ثُمَّ يُؤْتَى فَيُقَالُ لَهُ: خُفِّفْ عَنْكَ هَذَا الضَّيْقَ بِصَلَاةٍ

(١) بحار الأنوار: ٣: ٢٣١، الحديث ٥.

(٢) الكافي: ٣: ٢٣٠ و ٢٣١، الحديث ٤.

فُلَانٍ أَخِيكَ عَنْكَ .

فسأله الرواي : فَأَشْرِكُ بَيْنَ رَجُلَيْنِ فِي رَكْعَتَيْنِ ؟ قَالَ : نَعَمْ .

ثُمَّ قَالَ ﷺ : إِنَّ الْمَيِّتَ لَيَفْرَحُ بِالتَّرْحُمِ عَلَيْهِ وَالْأَسْتَغْفَارِ لَهُ كَمَا يَفْرَحُ الْحَيُّ بِالْهَدِيَّةِ تُهْدَى إِلَيْهِ ^(١) .

هل يمكن رؤية الأموات في المنام ؟

لا يوجد مانع عقلي أو شرعي يمنع من أن تلتقي أرواح الناس حال النوم بأرواح الذين انتقلوا من هذه الدار وارتحلوا ، فإنَّ النوم ضرب من الموت ، ولكنه موت أصغر ، وفيه يتوفى الله أرواح العباد ، فتخرج عن حجاب الدنيا وحجاب البدن والتعلق بالمادة وقيودها ، ويترتب على ذلك إمكان الرؤية واللقاء ، وقد نقل بعض الأعلام (رضوان الله عليهم) أعمالاً إذا قام بها المؤمن المشتاق لرؤية أحبته الموتى تفضل الله عليه بذلك إذا توفرت شروط الاستجابة ، ونقل بعضها هنا ، ولا مانع أن يأتي بها المؤمن رجاءً :

١ - قال العلامة المجلسي ^(٢) : « إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَرَى مَيِّتَكَ فَبِتْ عَلَى طَهْرٍ ، وَانْضَجْ عَلَى يَمِينِكَ ، وَسَبِّحْ تَسْبِيحَ فَاطِمَةَ عليها السلام ، ثُمَّ قُلْ : اللَّهُمَّ أَنْتَ الْحَدُّ الَّذِي لَا يُوصَفُ وَالْإِيمَانُ يُعْرَفُ مِنْهُ ، مِنْكَ بَدَتْ الْأَشْيَاءُ ، وَإِلَيْكَ تَعُودُ ، فَمَا أَقْبَلَ مِنْهَا كُنْتُ مَلْجَأَهُ وَمَنْجَاهُ ، وَمَا أَدْبَرَ مِنْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مَلْجَأٌ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ، فَاسْأَلْكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، وَاسْأَلْكَ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَبِحَقِّ مُحَمَّدٍ سَيِّدِ النَّبِيِّينَ ، وَبِحَقِّ عَلِيِّ خَيْرِ الْوَصِيِّينَ ، وَبِحَقِّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ، وَبِحَقِّ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ اللَّذَيْنِ جَعَلْتَهُمَا سَيِّدَيِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، عَلَيْهِمُ أَجْمَعِينَ السَّلَامُ ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ

(١) من لا يحضره الفقيه : ١ : ١٨٣ ، الحديث ٥٥٤ .

(٢) بحار الأنوار : ٧٣ : ٢١٥ .

مُحَمَّدٍ ، وَأَهْلَ بَيْتِهِ ، وَأَنْ تُرِيَنِي مَيِّتِي فِي الْحَالِ الَّتِي هُوَ فِيهَا ، فَإِنَّكَ تَرَاهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

٢ - قال الكفعمي رحمته الله في المصباح ^(١) : « رَأَيْتُ بِحَظِّ الشَّهِيدِ رحمته الله أَنَّهُ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَرَى مَا يَشَاءُ فِي نَوْمِهِ فَلْيُضْطَجِعْ عَلَى جَانِبِهِ الْأَيْمَنِ ، وَيَقْرَأْ : الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ وَالْجَحْدُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُمَّ ارْنِي فِي مَنَامِي كَذَا ، وَاجْعَلْ لِي مِنْ أَمْرِي فَرْجًا وَمَخْرَجًا ، لَيْلَةً ، وَإِلَّا فَثَلَاثَ لَيَالٍ ، وَآكُدْهُ سَبْعٌ ، فَإِنَّهُ يَرَى إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَا يُرِيدُ » .

وفي البحار : ٥٣ : ٣٢٩ : « قال الشيخ الطوسي في مصباحه ^(٢) : « وَمَنْ أَرَادَ رُؤْيَا مَيِّتِهِ فِي مَنَامِهِ فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يُوصَفُ ، وَالْإِيمَانُ يُعْرَفُ مِنْهُ ، مِنْكَ بَدَتْ الْأَشْيَاءُ وَإِلَيْكَ تَعُودُ ، مَا أَقْبَلَ مِنْهَا كُنْتَ مَلْجَأَهُ وَمَنْجَاهُ ، وَمَا أَدْبَرَ مِنْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مَلْجَأٌ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ، فَاسْأَلْكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، وَاسْأَلْكَ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَبِحَقِّ حَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سَيِّدِ النَّبِيِّينَ ، وَبِحَقِّ عَلِيِّ خَيْرِ الْوَصِيِّينَ ، وَبِحَقِّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ، وَبِحَقِّ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ اللَّذَيْنِ جَعَلَتْهُمَا سَيِّدَيَّ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ السَّلَامُ ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، وَأَنْ تُرِيَنِي مَيِّتِي فِي الْحَالِ الَّتِي هُوَ فِيهَا ، فَإِنَّكَ تَرَاهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى » .

٣ - وفي البحار ^(٣) أيضاً : « في الجنة الواقعة للشيخ إبراهيم الكفعمي ^(٤) : وَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ كُتُبِ أَصْحَابِنَا : أَنَّهُ مَنْ أَرَادَ رُؤْيَا أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَئِمَّةِ عليهم السلام ، أَوْ النَّاسِ ، أَوْ الْوَالِدَيْنِ ، فِي نَوْمِهِ ، فَلْيَقْرَأْ : الشَّمْسُ ، وَاللَّيْلُ ، وَالْقَدَرُ ، وَالْجَحْدُ ، وَالْإِخْلَاصُ ، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ ، ثُمَّ يَقْرَأْ الْإِخْلَاصَ مِثَّةَ مَرَّةٍ ، وَيُصَلِّيَ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ مِائَةً ، وَيَنَامُ

(١) المصباح : ٤٨ .

(٢) مصباح المتعجب : ١ : ١٢٢ و ١٢٣ .

(٣) بحار الأنوار : ٥٣ : ٣٢٨ و ٣٢٩ .

(٤) مصباح الكفعمي : ٤٨ و ٤٩ .

عَلَى الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ عَلَى وَضُوئِهِ ، فَإِنَّهُ يَرَى مَنْ يُرِيدُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَيَكَلِّمُهُمْ بِمَا يُرِيدُ
مِنْ سُؤَالٍ وَجَوَابٍ .

الحياة البرزخية

السؤال:

سمعت مقطع للمفكر الإسلامي يفسّر القرآن ، ويستدلّ بأدلة أنّ بعد الموت لا يوجد حياة في القبر ، فالأموات الآن في رقود إلى يوم القيامة ، أي أنّه لا يوجد ما يسمّى بعذاب القبر ، ويستدلّ بآيات كثير منها في سورة يس قول الكفار: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾^(١) ، هل فعلاً حياة البرزخ هي نوم وسبات إلى يوم القيامة ؟

الجواب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين ،

والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين

وعليكم السلام أخي الكريم ورحمة الله وبركاته ، لكي يتّضح جواب سؤالكم أتحدّث في مقامين :

المقام الأوّل

في إثبات الحياة البرزخية وعذابها

ويدلّ على ذلك آيات القرآن الكريم ، والروايات المتواترة في كتب الشيعة

(أعزّهم الله ، وأنار برهانهم) وكتب المخالفين .

أما آيات القرآن الكريم فكثيرة منها :

● قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (١) .

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢) .

فإن إثبات الحياة لهم وإثبات الرزق والفرح والبشرى يدل على أن البرزخي ليس في حالة نوم وسبات .

● قوله تعالى في قوم فرعون : ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (٣) ، فإن العرض قبل أن تقوم الساعة وليس إلا في البرزخ .

● قوله تعالى : ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ (٤) .

● ما دل على خطاب نبي الله صالح وشعيب عليهما السلام لأقوامهم الهالكين قال تعالى : ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ (٥) ، فلو كانوا في حالة سبات أو نوم لم يكن معنى لخطابهم .

(١) البقرة ٢ : ١٥٤ .

(٢) آل عمران ٣ : ١٦٩ و ١٧٠ .

(٣) غافر ٤٠ : ٤٦ .

(٤) محمد صلى الله عليه وآله ٤٧ : ٢٧ .

(٥) الأعراف ٧ : ٩٣ .

● ما دلّ على أمر النبي بسؤال الأنبياء السابقين ، قال تعالى : ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ (١).

وأما من الروايات :

فمن روايات العامة رواية قليب بدر المشهورة وخطاب النبي ﷺ للمشركين بعد هلاكهم وقوله : « وَمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَنْ تَأْخُذَهُمُ الْمَلَائِكَةُ بِمَقَامِعِ الْحَدِيدِ إِلَّا أَنْ أُعْرِضَ بِوَجْهِهِ هَكَذَا عَنْهُمْ » (٢).

وروايات السلام على النبي ﷺ وردّه للسلام ، وكتاب الروح لابن القيم ينفع في الوقوف على روايات القوم في ذلك ، فراجع .

وأما من روايات الخاصة :

١ - ما عن أبي بصير ، قال : « إِنَّ الْأَرْوَاحَ فِي صِفَةِ الْأَجْسَادِ فِي شَجَرَةٍ فِي الْجَنَّةِ تَعَارَفُ وَتَسَاءَلُ ، فَإِذَا قَدِمَتِ الرُّوحُ عَلَى الْأَرْوَاحِ يَقُولُ : دَعُوهَا ، فَإِنَّهَا قَدْ أَفْلَتَتْ مِنْ هَوْلٍ عَظِيمٍ ، ثُمَّ يَسْأَلُونَهَا مَا فَعَلَ فَلَانٌ وَمَا فَعَلَ فَلَانٌ ، فَإِنْ قَالَتْ لَهُمْ : تَرَكْتُهُ حَيًّا أَرْتَجُوهُ ، وَإِنْ قَالَتْ لَهُمْ : قَدْ هَلَكَ قَالُوا : قَدْ هَوَى هَوَى » (٣).

٢ - ما عن أبي بصير ، قال : « قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ لَفِي شَجَرَةٍ مِنَ الْجَنَّةِ ، يَأْكُلُونَ مِنْ طَعَامِهَا ، وَيَشْرَبُونَ مِنْ شَرَابِهَا ، وَيَقُولُونَ : رَبَّنَا أَقِمِ السَّاعَةَ لَنَا ، وَانْجِزْ لَنَا مَا وَعَدْتَنَا ، وَالْحَقُّ آخِرُنَا بِأَوَّلِنَا » (٤).

٣ - ما ورد عن النبي ﷺ من قوله : « الْقَبْرِ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، أَوْ حُفْرَةٌ

(١) الزخرف ٤٣ : ٤٥ .

(٢) بحار الأنوار : ٦ : ٢٥٤ و ٢٥٥ .

(٣) الكافي : ٣ : ٢٤٤ ، الحديث ٣ .

(٤) المصدر المتقدم ، الحديث ٢ .

مِنْ حُفْرِ النَّارِ»^(١).

٤ - ما عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، عَنْ أَزْوَاجِ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: فِي حُجَرَاتٍ فِي الْجَنَّةِ، يَأْكُلُونَ مِنْ طَعَامِهَا، وَيَشْرَبُونَ مِنْ شَرَابِهَا، وَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَقِمِ السَّاعَةَ لَنَا، وَانْجِزْ لَنَا مَا وَعَدْتَنَا، وَالْحَقُّ آخِرَنَا بِأَوَّلِنَا»^(٢).
وهناك روايات تدل على حساب القبر وأنه خاص بجماعة من الموتى وهم من محض الإيمان والكفر، منها: ما رواه أبو بكر الحضرمي، قال: «قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: لَا يُسْأَلُ فِي الْقَبْرِ إِلَّا مَنْ مَحَضَ الْإِيمَانَ مَحْضًا، أَوْ مَحَضَ الْكُفْرَ مَحْضًا، وَالْآخَرُونَ يُلْهَوْنَ عَنْهُمْ»^(٣).

وما رواه عبد الله بن سنان، عن الصادق عليه السلام، قال: «إِنَّمَا يُسْأَلُ فِي قَبْرِهِ مَنْ مَحَضَ الْإِيمَانَ مَحْضًا وَالْكُفْرَ مَحْضًا، وَأَمَّا مَا سِوَى ذَلِكَ فَيُلْهَى عَنْهُمْ»^(٤).
ويظهر من بعض الروايات أن غير من محض الإيمان والكفر من المسلمين لا يكون في حالة نوم وسبات، وإنما يكون في نعيم إذا كان له عمل صالح ولم يظهر البغض.

ففي صحيح ضريس الكناسي، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «قُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، مَا حَالُ الْمُؤَحِّدِينَ الْمُتَقَرِّبِينَ بِبُيُوتَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْمُذْنِبِينَ، الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَلَيْسَ لَهُمْ إِمَامٌ، وَلَا يَعْرِفُونَ وَلَا يَتَكَلَّمُونَ؟ فَقَالَ: أَمَّا هَؤُلَاءِ فَإِنَّهُمْ فِي حُفْرِهِمْ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا، فَمَنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ، وَلَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ عَدَاوَةٌ، فَإِنَّهُ يُخَدُّ لَهُ خَدًّا

(١) الخرائج والجرائح: ١: ١٧٢، الحديث ٢.

(٢) الكافي: ٣: ٢٤٤، الحديث ٤.

(٣) الكافي: ٣: ٢٣٥، الحديث ١.

(٤) الكافي: ٣: ٢٣٥، الحديث ٢.

إِلَى الْجَنَّةِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ بِالْمَغْرِبِ ، فَيَدْخُلُ عَلَيْهِ الرُّوحُ فِي حُفْرَتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ،
حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ فَيَحَاسِبُهُ بِحَسَنَاتِهِ وَسَيِّئَاتِهِ ، فَمَا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّمَا إِلَى النَّارِ ، فَهَؤُلَاءِ
الْمَوْقُوفُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ .

قَالَ : وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ بِالْمُسْتَضْعَفِينَ وَالْبُلَهَ وَالْأَطْفَالَ وَأَوْلَادِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَمْ
يَبْلُغُوا الْحُلُمَ ، وَأَمَّا النَّصَابُ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ ، فَإِنَّهُمْ يُخَدُّ لَهُمْ خَدًّا إِلَى النَّارِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ
فِي الْمَشْرِقِ ، فَيَدْخُلُ عَلَيْهِمُ اللَّهَبُ وَالشَّرَرُ والدُّخَانُ وَفُورَةُ الْحَمِيمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ،
ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ مَصِيرُهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ» (١) .

وهذه الرواية تنفع لتحديد المراد من « فَيُلْهَى عَنْهُمْ » الوارد في الروايات
المتقدمة ، فليس المقصود منه أنهم في حالة سبات ، وإنما المقصود أنهم
لا يحاسبون ، وإنما يكون لمن عمل منهم صالحاً ، ولم تظهر منه عداوة نعيم إلى
قيام الساعة ، وهذا المقدار كافٍ لإثبات الحياة البرزخية ، وأنه ليس كل من
فيها يكون في حالة نوم وسبات إلى يوم القيامة .

المقام الثاني

في دفع شبهة نفي القرآن للحياة البرزخية

أو إثبات السبات لأهلها

فقد تَمَسَّكَ لذلك بعدة آيات منها :

● ﴿وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَوْنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً
أَوْ حَدِيدًا * أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ

(١) تفسير القمّي : ٢٦٠ و ٢٦١ .

مَرَّةً فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً * يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١﴾ .

● ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَأَلَ الْعَادِينَ * قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢) .

● ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا * يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا * نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ (٣) .

● ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ (٤) .

ووجه دلالة هذه الآيات على نفي الحياة بعد الموت ، أو ثبوتها وسبات أهلها الى يوم القيامة ، هو ظن المجرمين قصر مدة المكث ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ؛ إذ لو كانوا يشعرون ويتعذّبون لأحسّوا بطول المدة ، وبطء حركة الزمن .

وهذا الفهم غير دقيق مع ملاحظة الأدلة القطعية السابقة على ثبوت الحياة البرزخية وعدم سبات المجرمين فيها ، والصحيح أن يقال بأن مقتضى ملاحظة جميع آيات القرآن والروايات الواردة في المقام هو أن هذه الآيات ناظرة إلى فترة ما بعد الحياة البرزخية وقيام الساعة ، وهي ما بين النفختين يقول عز وجل :

(١) الإسراء ١٧ : ٤٩ : ٥٢ .

(٢) المؤمنون ٢٣ : ١١٢ - ١١٤ .

(٣) طه ٢٠ : ١٠٢ - ١٠٤ .

(٤) الروم ٣٠ : ٥٥ - ٥٧ .

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾^(١)، فإنَّ المجرمين بعد النفخة الثانية يتساءلون عن مدّة المكث ويظنونها قليلة .

فهناك موت - إن صحَّ التعبير - يتعقَّب الحياة البرزخيّة كالموت الذي يتعقَّب الحياة الدنيا ، وبعد هذا الموت لا يوجد عالم متوسِّط قبل يوم القيامة ، فإذا عادت الحياة متمثلة في حياة الآخرة ، يظنُّ المبعوثون قصر مدّة الموت الثاني ، والله العالم .

(١) الزمر ٣٩ : ٦٨ .

الفصل التاسع عشر

حواريّات

أسئلة الجلسة الحوارية لسنة ١٤٣٨هـ

أجوبة سماحة الشيخ حيدر السندي (حفظه الله)

الأسئلة الفقهية

السؤال الأول: من يجمع المال لبنى بيتاً ، أو يشتري سيارة ، ويحول الحول على المال ، ووضع الاقتصادي لا يساعده على غير هذه الطريقة ، هل يوجد له مخرج على رأي السيدين (الخوئي والسيستاني * في سقوط الخمس ؟
الجواب: لا يوجد مخرج .

السؤال الثاني: لا يجوز استقبال القبلة حال التخلي ، فما هو الحكم في حالة عدم إمكان تشخيص جهة القبلة ، كما في الحمامات العمومية أعزكم الله ؟
الجواب: السيد السيستاني (حفظه الله) يقول : على الأحوط وجوباً لا يجوز استقبال واستدبار القبلة حال التخلي ، وإذا اشتبهت القبلة على الأحوط وجوباً لا بد من البحث وعدم التخلي إلى أن يحصل العلم بالقبلة ، أو يكون ترك التخلي حرجياً أو ضرورياً .

السؤال الثالث: هل خروج المرأة للعمل ينقص من عفتها ؟

الجواب: لا شك أن الشارع يهتم بعفاف المرأة ، ويدعو إلى المبالغة فيه ، ويرى أن المرأة وإن تعددت وظائفها إلا أن الأفضل لها أن تراعي العفة وتتمام الحشمة ، وهذا يقتضي تقليص بروزها أمام الرجال ، غير أن خروج المرأة للعمل

أو الحجّ والزيارة إذا كان مع الالتزام بالحجاب والوظائف الشرعيّة لا ينافي العفّة .

السؤال الرابع: كثر الحديث عن أصل وجود الخمس ، وأنه حكم خاصّ بعصر ، ولهذا لم يكرّر في القرآن إلا مرة واحدة بخلاف الزكاة متكرّرة ؟

الجواب: من جهتين :

الأولى: أصل وجوب الخمس موجود في القرآن في آية ، ويكفي هذا في فرضه ولا حاجة للتعدّد ، وتوجد روايات كثيرة على وجوب الخمس ، والمرجع في دلالة القرآن والروايات على وجوب الخمس كحكم كليّ أو خاصّ بظرف معيّن رأي الفقيه الجامع للشرائط الذي يتعيّن تقليده ، فإنّ المكلف إمّا يحتاط ويدفع الخمس ، أو يجتهد ويعمل برأيه ، أو يقلّد ، وقد أثّرت على وجوب الخمس عدّة إشكالات والعلماء أجابوا عنها في بحوث مفصّلة .

الثانية: ليس المقصود بالزكاة في جميع آيات القرآن الزكاة الفقهية المعروفة ، بل مطلق العطاء الماليّ ، ولهذا قال تعالى في إعطاء الأمير عليه السلام للخاتم: **﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾** ^(١) ، فتكرّر الزكاة شامل للخمس في بعض مواردّها إذا ثبت أنّ الخمس من العطاء الذي أمر به الله تعالى .

السؤال الخامس: هل يحقّ للزوج منع زوجته من الذهاب لزيارة الحسين عليه السلام ؟

الجواب: لا يجوز للزوجة الخروج من بيت زوجها بدون إذنه إذا كان ينافي حقّه ، وإذا كان لا ينافي لا يجوز على الأحوط عند السيّد الخوئي ، وفتوى عند السيّد السيستاني .

الأسئلة التي ترتبط بالعقيدة والمعارف

السؤال الأول: إذا كان لا بدّ من وجود غنيّ ، فما المانع من تعدّد الأغنياء ؟

الجواب: ذكر العلماء أدلة متعدّدة :

منها: دليل الفرجة الموجود في الروايات ، وهو لزوم ذهاب الحقائق إلى ما لا نهاية ؛ لأنّه لو كان هناك اثنان فلا بدّ من مائز بينهما ، وإلاّ كانا واحداً ، وإذا كانا قديمين فالمائز قديم ، والثلاثة يميّز بينهما اثنان ، فيكون المجموع خمسة ، وهكذا إلى ما لا نهاية .

ومنها: الاستدلال بوحدة النظام الموجود في قوله تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(١) .

ومنها: لزوم التركّب من جهة الامتياز والافتراق ، والواجب لا يكون مركّباً .

السؤال الثاني: هل نحتاج إلى دليل معقّد يعتمد على بحوث فلسفيّة لا يفهمه إلاّ الخواصّ حتّى نعتقد بالله ؟

الجواب: لا نحتاج ، فالبعرة تدلّ على البعير ، والأثر يدلّ على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، لا يدلّان على اللطيف الخبير ! نعم ، قد تثار الشبهات حول الأدلة الفطريّة الواضحة ، وهنا نحتاج إلى الدقّة لدفعها .

السؤال الثالث: هل كلّ نبيّ خليفة وعنده ولاية تكوينيّة مطلقة ؟

الجواب: نعم ، هو خليفة لا أقلّ في تبليغ الوحي وهداية الناس ، وله ولاية تكوينيّة بحسب رتبته ؛ لأنّ الولاية مراتب ، ولهذا ورد في عدّة روايات تفاوت الأنبياء في عدد حروف الاسم الأعظم ، ففي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام : « إِنَّ

(١) الأنبياء ٢١ : ٢٢ .

عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أُعْطِيَ حَرْفَيْنِ كَانَ يَعْمَلُ بِهِمَا ، وَأُعْطِيَ مُوسَى أَرْبَعَةَ أَحْرَفٍ ، وَأُعْطِيَ إِبْرَاهِيمَ ثَمَانِيَةَ أَحْرَفٍ ، وَأُعْطِيَ نُوحٌ خَمْسَةَ عَشَرَ حَرْفًا ، وَأُعْطِيَ آدَمُ خَمْسَةَ وَعِشْرِينَ حَرْفًا ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَمَعَ ذَلِكَ كُلَّهُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ ، وَإِنَّ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمَ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ حَرْفًا ، أُعْطِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ حَرْفًا ، وَحُجِبَ عَنْهُ حَرْفٌ وَاحِدٌ^(١).

السؤال الرابع: نحن نعتقد أنَّ الأئمة أفضل من الأنبياء ، فكيف يكون ذلك والأنبياء تميّزوا بالنبوة عليهم ؟

الجواب: الأفضليّة تدور مدار مقدار القرب من الله ، والعلم ، والقدرة ، والإخلاص ، الذي تتفاوت بتفاوتة الحسنات على العمل ، وهم في ذلك أفضل من الأنبياء ، إلا النبيّ الخاتم فهو أفضل من الكلّ في الكلّ ، وأمّا النبوة فهو منصب تلقّى الوحي وتبليغه ، وهذه وظيفة يجعلها الله لمن تكون هناك مصلحة في جعله نبياً ، والأئمة مع وجدانهم لكمالات الأنبياء بصورة أتمّ لم تكن مصلحة في جعلهم أنبياء بعد النبيّ الخاتم ﷺ .

السؤال الخامس: ما هو الطريق الأفضل لتأصيل العقيدة ، وما هي الكتب التي تنصحون بها ؟

الجواب: أفضل طريقة هي التي تجمع الأمور التالية :

- ١ - الدخول في دورة عقائديّة عند أستاذ قدير يُرعى فيها التدرّج في مستوى الفهم .
- ٢ - متابعة الأسئلة العقديّة والشبهات التي تثار حول العقيدة بالرجوع إلى المختصّين .
- ٣ - الاستماع إلى محاضرات المتمكّنين من أبحاث العقيدة التي تتناول

(١) الكافي : ١ : ٢٣٠ ، الحديث ٢ .

موضوعات العقيدة بشكل مستقل؛ لأنها تعكس خلاصة جهد المحاضر.

٤ - قراءة أجوبة العلماء على المسائل العقديّة.

السؤال السادس: كيف ندخل بقيّة المعصومين في حديث أهل البيت عليهم السلام مع أنّ حديث الكساء يقول: «إِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي»، وبالتالي كيف نُشْمَلُ آية التطهير لكل المعصومين؟

الجواب: الحصر الموجود في حديث الكساء حصر إضافي لا مطلق؛ وذلك لأنّ نفس المعصومين الخمسة نصّوا على دخول سائر المعصومين في آية التطهير، وتوجد قرائن كثيرة على ذلك:

منها: أنّ حديث الثقلين، قال: «لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»، فإنّ هذه العبارة تدلّ على أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله ترك في الأمة اثنين باقيا في الأمة لا يفترقان، فلو كان المقصود خصوص الخمسة للزم الافتراق.

السؤال السابع: لماذا خلق الله الملائكة مع أنّه قادر على فعل أفعالها مباشرة؟

الجواب: الجواب من جهتين:

الأولى: الله تعالى خلق الخلق لحكمة وهي معرفته، الفلاسفة يقولون من أحبّ شيئاً أحبّ ظهوره وآثاره، وحبّ ظهور الكمال كمال.

الثانية: هناك بحث في أنّ الترتّب السببيّ الموجود في الكون هل على نحو الإمكان أو اللزوم، فالبعض يقول: ليس ممكناً خلق الكون بدون أسباب لأنّ بعض الموجودات لا تقبل الفيض من الله مباشرة لقصور فيها، ولهذا أقام الله العالم وفق الأسباب والمدبّرات.

السؤال الثامن: البعض يطرح المرجعيّة المحليّة لأنها أقدر على تلبية الحاجات

الخاصّة بمجتمعنا، فما رأيك؟

الجواب: المدار في المرجعية الشيعية مدار الكفاءة لا الجغرافيا، فالأجر هو المرجع ولو كان في كندا، وأما مسألة تلبيات الحاجات الاجتماعية الخاصة فهذه يمكن من خلال الوكلاء المحليين الموثوقين، وتطور وسائل الاتصال، معالجتها.

الأسئلة الفكرية العامة

السؤال الأول: ما هي أسباب انتشار الإلحاد؟

الجواب: الأسباب كثيرة جداً، بعضها عاطفية نفسية، وبعضها غرائزية شهوية، وبعضها معرفية بسبب الجهل أو التأثير بالشبه، وبعضها سببه الطرح الهزيل من بعض المتصدين للدفاع عن الدين، غير أن الإعلام يساهم في ترويج الإلحاد بتضخيمه وتقديمه كظاهرة مع أنه في كل سكان العالم لا يتجاوز ١٦ ٪، وفي الشرق الأوسط لا يتجاوز ٢ ٪، فينبغي أن نلتفت فعلاً إلى لعبة الإعلام، وكيفية غرس التصورات في أذهان الشعوب لتكييف سلوكياتهم وتوجهها وفق تلك التصورات الوهمية.

السؤال الثاني: ما هو رأي الشيخ في الحقيقة النسبية؟

الجواب: النسبية لها معنيان:

١ - واقعية: بمعنى صحة كل إدراك لتعدد الواقع خارجاً حقيقة بنحو عرضي، وهذه باطلة لأن الواقع واحد لا تعدد فيه. نعم، قد يكون للواقع الواحد مراتب وجهات، فيعلم شخص بجهة ويعلم شخص آخر بجهة أخرى، وهذا مقبول كما في العلم بكيفية نزول الوحي بالملك، فقد يعلم شخص أنه بواسطة ملك ويعلم شخص آخر أن هذا الملك جبريل، ويعلم ثالث حقيقة جبريل وأنه بالوصف الفلاني، هنا المعرفة لشيء واحد لا تعدد فيه ولكن له جهات، فاختلف العلم إجمالاً وتفصيلاً لاختلاف النسبة إلى كل عالم.

٢- الإدراكية : بمعنى أنه لا يمكن أن يتفق الناس على إدراك واحد ، وهذه باطلة ، والبحث فيها مفصل في كتب نظرية المعرفة ، فما أكثر القضايا التي يتفق عليها الناس . نعم ، اختلاف إدراك الناس للشيء الواحد بسبب تفاوتهم في شروط الإدراك مقبول ، ولكن إذا وجدت الشروط الإدراكية فإن الإدراك سوف يكون واحداً .

السؤال الثالث : هل الخلاف الشيعي - الشيعي خلاف حقيقي ؟ وما الفرق بيننا وبين المخالفين ؟ ولماذا الاختلاف في الفتاوى ومن نتبع ؟

الجواب : المذهب الإمامي يمتاز بالوضوح في أصول العقيدة ، ولهذا الشيعة يمتازون في أصول العقائد بعدم وجود خلاف . نعم ، يوجد خلاف في تفاصيل المعارف التي لا يجب فيها اعتقاد ولا عمل ، وبالتالي لا تقليد فيها ، ويوجد خلاف في تفاصيل الأبواب الفقهية ، والمرجع في الخلاف الفقهي هو الفقيه الأعلم وفق شروط خاصة مقررة في باب التقليد .

والاختلاف في الفتاوى سببه تأثر الفتوى بمقدمات وقواعد متعددة أدلتها ليست بديهية ، بل قابلة للاختلاف ، مثلاً : هناك روايات بعض رواتها لم يوثقوا ، ولكن هم شيوخ إجازة يقصدهم الرواة لأخذ إجازة لنقل ما في كتبهم من روايات ، أو ما يحدثون به من أخبار ، بعض العلماء يقول : شيخوخة الإجازة تثبت الوثاقة ، على هذا المبنى تكون الروايات التي فيها شيوخ الإجازة معتبرة ، ويفتي الفقيه على ضوئها ، والبعض الآخر - كالسيد الخوئي رحمته الله - يقول : شيخوخة الإجازة لا تدل على الوثاقة ، وعلى هذه المبنى لا تكون الروايات حجة ، ولا يمكن الحكم على وفقها . وأما المخالفون فهم منقسمون في العقيدة إلى حشوية سلفية ومعتزلية وأشعرية يحكم بعضهم بضلال البعض الآخر ، ولاحظ التفاوت الكبير فيما يسمونه بالصفات الخبرية ، ففي قوله تعالى : ﴿يَدُ اللَّهِ﴾ ^(١) هم بين مجسم ومشبه وبين منزه .

(١) المائدة ٥ : ٦٤ . الفتح ٤٨ : ١٠ .

السؤال الثالث: ذكرت أن من قال بالتجربة النبوية استشهد بشواهد، منها أن القرآن ذكر حيوانات من محيط النبي فقط، مع أن في القرآن ذكر الخنزير وليس من محيط النبي.

الجواب: الخنزير كان معروفاً مأنوساً في الجزيرة العربية، وذلك لتواجده في محيطها القريب كالعراق والشام، وأيضاً لتحريمه في كتب اليهود، وكانوا متواجدين في جزيرة العرب.

السؤال الرابع: في بعض الفضائيات تهجم على العلماء واتهامهم بأنهم ضعفوا الروايات، ويأخذون من اليونان والصوفية عقائدهم، كيف نتعامل مع هذه الفضائيات؟

الجواب: ينبغي الحذر من هؤلاء، فإن قوة المذهب في التمسك بالمرجعية والعلماء، وقد أرجع الأئمة إليهم في الحوادث الواقعة، وفي أخذ الفتوى والقضاء، ولأن هذه المرجعية محكومة بنظام دقيق لا يخترق، مبني على المؤهلات الشرعية والضوابط العلمية، استطاع المذهب أن يستمر رغم التحديات العظيمة التي عصفت بعدة مذاهب وجعلتها تنقرض، أو لا يبقى منها إلا الاسم، وهناك محاولات حثيثة للفصل بين الشيعة والمرجعية والعلماء ليسهل حرفهم عن مسارهم، بعض هذه المحاولات من قوى خارجية، وبعضها من جهات متعنونة بعنوان التشيع، ولكن لها توجهها الخاص المنحرف، أو بساطتها وسذاجتها، تدعوها باسم الدين إلى طعن الدين، وقد قال الإمام علي عليه السلام: «إِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْأَحْمَقِ، فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرَّكَ»^(١)

(١) نهج البلاغة: ٤٧٥، قصار الجمل: ٣٨.

الأسئلة التفسيرية

السؤال الأول : ما هو تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا وَابْتَغَ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾^(١) ؟

الجواب : كأن السائل يريد أن يقول بأنه لا واسطة بين الجهر والإخفات ، فكيف تقول الآية لا تجهر ولا تخافت ؟ والجواب هو أن المقصود هنا بالجهر فرد خاص مكنه ، وهو رفع الصوت شديداً كالصراخ ، ففي موثق سماعة : « سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا﴾ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الْمَخَافَةُ مَا دُونَ سَمْعِكَ وَالْجَهْرُ أَنْ تَرْفَعَ صَوْتَكَ شَدِيداً »^(٢).

وفي صحيح ابن سنان : « عَلَى الْإِمَامِ أَنْ يُسْمِعَ مَنْ خَلْفَهُ وَإِنْ كَثُرُوا ؟ فَقَالَ : لِيَقْرَأَ قِرَاءَةً وَسَطًا ، يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا﴾ »^(٣).

السؤال الثاني : هل يوجد تناقض بين قوله تعالى : ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾^(٤) وقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾^(٥) ، حيث تدل الأولى على علمه بالكتابة ، والثانية تنفيه ؟

الجواب : من جهتين :

الجهة الأولى : لو قلنا معنى الأمي ما يحسن القراءة والكتابة لا يوجد تنافي ؛ لأن بينهما عموم وخصوص مطلق ، لدينا مطلق ولدينا مقيد ، والعقلاء لا يحكمون

(١) الإسراء ١٧ : ١١٠ .

(٢) وسائل الشيعة : ٦ : ٩٦ ، الباب ٣٣ من أبواب القراءة ، الحديث ٢ .

(٣) الكافي : ٣ : ٣١٧ ، الحديث ٢٧ .

(٤) النساء ٤ : ١١٣ .

(٥) الأعراف ٧ : ١٥٧ .

بالتنافي بينهما وإنما يقيدان المطلق .

الجهة الثانية: لم يثبت أن معنى الأُمِّي ما لا يحسن القراءة والكتابة بدليل قطعي معتبر ، بل في المراد منها احتمالات ذكرها المفسرون وغيرهم ، ومع عدم الجزم بمعنى الأُمِّي لا يمكن أن نجعل الآية الثانية معارضة ولا مقيدة .

الأسئلة التي ترتبط بالنهضة الحسينية والشعائر

السؤال الأول: ورد في الرواية عن عبد السلام بن صالح الهروي ، قال : « سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ : رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا . فَقُلْتُ لَهُ : وَكَيْفَ يُحْيِي أَمْرَكُمْ ؟ قَالَ : يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ ، فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَا تَبْعُونَا »^(١) .

على ضوء هذه الرواية كيف يمكن أن يكون النعي وذكر المصيبة إحياء لأمرهم ؟
الجواب: مفهوم إحياء أمرهم : مفهوم عام ينطبق على كل فعل يساهم في تثبيت ونشر إمامتهم ، والهدي الذي قدموه للناس ، ويجعلهم ماثلين أمام الناس كقدوة يسعى الناس للاقتداء بهديهم ، وذلك له مصاديق ، منها تعلّم علومهم وتعليمها ، ومنها ذكر مصائبهم ، وبيان تضحياتهم ، وشدّ الناس بتعاليمهم من خلال الشعائر المختلفة ومنها شعائر الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ومنها بذل المال في طبع الكتب ، وإن شاء المؤسسات التثقيفية .

وجوابه عن سؤال كيفية الإحياء بقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : « يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ ، فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَا تَبْعُونَا » في مقام ذكر المثل لا الحصر ، ويدلّ على ذلك شواهد منها :

(١) عيون أخبار الرضا : ١ : ٣٠٧ ، الحديث ٦٩ .

١ - ما في الرواية نفسها من قول الإمام عليه السلام : « فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَا تَبِعُونَا » ، فإنه تعليل لكون التعلم والتعليم إحياء ، وهذا يعني مطلوبة كل فعل ينتج اتباع الناس لهم لأنه إحياء لأمرهم ، ومنها الشعائر .

٢ - ما دلّ على أن الجلوس لذكرهم ، والبكاء عليهم ، من إحياء الأمر :
منها : قول الصادق عليه السلام لفضيل : « تَجْلِسُونَ وَتَتَحَدَّثُونَ ؟ قَالَ : قُلْتُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، نَعَمْ .

قَالَ : إِنَّ تِلْكَ الْمَجَالِسَ أُحِبُّهَا ، فَأَحْبَبُوا أَمْرَنَا ، إِنَّهُ مِنْ ذَكَرْنَا وَذُكِّرْنَا عِنْدَهُ ، فَخَرَجَ مِنْ عَيْنِهِ مِثْلُ جَنَاحِ الدُّبَابَةِ ، غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ وَلَوْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ الْبَحْرِ » ^(١) .

السؤال الثاني : بما أن صوت المرأة عورة ، فكيف تحدثت زينب عليها السلام مع ابن زياد ؟

الجواب : صوتها ليس عورة عند الأعلام المعاصرين بمعنى أنه لا يحرم على المرأة أن تتكلم مع الأجنبي ، وإنما يحرم الميوعة والخضوع بالقول معه ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ ، والصديقة كانت في مقام الدفاع عن الدين ، تفرغ عن لسان والدها وأُمّها التي ترون خطبتها في مسامع الدهر جيلاً بعد جيل ، فكلامها كان جهاداً من أعظم القربات إلى الله تعالى .

السؤال الثالث : ما معنى أجرك على الحسين عليه السلام ؟

الجواب : هذه من الألفاظ الدارجة بين الناس ، لعل المقصود أن الإمام يقابله بدل خدمته والبكاء عليه بالشفاعة ، أو يهديه بعض ما يعطيه الله في يوم القيامة .

السؤال الرابع : لماذا لا يوجد في الحوزات العلميّة مؤسّسات لتخريج الخطباء

(١) ثواب الأعمال : ١٨٨ .

وتثقيفهم، والإشراف على خطابتهم؟

الجواب: الحوزة مؤسسة تعليمية وظيفتها إعداد العلماء والمبشرين، ومنهم الخطباء، وذلك بتدريس المناهج التي يحتاجها المتخصصون والمبشرون. نعم، ينبغي أن يكون هناك تنسيق بين الحوزة والفاعلين في المجتمع لإيجاد مثل هذه المؤسسات إن أمكن، أو إيجاد فاعليتها بالاستشارة، وتقديم المقترحات، ونشر الوعي، العالم اليوم هو عالم المؤسسات والعشوائية لا تنتج النتائج المطلوب، التبليغ ملف عظيم جداً يرتبط بالخطباء، وأئمة المساجد، وأساتذة الدورات الصيفية، والرحلات التبليغية، والكتّاب المبيّنين للعقيدة وخلفيات القانون الشرعي، والمدافعين عن الدين والشرع بردّ الشبهات، فهو أوسع من الخطباء، ويحتاج دراسة جادة.

السؤال الخامس: ما الكتب التي تنصحون بقراءتها عن سيرة المعصومين (عليه السلام)، خصوصاً سيّد الشهداء؟

الجواب: هناك كتب كثيرة جداً وفي مقدمتها كتب السيّد جعفر العاملي والشيخ القرشي وكتاب أسد حيدر الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، وكتاب أعلام الهداية إنتاج المجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام).

السؤال السادس: هل الإمام طلب الماء للرضيع، أو هذه من وضع الأعداء؟

الجواب: لا يمكن الجزم بأن رواية طلب الماء للرضيع موضوعة، وهي موجودة ورواها القندوزي في ينابيع المودة^(١)، والاسفرائيني في نور العين^(٢)، وابن الجوزي في تذكرة الحفاظ^(٣)، وما تقتضيه طبيعة الأمور أن يتحرك الأب الرحيم المسترّع

(١) ينابيع المودة: ٣: ٧٨.

(٢) نور العين: ٤٥.

(٣) تذكرة الحفاظ: ٢٢٧.

لإنقاذ ولده المشرف على الهلكة من العطش لتحصيل الماء ، فإنقاذه وظيفة شرعية ، كما أنّ طلب الماء فيه إبراز للوجه القبيح الأموي ، وإظهار للجانب المأساوي في مصائب أهل البيت عليه السلام ، وهذا من الأغراض العقلانية المقصودة لسيد الشهداء عليه السلام كما هو جلي لمن عنده أدنى ثقافة في النهضة الحسينية .

السؤال السابع: هل خرج الحسين عليه السلام من المدينة ليلاً خائفاً ، قد يقال هذا غير صحيح ، فهو لا يخاف وقد خرج في الطريق الأعظم ؟

الجواب: بالنسبة إلى الخروج الليلي فتكاد تجمع عليه المصادر التاريخية ، وفي بعضها « راحلٌ مُصْبِحاً »^(١) ، ولعله لطلوع الصباح حال سيره لتأخر خروجه إلى آخر أجزاء الليل .

ونحن لا نعرف الداعي هل استباق الأحداث قبل منع الولاة مع أنه أخبر بالخروج قبل ذلك ، أو من أجل ستر العيال ، أو لكي لا يقتل غيلة . وبخصوص الخوف : يمكن أن نذكر أمرين :

الأول: أن هناك شواهد على خوفه عليه السلام ، فالروايات بيّنت أنه كان يخاف أن يقتل في البيت فيهلك بقتله ، وبيّنت أنه حال خروجه كان يقرأ قوله تعالى : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾^(٢) .

الثاني: الخوف قسمان :

١ - خوف قبيح ، وهو الذي يكون على النفس والأهل والممتلكات بالنحو المانع من القيام بالوظيفة .

٢ - خوف حسن وهو ما يكون محرّكاً نحو العمل بالوظيفة ، كالخوف على الدين

(١) مثير الأحران : ٤١ . بحار الأنوار : ٤٤ : ٣٦٦ . مقتل الحسين للخوارزمي : ٢ : ٥ .

(٢) القصص ٢٨ : ٢١ .

وشرع الله ، وهذا هو خوف الحسين عليه السلام ، فقد كان يخاف أن تفشل نهضته بقتله كما كان يخاف نبي الله موسى أن تفشل دعوته بقتله ، ولهذا كان يكرّر الإمام الآية التي تتحدث عن خوف قتل نبي الله موسى عليه السلام **﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾** ولو كان في هذا الخوف مطلقاً قبحاً وضعفاً للزم نسبة القبح إلى نبي من أولي العزم .

السؤال الثامن: كيف يبكي الإمام في المعركة ، وكذلك زينب ، أليس هذا من الضعف ؟

الجواب: ليس من الضعف ، بل هي من الفطرة وطبيعة الإنسان الرحيم الرقيق في مشاعره وأحاسيسه ، الحسين عليه السلام ليث في الإقدام لا يتراجع عن الجهاد ولا يعرف الفرّ ، وهو القائل : **« لَا أُعْطِيكُمْ يَدَيِ إعْطَاءِ الدَّلِيلِ ، وَلَا أُفَرُّ فِرَارَ الْعَبِيدِ »** ، ولكن أيّ قلب لا يذوب حزناً في المواقف العصبية والأليمة التي عايشها عليه السلام هي والله تهدّ الجبال لما تحتويه من مأساة ومعاناة ، فكان الحسين الأسد المقدام الذي يكرّ ويفتك فتكاً ممزوجاً بدموع الحزن على معاناة الأحبة .

الحمد لله ربّ العالمين

مَصَادِرُ الْكِتَابِ

١. الأحاد والمثاني

الضَّحَّاك (٢٨٧هـ) : تحقيق : باسم فيصل أحمد الجوابرة : دار الدراية للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

٢. الاجتهاد والتقليد

السَّيِّدُ الْخَوَّيْ ، أَبُو الْقَاسِمِ الْمَوْسَوِّي (١٢٧٨ - ١٤١١هـ) : دار أنصاريان للطباعة والنشر - قم المقدَّسة ، الطبعة الثالثة / ١٤١٠هـ .

٣. كتاب الاحتجاج على أهل اللجاج

الطَّبْرَسِيّ ، أَبُو مَنْصُورٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (٥٦٠هـ) : تحقيق : إبراهيم البهادرِيّ و مُحَمَّدٌ هَادِي بِهِ ، الناشر : دار أسوة - قم المقدَّسة ، الطبعة السادسة / ١٤٢٥هـ .

٤. أحكام القرآن

الْجَصَّاصُ ، أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ (٣٥٠ - ٣٧٠هـ) : دار إحياء التراث العربي - بيروت / ١٩٩٢م .

٥. الاختصاص

الْشَّيْخُ الْمَفِيدُ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّعْمَانِ الْعَكْبَرِيِّ الْبَغْدَادِيِّ (٣٣٦ - ٤١٣هـ) : المؤتمر العالميّ لألفيّة الشَّيْخِ الْمَفِيدِ - قم المقدَّسة ، الطبعة الأولى / ١٤١٣هـ .

٦. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد

الْشَّيْخُ الْمَفِيدُ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّعْمَانِ الْعَكْبَرِيِّ الْبَغْدَادِيِّ (٣٣٦ - ٤١٣هـ) : طبع وتحقيق : مؤسَّسة آل البيت (ع) - قم المقدَّسة / ١٤١٦هـ .

٧. الاستيعاب في معرفة الأصحاب

ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد النمري القرطبي الأندلسي
(٣٦٨ - ٤٦٣ هـ) : دار الإسلام - عمان / ٢٠٠٢ م .

٨ . أسس الفلسفة والمذهب الواقعي (أصول الفلسفة الواقعية)

العلامة الطباطبائي ، محمد حسين بن محمد بن علي أصغر (١٣٢١ - ١٤٠٢ هـ) :
مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر - قم المقدسة ، الطبعة الأولى / ١٤٢١ هـ .

٩ . الأسفار الأربعة

الملا صدرا الشيرازي ، صدر الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى (٩٧٩ - ١٠٥٠ هـ) :
دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة الثالثة / ١٩٨١ م .

١٠ . الأصول الأصيلة

الفيض الكاشاني ، محمد محسن بن مرتضى بن محمود (١٠٠٧ - ١٠٩١ هـ) : جامعة
طهران / ١٣٩٠ ش .

١١ . الأصول الستة عشر

عدة محدثين : دار الشبستري للمطبوعات - قم المقدسة ، الطبعة الثانية / ١٤٠٥ هـ /
١٣٦٣ ش .

١٢ . إعلام الوري بأعلام الهدى

الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسن (من أعلام القرن السادس) : مؤسسة
آل البيت للإحياء التراث - قم المقدسة / ١٤١٧ هـ .

١٣ . أعيان الشيعة

الأمين العاملي ، محسن (١٨٦٥ - ١٩٥٢ م) : دار التعارف للمطبوعات - بيروت /
٢٠٠٠ م .

١٤ . إقبال الأعمال

السيد ابن طاووس ، رضي الدين أبي القاسم علي بن بن سعد الدين إبراهيم بن
موسى بن جعفر (٥٨٩ - ٦٤٤ هـ) : تقديم وتعليق : الشيخ حسين الأعلمي ، الناشر :

مؤسسة الأعلمي - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

١٥ . القضاء في الفقه الإسلامي

آية الله الحائري ، كاظم بن علي الحسيني : مجمع الفكر الإسلامي .

١٦ . أمالي الصدوق

الشيخ الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣١١ - ٣٨١هـ) : تحقيق ونشر : قسم الدراسات الإسلامية ، مؤسسة البعثة - قم المقدسة ، الطبعة الأولى / ١٤١٧هـ .

١٧ . الإمامة والتبصرة

والد الشيخ الصدوق (الشيخ علي بن الحسين بن بابويه) (٣٢٩هـ) : تحقيق ونشر : مدرسة الإمام المهدي عليه السلام ، الأولى / ١٤٠٤هـ .

١٨ . إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع

تقي الدين المقرئ ، أحمد بن علي بن عبد القادر (٧٦٦ - ٨٤٥هـ) : تحقيق وتعليق : محمد عبد الحميد النميسي ، منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

١٩ . أنساب الأشراف

البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي (٢٧٩هـ) : تحقيق : د . سهيل زكار ود . رياض زكلي ، دار الفكر - بيروت ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

٢٠ . الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة

الشيخ الحرّ العاملي ، محمد بن الحسن (١٠٣٣ - ١١٠٤هـ) : تحقيق : مشتاق المظفر ، منشورات دليل ما - قم المقدسة ، الأولى / ١٤٢٢هـ .

٢١ . بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار

العلامة المجلسي ، محمد باقر بن محمد تقي (١٠٣٧ - ١١١١هـ) : دار إحياء التراث العربي - بيروت / ١٩٨٩م .

٢٢. البداية والنهاية في التاريخ (تاريخ ابن كثير)

ابن كثير الدمشقي ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير (٧٠٠ - ٧٧٤هـ) : تحقيق : مكتب تحقيق التراث ، نشر دار إحياء التراث العربي - بيروت / ١٩٩٣ م .

٢٣. بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد

الصقار ، الثقة الجليل أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ (٢٩٠هـ) : تعليق : التبريزي ، منشورات مكتبة المرعشي النجفي ، قم المقدسة / ١٤٠٤هـ .

٢٤. البلد الأمين

الكفعمي ، الشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي بن الحسن بن محمد العاملي الحارثي (٨٤٠ - ٩٠٥هـ) : مؤسسة قائم آل محمد عليه السلام - قم المقدسة ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣ م .

٢٥. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام

شمس الدين الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (٦٧٣ - ٧٤٨هـ) : دار الكتاب العربي - بيروت / ٢٠٠٤ م .

٢٦. تاريخ بغداد

الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي (٣٩٢ - ٤٦٣هـ) : تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧ م .

٢٧. تاريخ مدينة دمشق (تاريخ ابن عساكر)

ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله الشافعي الدمشقي (٤٩٩ - ٥٧١هـ) : دار الفكر - دمشق / ١٤١٩هـ .

٢٨. تأويل مختلف الحديث

ابن قتيبة الدينوري ، عبد الله بن مسلم (٢٧٦هـ) : تصحيح : محمد زهري النجار : منشورات دار الجيل - بيروت ١٣٩٣هـ / ١٩٧٢ م .

٢٩. تبصرة المتعلمين

العلامة الحلبي، الحسن بن يوسف بن المطهر (٧٢٦هـ): انتشارات فقيه - طهران، الطبعة الأولى / ١٣٦٨ش.

٣٠. تحرير الأحكام

العلامة الحلبي، الحسن بن يوسف بن المطهر (٧٢٦هـ): مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام - قم المقدسة، الطبعة الأولى / ١٤٢٠هـ.

٣١. تحف العقول عن آل الرسول

ابن شعبة الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين (من أعلام القرن الرابع الهجري): دار الشريف الرضي - قم المقدسة / ١٤٢١هـ.

٣٢. تخريج الأحاديث والآثار

الزيلعي (٧٦٢هـ): تحقيق: عبدالله بن عبدالرحمن السعد: دار ابن خزيمة - الرياض، الطبعة الأولى / ١٤١٤هـ.

٣٣. تدريب الراوي

جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (٨٤٩ - ٩١١هـ): تحقيق: أحمد عمر هاشم: دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م (عن النسخة القديمة الهندية).

٣٤. تذكرة الحفاظ

شمس الدين الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (٦٧٣ - ٧٤٨هـ): وضع حواشيه: زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى / ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م (٤ أجزاء في مجلدين).

٣٥. تراجم الرجال

السيد أحمد الحسيني: مطبعة الصدر - قم المقدسة، الطبعة الأولى / ١٤١٤هـ.

٣٦. تسلية المجالس وزينة المجالس

للسيد محمد بن أبي طالب الحسيني الموسوي الحائري الكركي: تحقيق: فارس حسون كريم، نشر: مؤسسة المعارف الإسلامية - قم المقدسة / ١٤١٨هـ.

٣٧. تعاليق مبسوبة على العروة الوثقى

سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد إسحاق الفيّاض : انتشارات محلّاتي - قم المقدّسة .

٣٨. تفسير الآلوسيّ

(روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)

الآلوسيّ البغداديّ ، أبو الفضل شهاب الدين السيّد محمود (١٢١٧ - ١٢٧٠ هـ) :
الناشر : دار الفكر - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م (٣٠ جزءاً في ١٦ مجلّداً) .

٣٩. تفسير البغويّ (معالم التنزيل)

البغويّ ، أبو محمّد الحسين بن مسعود بن محمّد الفراء (٤٣٨ - ٥١٦ هـ) : دار الكتاب
العلميّة - بيروت / ١٣٢٤ هـ .

٤٠. تفسير البيضاويّ (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)

البيضاويّ ، ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر بن محمّد الشيرازيّ (٧٩١ هـ) :
دار الفكر - بيروت / ٢٠٠٥ م .

٤١. تفسير الزمخشريّ (الكشاف عن حقائق التنزيل)

الزمخشريّ ، محمود بن عمر (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ) : الناشر : دار الكتاب العربي - بيروت
/ ١٩٩٠ م .

٤٢. تفسير السيوطي (الدرر المثلث في التفسير بالمأثور)

السيوطيّ ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (٨٤٩ - ٩١١ هـ) : تصحيح وتخريج
الأحاديث : الشيخ نجات نجيب ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ /
٢٠٠١ م (٨ مجلّداً) .

٤٣. تفسير الطبرسيّ (مجمع البيان)

أمين الإسلام ، أبو عليّ الفضل بن الحسن بن الفضل الطوسيّ الطبرسيّ (٤٦٨ -
٥٤٨ هـ) : تحقيق : السيّد هاشم الموسويّ المحلّاتي والسيّد فضل الله اليزديّ الطباطبائيّ ،
دار المعرفة - بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ / ١٩٩٨ م .

٤٤. تفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير) (مفاتيح الغيب)

خطيب الريّ، فخر الدين أبي عبدالله محمد بن ضياء الدين عمر بن الحسن بن الحسين (٥٤٤ - ٦٠٦هـ): تقديم: الشيخ خليل محيي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م (٣٢ جزءاً في ١٦ مجلداً + مجلد الفهرس).

٤٥. تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير المنار

الشيخ محمد رشيد رضا (١٣٤٥هـ): عن دروس أستاذه الشيخ محمد عبده (١٣٢٣هـ): تعليق وتصحيح: سمير مصطفى رباب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، (١٢ مجلداً).

٤٦. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)

القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري (٦٧١هـ): التحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب - الرياض ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

٤٧. تفسير القميّ

القمي، أبو الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم (٣٢٩هـ): تحقيق: السيّد طيّب الجزائري الموسوي، نشر: دار السرور - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

٤٨. تفسير نور الثقلين

الحويزي، الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي (١١١٢هـ): الناشر: مؤسسة إسماعيليان - قم المقدّسة، الرابعة / ١٤١٥هـ.

٤٩. تقوية الإيمان

محمد بن عقيل بن عمر العلوي الحسيني الحضرمي (١٨٦٣ - ١٩٣١هـ): نشر: دار البيان العربي - بيروت ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

٥٠. التوحيد

الشيخ الصدوق: نشر وتحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين - قم المقدّسة، الطبعة الثامنة / ١٤٢٣هـ.

٥١. تهذيب الأحكام

الشيخ الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن (٤٦٠ هـ) : دار الكتب الإسلامية - طهران ،
الطبعة الثالثة / ١٣٩٠ هـ.

٥٢. تهذيب الأسماء واللغات

محيي الدين النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف (٦٣١ - ٦٧٦ هـ) : دار الكتب العلمية -
بيروت .

٥٣. تهذيب التهذيب

ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي بن محمد (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) : دار الفكر - بيروت /
١٩٩٥ م .

٥٤. تهذيب الكمال

للحافظ المزي ، جمال الدين أبو الحجاج يوسف (٧٤٢ هـ) : مراجعة : سهيل زكار ،
تحقيق : أحمد علي عبيد ، وحسن أحمد آقا ، دار الفكر - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ /
١٩٩٤ م (٢٢ مجلداً + مجلداً الفهارس) .

٥٥. ثواب الأعمال

الشيخ الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي
(٣٨١ هـ) : منشورات الرضي - قم المقدسة ، الطبعة الثانية / ١٣٦٨ ش .

٥٦. الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير

السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (٨٤٩ - ٩١١ هـ) : ، نشر دار الفكر -
بيروت / ١٤٠١ هـ .

٥٧. جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام

الشيخ النجفي ، محمد حسن ابن الشيخ باقر ابن الشيخ عبدالرحيم (١٢٠٠ - ١٢٦٦) :
حقّقه وعلّق عليه وأشرف على طبعه : الشيخ عباس القوجاني ، دار إحياء التراث العربي -
بيروت / ١٤٠٠ هـ .

٥٨. حاشية المكاسب

المحقق الآخوند الخراساني (١٢٥٥ - ١٣٢٩) : تحقيق : السيّد مهدي شمس الدين ،
وزارة الإرشاد الإسلامي - طهران ، الأولى / ١٤٠٦ هـ .

٥٩. حجة الله البالغة في أسرار الأحاديث وعلل الأحكام

الدهلويّ، وليّ الله أحمد بن عبدالرحيم الهنديّ (١١١٠ - ١١٧٦ هـ) : المنيرة - القاهرة /
١٣٢٢ هـ .

٦٠. الحقّ المبين في معرفة المعصومين

الكورانيّ العامليّ، عليّ : نشر : دار الهادي للطباعة والنشر - قم المقدّسة ، الطبعة
الثانية ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م .

٦١. الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة

صدر الدين الشيرازيّ ، صدر الدين محمّد بن إبراهيم بن يحيى (٩٧٩ - ١٠٥٠ هـ) :
نشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة الثالثة / ١٩٨١ م .

٦٢. الخصال : الشيخ الصدوق ، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القميّ
(أعلى الله مقامه) ، تحقيق : الشيخ عليّ أكبر الغفاريّ ، نشر : مؤسّسة النشر : الإسلامي -
قم المقدّسة / ١٤٠٣ هـ .

٦٣. الدرجات الرفيعة

السيّد عليّ خان المدنيّ (١٠٥٢ - ١١٢٠ هـ) : تحقيق : السيّد محمّد صادق بحر العلوم ،
نشر : منشورات مكتبة بصيرتي - قم المقدّسة / ١٣٩٧ هـ .

٦٤. الدروس الشرعية

الشهيد الأوّل ، محمّد بن مكّيّ العامليّ (٧٨٦ هـ) : مؤسّسة النشر الإسلامي - قم
المقدّسة ، الطبعة الأولى / ١٤١٢ هـ .

٦٥. دروس فلسفية شرح المنظومة

الشهيد مرتضى المطهريّ : دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع / ٢٠٠٢ م .

٦٦. الدرّة الباهرة من الأصداف الطاهرة

الشهيد الأوّل ، شمس الدين محمّد بن جمال الدين مكّي العامليّ الجزيّنيّ (٧٣٤ - ٧٨٦هـ) : تحقيق : جلال الدين عليّ الصغير .

٦٧. دلائل الإمامة

الشيخ محمّد بن جرير الطبري الإمامي (٣١٠هـ) : تحقيق : قسم الدراسات الإسلاميّة ، مؤسّسة البعثة - قم المقدّسة ، الأولى / ١٤١٣هـ .

٦٨. دلائل النبوّة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة

أبو بكر البيهقي ، أحمد بن الحسين بن عليّ (٣٨٤ - ٤٥٨هـ) : تحقيق : عبدالمعطي قلعي ، الناشر : دار الكتب العلميّة - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م (٧ مجلّدات) .

٦٩. الذريعة إلى تصانيف الشيعة .

الشيخ آقا بزرك الطهرانيّ (١٣٨٩هـ) : دار الأضواء - بيروت ، الطبعة الثالثة / ١٤٠٣هـ .

٧٠. رجال الطوسيّ

شيخ الطائفة (٤٦٠هـ) : تحقيق : جواد القيوميّ الأصفهانيّ ، الناشر : مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين - قم المقدّسة ، الطبعة الأولى / ١٤١٥هـ .

٧١. رجال الكشيّ (اختيار معرفة الرجال)

الشيخ الطوسيّ : تصحيح وتعليق : الميرداماد الاسترباديّ ، تحقيق : السيّد مهدي الرجائيّ ، الناشر : مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث / ١٤٠٤هـ .

٧٢. رجال النجاشيّ

أبو العبّاس الأسديّ الكوفيّ ، أحمد بن عليّ (٣٧٢ - ٤٥٠هـ) : جماعة المدرّسين - قم المقدّسة / ١٤٠٧هـ .

٧٣. رسائل الشريف المرتضى

أبو القاسم عليّ بن الحسين الموسويّ (٤٢٦هـ) : دار القرآن الكريم - قم المقدّسة /

١٤٠٥ هـ.

٧٤. الرسائل العشر

الشيخ الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن (٤٦٠ هـ) : مؤسّسة النشر الإسلامي - قم المقدّسة .

٧٥. رسائل في الغيبة

الشيخ المفيد : أبو عبدالله محمد بن محمد النعمان العكبري البغدادي (٣٣٦ - ٤١٣ هـ) : تحقيق : علاء آل جعفر : دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م .

٧٦. روضة الواعظين وبصيرة المتعلّمين

الفتّال النيشابوري ، محمد بن أحمد (٥٠٨ هـ) : دار الشريف الرضي - قم المقدّسة ، الطبعة الأولى / ١٣٨٦ ش .

٧٧. زهر الربيع

للسيد المحمّد الخبير الجزائري ، نعمة الله بن عبدالله (١٠٥٠ - ١١١٢ هـ) : بيروت / ١٢٩٢ هـ .

٧٨. سبل الهدى والرشاد

الصالح الشافعي ، شمس الشامى محمد بن يوسف (٩٤٢ هـ) : تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبدالموجود والشيخ عليّ محمد معرض ، دار الكتب العلميّة - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م .

٧٩. السرائر

أبو جعفر ، محمد بن منصور بن أحمد بن إدريس الحلّي (٥٩٨ هـ) : مؤسّسة النشر الإسلامي - قم المقدّسة ، الطبعة الثانية / ١٤١٠ هـ .

٨٠. سير أعلام النبلاء

شمس الدين الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ) : مؤسّسة الرسالة -

بيروت / ١٤١٩ هـ.

٨١. السيرة الحلبية

الحلي، علي بن برهان الدين (٩٧٥ - ١٠٤٤ هـ): دار الكتب العلمية - بيروت / ٢٠٠٦ م.

٨٢. السيرة النبوية

ابن كثير الدمشقي، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير (٧٠٠ - ٧٧٤ هـ): تحقيق: مصطفى عبدالرزاق، دار المعرفة - بيروت / ١٣٩٣ هـ.

الشافي في العقائد والأخلاق والأحكام

الفيض الكاشاني: محمد محسن بن مرتضى بن محمود (١٠٧١ - ١٠٩١ هـ): تحقيق وتصحيح: مهدي الأنصاري القمي، نشر: اللوح المحفوظ - طهران، الطبعة الأولى ١٣٨٣ ش / ١٤٢٥ ق.

٨٣. شرائع الإسلام

المحقق الحلي، أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن (٦٧٦ هـ): انتشارات استقلال - طهران، الطبعة الثانية / ١٤٠٩ هـ.

٨٤. شرح إحقاق الحق وإزهاق الباطل

القاضي التستري، نور الله بن شريف الدين الحسيني المرعشي الشوشتري (٩٥٦ - ١٠١٩ هـ): علّق عليه: السيّد شهاب الدين المرعشي، مكتبة المرعشي النجفي - قم المقدّسة / ١٤١٠ هـ.

٨٥. شرح مسلم

محيي الدين النووي، أبو زكريّا يحيى بن شرف (٦٣١ - ٦٧٦ هـ): نشر: دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

٨٦. شرح المنظومة

الحكيم الملاحادي السبزواري (١٣٠٠ هـ)، تصحيح: محسن بيدار فر: منشورات بيدار - قم المقدّسة الطبعة الأولى / ١٤٢٨ هـ.

٨٧. شرح نهج البلاغة

ابن أبي الحديد ، عزّ الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين المدائني المعتزلي (٥٨٦ - ٦٥٥ هـ) ، قدّم له وعلّق عليه : الشيخ حسين الأعلمي ، نشر : مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت ، الطبعة الأولى / ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .

٨٨. الشفاء

ابن سينا (٣٢٨ هـ) : تصحيح : سعيد زايد : مكتبة المرعشي - قم المقدّسة / ١٤٠٤ هـ .

٨٩. صحيح مسلم (الجامع الصحيح)

القشيريّ النيسابوريّ ، أبو الحسين مسلم بن حجاج (٢٠٦ - ٢٦١ هـ) : دار ابن حزم - بيروت ، الطبعة الأولى / ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م .

٩٠. الصحيح من سيرة النبيّ الأعظم

السيد جعفر مرتضى العامليّ : نشر : دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ودار السيرة - بيروت ، الطبعة الرابعة / ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م .

٩١. صراط النجاة

الشيخ الميرزا جواد التبريزيّ (١٣٢٧ هـ) : دفتر انتشارات برگزيده - قم المقدّسة ، الطبعة الأولى / ١٤١٦ هـ .

٩٢. الصوارم المهرقة في نقد الصواعق المحرقة لابن حجر

نور الله بن شريف الدين الحسينيّ المرعشيّ الشوشتريّ (٩٥٦ - ١٠١٩ هـ) : طبعة طهران / ١٣٦٧ ش .

٩٣. الصواعق المحرقة على أهل الرّفّض والضلال والزّندقة

ابن حجر الهيتميّ ، أبو العبّاس شهاب الدين أحمد بن محمد بن عليّ (٩٠٩ - ٩٧٤ هـ) : تحقيق : عبدالرحمان التركي وكامل محمد الخراط ، مؤسّسة الرسالة - بيروت ، الطبعة الأولى / ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م (مجلّدان) .

٩٤. الطبقات الكبرى

ابن سعد الواقدي ، أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع البصريّ الزهرّي
(١٦٨ - ٢٣٠هـ) : تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلميّة - بيروت ، الطبعة
الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م (٨ مجلّدات + مجلّد الفهارس) .

٩٥ . العروة الوثقى

السيد محمد كاظم الطباطبائيّ اليزديّ (١٣٣٧هـ) : مؤسّسة النشر الإسلاميّ - قم
المقدّسة ، الطبعة الأولى / ١٤١٧هـ .

٩٦ . علل الشرائع

الشيخ الصدوق : دار الحجّة للثقافة - قم المقدّسة ، الطبعة الأولى / ١٤١٦هـ (جزآن
في مجلّد) .

٩٧ . عوالم العلوم (الإمام الحسين عليه السلام)

المحدّث البحرانيّ، الشيخ عبدالله ، تحقيق ونشر : مدرسة الإمام المهديّ عليه السلام - قم
المقدّسة ، الطبعة الأولى / ١٤٠٧هـ .

٩٨ . عوالي اللئاليّ العزيزيّة في الأحاديث الدينيّة

ابن أبي جمهور الأحسائيّ ، محمد بن عليّ بن إبراهيم (٨٨٠هـ) : دار سيّد الشهداء عليه السلام -
قم المقدّسة ، الطبعة الأولى / ١٤٠٥هـ .

٩٩ . عوائد الأيام

الزراقّيّ (١٢٤٤هـ) : تحقيق : مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميّة ، نشر : مركز
النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلاميّ ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٣٧٥ش .

١٠٠ . عيون أخبار الرضا عليه السلام

الشيخ الصدوق : تحقيق : الشيخ حسين الأعلميّ ، مؤسّسة الأعلميّ - بيروت ، الطبعة
الأولى / ١٤٠٤هـ .

١٠١ . عيون الحكم والمواعظ

الليثيّ الواسطيّ ، أبو الحسن عليّ بن محمد (القرن ٦ الهجري) ، دار الحديث -

قم المقدّسة / ١٤١٨ هـ.

١٠٢ . غاية المرام

المحدّث الكبير السيّد هاشم البحراني : تحقيق : السيّد علي عاشور ، بيروت .

١٠٣ . الغدير في الكتاب والسنة والأدب

العلامة الأمينيّ ، عبدالحسين (١٢٨١ - ١٣٤٩ هـ) : دار إحياء التراث العربي - بيروت / ١٩٩٠ م .

١٠٤ . الغيبة

شيخ الطائفة ، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (٤٦٠ هـ) : تحقيق : الشيخ عبد الله الطهراني والشيخ عليّ أحمد صالح ، مؤسّسة المعارف الإسلاميّة - قم المقدّسة ، الثالثة / ١٤٢٥ هـ .

١٠٥ . الغيبة

الشيخ ابن أبي زينب النعمانيّ : تحقيق : فارس حسون كريم ، الناشر : أنوار الهدى ، الأولى / ١٤٢٢ هـ .

١٠٦ . فتح الباري في شرح صحيح البخاري

ابن حجر العسقلانيّ ، نشر : دار المعرفة - بيروت ، الطبعة الثانية .

١٠٧ . الفتوح

أحمد بن أعثم الكوفيّ (٣١٤ هـ) ، تحقيق : عليّ شيرّي ، نشر : دار الأضواء للطباعة والنشر - بيروت ، الطبعة الأولى / ١٤١١ هـ .

١٠٨ . الفرق بين الفرق

عبدالقاهر بن طاهر بن محمّد البغدادي الاسفرائينيّ التميميّ (٤٢٩ هـ) : تحقيق : محمّد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة دار التراث - القاهرة .

١٠٩ . الفوائد المدنيّة والشواهد المكيّة

المولى محمّد أمين الاسترباديّ (١٠٣٣ هـ) و : السيّد نور الدين العامليّ (١١١٩ هـ) : تحقيق : الشيخ رحمة الله الرحمتي الأراكي ، نشر : مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة

لجماعة المدرسين - قم المقدسة ، الطبعة الأولى / ١٤٢٤هـ .

١١٠ . فيض القدير شرح الجامع الصغير

عبدالرؤوف المناوي ، محمد الشافعي (٩٥٢ - ١٠٣١هـ) : تحقيق : أحمد عبدالسلام ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى / ١٤١٥هـ .

١١١ . قرب الإسناد

الحميري ، أبو العباس عبدالله بن جعفر (٣١٠هـ) : مؤسسة آل البيت للإحياء التراث - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

١١٢ . قصص الأنبياء

قطب الدين الراوندي ، سعيد بن هبة الدين (٥٧٣هـ) : تحقيق غلام رضا عرفانيان اليزدي : منشورات مجمع البحوث الإسلامية - مشهد / ١٤٠٩هـ .

١١٣ . الكافي

ثقة الإسلام الكليني ، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (٣٢٨ - ٣٢٩هـ) : مؤسسة الأعلمي - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .

١١٤ . كامل الزيارات

ابن قولويه ، الشيخ أبو القاسم جعفر بن محمد القمي (٣٦٨هـ) : دار السرور - بيروت ، الطبعة الأولى / ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

١١٥ . الكامل في التاريخ

ابن الأثير ، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن أبي الكرم الشيباني (٥٥٥ - ٦٣٠هـ) : دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٩م .

١١٦ . الكامل في ضعفاء الرجال

أبو أحمد عبدالله بن عدي الجرجاني (٣٦٥هـ) : تحقيق : يحيى مختار غزاوي ، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت ، الطبعة الثالثة .

١١٧ . كتاب الزكاة

الشيخ الأنصاري ، مرتضى بن محمد أمين (١٢٨١هـ) : المؤتمر العالمي للشيخ

الأنصاري، الطبعة الأولى / ١٤١٧هـ.

١١٨. كتاب السنّة

أبو بكر الخلال، أحمد بن محمد بن هارون البغدادي (٣١١هـ).

١١٩. كتاب الصلاة

السيد الخوئي، أبو القاسم الموسوي (١٢٧٨ - ١٤١١هـ) : نشر : دار الهادي
للمطبوعات - قم المقدسة، الطبعة الثالثة / ١٤١٠هـ.

١٢٠. كتاب الصوم

السيد الخوئي، أبو القاسم الموسوي (١٢٧٨ - ١٤١١هـ).

١٢١. كتاب الطهارة

السيد روح الله الموسوي الخميني (١٤١٠هـ) : مؤسّسة آل البيت عليه السلام للطباعة والنشر،
الطبعة الثانية.

١٢٢. كتاب القضاء

المحقق الآشتياني (١٣١٩هـ) : دار الهجرة - قم المقدسة، الطبعة الثانية / ١٤٠٤هـ.

١٢٣. كتاب القضاء والشهادات

الشيخ الأنصاري، مرتضى بن محمد أمين (١٢٨١هـ) : تحقيق : لجنة تحقيق تراث
الشيخ الأعظم، المؤتمر العالمي للشيخ الأنصاري، الطبعة الأولى / ١٤١٥هـ.

١٢٤. كتاب الفتن

أبو عبد الله نعيم بن حماد المروزي تحقيق : سهيل زكار، دار الفكر - بيروت / ١٤١٤هـ.

١٢٥. الكرام البررة

شيخ مشايخ الإجازة، العلامة الكبير، الشيخ آقا بزرك الطهراني (١٣٨٩هـ) : مؤسّسة
دار المرتضى.

١٢٦. الكشف الحثيث عمّن رُمي بوضع الحديث

الحلي الشافعي، برهان الدين إبراهيم بن محمد بن خليل (٨٤١هـ) : تحقيق : صبحي
السامرائي، مطبعة العاني - بغداد، (مجلد).

١٢٧. كشف الخفاء

العجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحي (١١٦٢هـ): دار الكتب العلمية - بيروت
١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

١٢٨. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون

مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة (١٠٦٧هـ): ط. دار الفكر - بيروت ١٤٠٢هـ /
١٩٨٢م.

١٢٩. كشف الغطاء

الشيخ جعفر كاشف الغطاء (١٢٢٨هـ): مكتب الإعلام الإسلامي - قم المقدسة، الطبعة
الأولى / ١٤٢٢هـ.

١٣٠. كشف الغمة في معرفة الأئمة

الإربلي، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (٤٦٧ - ٥٣٨هـ): دار الأضواء - بيروت
/ ١٩٨٥م.

١٣١. كشف المراد في تجريد الاعتقاد

العلامة الحلبي (٧٢٦هـ): تحقيق آية الله حسن زاده الآملي، مؤسسة النشر الإسلامي -
قم المقدسة، الطبعة السابعة / ١٤١٧هـ.

١٣٢. كفاية الأصول

المحقق الأصولي الشامخ الشيخ الآخوند الخراساني (١٢٥٥ - ١٣٢٩هـ)، تحقيق
ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي - قم المقدسة، الطبعة الثانية / ١٤١٤هـ.

١٣٣. كمال الدين وتمام النعمة

الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣١١ -
٣٨١هـ): تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة
لجماعة المدرسين - قم المقدسة ١٤٠٥هـ / ١٣٦٣ش.

١٣٤. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال

المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين (٨٨٨ - ٩٧٥هـ): مؤسسة الرسالة -

بيروت ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

١٣٥. لسان العرب

ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري
الأفريقي المصري (٦٣٠ - ٧١١هـ) : تنسيق وتعليق : علي شيري ، دار صادر - بيروت /
١٩٩٥م .

١٣٦. اللهوف في قتلى الطفوف

السيد ابن طاووس ، رضي الدين أبي القاسم علي بن بن سعد الدين إبراهيم بن
موسى بن جعفر (٥٨٩ - ٦٤٤هـ) : أنوار الهدى - قم المقدسة ، الطبعة الأولى / ١٤١٧هـ .

١٣٧. لواعج الأشجان

السيد محسن الأمين (١٣١٧هـ) : منشورات مكتبة بصيرتي - قم المقدسة / ١٣٣١هـ .

١٣٨. اللهوف في قتلى الطفوف

السيد ابن طاووس ، رضي الدين أبي القاسم علي بن بن سعد الدين إبراهيم بن موسى
بن جعفر (٥٨٩ - ٦٤٤هـ) : أنوار الهدى - قم المقدسة ، الطبعة الأولى / ١٤١٧هـ .

١٣٩. المبدأ والمعاد

ابن سينا : مؤسّسة مطالعات اسلامي - طهران ، الطبعة الأولى / ١٣٦٢ش .

١٤٠. المبسوط

الشيخ الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن (٤٦٠هـ) : المكتبة المرتضوية لإحياء
الآثار الجعفرية - طهران / ١٣٨٧هـ .

١٤١. مثير الأحزان

ابن نما الحلبي ، جعفر بن محمد بن هبة الله (٦٤٥هـ) : تحقيق ونشر : مدرسة ومؤسسة
الإمام المهدي عليه السلام - قم المقدسة / ١٤٠٦هـ .

١٤٢. مجلة التمدن الاسلامي

تصدر في دمشق - السنة ٢٢ .

١٤٣. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد

الهيثمي ، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر المصري الشافعي (٧٣٥ - ٨٠٧هـ) :
دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

١٤٤ . المحاسن

البرقي ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد (٢٧٤هـ) : المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام -
قم المقدسة / ١٤١٦هـ .

١٤٥ . المحلى

ابن حزم ، علي بن أحمد بن سعيد (٤٥٦هـ) : نشر دار الفكر - بيروت .

١٤٦ . مختصر بصائر الدرجات

الشيخ حسن بن سليمان الحلبي : منشورات المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف ،
الأولى / ١٣٧٠هـ .

١٤٧ . مدينة المعاجز

السيد هاشم البحراني : تحقيق : الشيخ عزّة الله المولائي الهمداني ، مؤسسة المعارف
الإسلامية - قم المقدسة ، الأولى / ١٤١٣هـ .

١٤٨ . المزار

الشيخ المفيد : أبو عبدالله محمد بن محمد النعمان العكبري البغدادي (٣٣٦ - ٤١٣هـ) :
تحقيق : السيد محمد باقر الأبطحي ، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ، الثانية
/ ١٤١٤هـ .

١٤٩ . المزار الكبير

ابن المشهدي ، الشيخ أبو عبدالله محمد بن جعفر بن علي الحائري (٦١٠هـ) : تحقيق :
جواد القيومي الأصفهاني ، نشر دار القيتوم ، الطبعة الأولى / ١٤١٩هـ .

١٥٠ . المسائل المتخبة

آية الله العظمى السيد علي السيستاني : مكتب آية الله العظمى السيد علي السيستاني ،
الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .

١٥١ . مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام

الشهيد الثاني (٩١١ - ٩٦٥ هـ) : تحقيق ونشر : مؤسّسة المعارف الإسلامية - قم المقدّسة ، الطبعة الثالثة / ١٤٢١ هـ .

١٥٢ . مستدركات علم رجال الحديث

الشيخ عليّ النمازيّ الشاهروديّ : نشر ابن المؤلّف ، طهران / ١٤١٤ هـ .

١٥٣ . المستدرک علی الصحيحين

الحاكم النيسابوريّ ، محمّد (٤٠٥ هـ) : تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى / ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م .

١٥٤ . مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل

المحدّث النوريّ ، الحاج الميرزا حسين بن محمّد تقي بن تقيّ الطبرسيّ (١٢٥٤ - ١٣٢٠ هـ) : مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث - قم المقدّسة ، الطبعة الأولى / ١٤٠٨ هـ .

١٥٥ . مستمسك العروة الوثقى

فقيه الطائفة ، السيّد محسن الحكيم ، نشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت .

١٥٦ . مستند العروة الوثقى

آية الله العظمى السيّد أبو القاسم الخوئيّ (١٢٧٨ - ١٤١١ هـ) : مدرسة دار العلم - قم المقدّسة / ١٣٦٥ ش .

١٥٧ . مسند أحمد بن حنبل

ابن حنبل ، أحمد (٢٤١ هـ) : مؤسّسة الرسالة - بيروت ، الطبعة الثانية / ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م .

١٥٨ . مصابيح الأنوار

عبدالله شبر ، السيّد عبدالله بن محمّد رضا بن محمّد بن أحمد بن عليّ (١١٨٨ - ١٢٤٢ هـ) : مكتبة بصيرتي - قم المقدّسة .

١٥٩ . المصباح

الكفعميّ ، الشيخ تقي الدين إبراهيم بن عليّ بن الحسن بن محمّد العامليّ الحارثيّ (٨٤٠ - ٩٠٥ هـ) : نشر مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت ، الطبعة الثالثة / ١٤٠٣ هـ /

١٩٨٣ م.

١٦٠. مصباح المتهجد

شيخ الطائفة : مؤسسه فقه الشيعة - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م.

١٦١. مطارح الأنظار

الشيخ أبو القاسم الكلانترى : تقريراً لأبحاث الشيخ الأعظم الأنصارى ، مجمع الفكر الإسلامى - قم المقدسة ، الأولى / ٣٨٣ ش .

١٦٢. معاني الأخبار

الشيخ الصدوق : قدّم له : الشيخ حسين الأعمى ، تعليق : علي أكبر الغفاري ، نشر مؤسسه الأعمى - بيروت ، الأولى ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.

١٦٣. المعبر

المحقق الحلي ، نجم الدين أبو القاسم جعفر بن الحسن (٦٧٦ هـ) : مؤسسه سيّد الشهداء عليه السلام - قم المقدسة / ١٣٦٤ ش .

١٦٤. المعجم الأوسط

أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٣٦٠ هـ) : تحقيق : محمود الطحان : مكتبة المعارف - الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.

١٦٥. معجم رجال الحديث

آية الله العظمى السيّد أبو القاسم الخوئي (١٢٧٨ - ١٤١١ هـ) : الثقافة الإسلامية - قم المقدسة الطبعة الخامسة ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م.

١٦٦. المعجم الكبير

الطبراني ، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي (٢٦٠ - ٣٦٠ هـ) : دار إحياء التراث العربي - بيروت / ١٩٩٦ م.

١٦٧. المعرفة والتاريخ

أبويوسف يعقوب بن سفيان الفسوي (٢٧٧ هـ) : تحقيق : أكرم ضياء العمري : بيروت / ١٩٨١ م ، ومطبعة الإرشاد - بغداد .

١٦٨. المغازي

الواقدي ، محمد بن عمر بن واقد (١٣٥ - ٢٠٧هـ) : مركز النشر - قم المقدسة / ١٤١٨هـ .

١٦٩. مفتاح السعادة ومصباح السيادة

مصباح الدين أبو الخير أحمد بن مصطفى بن خليل الحنفي البروساوي الشهير بطاش كبرى زاده (٩٠١ - ٩٦٨هـ) : دار الكتب العلمية - بيروت .

١٧٠. مقتل الحسين عليه السلام

الخوارزمي ، أخطب خوارزم ، موفّق بن أحمد بن محمد البكري الحنفي المكي (٤٨٤ - ٥٦٨هـ) : تحقيق : محمد السماوي ، أنوار الهدى - قم المقدسة / ١٤١٨هـ .

١٧١. مكاتيب الرسول

علي بن حسين الأحمدي الميانجي : نشر وطبع : دار الحديث - قم المقدسة ، الطبعة الأولى (طبعة مصحّحة ومنقّحة ومزيدة) / ١٩٩٨م .

١٧٢. المكاسب المحرّمة

الشيخ الأعظم ، مرتضى بن محمد أمين الدزفولي الأنصاري (١٢١٤ - ١٢٨١هـ) : دار الحكمة - قم المقدسة / ١٤١٦هـ .

١٧٣. المكاسب المحرّمة

السيد روح الله الخميني (١٤١٠هـ) : قم المقدسة / ١٣١٨هـ .

١٧٤. الملاحم والفتن

السيد ابن طاووس ، رضي الدين أبي القاسم علي بن بن سعد الدين إبراهيم بن موسى بن جعفر (٥٨٩ - ٦٤٤هـ) : تحقيق ونشر : مؤسّسة صاحب الأمر عليه السلام ، المطبعة نشاط - أصفهان ، الأولى / ١٤١٦هـ .

١٧٥. مناقب آل أبي طالب

ابن شهر آشوب ، أبو جعفر رشيد الدين محمد بن علي السروي المازندراني (٤٨٨ - ٥٨٨هـ) : دار الأضواء - بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .

١٧٦. المناقب

الموفق الخوارزمي ، أخطب خوارزم ، الموفق بن أحمد بن محمد البكري الحنفي المكي
(٤٨٤ - ٥٦٨ هـ) : مؤسسة النشر الإسلامي - قم المقدسة ، الطبعة الثانية .

١٧٧ . من لا يحضره الفقيه

الشيخ الصدوق : (٣١١ - ٣٨١ هـ) : تصحيح وتحقيق : علي أكبر الغفاري ، الطبعة
الثانية .

١٧٨ . منية السائل

فتاوى مرجع المسلمين السيد الخوئي (١٢٧٨ - ١٤١١ هـ) ، جمع وإعداد : الشيخ موسى
مفيد الدين عاصي / ١٤١٢ هـ .

١٧٩ . طبقات الفقهاء

إشراف جعفر بن محمد حسين السبحاني : مؤسسة الإمام الصادق ٧ - قم المقدسة .

١٨٠ . المذهب البارع

ابن فهد جمال الدين أحمد بن محمد الحلبي (٨٤١ هـ) : مؤسسة النشر الإسلامي - قم
المقدسة / ١٤٠٧ هـ .

١٨١ . ميزان الاعتدال في نقد الرجال

شمس الدين الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ) : دار الفكر - بيروت /
١٤٢٠ هـ .

١٨٢ . الميزان في تفسير القرآن (تفسير)

الطباطبائي ، محمد حسين (١٣٢١ - ١٤٠٢ هـ) : تحقيق : الشيخ حسين الأعلمي ،
الناشر مؤسسة الأعلمي - بيروت ، الطبعة الأولى المحققة ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .

١٨٣ . نظرية المعرفة

الشيخ جعفر السبحاني : منشورات المركز للدراسات الإسلامية - قم المقدسة /
١٤١١ هـ .

١٨٤ . نفحات الأزهار

السيد علي الميلاني : الناشر : المؤلف ، الطبعة الأولى / ١٤١٤ هـ .

١٨٥ . نقد الرجال

السيد مصطفى بن الحسين الحسيني التفرشي (ق ١١٠ هـ) : مؤسّسة آل البيت عليه السلام - قم المقدّسة ، الطبعة الأولى / ١٤١٨ هـ .

١٨٦ . نور البراهين

السيد نعمة الله الجزائري الموسوي (١١١٢ هـ) : مؤسّسة النشر الإسلامي - قم المقدّسة ، الطبعة الأولى / ١٤١٧ هـ .

١٨٧ . نور العين في مشهد الحسين

الاسفرائيني ، ركن الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد بن إبراهيم بن مهران البغدادي (٤١٨ هـ) .

١٨٨ . نهاية الحكمة

العلامة الطباطبائي ، محمّد حسين بن محمّد بن عليّ أصغر (١٣٢١ - ١٤٠٢ هـ) تحقيق : الشيخ عباس الزارعي : مؤسّسة النشر الإسلامي - قم المقدّسة ، الطبعة الأولى / ١٤٢٤ هـ .

١٨٩ . وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة

الحرّ العاملي ، محمّد بن الحسن بن عليّ بن محمّد بن الحسين (١٠٣٣ - ١١٠٤ هـ) : مؤسّسة آل البيت عليه السلام - قم المقدّسة ، الطبعة الثانية / ١٤١٦ هـ .

١٩٠ . الوسيلة إلى نيل الفضيلة

ابن حمزة الطوسي ، عماد الدين أبو جعفر محمّد بن عليّ بن عليّ (٥٦٠ هـ) : مكتبة آية الله المرعشي النجفي - قم المقدّسة ، الطبعة الأولى / ١٤٠٨ هـ .

١٩١ . وعاية الحكمة في شرح نهاية الحكمة

العشاق الأصفهاني ، حسين : مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر .

١٩٢ . الهداية الكبرى

الحسيني الجبلاني ، أبو عبدالله الحسين بن حمدان (٣٣٤ هـ) : بيروت / ١٤١٧ هـ .

١٩٣ . اليقين في إمرة أمير المؤمنين عليه السلام

أبي القاسم عليّ بن موسى بن طاووس (٦٦٤ هـ) : تحقيق : الأنصاري : مؤسّسة

دار الكتاب (الجزائري) - قم المقدسة ، الطبعة الأولى / ١٤١٣ هـ.

١٩٤. ينابيع المودة لذوي القربى

القندوزي ، سليمان بن إبراهيم الحنفي (١٢٩٤ هـ) : تحقيق : السيد علي جمال أشرف الحسيني ، نشر : دار الأسوة للطباعة والنشر - قم المقدسة ، الطبعة الأولى / ١٤١٦ هـ.

مُجْتَوَايُ الْكِتَابِ

الفصل العاشر: الحسين عليه السلام ونهضته المباركة

٩ - ٥٨

١١	كلمات تأملية حول سيد الشهداء عليه السلام
١١	السؤال الأول
١١	الاحتمال الأول
١٢	الاحتمال الثاني
١٥	الاحتمال الثالث
١٦	الاحتمال الرابع
١٧	السؤال الثاني
١٩	الاحتمال الأول
٢٣	الاحتمال الثاني
١٩	السؤال الثالث
٢٤	الحسين عليه السلام وراثه الأنبياء والأولياء .. تجليات ومظاهر
٢٥	الاحتمال الأول : أن يكون المقصود بالوراثه الفقهيّة
٢٧	الاحتمال الثاني : أن يكون المراد وراثه العلم
٢٩	الاحتمال الثالث
٢٩	النقطة الأولى

- ٣٠ النقطة الثانية
- ٣١ النقطة الثالثة
- ٣٣ تعليق على نقد
- ٣٥ التعليق الأول
- ٣٦ التعليق الثاني
- ٣٦ التعليق الثالث
- ٣٧ التعليق الرابع
- ٣٨ التعليق الخامس
- ٤٠ عبارة جون (رضوان الله تعالى عليه) والعنصرية
- ٤٦ الحسين عليه السلام مظهر الجمال ، وجنة الأولياء
- ٤٦ النقطة الأولى
- ٤٧ بيان نور عظمة الله تبارك وتعالى
- ٥٠ النقطة الثانية
- ٥٠ الأمر الأول
- ٥١ الأمر الثاني
- ٥٢ الأمر الثالث
- ٥٣ النقطة الثالثة
- ٥٤ النتيجة الأولى
- ٥٥ النتيجة الثانية
- ٥٦ النتيجة الثالثة
- ٥٧ كيف تكون معهم ؟

الفصل الحادي عشر: مهدويّات

٥٩ - ١٢٤

٦١	دفع شبهات عن العقيدة المهدويّة
٦٣	الشبهة الأولى
٦٣	التعليق الأوّل
٦٥	التعليق الثاني
٦٦	الشبهة الثانية
٦٦	التعليق الأوّل
٦٨	التعليق الثاني
٦٨	التعليق الثالث
٦٩	الشبهة الثالثة
٧٠	الشبهة الرابعة
٧٤	حوار حول العقيدة المهدويّة
٨٠	السفيايّ وحركة داعش واحتلال الكوفة
٨٠	النقطة الأولى
٨٤	النقطة الثانية
٨٧	النقطة الثالثة
١٠٤	النقطة الرابعة

الفصل الثاني عشر: هدي العلماء والمرجعيّة

١٢٥ - ١٩١

١٢٧	بداية المرجعيّة الشيعيّة

- ١٣١ من كلمات المرجع الأعلى
- ١٣٤ أسئلة حول دور الفقهاء
- ١٤٣ هل هذا نقد علمي أم قاموس شتائم!!
- ١٤٥ الأمر الأول
- ١٤٧ الأمر الثاني
- ١٥٢ الأمر الثالث
- ١٥٤ الأمر الرابع
- ١٥٧ الأمر الخامس
- ١٥٨ الأمر السادس
- ١٦٠ وقفة تأمل في حدث استثنائي
- ١٦٠ ١ - استثنائية الحدث
- ١٦١ ٢ - نافذة على الكمالات الشخصية للمرجع الأعلى
- ١٦٧ ٣ - بيان تعليق الوكالة
- ١٧٠ ٤ - مكتسبات هذا البيان الاستثنائي
- ١٧٣ ٥ - قيمة العالم
- ١٧٦ إذا كانت الرسالة خاطئة فهناك مشكلة في التفكير
- ١٧٧ الوقفة الأولى
- ١٧٩ الوقفة الثانية
- ١٨٢ الوقفة الثالثة
- ١٨٥ الوقفة الرابعة
- ١٨٦ الوقفة الخامسة
- ١٨٧ الوقفة السادسة

الوقف السابعة ١٨٨

الفصل الثالث عشر: فقهيّات

١٩٣ - ٢٢٥

أحكام كثير السفر وفق رأي السيّد السيستاني (حفظه الله) ١٩٥

النقطة الأولى ١٩٥

النقطة الثانية ١٩٦

النقطة الثالثة ١٩٧

النقطة الرابعة ١٩٧

النقطة الخامسة ١٩٧

النقطة السادسة ١٩٨

النقطة السابعة ١٩٩

النقطة الثامنة ١٩٩

نافذة شرعية على الفن ٢٠١

الجهة الأولى: في تعريف الفن بشكل عام ٢٠١

الجهة الثانية ٢٠٣

الجهة الثالثة ٢٠٤

الجهة الرابعة ٢٠٩

حقيقة الاعتكاف ٢١١

الجهة الأولى ٢١١

الجهة الثانية ٢١٣

الجهة الثالثة ٢١٥

٢١٨	الجهة الرابعة
٢٢١	مسألة ما إذا بقي من الوقت مقدار أربع ركعات
٢٢١	الجهة الأولى
٢٢٢	الجهة الثانية
٢٢٢	الجهة الثالثة
٢٢٥	الجهة الرابعة

الفصل الرابع عشر: شؤون فكرية عامة

٢٢٧ - ٢٤٣

٢٢٩	من هم دعاة الرجعية ؟
٢٣٦	علماء التنوير الديني وتقييمهم (العلم والأمانة)

الفصل الخامس عشر: اجتماعيات

٢٤٥ - ٣٠٤

٢٤٧	ثقافة الاختلاف
٢٤٧	المحاضرة الأولى : ثقافة الاختلاف بين المؤمنين
٢٤٨	النقطة الأولى: تقسيم المخالف
٢٤٨	القسم الأول
٢٤٩	القسم الثاني
٢٥١	القسم الثالث
٢٥١	النقطة الثانية
٢٥٤	معنى توحيد التشريع

- النقطة الثالثة: بيان موقف المؤمن عند الاختلاف معه ٢٥٦
- القسم الأول: المخالف عناداً طلباً للشهرة والمكانة ٢٥٦
- القسم الثاني: المخالف علمياً أو لشبهة بلا عناد ٢٥٩
- المحاضرة الثانية: الموقف من المخالف في أصول الدين ٢٦٤
- النقطة الأولى: حكم الكافر في يوم القيامة ٢٦٤
- الأمر الأول ٢٦٥
- الأمر الثاني ٢٦٨
- الأمر الثالث ٢٦٩
- النقطة الثانية: موقفنا تجاه الكافر في الدنيا ٢٧١
- النقطة الثالثة: دفع شبهة ترتبط بعدالة الإسلام ٢٧٥
- المحاضرة الثالثة: أهداف الإسلام العامة ،
- وعوامل التنسيق العملي بين مذاهب الإسلام ٢٧٩
- النقطة الأولى: حكم أبناء المذاهب من حيث الإسلام والكفر .. ٢٧٩
- التعليق الأول ٢٨٠
- التعليق الثاني ٢٨١
- التعليق الثالث ٢٨٢
- النقطة الثانية: الموقف العملي اتجاه المذاهب الأخرى ٢٨٣
- تحديات الهوية في زمن العولمة ٢٩٢
- النقطة الأولى: تعريف العولمة ٢٩٢
- القسم الأول ٢٩٢
- القسم الثاني ٢٩٤
- النقطة الثانية: مبررات العولمة ٢٩٦

- الأول: المبرر الحضاري ٢٩٦
- الثاني: المبرر الاقتصادي ٢٩٧
- الثالث: المبرر التطويري ٢٩٨
- النقطة الثالثة : تأثير العولمة على الهوية الإسلامية ٢٩٩
- أسس المدنية الإسلامية ٢٩٩
- أسس العولمة ٣٠٢

الفصل السادس عشر: بحوث تاريخية

٣٧٢ - ٣٠٥

- السقيفة بين كتاب البخاري وفتح الباري ٣٠٧
- قيمة كتاب البخاري عند القوم ٣٠٧
- مكانة ابن حجر ٣٠٩
- قيمة الروايات التي يستشهد بها ٣١٠
- منهجية البحث ٣١٠
- روايات السقيفة ٣١١
- تسلسل الأحداث ٣١٦
- انقسام المسلمين بعد وفاة النبي الأعظم ٣١٩
- أهمية التعرف على من كان في بعث أسامة ٣٢٠
- لماذا ذهب القرشيون إلى الأنصار؟ ٣٢٢
- الدلالات المستفادة من هذه الروايات ٣٢٢
- اختلاف الصحابة في أساس الحكم ٣٢٢
- بطلان وزيف روايات فضل أبي بكر ٣٢٦

- ٣٢٧ الاجتماع على بيعة رجل لا يدلّ على أهليّته وفضله؟
- ٣٢٨ عدم الإجماع على بيعة أبي بكر
- ٣٢٨ بيعة أبي بكر فلتة
- ٣٢٩ دور عمر الفعّال في وقوع بيعة أبي بكر
- ٣٣٠ عجز الأنصار عن دفع الخلافة من القرشيّين
- ٣٣١ مؤامرة العقبة (دراسة وتحليل)
- ٣٣١ الروايات التي تعرّضت للمؤامرة في كتب الطرفين:
- ٣٣١ بعض روايات العامة
- ٣٣٨ بعض روايات الخاصّة
- ٣٤٨ ثبوت الواقعة:
- ٣٤٩ النقطة الأولى
- ٣٥٤ النقطة الثانية: لماذا لم يعاقبهم رسول الله ﷺ؟
- ٣٥٥ النقطة الثالثة: من هؤلاء المنافقون؟
- ٣٥٨ إخفاء العامّة للمثالب
- ٣٥٩ محاربة العامّة لرواة المثالب
- ٣٦٤ أسلوب ستر الأشخاص وإخفاء أسمائهم
- ٣٦٩ وجود بعض الكبراء منهم ورأي ابن حزم
- ٣٧١ الخلاصة والنتائج

الفصل السابع عشر: بحوث عقلية وفلسفية

٣٧٣ - ٤١٢

- ٣٧٥ أقسام المفاهيم الكلّية

- ٣٧٦ خصائص المعقولات
- ٣٨٣ المفاهيم الحقيقية والاعتبارية
- ٣٨٣ أهمية التعرف على خواص المفاهيم الذهنية
- ٣٨٤ المفاهيم الحقيقية والاعتبارية
- ٣٨٥ ما المراد بالمفاهيم الاعتبارية؟
- ٣٨٨ الغرض من الاعتبار
- ٣٩٠ ملاك صدق القضايا
- ٣٩٠ النقطة الأولى
- ٣٩٠ النقطة الثانية
- ٣٩٤ النقطة الثالثة
- ٣٩٦ النقطة الرابعة
- ٤٠١ هل يمكن أن يقترب العلم من إمكان المستحيل؟
- ٤٠١ النقطة الأولى: هل أثبت العلم إمكان وقوع المستحيل؟
- ٤٠٣ النقطة الثانية
- ٤٠٥ معنى: (وَلَيْسَ يُقَالُ لَهُ أَكْثَرُ مِنْ فِعْلٍ وَعَمَلٍ ..) وقاعدة الواحد ..
- ٤٠٨ قيمة الأسلوب المنطقي
- ٤٠٨ التعليق الأول
- ٤٠٩ التعليق الثاني
- ٤١٠ التعليق الثالث
- ٤١٢ التعليق الرابع

الفصل الثامن عشر: الروح التفاتة وتربية

٤١٣ - ٤٤٢

- ٤١٥ جهاد النفس معراج الإنسانية
- ٤١٥ أهميّة جهاد النفس
- ٤١٧ حكم جهاد النفس
- ٤١٧ النقطة الأولى: أهميّة جهاد النفس
- ٤١٨ الأمر الأول
- ٤١٨ الأمر الثاني
- ٤١٩ الأمر الثالث
- ٤٢٠ الأمر الرابع
- ٤٢٤ النقطة الثانية في بيان كيفية جهاد النفس
- ٤٢٥ الخطوة الأولى
- ٤٢٥ الخطوة الثانية
- ٤٢٧ الخطوة الثالثة
- ٤٢٨ الخطوة الرابعة
- تسليّة الفؤاد ببيان إمكانية التواصل مع الموتى من الأحبة والأولاد. ٤٣٠
- ٤٣٦ الحياة البرزخية
- ٤٣٦ المقام الأول: في إثبات الحياة البرزخية وعذابها
- ٤٤٠ المقام الثاني: في دفع شبهة نفي القرآن للحياة البرزخية

الفصل التاسع عشر: حواريات

٤٤٣ - ٤٥٩

- ٤٤٥ أسئلة الجلسة الحوارية لسنة ١٤٣٨ هـ
- ٤٤٥ الأسئلة الفقهية
- ٤٤٧ الأسئلة التي ترتبط بالعقيدة والمعارف
- ٤٥٠ الأسئلة الفكرية العامة
- ٤٥٣ الأسئلة التفسيرية
- ٤٥٤ الأسئلة التي ترتبط بالنهضة الحسينية والشعائر

مصادر الكتاب

٤٨٤ - ٤٥٩

محتويات الكتاب

٤٨٥ - ٤٩٦